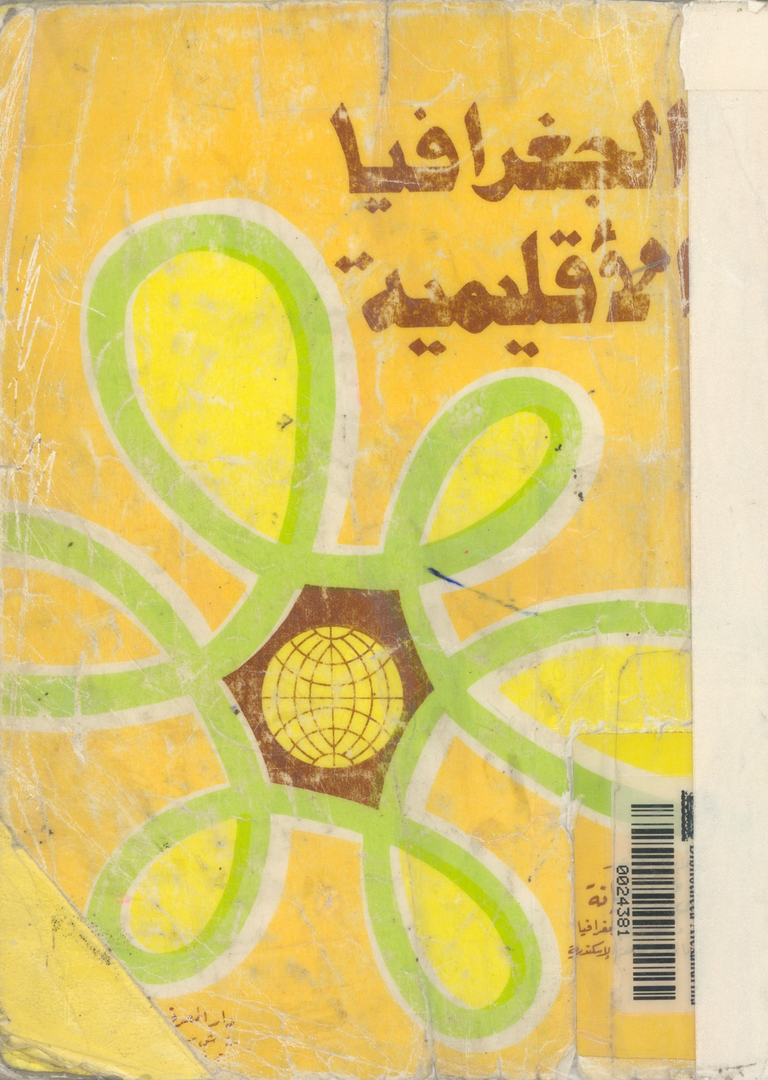

الجغرافيا
الإقليمية
جغرافيا
بالإسكندرية

الجُغرافيا الإقليميَّة

دكتور
فتحي محمد أبو عيانة
أستاذ الجغرافيا البشرية
جامعة الإسكندرية وجامعة بيروت العربية

الجغرافيا الإقليمية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

المقــدّمة

تدرس الجغرافيا البيئة والإنسان وأنماط العلاقات القائمة بينهما بهدف إبراز شخصية هذه البيئة وتحديد ملامحها وفهم مكـوناتها ومشكلاتها الكامنة، ومن ثم يتحدد هدف هذا العلم ببساطة في تحسين فهمنا لكل معقد عن طريق دراسة الأجـزاء التي يتكون منهـا. وتختلف الطرق التي يسلكهـا الجغـرافي للوصول إلى هـذه الغايـة وإن كانت كلهـا تؤدي إلى دراسة الاختلافات الإقليميـة، وبذلـك يصبح الإقليم إطـار هذه الـدراسة على المستويين المحلي والعالمي.

وفي ثورة المعلومات التي يعيشهـا العالم اليـوم، تصبح المشكلة الرئيسية لأيّ باحث ليس في الحصول على بيانات عن أيّ إقليم من أقاليم العالم، بل في اختيار وتنظيم هذه البيانات بطريقة أصولية منظمة. والعالم كله كوحـدة مترابطة تبدو بعض أقاليمه أكثر ارتباطاً وتماسكاً من البعض الآخر سواء بسبب الامتداد الأرضي أو التبادل الحضاري، ويعكس ذلك مدى عبقرية الإنسان وتفاعله مع بيئته وما ترتب على ذلك من خلق أنماط من الحضارات تأثرت بها أقاليم العالم بدرجات متفاوتة. ورغم وحدة العالم فإنه من الاتساع والتعقيد بحيث يصعب فهمه واستيعابه في دراسة واحدة يضمها كتاب واحد، ومن ثم يصبح تقسيمه إلى مناطق أصغر أمراً لا مناص منه.

وقد درج الجغرافيون في دراستهم الإقليمية للعالم على تقسيمـه إلى أقسام أبسطها القارات، ولكن باستمرار التفاوت بين البيئات وظهور الفوارق

العميقة في التركيب السياسي والبناء الاقتصادي اتجهت معظم الدراسات إلى تقسيم العالم إلى أقاليم اقتصادية أو سياسية أو ديموغرافية، ودراسة كلٍّ منها دراسة مستقلة حتى في داخل القارة الواحدة وفي إطار قواسم مشتركة أبرزها مظاهر التقدم أو التخلّف. ومن هنا سادت فكرة الأقاليم الحضارية الثمانية الكبرى التي ينقسم إليها العالم وهي أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية والاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط وأفريقيا المدارية وآسيا الموسمية والأوقيانوسية.

وهذا الكتاب محاولة لدراسة أقاليم العالم الكبرى آثرت أن يقتصر على أربعة منها. وتشغل هذه الأقاليم الأربعة نحو نصف مساحة اليابس ويعيش بها نحو ثلث سكان العالم، وتمثل ثلاثة من هذه الأقاليم ـ العالم المتقدم وهي أوروبا والاتحاد السوفيتي وأمريكا الشمالية، وإقليم واحد يمثل العالم النامي وهو أفريقيا المدارية على أمل أن ندرس باقي الأقاليم في كتاب آخر في المستقبل بإذن الله.

ويقع هذا الكتاب في خمسة أبواب يتناول الأول منها مفهوم الجغرافيا الإقليمية وأنواع الأقاليم، ثم يتناول كل باب من الأبواب التالية إقليماً من الأقاليم الأربعة الكبرى التي سبق ذكرها، وبديهي أن كتاباً كهذا لا يجيب على كل الأسئلة عن الأقاليم التي درسها بل يمثّل محاولة لإبراز ملامح شخصية هذه الأقاليم، ومن هنا يمكن أن يفيد كمرجع عام لطلاب الدراسات الجغرافية في الصفوف الأولى من المرحلة الجامعية.

ورغم تزويد الكتاب بما يقرب من مائة خريطة ورسم بياني إلا أننا ننصح القارىء بالاستعانة بأطلس مناسب لزيادة الاستفادة من هذا الكتاب الذي نقدمه لطلاب قسمي الجغرافيا والتاريخ وللمكتبة الجغرافية داعين المولى عزّ وجلّ أن يزيد به النفع وأن يحقّق به الرجاء.

والله الموفّق والمستعان

فتحي أبو عيانة

الباب الأول

الإقليمية والأقاليم

الفصل الأول

الجغرافيا الاقليمية ومفهومها

الجغرافيا علم من العلوم الإنسانية يدرس سطح الأرض في تباينه المساحي بوصفه موطناً للإنسان وذلك بأسلوب علمي منظم يقوم على الملاحظة والوصف والشرح والاستنتاج لظاهرات هذا السطح وتوزيعها واستنتاج أوجه العلاقات القائمة بينها وبين الإنسان في البيئات المختلفة.

وينقسم علم الجغرافيا إلى قسمين كبيرين هما الجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا البشرية، ويشمل كل منهما عدة فروع متخصصة تهتم بصورة أعمق بدراسة ظاهرات جغرافية محددة تتطلب منهجاً خاصاً ومنفرداً وإن كان لا ينفصل عن باقي الفروع بل يتكامل معها في النهاية داخل إطار واحد.

وتهتم الجغرافيا الطبيعية بدراسة الأغلفة الأربعة للكرة الأرضية وهي الغلاف الجوي والغلاف المائي والغلاف الصخري والغلاف الحيوي. أما الجغرافيا البشرية أو الحضارية فتتناول دراسة الظاهرات البشرية على سطح الأرض ومدى التأثير المتبادل بينها وبين بيئاتها الطبيعية والصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية مثل توزيع السكان وأنماط العمران

حضرياً كان أم ريفياً، كما تشمل دراسة النشاط البشري ومؤثراته وتوزيعاته وكذلك التركيب السياسي للدول كظاهرات جغرافية تمثل مساحات من سطح الأرض لها حدودها الاصطناعية وإمكانياتها الاقتصادية والبشرية وما يترتب على ذلك من مشكلات يوجهها ويؤثر فيها بالضرورة الظروف الجغرافية السائدة على المستويين الإقليمي والعالمي.

وعلى ذلك فإن الجغرافيا تهدف أساساً إلى فهم العالم الذي نعيش فيه وإدراك حقائقه، ورغم أن كثيراً من فروع المعرفة تشارك علم الجغرافيا في الوصول إلى هذه الغاية، فإن الجغرافيا تتميز عن معظم هذه الفروع في أنها تتناول بالتحليل والربط والاستنتاج مساحات محددة على سطح الأرض قد تجمعها دولة واحدة أو عدة دول أو حتى قارة من القارات. وللوصول إلى هذا الهدف فإن البحث الجغرافي يستمد معلومات وفيرة من العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانية التي تفيد في منهج الدراسة. فمثلاً تعتمد الجغرافيا المناخية في حقائقها العلمية على علم المناخ وعلم الظواهر الجوية. والجيومورفولوجيا على علم الجيولوجيا والجغرافيا الاجتماعية على علم الاجتماع والجغرافيا السياسية على علم التاريخ الحديث والعلوم السياسية والقانون الدولي والجغرافيا الاقتصادية على علم الاقتصاد وهكذا (شكل رقم ١)، ولا شك أن الجغرافيا تمثل بذلك «معبراً» بين هذه العلوم المختلفة. ويعد ذلك أمر له قيمة عظمى في وقت تمزقت فيه العلوم الأساسية إلى تخصصات دقيقة متباعدة، والجغرافيا وهي تربط بين فروعها والعلوم الأساسية إنما تسهم في تكامل العلوم وفهم حقائق الأرض والإنسان بدرجة لا تنافسها فيها علوم أخرى، أو كما ذكر جورج ب. كريسي Cressey «أن الجغرافيا تستمد معلوماتها من مصادر عديدة ومبعثرة ثم ما تلبث أن تعطيها مغزى جديداً لفهم مساحات محددة على سطح الأرض» ويعد يابس العالم بأكمله أكبر هذه المساحات بطبيعة الحال ولكنه يبدو من الضخامة بحيث لا يمكن تناوله بالدراسة التفصيلية مرة واحدة، ويبقى فهم أجزاء هذا اليابس مرهوناً بتقسيمه إلى مساحات أصغر قد تكون قارات أو

أقاليم داخل القارات أو دول أو أقاليم أصغر داخل الدولة الواحدة.

ومن هنا تتحدد فلسفة الجغرافيا في أنها تهدف إلى شرح الأنماط المكانية وتستكشف العلاقات فيما بينها وأوجه التباين والتشابه بين الأقاليم المختلفة في البيئات بعناصرها الطبيعية مثل أشكال السطح والتربة والمناخ والحياتين النباتية والحيوانية وموارد الثروة كأساس وقاعدة لفهم العناصر الحضارية Cultural of man - made المترتبة عليه والمترابطة معه داخل البيئة، وهي في ذلك تؤكد مبدأ الارتباط Correlation الذي يثمر في فهم العلاقات التأثيرية والتأثرية Cause - effect relationships بين الإنسان وبيئته. والجغرافي بعد أن يوضح النمط التوزيعي لأية ظاهرة طبيعية كانت أم حضارية يحاول أن يجد الإجابة الدقيقة والمنطقية والشاملة لأسئلة عدة أبرزها سؤالان هما «أين ولماذا هناك». وعلى امتداد حوال ألفي سنة من الفكر البشري شهدت الجغرافيا آراء متعددة في العلاقة بين الإنسان وبيئته لعل أبرزها فكرة الحتمية البيئية التي ترى أن ظروف البيئة الطبيعية خاصة المناخ تسيطر على الإنسان وحضارته. ولكن الابتكارات الحديثة والتطور الحضاري للمجتمعات أثر بلا جدال في هذا المفهوم وأصبحت فكرة الإمكانية الجغرافية هي التي تحدد مدى جهد البشر في استغلال بيئاتهم، ومثال ذلك أن أي جغرافي من دعاة الحتمية في منتصف القرن الماضي مثلاً لم يكن يدر بخلده أن نطاق السهول العظمى في أمريكا الشمالية بظروفه الطبيعية خاصة أمطاره القليلة ـ سيصبح من أكبر مناطق إنتاج الحبوب في العالم بعد قرابة نحو قرن واحد من الزمن، ولا شك في أن التغيرات الضخمة التي طرأت على البيئة الحضارية وابتكارات الزراعة ووسائل النقل واستنباط حبوب ملائمة للظروف شبه الجافة ـ أدت إلى ثورة في استخدام الأرض، وبديهي أن البيئة الطبيعية لم تتغير تغيراً جذرياً ولكن الذي تغير هو البيئة الحضارية أي فنون الإنسان وحضارته وانعكاس ذلك على استغلاله للبيئة.

وتتناول الجغرافيا الكثير من مشكلات عالمنا المعاصر ومتغيراته في البيئات المختلفة، ولعل أبرز هذه المشكلات التزايد السكاني الضخم الذي شهدته

معظم أقاليم العالم في القرن العشرين، فقد بلغ سكان العالم قرابة المليارين نحو سنة ١٩٣٠ ثم وصل إلى نحو ٤ مليار نسمة سنة ١٩٧٦، ويقدر اليوم (١٩٨٥) بحوالي ٤,٨ مليار نسمة، ويعكس ذلك تناقص الفترة الزمنية التي يتضاعف فيها حجم السكان. فرغم أن الجنس البشري قد استغرق تاريخه كله حتى وصل عدد أفراده إلى مليار نسمة سنة ١٨٢٠ فقد استغرق بعد ذلك أكثر قليلاً من قرن لإضافة المليار الثاني (حوالي ١٩٣٠) ثم ثلاثين سنة فقط بعد هذا التاريخ لإضافة المليار الثالث (١٩٦٠) ثم ستة عشر عاماً فقط لإضافة المليار الرابع (١٩٧٦)، ومن المقدر في ضوء معدلات الزيادة الحالية أن يستغرق المليار الخامس اثنتي عشرة سنة فقط، وهذه الأعداد التي تضاف سنوياً لحجم الجنس البشري تحتاج إلى موارد غذائية ومياه ومجالات للعمل والعيش. وبعض الموارد المعدنية والوقود، ورغم تزايد الإنتاج نتيجة تزايد المنتجين تظل احتياجات الأفراد في الدول المختلفة هي الوجه الآخر لمشكلة السكان فالملايين من الأنفس التي تضاف سنوياً تحتاج إلى أراض زراعية أكثر مما سيؤدي إلى التوسع على حساب موارد أخرى كالغابات أو الحشائش وإزالتها وبالتالي إحداث خلل واضح في توازن البيئة حيث يؤدي تناقص الغابات والحشائش إلى تعرض الأرض للتعرية والفيضانات ثم يؤدي ذلك بدوره إلى تناقص الموارد الغذائية بسبب قلة الإنتاجية وتلك واحدة من نتائج الزيادة السكانية في العالم.

كذلك فإن التزايد السكاني السريع خاصة في الدول النامية سيؤدي إلى توسع المدن بسرعة كبيرة، وإذا استمر معدل النمو الحالي لهذه المدن حتى سنة ٢٠٠٠ فسيكون هناك عشر مدن في العالم النامي سيتجاوز حجمها ١٥ مليون نسمة على رأسها مدينة مكسيكو سيتي بحجم يقدر أن يصل إلى ٣٠ مليون نسمة!!. وهذه الزيادة الضخمة والتزاحم على رقعة المدن وارتباطه بانخفاض مستوى العيش في معظم مناطقها سيؤدي بلا جدال إلى مشكلات اجتماعية وسياسية خطيرة. غير إنه يمكن القول بأن صورة المشكلة السكانية العالمية ليست قاتمة تماماً فقد هبط معدل النمو السكاني في كثير من دول العالم النامي، كما أن

هناك مساحات واسعة من الأراضي في العالم لم تستغل بعد أو أن استغلالها هامشي ويمكن تنميتها لزراعة مزيد من المحاصيل، وتقدر الأمم المتحدة أن التزايد في إنتاج الغذاء في العالم يتم بحوالي ٤٪ سنوياً مقابل نمو سكاني قدره ١,٧٪.

وصفوة القول إن كل هذه المشكلات المرتبطة بنمو السكان وموارد الغذاء والتصنيع والتحضر وتدمير البيئة والتلوث وندرة الموارد المعدنية والوقود هي مشكلات مترابطة مكانياً ويمكن فهم كثير من هذه المشكلات العالمية بطريقة أفضل من خلال منظور جغرافي أي في ضوء علاقاتها المكانية مع بعضها البعض ليس في بيئتها المحلية فقط بل على مستوى أقاليم العالم كله.

المنهج الأصولي والمنهج الإقليمي في دراسة الجغرافيا:

عندما نتناول دراسة أية ظاهرة جغرافية فإننا قد ندرسها في إطار إقليم أو مساحة محددة ذات موقع معين على سطح الأرض، أو قد ندرسها كموضوع قائم بذاته. ويحدد هدف الدراسة دائماً المنهج الذي يتبعه الباحث، والمنهجان الرئيسيان في دراسة الجغرافيا هما المنهج الأصولي والمنهجي الإقليمي:

- المنهج الأصولي Systematic Approach:

يركز المنهج الأصولي في الجغرافيا على الموضوعات، أكثر من تركيزه على الأماكن، أو على الظاهرة الجغرافية أكثر من المساحة، وينقسم إلى عدد من الموضوعات التي تدرس مستقلة مثل الموضوعات التي تتناولها الجغرافيا الطبيعية، وأبرز فروعها الجغرافيا المناخية وجغرافية البحار والمحيطات والجيومورفولوجيا والجغرافيا الحيوية بفروعها النباتية والحيوانية والتربة.

كذلك يشمل هذا المنهج فروع الجغرافيا البشرية التي تتناول بالدراسة الظاهرات البشرية على سطح الأرض وتنقسم بدورها إلى فروع أصولية متعددة تضمها مجموعتان كبيرتان هما: الجغرافيا الاجتماعية وتشمل جغرافية السكان والعمران والجغرافيا السياسية وجغرافية السياحة والترويح، وتتمثل المجموعة

الثانية في الجغرافيا الاقتصادية التي تدرس الموارد الاقتصادية والزراعة والصناعة والنقل والتجارة. وتشترك كل هذه الفروع الجغرافية بالتوزيع المكاني للظاهرة وعلاقاتها بغيرها من المتغيرات وإبراز الاختلافات المكانية بين جهات سطح الأرض ومن ثم يمكن الوصول إلى تحديد شخصيات الأقاليم وتقسيم سطح الأرض إلى أقاليم حسب نوع الدراسة مثل الأقاليم الطبيعية أو الأقاليم الحضارية.

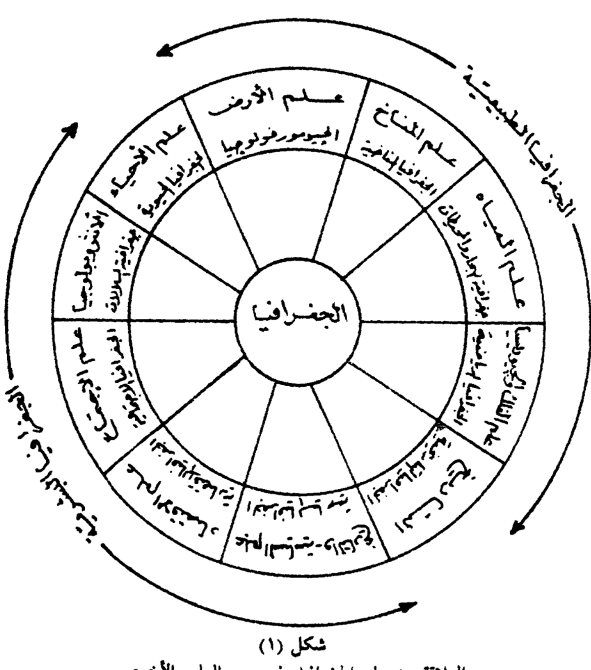
٢ ـ المنهج الإقليمي Regional Approach :

يمثل المنهج الإقليمي المنهج الرئيسي الثاني في دراسة علم الجغرافيا، فكما سبق أن رأينا يتناول المنهج الأصولي دراسة الظاهرة الواحدة طبيعية كانت أو بشرية وعلاقتها بالظاهرات الأخرى كالمناخ أو السكان أو ربما يتناول أكثر من ظاهرة على المستوى العالمي. أما المنهج الإقليمي فيشمل دراسة كل الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية في إطار مساحة معينة من سطح الأرض أو وحدة مكانية واحدة هي الإقليم Region، ومن الواضح أن المنهج الإقليمي يدرس الإقليم كجزء من سطح الأرض يتميز بظاهرات مشتركة وبتجانس داخلي يميزه عن بقية الأقاليم ويتناول الجغرافي حينذاك كل الظاهرات الطبيعية والبشرية في هذا الإقليم بقصد فهم شخصيته وعلاقاته مع باقي الأقاليم، والخطوة الأولى في ذلك هي تحديد الإقليم على أسس واضحة وقد يكون ذلك على مستوى القارة الواحدة أو الدولة الواحدة، أو على مستوى أي نمط من أنماط الأقاليم التي يحددها الجغرافي وفق أسس معينة مثل الأقاليم المناخية أو الطبيعية أو السكانية أو الحضارية أو غيرها.

ومن هنا فإن الجغرافيا الإقليمية تهدف إلى الربط بين الظاهرات الجغرافية المختلفة لإبراز العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة في إقليم واحد، كذلك تهدف إلى تحديد شخصية الإقليم وإبراز التباين الإقليمي في الوحدة المكانية المختارة مثل إقليم البحر المتوسط أو العالم الإسلامي أو الوطن العربي أو إفريقيا المدارية. ومن هنا يصبح فهم العالم وحقائه أمراً ميسوراً. وفي ضوء ذلك يبدو

أن الجغرافيا الإقليمية تعتمد على الجغرافيا الأصولية اعتماداً جوهرياً في الوصول إلى فهم أبعاد الإقليم ومظاهره.

وإذا كان المنهج الأصولي والمنهج الإقليمي يؤلفان معاً الواقع الجغرافي في الوقت الحاضر في شكل مستوى من بعدين اثنين فقط، فإن الجانب التاريخي يمثل البعد الثالث في الدراسات الجغرافية أي البعد الزمني، فكل الفروع



شكل (١)

العلاقة بين علم الجغرافيا وفروعه والعلوم الأخرى

الجغرافية التي يتناولها المنهج الأصولي لها جذور تاريخية أو تطورية، وكذلك الحال في الفروع التي يتناولها المنهج الإقليمي، ويمثل هذا التآلف بين المنهجين ما يعرف بجغرافية الماضي، أي الجغرافيا التاريخية[1]. ومعنى ذلك ببساطة أن الجغرافيا بها منهجان أحدهما أصولي والآخر إقليمي، وبديهي أن المنهج الأصولي يتناول بالتحليل تطور ظاهرة معينة طبيعية كانت أو بشرية، على امتداد فترة زمنية محددة، أو فترات زمنية متعاقبة، أما المنهج الإقليمي فيتناول دراسة الظاهرات الجغرافية المختلفة في إقليم معين خلال فترة أو فترات زمنية محددة.

أنواع الأقاليم:

سبق القول بأن الإقليم هو منطقة من سطح الأرض تتميز عما يجاورها من مناطق ـ بظاهرة أو ظاهرات أو خصائص معينة تبرز وحدتها وشخصيتها، وبمعنى آخر هو الوحدة المكانية الطبيعية التي تتجانس فيها الظواهر الجغرافية المختلفة دون أن يكون لهذه الوحدة مساحة ثابتة أو حجم معين وإنما تتفاوت مساحته تبعاً للغرض من دراسته. والواقع أن الأقاليم الجغرافية تعد نتاجاً للعلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة، سواء كانت أقاليم كبرى Macro Regions أو أقاليم صغرى للغاية Micro Regions. وكلما كان الإقليم صغيراً كلما كان محدداً بدقة بينما إذا تضخم الإقليم كان التعميم هو السمة الغالبة في تحليل ظاهراته المختلفة.

وعموماً تنقسم الأقاليم إلى نوعين رئيسين هما:

أ ـ الإقليم المتجانس Homogenous:

ويعرف بأسماء أخرى مثل الإقليم المنهجي Formal أو المنتظم النسق Uniform، وينتمي هذا النوع من الأقاليم إلى الفروع الأصولية Systematic، «أو الموضوعية Topical» التي تتناول بالدراسة تحليل وتوزيع ظاهرة واحدة أو مجموعة من الظاهرات الطبيعية أو البشرية فوق مساحة محددة من سطح

---

(۱) محمد محمد سطيحة ـ الجغرافيا الإقليمية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٩.

الأرض، ومن أمثلتها الأقاليم المناخية أو الأقاليم التضاريسية أو النباتية، أو الأقاليم الزراعية أو الصناعية أو الأقاليم اللغوية وغير ذلك من الأقاليم النوعية التي تتجانس فيها الظاهرة أو الظاهرات الجغرافية.

ومن الواضح أن كل نوع من أنواع الأقاليم المتجانسة - مثل الفرع المماثل في الجغرافيا الأصولية - يختص بالعالم ككل، فهو يمثل الأنماط التوزيعية الموجودة داخل العنصر المختار كأساس للتقسيم الإقليمي على مستوى العالم كله، مثل تكرار أقاليم نمط مناخ البحر المتوسط على خريطة العالم التي تمثل الأقاليم المناخية ولا ريب أن تقسيم العالم إلى أقاليم متجانسة هو وسيلة لتسهيل دراسة العالم دراسة إقليمية تأخذ في الاعتبار كل العناصر داخل الإقليم والمكونة لشخصيته، حيث يصبح من الممكن أن ندرس العالم دراسة إقليمية على أساس نوع من أنواع هذه الأقاليم المتجانسة.

ونورد هنا أمثلة على الأقاليم المتجانسة وأبرزها الأقاليم المناخية، والأقاليم الاقتصادية والسياسية.

١ - الأقاليم المناخية:

لما كان المناخ من العناصر الطبيعية البارزة التي تؤثر على النشاط البشري وتطوره حيث يحدد توزيع البشر على سطح الأرض إلى حد كبير من خلال ارتباطه بمظاهر السطح السائدة، فقد حظي بأهمية كبرى لدى الباحثين واتجهت دراستهم مبكراً إلى محاولة تقسيم العالم إلى أقاليم مناخية تساعد على فهم أجزاء سطح الأرض. وأشهر التقسيمات المناخية تقسيم كوبن V. Koppen الذي وضعه على أساس توزيع عنصرين رئيسيين من عناصر المناخ وهما درجة الحرارة والأمطار. وفي ضوء ذلك قسم كوبن مناخ سطح الأرض إلى خمسة أنواع رئيسية واستخدم في تقسيمه رموزاً تتألف من حروف أبجدية بعضها كبير خاص بالأقاليم المناخية الرئيسية وبعضها الآخر صغير لتمييز الأقسام الثانوية الخاصة بالاختلافات الفصلية للحرارة والأمطار (شكل رقم ٢).

والأقاليم المناخية الكبرى على هذا الأساس هي:

١ - إقليم المناخ المداري المطر A.
٢ - إقليم المناخ الجاف B.
٣ - إقليم المناخ المعتدل الدافىء C.
٤ - إقليم المناخ البارد الرطب D.
٥ - إقليم المناخ القطبي E .

وفيما يلي أبرز الصفات المميزة لكل إقليم من هذه الأقاليم الكبرى:

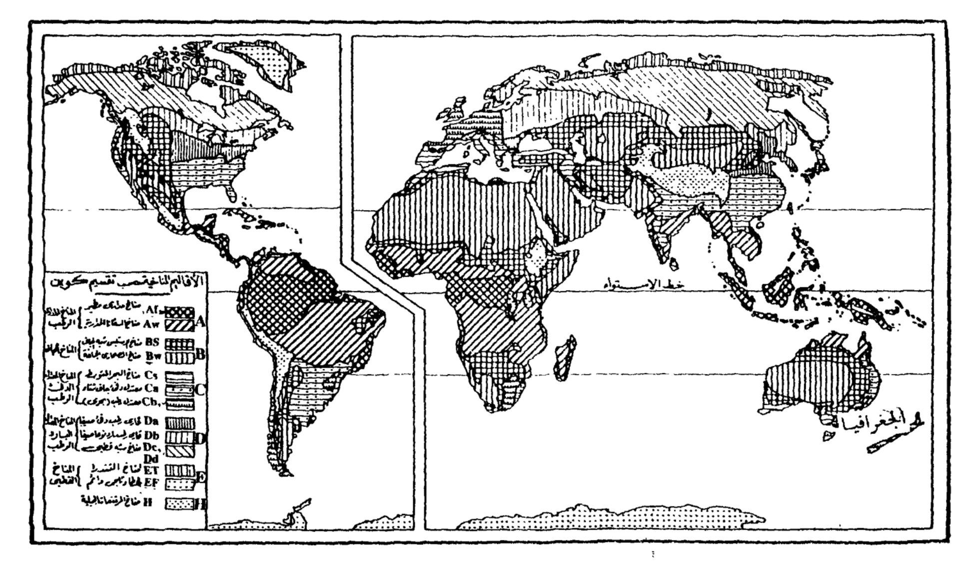
١ - إقليم المناخ المداري المطر A:

وهذا المناخ يتميز بارتفاع درجة حرارته على امتداد السنة تقريباً بحيث لا ينخفض متوسطها من أي شهر من الشهور عن ١٨° مئوية (٦٤,٤ درجة فهرنهيت)، كما أنه يتميز بكثرة أمطاره بصفة عامة. وينقسم هذا الإقليم إلى أقاليم ثانوية ثلاثة هي:

أ - Af وهو نوع ممطر طول العام. ولا تقل كمية الأمطار التي تسقط في أي شهر من شهور السنة عن ٢,٤ بوصة، ويتميز الغطاء النباتي فيه بالغابات الكثيفة المعروفة بالغابات المدارية المطيرة، ويتمثل في حوض الكونغو بإفريقيا وحوض الأمازون بأمريكا الجنوبية.

ب - Am وهو نوع موسمي يمتاز بوجود فصل جاف قصير وفصل طويل غزير الأمطار بسبب الرياح الموسمية، وتتميز الحياة النباتية بأنها غابات كثيفة من نوع الغابات المدارية المطيرة حيث أن التربة تظل محتفظة خلال فصل الجفاف القصير بنسبة عالية من الرطوبة ويتمثل هذا النوع في ساحل مالا بار والملايو ومعظم جزر أندونيسيا.

جـ - Aw نوع السفانا ويتميز بشتائه الجاف الذي يجب أن يكون به شهر واحد على الأقل لا تزيد أمطاره عن ٢,٤ بوصة، ويتمثل في مساحات واسعة في وسط إفريقيا إلى الشمال والجنوب من النطاق المداري الممطر وفي


الأقاليم المناخية حسب تقسيم كوبن
A
Af مناخ مداري مطير
Aw مناخ السفانا المدارية
المناخ المداري الرطب
B
BS
Bw مناخ الصحاري الجافة
C
Cs مناخ البحر المتوسط
Ca
Cb,
D
Da
Db
Dc, Dd
E
ET مناخ التندرا
EF
المناخ القطبي
H
H مناخ المرتفعات الجبلية
خط الاستواء

شكل رقم (٢)

جنوب شرق القارة، كما يتمثل في مناطق واسعة شمال وجنوب غابات الأمازون ثم في هضبة الدكن ومعظم الهند الصينية.

٢ ـ المناخ الجاف B:

ويمتاز هذا المناخ بارتفاع نسبة المفقود فيه من الأمطار عن طريق التبخر ولذلك فإن الحياة النباتية به تكون عبارة عن حشائش تختلف في كثافتها تبعاً لكمية الأمطار وعلاقتها بدرجة الحرارة ولا يقل متوسط درجة الحرارة في أي شهر من الشهور عن ١٨°م (٦٤,٤° فهرنهيت) أي أنه لا يختلف في هذه الناحية عن المناخ السابق المداري المطير. ولكن يلاحظ أن مدى التغير الفصلي واليومي لدرجة الحرارة يكون عادة أعلى في المناخ الجاف عنه في المداري الممطر وينقسم هذا المناخ إلى نوعين: نوع صحراوي جاف (Bw) ونوع الاستبس (Bs).

٣ ـ مناخ معتدل دافىء ممطر C:

ولا يزيد متوسط درجة الحرارة في أي شهر من الشهور بهذا المناخ على ١٨ درجة مئوية كما لا تنخفض عن ـ ٣° مئوية (٢٦,٦ درجة فهرنهيت) أما الأمطار فقد تكون موزعة بنظم مختلفة. وعلى هذا الأساس ينقسم هذا النوع إلى ثلاثة ثلاثة أنواع فرعية هي:

أ ـ نوع ممطر طول العامCf:

وفيه لا تقل أمطار أي شهر من الشهور عن ١,٢ بوصة وأهم المناطق التي يسود فيها هي غرب أوروبا (سواحل إسبانيا والبرتغال) والصين وجنوب شرق الولايات المتحدة والسواحل الشرقية لاستراليا والأرجنتين.

ب ـ نوع جاف في فصل الصيف Cs:

ويمتاز بوجود شهر واحد على الأقل في فصل الصيف لا يزيد متوسط أمطاره على ١,٢ بوصة، وهو يضم المناطق التي يشملها نوع المناخ المشهور باسم مناخ البحر المتوسط. أي المناخ المعتدل ذو المطر الشتوي والجاف صيفاً

(الحرف s يعني فصْلاً جافاً في الصيف).

جـ ـ نوع جاف في فصل الشتاء Cw:

ويمتاز بأن أمطاره تسقط كلها تقريباً في فصل الصيف ويتمثل بصفة خاصة في النطاق الجنوبي للسفانا في إفريقيا وفي مناطق محدودة في جنوب البرازيل ومناطق محدودة أيضاً في الصين. ويعرف بالمناخ المعتدل الموسمي ذي المطر الصيفي (الحرف w يعني فصلاً جافاً في الشتاء).

٤ ـ مناخ بارد رطب D:

ويتميز هذا المناخ بأن متوسط درجة الحرارة في أبرد شهور السنة أقل من ـ ٣ درجة مئوية (٢٦,٦ درجة ف) كما لا ينخفض متوسط درجة الحرارة لأدفأ الشهور عن ١٠ مئوية (٥٠ درجة ف) وقد يتغطى سطح الأرض بالثلوج في فصل الشتاء كما تسقط معظم الأمطار في هذا الفصل على شكل ثلج. وعلى أساس توزيع الأمطار في هذا المناخ فإنه ينقسم إلى نوعين فرعين هما:

أ ـ نوع ممطر طول العام Df ويتمثل في نطاق عظيم يشمل أوراسيا باستثناء الأجزاء الشرقية من ناحية والنطاق القطبي من ناحية أخرى كما يتمثل في ـ نطاق عظيم في كندا وشمال شرق الولايات المتحدة.

ب ـ نوع جاف في الشتاء Dw ويتمثل بصفة خاصة في شمال شرق أوراسيا حيث يظهر هنا نوع من المناخ الموسمي البارد (منشوريا وشرق سيبيريا).

٥ ـ مناخ قطبي E:

ويتميز بأن معدل درجة الحرارة فيه لا يزيد على ١٠° مئوية (٥٠° ف) في أي شهر من الشهور ويوجد منه نوعان رئيسيان:

أ ـ نوع التندرا ET:

وفيه يوجد فصل نمو قصير يمكن أن تنمو خلاله بعض النباتات العشبية قصيرة العمر ـ وفي هذا الفصل يجب ألا ينخفض المتوسط الشهري لدرجة الحرارة عن درجة التجمد ولا يرتفع إلى أكثر من ١٠ درجة مئوية ـ وهو يشمل

معظم المناطق القطبية التي يغطيها الجليد في معظم شهور النسة.

ب ـ نوع جليدي EF:

وفيه يغطي الجليد سطح الأرض طوال العام، كما لا يرتفع متوسط درجة الحرارة في أي شهر من الشهور عن درجة التجمد.

٢ ـ الأقاليم الاقتصادية:

وهي تعكس أنشطة البشر والنظم الاقتصادية السائدة، وقد تتحدد في ضوء نشاط اقتصادي معين في إطار مكاني مثل نطاق القمح أو الذرة وهي مناطق تتشابه فيها الظروف الزراعية ولكنها تختلف عن الأقاليم المجاورة اختلافاً جوهرياً بما يبرر انفرادها بخصائص ومزايا معنية. ويشبهها في ذلك الإقليم الصناعي في دولة ما أو في إحدى البيئات الكبرى، وهو يمثل منطقة تمتاز بوجود صناعة أساسية واحدة أو أكثر بالإضافة إلى صناعات أخرى ترتبط مع بعضها البعض أو تعتمد على بعضها البعض اقتصادياً وفنياً.

٣ ـ الأقاليم السياسية:

وهي محددة بدقة وصرامة متمشية في ذلك مع الحدود السياسية، وتتعدد أمثلتها على المستوى العالمي في القارة الواحدة أو على مستوى القارات. وأبرز أمثلتها العالم الشيوعي والعالم غير الشيوعي. ومعنى ذلك أن الإقليم السياسي هو ذلك الجزء من سطح الأرض التي يتميز بأشكال محددة من الظاهرات السياسية، ويشمل تعبير الظاهرات السياسية الملامح الناجمة عن القوى السياسية والأفكار العقائدية التي تتولد عن هذه القوى والتي تتمثل في السيطرة السياسية لحكومة ما على منطقة ما ذات حدود سياسية خاصة هي في الواقع حدود لسيادة الدولة ولرقعتها الجغرافية.

٤ ـ أقاليم التنمية:

وهي أكثر قيمة من الأقاليم السياسية، وترتكز على عدد من الأسس مثل كثافة السكان ومستوى الدخل واستهلاك الطاقة ونسبة سكان الحضر واستخدام

التكنولوجيا الحديثة وانعكاس ذلك كله على السمات الاجتماعية والاقتصادية السائدة. وعلى المستوى العالمي تفيد هذه الأسس في تقسيم العالم إلى الدول النامية Developing والدول المتقدمة Developed.

ب ـ الإقليم الوظيفي Functional Region:

وهو نوع من الأقاليم الجغرافية الخاصة التي يتميز كل منها بمجموعة خاصة من الظاهرات لا يشاركه فيها إقليم آخر. ومن أمثلة الإقليم الخاص: إقليم دلتا النيل أو إقليم السهول الأطلسية في المغرب أو إقليم أرض الجزيرة في السودان. وتشمل دراسة هذه الأقاليم مظاهر البيئة الطبيعية والبشرية للوقوف على السمات المميزة لها وتحديد ملامح شخصيته الجغرافية.

إلا أن أبرز أمثلة الأقاليم الوظيفية في الوقت الحاضر، الأقاليم الحضارية أو أقاليم المدن، والتي تقوم على العلاقات المتبادلة بين المدينة وإقليمها المجاور. وإقليم المدينة إذن هو المنطقة التي تخدمها مدينة ما حيث تمتد فوقها مجالات وظائف المدينة في توزيع مساحي يمكن تحديده بالتقريب مثل مجال الوظيفة التجارية ومجال الوظيفة الثقافية والوظيفة الترفيهة والوظيفة الصحية وهكذا. فالمدينة في إقليمها هي مركز الخدمات والإشعاع الحضاري، كما أن إقليمها يمدها باحتياجاتها الغذائية وبالأيدي العاملة اللازمة، وتتفاوت حدود إقليم المدينة وأبعاده تبعاً لأهمية المدينة وطبيعة المنطقة التي تخدمها وتطور المواصلات وكثافة السكان وغير ذلك.

ومع أن الحدود المكانية لامتداد وظائف المدينة فوق إقليمها المحيط بها لا تتطابق مع بعضها البعض، إلا أن الكثير من هذه الحدود الوظيفية سيتقارب بشكل كافٍ يسمح بتحديد إقليم المدينة بدقة معقولة.

ويقل نفوذ المدينة على إقليمها كلما بعدنا عن المدينة فهو غالباً طاغ على الريف المباشر، وغالباً ما تمتاز أقاليم المدن الكبرى بالتداخل، أي يصبح أمام سكان الريف أكثر من مجال واحدٍ أو إقليم حضري واحد.

ويختلف إقليم المدينة عن الإقليم التضاريسي أو المناخي في أنه إقليم وظيفي لا تركيبي (متجانس) كما أنه إقليم غير ثابت وإنما يتغير على مر العصور وبحسب تطور المواصلات، وهو بهذا يشبه الإقليم الاقتصادي الذي يتحدد بالإنتاج والتوزيع والحركة.

الفصل الثاني

الأقاليم الكبرى في العالم

الإقليم جزء معين من سطح الأرض له خصائصه ومميزاته، وهو يكتسب هذه الخصائص من عدة عوامل جغرافية تعمل مجتمعة على تكوين الشخصية الإقليمية للمكان فتجعله يختلف عن سائر الأمكنة، أو على الأقل تكون له صفات تميزه عن غيره من الأماكن ومن ثم كانت الإقليمية حصيلة عدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تتفاعل في المكان، وينتج عن تفاعلها صورة خاصة ومميزة لهذا المكان.

ويمتاز عالم اليوم بارتباط أجزائه بعضها ببعض وبتشابك مصالحها ولا تستطيع دولة الآن أن تعيش بمفردها حياة صحيحة بمعزل عن الدول الأخرى، ويمكن إدراك هذه الوحدة العالمية إذا عرفنا الأجزاء التي تكونها ومظاهرها المختلفة وخصائصها المتعددة.

ولقد عني الجغرافيون منذ وقت مبكر بتقسيم العالم إلى أقاليم ثانوية متميزة وكان هدفهم من هذه الدراسة الإقليمية بحث النظم العامة التي توحي بها الأقاليم المختلفة، خاصة، والظواهر تدل على أنه إذا تساوت الخصائص المميزة لإقليمين فإن مظاهر النشاط البشري فيها تتشابه، وهذه حقيقة يمكن

الإفادة منها إلى حد كبير في تنظيم الحياة الاقتصادية وتوجيه النظم الاجتماعية، إذا يمكن أن نطبق التجارب الناجحة في إقليم ما في جهة أخرى مشابهة له وأن نضرب صفحاً عما فشل منها، وفي هذا توفير في العمل والجهد المبذول[1].

الأقاليم الطبيعية:

ولكن على أي أساس يمكن أن نقسم العالم إلى أقاليم ثانوية متميزة؟ الواقع أن هناك عدة أسس اعتمد عليها الجغرافيون للوصول إلى هذه الغاية، إلا أن أبرزها كانت أسساً طبيعية أهمها المناخ الذي يعد أهم العوامل التي تتحكم في الحياة النباتية التي تحدد بدورها نوع الحياة الحيوانية وكلاهما من الأسس الضرورية لحياة الإنسان، وقد اعتمد عليه كثير من الجغرافيين في تقسيم العالم إلى أقاليم مناخية. والإقليم المناخي هو أحد المناطق الرئيسية التي ينقسم إليها سطح الأرض على أساس المناخ، وليس هناك اتفاق واحد تام بين الجغرافيين على استعمال تصنيف واحد أو حتى أسماء واحدة ولكنهم عامة يتفقون على تمييز أربعة أقاليم رئيسية هي المداري ودون المداري والمعتدل والقطبي وهذه بدورها تنقسم إلى أقاليم ثانوية. ففي الإقليم المداري مثلاً توجد أقاليم الغابات الاستوائية أو الغابات المدارية المطيرة والأعشاب المدارية أو السفانا والصحارى الحارة. وفي الأقاليم دون المدارية يوجد الإقليم دون المداري الجاف أو مناخ البحر المتوسط والمناخ المداري الرطب. وفي الأقاليم المعتدلة توجد صحراء العروض الوسطى والإقليم البحري المعتدل الدفيء والإقليم المعتدل الرطب والمعتدل البارد أو الإقليم القطبي، وفي الإقليم القطبي توجد التندرا والغطاء الجليدي. ومع ذلك فإن هذا التصنيف لا يدخل في حسابه المناطق الجبلية ولذلك يطلق على مناخها اسم المناخ الجبلي. إلا أن أبرز رجال الجغرافيا الذين اتخذوا قاعدة مثلثة أساسها المناخ والنبات ثم التضاريس كعامل مساعد في تقسيم العالم إلى أقاليم هو الأستاذ هربرتسون Herbertson

(١) محمد محمود الصياد ـ في الجغرافيا الإقليمية: منهج وتطبيقه ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٠، ص ١١ ـ ١٢.

أحد رواد الجغرافيا الحديثة في بريطانيا في أوائل هذا القرن. وقد نجح في تقسيم العالم إلى أقاليمه الطبيعية وأصبحت فكرته أهم أسس المذهب الإقليمي الحديث وأعظمها قيمة. وقد اعتمد هربرتسون أولاً على المناطق الحرارية فقسم سطح الكرة الأرضية إلى المناطق الحرارية الكبرى التالية:

١ ـ الأقاليم القطبية التي لا يتجاوز متوسط الحرارة فيها في أي شهر عن ١٠ درجات مئوية.

٢ ـ الأقاليم المعتدلة الباردة بين دائرتي عرض ٤٠ شمالاً وجنوباً والدائرتين القطبيتين.

٣ ـ الأقاليم المعتدلة الدفيئة بين دائرتي عرض ٣٠ و٤٠° شمالاً وجنوباً على وجه التقريب.

٤ ـ الأقاليم المدارية وفيها لا يقل متوسط حرارة أي شهر عن ٢٠° مئوية.

٥ ـ الأقاليم الاستوائية وحرارتها عالية في كل الفصول بحيث لا يوجد إلا اختلاف بسيط في درجة حرارتها.

ثم قسم هربرتسون هذه الأقاليم العامة على أساس توزيع الأمطار ثم إلى حد ما على أساس مظاهر السطح ـ إلى خمسة أقسام فرعية هي:

أ ـ إقليم السواحل الغربية.

ب ـ إقليم السواحل الشرقية.

جـ ـ إقليم السهول الوسطى الداخلية.

د ـ إقليم الهضاب المتوسطة الارتفاع.

هـ ـ إقليم الجبال الشاهقة الارتفاع.

ولكن رغم قيمته الكبرى فإن أبرز عيوب تقسيم هربرتسون هو أنه تجاهل تماماً العوامل البشرية ودورها في تكييف العلاقة بين الإنسان والبيئة وتحديد مدى استجابته للظروف المحيطة به، فهو يضع مثلاً الصحارى الحارة والمعتدلة في إقليم واحد، ورغم التشابه الظاهر في حياة الصحارى إلا أن مواقعها لعبت دوراً كبيراً في تحديد أهمية الصحارى والدور الذي لعبته في

التاريخ البشري وفي حياة الأقاليم المجاورة.

وهذا النقد يتعدى المناطق الصحراوية إلى جهات أخرى كغرب أوروبا أو إقليم البحر المتوسط، ففي نظام غرب أوروبا يضع هربرتسون معه جهات أخرى كجنوب غربي الأسكا وغربي كندا وشمال غربي الولايات المتحدة وأقصى جنوب شيلي وجزيرة تسمانيا وهي جهات تختلف ظروفها دون شك عن ظروف الجزء الغربي من القارة الأوروبية. وفي نظام البحر المتوسط تظهر نفس الفروق حيث ساعدت ظروف الأراضي المحيطة بالبحر المتوسط نفسه على نشأة حضارات راقية كالحضارة المصرية والفينيقية والإغريقية والرومانية ونشأة الزراعة والعمران واستخدام المعادن وتعلم الملاحة وساعد موقع هذه الأراضي بين القارات الثلاث على اكتساب قيمة كبرى للاتصال بين الشرق والغرب منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر.

وقد حدا ذلك ببعض الباحثين فيما بعد هربرتسون على إدخال تعديلات على فكرة التقسيم الإقليمي للعالم على أساس المناخ والنبات والتربة والحياة الحيوانية والاستجابة البشرية[1]، وقسم العالم على ذلك إلى أقاليم رئيسية يتضمن كل إقليم منها أقاليم أصغر وذلك على النحو التالي:

١ ـ إقليم الغابات الاستوائية المطيرة:

ويمتد تقريباً بين خطي عرض ٥ شمال وجنوب خط الاستواء، ويشمل المناطق التالية:

أ ـ حوض الأمازون وسواحل جيانا.
ب ـ سواحل كولومبيا وشمال أكوادور المطلة على المحيط الهادي.
جـ ـ ساحل غانا وحوض نهر الكونغو (زائير).
د ـ الشريط الساحلي في شرق إفريقيا بين خط الاستواء ودائرة عرض ١٠ جنوباً.

(١) Robinson, H.; Human Geography, 3rd ed. London 1978, pp. 205 - 229.

هـ ـ شبه جزيرة الملايو وأندونيسيا.
و ـ الحافات الساحلية في شمال إستراليا.

٢ ـ الإقليم الموسمي:

ويشمل الأراضي المدارية الممطرة صيفاً، وتعد امتداداً للإقليم السابق في شماله وجنوبه وأهم مناطق هذا الإقليم هي:

أ ـ هضبة البرازيل ـ جيانا (الكامبوس) وحوض الأورينوكو (اللانوس).
ب ـ أراضي السفانا في إفريقيا التي تبدو على شكل حدوة حصان ضخمة حول حوض زائير.
جـ ـ أراضي السفانا (الحشائش المدارية) في شمال وسط إستراليا.
د ـ الأراضي الموسمية في جنوب شرق آسيا.

٣ ـ الإقليم الجاف وشبه الجاف:

ويشمل الأراضي المدارية وشبه المدارية الجافة والمناطق القارية الداخلية وتنقسم إلى قسمين:

أ ـ الصحارى الحارة التي تقع تحت تأثير الرياح التجارية.
ب ـ الصحارى الدافئة أو المعتدلة والتي تقع في داخل القارات وتقع تحت تأثير الضغط المرتفع شتاء.

٤ ـ الإقليم شبه المداري:

ويمتد من المدارين تقريباً، وحتى درجة عرض ٤٠ شمالاً في الهوامش الغربية والشرقية للقارات في العروض شبه المدارية وينقسم إلى قسمين واضحين هما:

أ ـ أراضي مناخ البحر المتوسط:
١ ـ سواحل البحر المتوسط.
٢ ـ جزء من ولاية كاليفورنيا.
٣ ـ وسط شيلي.

٤ ـ الطرف الجنوبي لجمهورية جنوب إفريقيا.
٥ ـ أقصى جنوب وجنوب غرب إستراليا.

ب ـ الأراضي شبه المدارية الرطبة:

١ ـ وسط وجنوب الصين.
٢ ـ جنوب شرق الولايات المتحدة.
٣ ـ جنوب شرق البرازيل.
٤ ـ إقليم ناتال في جنوب إفريقيا.
٥ ـ نيو سوث ويلز في إستراليا.

٥ ـ إقليم الحشائش القارية الداخلية (المعتدلة):

وتوجد أساساً في داخل القارات في العروض الوسطى في الأراضي التي لا يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر، وتتوزع في المناطق التالية:

أ ـ استبس أوروبا وآسيا.
ب ـ براري أمريكا الشمالية.
جـ ـ نطاق البمبا في الأرجنتين وأرجواي.
د ـ إقليم الفلد في جنوب إفريقيا.
هـ ـ الحشائش المعتدلة في إستراليا.

٦ ـ إقليم الأراضي المعتدلة الباردة نوعاً:

ويوجد في الحافات الغربية والشرقية للقارات في العروض المعتدلة فيما بين دائرتي عرض ٤٥ ـ ٦٠° تقريباً شمالاً وجنوباً، ومناطقه الرئيسية هي:

أ ـ شمال غرب أوروبا.
ب ـ منشوريا.
جـ ـ كولومبيا البريطانية في كندا وواشنطن وأوريجون في الولايات المتحدة.
د ـ جنوب شرق الولايات المتحدة وجنوب شرق كندا.
هـ ـ جنوب شيلي.
و ـ تسمانيا ونيوزلند.

٧ ـ إقليم الغابات الصنوبرية:

ويتمثل في الأراضي شبه القطبية حيث تمتد الغابات الصنوبرية امتداداً كبيراً، ففي أمريكا الشمالية تمتد هذه الغابات امتداداً عرضياً حتى دائرة عرض ٤٠° شمالاً عليالساحل الغربي، ويحدها في الوسط والشرق خط ٥٠° تقريباً. أما في أوراسيا فيتمشى حدها الجنوبي مع دائرة عرض ٦٠° شمالاً في الغرب وحوالي ٤٠° شمالاً في الشرق. وعموماً تتوزع هذه الأراضي في نطاقين رئيسين هما:

أ ـ في أمريكا الشمالية تمتد من كولومبيا البريطانية وعبر الأجزاء الشمالية في مقاطعات البراري ومعظم أنتاريو وكويبك إلى الولايات المتحدة ونيوفوندلاند.

ب ـ في شمال أوراسيا تمتد من إسكندناوة وعبر فنلندة وشمال روسيا وسيبيريا إلى مضيق برنج وبحر أختسك.

ولا تظهر الغابات الصنوبرية في نصف الكرة الجنوبي تقريباً وذلك لأن القارات لا تمتد جنوباً بدرجة تكفي لظهور هذه الغابات.

٨ ـ إقليم التندرا والأقاليم القطبية:

تقع التندرا وإقليم الغطاءات الثلجية في العروض العليا في اتجاه القطب، وتوجد أراضي التندرا في نصف الكرة الشمالي في الحافات القارية للمحيط القطبي، أما في نصف الجنوبي فتوجد مناطق قليلة من التندرا لعل أكبرها في أقصى أطراف أمريكا الجنوبية.

وتوجد النباتات الألبية في أعالي الجبال المرتفعة (الألب والهملايا والروكي والأنديز)، وكذلك الهضاب العليا (التبت وبوليفيا) حيث تنمو هذه النباتات في ظروف مشابهة لتلك التي تنمو فيها التندرا إلى حد كبير.

الأقاليم الحضارية:

رأينا في الأقاليم الطبيعية التي ينقسم إليها سطح الأرض أن الأساس في

تقسيمها هو عناصر البيئة الطبيعية كالمناخ والنبات أو الموقع ومظاهر السطح، إلا أن هناك أسساً أخرى يعتمد عليها الجغرافيون وهي المظاهر الحضارية كاللغة والمعتقدات الدينية وأنماط السلوك والنظم الاجتماعية وطرق الحياة والنشاط الاقتصادي والفنون وغير ذلك، وهي تؤدي في النهاية إلى تقسيم العالم إلى أقاليم حضارية رئيسية مميزة، ومن الواضح أن الأساس في ذلك هو الإنسان وما يرتبط به ويترتب على وجوده واستغلاله للبيئة في إطار جغرافي محدد. وتأتي العوامل الطبيعية في هذه الحالة في مرتبة ثانية.

وعلى ذلك فإن الإقليم الحضاري Cultural Region هو تلك المساحة من سطح الأرض التي تتميز بظاهرات بشرية مشتركة تكون من الوضوح بدرجة تسمح بتحديد هذه المساحة كوحدة ذات شخصية حضارية مميزة على خريطة العالم.

ويرتبط بتقسيم العالم إلى أقاليم عامة كبرى ما نسمعه في حياتنا اليومية عن بعض المصطلحات الإقليمية مثل إقليم الشرق الأوسط، وهذه في الواقع أقاليم شاملة أو عامة ينطبق عليها مفهوم أقاليم العالم الكبرى. وهذه الأقاليم عظيمة الاختلاف والتباين إلى حد كبير بدرجة لا يمكن معها إدراجها ضمن تصنيف الأقاليم المتجانسة أو الأقاليم الوظيفية، ويطلق عليها فقط مصطلح «أقاليم» وذلك لمجرد تميزها وامتدادها الجغرافي[1]. ولا شك أن الكتل القارية (القارات) هي تقليدياً أكبر تقسيم لسطح الأرض يتصف بالتعميم وغالباً ما تدرس كإقليم مستقل عن غيره، كما تنقسم بدورها إلى أقاليم أصغر على أساس الاختلاف الحضاري في صورة عامة. إلا أن كلاً منها يتضمن الكثير من الأقاليم المتجانسة والوظيفية لكل منها شخصيته المميزة.

وقد درج الجغرافيون في دراساتهم الإقليمية للعالم إلى تقسيمه إلى أقاليم كبرى لعل أبسطها اتخاذ القارة وحدة رئيسية للدراسة الإقليمية، وهناك كثير من المؤلفات تدور حول كل قارة من قارات العالم، كذلك تضمنت مناهج الدراسة في كثير من أقسام الجغرافيا دراسات إقليمية لكل قارة على حدة. وفي مقابل

---

(١) محمد محمد سطيحة ـ الجغرافيا الإقليمية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٤ ـ ص ٥٠.

ذلك اتجه بعض الجغرافيين إلى تقسيم العالم إلى أقاليم متميزة في خصائصها العامة بصرف النظر عما إذا كانت القارة تضم أكثر من إقليم من هذه الأقاليم أو أن الإقليم الواحد قد يمتد في قارتين مثلاً، ومن هؤلاء الجغرافيين «جيس ويلر J.H. Wheeler» الأصغر وزملاؤه في كتابهم «جغرافية العالم الإقليمية» سنة ١٩٥٥ والذي أعيد طبعه أكثر من مرة بعد ذلك(١).

وهناك شبه اتفاق بين الجغرافيين على اعتبار هذه الأقاليم كأقسام كبرى ينقسم إليها العالم المعاصر وقد حددت هذه الأقاليم الكبرى كمجموعات من الأقطار ومن ثم تتمشى الحدود الخارجية لهذه الأقاليم مع خطوط الحدود السياسية للدول الواقعة على أطرافها، وقد ينقسم الإقليم الأكبر منها إلى أقاليم أصغر من أجل تسهيل الدراسة كما فعل ستانسفيلد Stansfield وزيمولزاك Zimolzak في كتابهما عن «أقاليم العالم World Regions» الذي نشر في سنة ١٩٨٢(٢) حيث قسمت أوروبا إلى غرب أوروبا وشرق أوروبا، وآسيا الموسمية إلى جنوب آسيا وشرق آسيا وجنوب شرق آسيا. وأمريكا اللاتينية إلى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية واستراليا ونيوزيلند من ناحية وجزر المحيط الهادي من ناحية أخرى.

وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم العالم إلى الأقاليم الحضارية الرئيسية التالية (جدول رقم ١ وشكل رقم ٣):

١ ـ أوروبا.
٢ ـ أمريكا الشمالية.
٣ ـ أمريكا اللاتينية.
٤ ـ الاتحاد السوفيتي.
٥ ـ الشرق الأوسط.
٦ ـ إفريقيا المدارية.
٧ ـ آسيا الموسمية.
٨ ـ إستراليا وجزر المحيط الهادي.

ونورد فيما يلي نبذة موجزة عن الصفات الحضارية المميزة لكل إقليم من هذه الأقاليم الكبرى.

---

(١) Wheeler, Jesse H. and Others; Regional Geography of the World (3rd ed.), N.Y. 1969.

(٢) Stansfield, J. and Zimolzak, C. World Regions, Columbus, 1982, P. 250.

جدول رقم (١) مقارنة بين الأقاليم الحضارية الكبرى في العالم
١٩٨٣

الإقليم	المساحة (ألف كيلومتر مربع)	عدد السكان بالمليون	معدل النمو السكاني سنوياً ٪	نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار سنوياً
١ - الإقليم الأوروبي ويشمل:	٤ ٩٣٧	٤٨٩	٠,٥	١٠٠٢٥
- غرب أوروبا	٣ ٦٦٢	٣٥٢	٠,٤	١٠٠٦٥
- شرق أوروبا	١ ٢٧٥	١٣٧	٠,٦	٤٥٧١
٢ - الإقليم الأنجلو أمريكي	٢١ ٥١٥	٢٥٩	٠,٨	١٢٤٠٥
٣ - إقليم أمريكا اللاتينية	٢٠ ٥٦٥	٣٩٠	٢,٣	٢٠٦٣
٤ - إقليم الاتحاد السوفيتي	٢٢ ٤٠٢	٢٧٢	٠,٩	٤٧٠١
٥ - إقليم الشرق الأوسط	١٦ ٧٨٨	٢٩٥	٢,٨	١٦٢٩
٦ - إقليم إفريقيا المدارية	٢٠ ٣٨٧	٣٨٥	٣,٠	٦٦٩
٧ - إقليم آسيا الموسمية ويشمل	٢٠ ٧٤٤	٢٥٦٦	١,٨	٨٤٥
- جنوب آسيا	٤ ٤٩٠	٩٥٥	٢,٣	٢٥١
- شرق آسيا	١١ ٧٥٦	١٢٢٩	١,٤	١٣٩٦
- جنوب شرق آسيا	٤ ٤٩٨	٣٨٢	٢,١	٦٦٣
٨ - إقليم إستراليا وجزر المحيط الهادي	٨ ٥١٠	٢٤	١,٣	٨٨٦٤
جملة العالم	١٣٥ ٨٤٩	٤٦٧٧	١,٨	٢٧٥٤

المصدر:

L'institut National d'etudes Demographiques; Population et Societes, Bulletin Mensuel, Juillet - Aout, 1983, Numero 171.

١ - أوروبا:

وتبلغ مساحتها ٤,٩ مليون كيلومتر مربع وسكانها نحو ٤٨٩ مليون نسمة، وقد انبثقت حضارتها من الحضارة الإغريقية والرومانية، ورغم أن هناك فوارق عرقية بين السكان أبرزها المجموعة السلالية الألبية أو النوردية أو البحر متوسطية، وكذا الاختلافات اللغوية السائدة بالقارة، فإن معظم الأوربيين

يدينون بالمسيحية، وأبرز المظاهر الحضارية سيادة الاقتصاد المتقدم خاصة الزراعة العلمية المختلطة والصناعة والتطور التقني والتحضر ووجود أعلى درجات التخصص المهني. وقد أثر هذا العالم الأوروبي خاصة الغربي في بقية أقاليم العالم تأثيراً جوهرياً، فقد خرجت منه أفكار سياسية مختلفة كالديموقراطية واقومية والشيوعية والاستعمار الحديث، وأصبح مميزاً بتجزئته السياسية المزمنة، وقد أدت هذه التجزئة في الماضي إلى تنافس حاد وحروب طاحنة أبرزها ما شهدته اوروبا في النصف الأول من القرن العشرين من حربين عالميتين أدت الثانية منهما إلى دمار شديد لأقطار القارة التي اشتركت بها وتركت بصماتها واضحة على خريطتها. ومن الدمار الذي شهدته القارة برزت تكتلات اقتصادية وسياسية حديثة، لعل أبرزها السوق الأوروبية المشتركة التي لعبت دوراً كبيراً في إعادة بناء اقتصاديات دول غرب أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.

وتبدو في إقليم أوروبا كل خصائص المجتمعات المتقدمة، فترتفع نسبة التعليم والمستوى االصحي والثقافي ويتمتع بأعلى مستويات معيشية، ويبدو على خريطة العالم كقوة ثالثة بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وينقسم إلى قسمين حضاريين على أساس الاختلاف في النظام السياسي، وهما غرب أوروبا الرأسمالي المرتبط في سياسته بالولايات المتحدة الأمريكية، (حلف شمال الأطلنطي) وشرق أوروبا الشيوعي الذي يرتبط بالاتحاد السوفييتي (حلف وارسو والسوق الشيوعية المشتركة).

٢ ـ أمريكا الشمالية:

ويضم هذا الإقليم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ـ أي كل القارة وشمال نهر ريو جراند، وقد اشتق هذا الإقليم معظم حضارته من أوروبا الغربية، ولكنه يتميز بالثراء والحداثة والضخامة، مما انعكس على سكانه بشكل واضح، وقد استعمر الإنجليز والفرنسيون هذه القارة منذ أوائل القرن السابع عشر ولكن في خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هاجرت أعداد ضخمة من إيرلنده وإيطاليا أوروبا بل من أقاليم أخرى من خارج أوروبا بالإضافة إلى عدة ملايين من الزنوج الذين جلبوا من إفريقيا وأصبحت أمريكا

الشماليه سدلك قاره متعدده لقوميات ورغم دلك فقد اصبحت هده المجموعات في معظمها متوافقه ومرتبطة بالأرض الحديده التي ستقبلتهم، وإن بررت بها مشكلة التفرقة العنصرية بين البيض والسود. كدلك لم يكن هدا التوافق كاملاً في كندا حيث احتفظ السكان دوي الأصل الفرسي بشخصيتهم الحضارية وظهرت بينهم نزعة انفصالية عن بقية كندا ولكن رغم ذلك فالتأثير البريطاني هو الأعظم في أمريكا الشمالية ومن هنا اشتقت اسمها: أنجلو أمريكا Anglo - America

وفي هذا الإقليم الأنجلو أمريكي بلغت الرأسمالية والتصنيع والتحضر أقصى المراتب وبذل الأمريكيون جهوداً مضنية لاستغلال موارد بلادهم وأصبحت الزراعة والصناعة معتمدة على الآلات وانعكس ذلك على ارتفاع مستوى المعيشة، ويتميز المجتمع الأمريكي بمستوى تعليمي مرتفع ونسبة عالية من سكان المدن وقد أصبحت ناطحات السحاب (البنايات العالية التي قد تصل إلى مائة طابق أو أكثر) سمة مميزة للمدن الأمريكية ومنها انتشرت خارج أمريكا الشمالية. والواقع أن الحياة الأمريكية - مثل الحياة الأوروبية - قد أثرت في بقية الأقاليم تأثيراً واضحاً وتحولت أمريكا الشمالية إلى إقليم وفرة يصدر كميات ضخمة من الحبوب إلى الأسواق العالمية

٣ - إقليم أمريكا اللاتينية

يشمل هذا الإقليم أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، وقد اشتق حضارته الأوروبية من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) واصطبغ بالحضارة اللاتينية في اللغة والدين حيث قويت به الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وتأثر بثقافة إقليم البحر المتوسط الأوروبي تأثراً كبيراً في مظاهر العمران الريفي والحضري والزراعة وذلك بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية للهنود الأمريكيين التي انعكست على الفنون وعلى التركيب العرقي السائد للسكان وكذلك تأثر هذا الإقليم بأمريكا الشمالية تأثراً واضحاً خاصة في المدن الكبرى وفي التصنيع والنقل

وعلى العكس من الإقليمين السابقين. فإن أمريكا اللاتينية تتصف بانخفاض مستويات المعيشه . تفع نسبة الأميه ،تدني مستوى الاقتصادي ومن

ثم تدخل كلها في عداد الأقاليم النامية في العالم Developing Countries.

٤ ـ الاتحاد السوفيتي:

يعد الاتحاد السوفيتي من أكبر دول العالم مساحة (٢٢,٤ مليون كيلو متر مربع) حيث تمتد رقعته الأرضية لتصل إلى سدس مساحة اليابس العالمي ولذا يعد الدولة الوحيدة التي تكوّن إقليماً حضارياً مستقلاً. ويمثل دولة أوروبية آسيوية تجمع بين ظهرانيها قوميات متعددة إلا أن الصفة المشتركة هي سيادة النظام الشيوعي المرتكز على تعاليم كارل ماركس ويعد هذا النظام أساساً للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي السائد في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة. والاتحاد السوفيتي هو أول وأكبر دولة شيوعية في العالم وقد تبنى سياسة حازمة للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي وانعكس ذلك على نمط الحياة ومستوى العيش به. وقد تبوأ مكانة عالمية كقوة عظمى فيها بعد الحرب العالمية الثانية وسارت في فلكه عدة دول شيوعية في شرق أوروبا وخارجها.

٥ ـ إقليم الشرق الأوسط:

ويمتد هذا الإقليم في قلب العالم القديم على شكل مثلث ضخم في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا أي من أفغانستان شرقاً إلى موريتانيا غرباً والصومال جنوباً. ويمثل هذا الإقليم الجاف وشبه الجاف حاجزاً مميزاً بين الشعوب الأوروبية شمالاً والآسيوية المغولية شرقاً والزنجية جنوباً، وقد شهد قيام حضارات قديمة به معتمدة على توفر مياه الأنهار في الأودية الفيضية خاصة وادي النيل ودلتاه ووادي دجلة والفرات ووادي نهر السند، وكان هذا الإقليم مهداً للديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ومنه انتشرت إلى بقية أقاليم العالم. والواقع أن أبرز السمات الحضارية لهذا الإقليم هو التجانس البشري النابع من سيادة الدين الإسلامي الحنيف وذلك رغم وجود أقليات غير مسلمة في بعض دول الإقليم.

٦ ـ إفريقيا المدارية:

يتمثل هذا الإقليم في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أو إفريقيا الزنجية

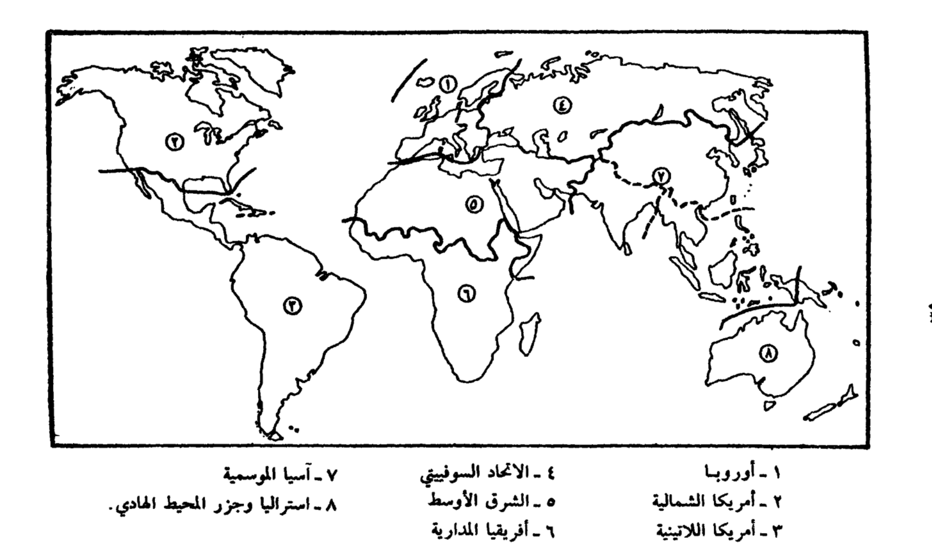
ذات المناخ المداري وشبه المداري والتي يتميز سكانها بالتعقيد العرقي والديني وبيئاتها بالتنوع الواضح، وتبلغ مساحة هذا الإقليم نحو ٢٠ مليون كيلو متراً مربعاً وسكانه ٣٨٥ مليون نسمة. ورغم أن الصفة الغالبة هي سيادة الجنس الزنجي والحضارات المرتبطة به فإن هناك تبايناً لغوياً شديداً، كما أن كثيراً من مظاهر الحضارة الوطنية ما زال يتصف بالبدائية، كذلك فإن الاقتصاد الإفريقي المداري يتسم بالبساطة والتخلف معتمداً على الحرف الأولية كالزراعة التقليدية والرعي وإن كان التعدين هو أحدث الأنشطة التي أثرت في اقتصاديات الإقليم. وقد خضع هذا الإقليم بأكمله للسيطرة الأوروبية التي تركت بصماتها شديدة عليه، وبعد أن حصلت معظم دوله على الاستقلال بدأت في اتباع خطط حديثة للتنمية متأثرة في ذلك بالنظم الغربية المتقدمة ومحاولة التحرر من التخلف والجمود.

٧ ـ آسيا الموسمية:

يمتد هذا الإقليم امتداداً كبيراً في جنوب وجنوب شرق وشرق آسيا وبمساحة تصل إلى نحو ٢١ مليون كيلومتراً مربعاً وبسكان يصلون إلى ٢٥٠٠ مليون نسمة أي ما يزيد على نصف سكان العالم، ويتصف هذا الإقليم بتعقيد عرقي ولغوي وديني وإن كان يبدو متجانساً في كثير من خصائصه الحضارية. فباستثناء اليابان وهونج كونج وسنغافورة يسود في دول الإقليم مستوى معيشي منخفض ونسبة أميّة مرتفعة كما تتزايد به نسبة سكان الريف ومعدلات الخصوبة السكانية.

وقد شهد هذا الإقليم تغيرات كبرى في مظاهر الحضارة به منذ عدة عقود، فقد انتشرت الشيوعية في بعض أقطاره خاصة في الصين وفيتنام مما أدى إلى تغييرات جذرية في نمط الحياة والاقتصاد، فقد تغيرت الزراعة الصينية التقليدية وكذلك الحياة الاجتماعية ومظاهر الإنتاج الصناعي بدرجة توحي بأن الصين ربما تحولت من دولة نامية إلى دولة متقدمة وقوة عظمى في العالم في وقت قريب.

أما اليابان التي تحظى بمستوى صناعي وحضري متقدم للغاية فقد بنت



شكل (٣) أقاليم العالم الكبرى

اقتصادها على عدة عوامل أبرزها تجارتها مع بقية دول العالم، وقد وصلت إلى مرحلة الثبات الديموغرافي وأصبحت ضمن الدول الصناعية المتقدمة بجدارة.

وقد أدى التباين الحضاري في هذا الإقليم الضخم إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هي: شرق آسيا، وجنوب شرق آسيا (الهند الصينية) وجزر الهند الشرقية، وجنوب آسيا (شبه القارة الهندية).

٨ - إستراليا وجزر المحيط الهادي:

وتبلغ مساحته نحو ٨,٥ مليون كيلومتراً مربعاً ويسكنه ٢٤ مليون نسمة. وينقسم إلى قسمين مميزين هما: إستراليا ونيوزيلند كإقليم فرعي ثم جزر المحيط الهادي كإقليم آخر. ورغم موقع إستراليا ونيوزيلند المتطرف فإنهما يشبهان في مظاهرهما الحضارية الإقليم الأنجلو أمريكي حيث انبثقت حضارتهما من الحضارة الأوروبية ومن ثم يعتبران ضمن العالم الغربي، وقد عمّر المستوطنون الإنجليز قارة إستراليا وتبعهم مهاجرون أوروبيون آخرون، وكان عدد السكان الإستراليين الأصليين قليلاً للغاية لدرجة تضاءل معها تأثيرهم في حضارتها الحالية.

ويتصف هذا الإقليم بارتفاع مستواه الاقتصادي حيث تقدمت فيه الزراعة والصناعة وكذلك مستوى العيش ويتصف السكان بارتفاع نسبة التعليم والتحضر بدرجة تشبه كثيراً الدول الأوروبية.

أما عالم الجزر المتناثرة في المحيط الهادي فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام أصغر هي مجموعة ميكرونيزيا في غرب وسط المحيط الهادي ومجموعة ميلانيزيا في الجنوب ثم مجموعة بولينيزيا التي تبدو على هيئة مثلث ممتد من هاواي وجنوباً وغرباً حتى نيوزيلند. ولا يزيد سكان هذا العالم الجزري كله عن خمسة ملايين نسمة، وأبرز سماته أنه مبعثر بدرجة حادة ومتنوع في أنماط الحياة به شأنه في ذلك شأن الأقاليم الكبرى في العالم فتعيش في بعض جزره أكثر شعوب العالم بدائية ولا تملك سوى تراث حضاري محدود.

الباب الثاني

إقليم أوربا

مقدمة

تعد قارة أوروبا ـ على صغر مساحتها التي تبلغ نحو ٥ مليون كيلومتراً مربعاً ويسكانها الذين وصل عددهم سنة ١٩٨٣ إلى ٤٨٩ مليون نسمة (أي أن مساحتها ٣٪ من مساحة العالم وبها نحو ١٠٪ من سكانه) ـ من أبرز القارات التي أثرت في تطور العالم وتقدمه في العصر الحديث، وأسهمت بالدور الأكبر في تشكيل خريطته السياسية، كما خرجت منها أكبر حركة هجرة سكانية في التاريخ نحو العالم الجديد، حيث قدر أن عدد الأوروبيين الذين غادروا قارتهم إلى باقي أقاليم العالم منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ما بين ٥٠ ـ ٦٠ مليون نسمة اتجه أكثر من نصفهم إلى أمريكا الشمالية. ولم يكن الخروج الأوروبي جديداً في الواقع بل جاء في أعقاب حركة الكشوف الجغرافية على أكتاف الرواد الأوروبيين الأوائل، وقد تمثل هذا الخروج المبكر في هجرة أعداد من الفرنسيين والإنجليز والهولنديين والبرتغاليين والإسبان منذ القرن السادس عشر نحو جزر الهند الغربية وسواحل الأمريكتين وإفريقيا والهند، وقد ارتبط ذلك بالتطور الذي شهدته أوروبا خاصة في وسائل النقل والصناعة، كذلك شجعت الثروات المكتشفة في العالم الجديد على الهجرة الضخمة إلى أقطار هذا العالم.

والواقع أن الهجرة الأوروبية لعبت دوراً هاماً في خريطة العالم السكانية والاقتصادية، فقد ترتب عليها نتائج بارزة وعميقة في كل مظاهر الحضارة خاصة في العالم الجديد، فقد أدخلت حاصلات زراعية جديدة وحيوانات

مستأنسة وخلقت تيارات ضخمة للتجارة بين العالم الجديد والعالم القديم حتى أن التأثير الأوروبي في العالم ـ أو ما يعرف بأوروبة العالم Europeanization كان من أبرز معالم التاريخ البشري الحديث في كل مجالات الحضارة. وإن نظرة واحدة للعالم اليوم تبين لنا مدى الدور الذي لعبته الهجرة الأوروبية في العصر الحديث، ولنا أن نتصور العالم الجديد (الأمريكتين وأستراليا) مثلاً إذا لم يتدفق عليه الأوروبيون ويجعلوه امتداداً بشرياً حضارياً لقارتهم الأصلية.

وتقع قارة أوروبا في العروض الشمالية المعتدلة والباردة فيما بين دائرتي عرض ٣٦ شمالاً (رأس طريفة Cape Tarifa في إسبانيا) و ٧١° شمالاً (رأس نوردكين Cape Nordkinn في النرويج) وتحدها البحار من الشمال والغرب والجنوب، أما في الشرق فتعد جبال الأورال ونهر الأورال وبحر قزوين ومرتفعات القوقاز هي الحد الشرقي لها، ولم تقف هذه الحدود الشرقية عقبة بين أوروبا وآسيا بل إن المنطقة السهلية بين جبال الأورال وبحر قزوين والتي يبلغ اتساعها نحو ٥٠٠ كيلومتراً كانت المعبر الذي سلكته الهجرات البشرية واستخدمه الغزاة الآسيويون على امتداد عصور التاريخ المختلفة.

وأوروبا قارة شبه جزرية تتمتع بسواحل طويلة نتيجة امتداد البحار والخلجان كالبحر البلطي أو بحر الشمال أو خليج بسكاي أو البحر المتوسط أو البحر الأسود. وقد أسهم ذلك بدرجة كبيرة في مناخها وحياتها الاقتصادية، فتمتعت بمناخ بحري في معظمها كما استفادت بالنقل البحري لربط أطرافها. ورغم امتداد أوروبا شمالاً فيما بعد الدائرة القطبية فإنها تتمتع بفترات دفيئة خلال فصل الشتاء خاصة في شمالها الغربي مما ساعد على امتداد العمران البشري بها نحو العروض الشمالية بدرجة تفوق امتداده في أية قارة أخرى من قارات العالم.

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن جبال أوروبا المرتفعة خاصة في الجنوب والجنوب الشرقي لم تقف حائلاً دون اتصال أجزاء القارة بعضها ببعض عبر

الممرات الحسيه العديدة في هذه المرتفعات

ومن الوجهة الجغرافية، تعد أوروبا أنسب أقاليم العالم لسكنى الإنسان، فهي تقع في معظمها في نطاق المناخ الملائم كما تضم نسبة كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة وتتوفر بها مقومات الإنتاج الاقتصادي إلى حد كبير كما تتميز عن بقية القارات بخلوها من الأراضي الصحراوية، كما حبتها الطبيعة بثروة معدنية وفيرة من موارد الوقود والفلزات خاصة الفحم والحديد وهما أساس قيام الصناعة.

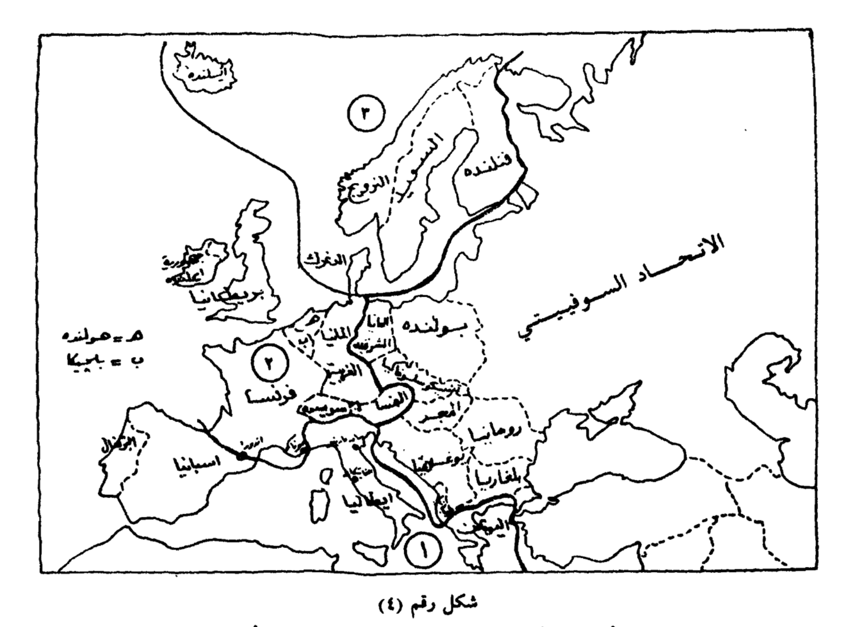
وعلى صغر مساحتها تنقسم أوروبا إلى عدد كبير من الدول يبلغ عددها ٣٢ دولة (باستثناء الاتحاد السوفيتي)، وقد نتجت هذه التجزئة السياسية عن تاريخ حافل شهدته القارة خاصة منذ أواخر القرن التاسع عشر وما تمخضت عنه الحروب الأوروبية من تغييرات جوهرية في خريطتها السياسية خاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية، فقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن ظهور دول جديدة وفي توسع إقليمي لبعض الدول القائمة خاصة في شرق أوروبا الممتد من المحيط المتجمد شمالاً وحتى البحر المتوسط جنوباً، كما ترتب على الحرب العالمية الثانية تغييرات هامة في الحدود السياسية لدول القارة وإن كان غربها قد تميز باستقرار نسبي في حدود معظم دوله بعكس شرقها الذي تميز بالاضطراب السياسي سواء في الحدود أو النظم السياسية السائدة بتأثير ظهور الاتحاد السوفيتي كقوة كبرى ذات نفوذ سياسي وعسكري ضخم. وقد أدى ذلك كله إلى اختلاف جذري بين غرب أوروبا بنظامه الرأسمالي وشرق أوروبا بنظام الشيوعي مما حدا بكثير من الجغرافيين إلى الاعتبار كل منهما إقليماً حضارياً مستقلاً عن الآخر، وهذا ما أخذ في الاعتبار في هذا الكتاب عن الجغرافيا الإقليمية

وتبين الأرقام التالية مقارنة بين إقليمي غرب أوروبا وشرق أوروبا في عدد الدول والمساحة والسكان (سنة ١٩٨٣)

الإقليم	عدد الدول	المساحة (كم²)	عدد السكان بالمليون	الكثافة في الكيلومتر المربع
غرب أوروبا	٢٤	٣ ٦٦٢ ٠٠٠	٣٥٢	٩٦
شرق أوروبا	٨	١ ٢٧٥ ٠٠٠	١٣٧	١٠٧
جملة أوروبا	٣٢	٤ ٩٣٧ ٠٠٠	٤٨٩	٩٩

ودول غرب أوروبا هي: الدنمرك، فنلندة، إيرلندة، إيسلندة، النرويج، المملكة المتحدة، السويد، ألمانيا الاتحادية، النمسا، بلجيكا، فرنسا، لكسمبرج، هولندة، سويسرة، إسبانيا، اليونان، إيطاليا، مالطة، البرتغال، ولختنشتين، *أندورا، موناكو، سان مارينو، الفاتيكان.*

ودول شرق أوروبا هي: ألمانيا الشرقية، بولندة، تشيكوسلوفاكيا، المجر، رومانيا، بلغاريا، يوغسلافيا، ألبانيا. (شكل رقم ٤).



شكل رقم (٤)

أوربا [الأرقام توضح الأقاليم الفرعية الثلاثة لغرب أوروبا]

الفصل الثالث

غرب أوروبا

تمثل دول غرب أوروبا الأربع والعشرون إقليماً مميزاً على خريطة العالم له صفاته الحضارية الاقتصادية والسكانية والسياسية المشتركة، ورغم اكتظاظه بالسكان فإن استغلال الإنسان للموارد الطبيعية قد بلغ أعظم مراحله وانعكس ذلك على مستويات العيش العالية وخاصة في الدول الشمالية الغربية. وقد عملت دول هذا الإقليم على توثيق عرى التعاون فيما بينها عسكرياً واقتصادياً فدخلت في أحلاف وأسواق مشتركة لعل أبرزها حلف شمال الأطلنطي والسوق الأوروبية المشتركة وأصبحت تكون قوة عسكرية واقتصادية في العالم.

أهمية إقليم غرب أوروبا ودوره العالمي:

لعب غرب أوروبا دوراً كبيراً في حضارة العالم الحديث وذلك منذ أوائل القرن السادس عشر عندما بدأت الكشوف الجغرافية الأسبانية والبرتغالية والإنجليزية لكشف الأراضي المجهولة في العالم الجديد وإفريقيا، وقد أدت الثورة الصناعية التي شهدتها أوربا ونهضتها الكبرى في القرن التاسع عشر إلى تقوية نفوذها في المناطق التي اكتشفتها واستعمرتها حيث استغلت موادها الخام

وفتحتها أسواقاً لمنتجاتها الصناعية، وقد استمر ذلك حتى منتصف القرن العشرين تقريباً عندما بدأت أوروبا تتقلص وانكمشت مساحة مستعمراتها واستقل معظم الدول التي سيطر عليها الأوربيون في العالم وظهور دول عظمى خارج أوروبا الغربية مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان.

ويمكن إيجاز أهمية غرب أوروبا ودوره العالمي في العصر الحديث فيما يلي:

١ ـ لعب غرب أوروبا الدور الأكبر في تشكيل الخريطة السياسية للعالم واستمرت السيطرة الأوروبية الاستعمارية على مساحات واسعة من اليابس منذ فترة مبكرة في العصر الحديث وبلغت أوجهاً في سنة ١٩١٤، فقد كانت بيطانيا مثلاً تسيطر على نحو ربع مساحة اليابس وتحكم أسطولها في بحار العالم ومحيطاته ومضايقه البحرية الرئيسية. كذلك سيطرت فرنسا على مساحة واسعة بلغت عشر مساحة اليابس امتدت من البحر الكاريبي حتى جنوب شرق آسيا، بل إن دولاً من غرب أوروبا دخلت سباق السيطرة الاستعمارية حديثاً (في أواخر القرن التاسع عشر) مثل ألمانيا وبلجيكا سيطرت على مساحات من إفريقيا تفوق مساحات هذه الدول ذاتها. كل ذلك في وقت كانت فيه إسبانيا والبرتغال تمدان نفوذهما على أراض واسعة في العالم كذلك.

٢ ـ يمثل غرب أوروبا مهد الثورة الصناعية الحديثة فمنه خرجت للعالم كثير من الصناعات والتقنية المرتبطة بها وكانت دوله في مقدمة دول العالم في صناعة الحديد والصلب والسفن وإنتاج الفحم ووسائل النقل، ورغم التوسع الصناعي الضخم الذي شهدته دول أخرى خارج غرب أوروبا مثل الولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفيتي ونمو الصناعات في دول كانت تعتمد على المنتجات الصناعية الأوروبية من قبل، فما زال غرب أوروبا يحظى بأهمية كبرى في المجال الصناعي حيث يتميز إنتاجه بالتنوع والتفوق كما أن معظم دوله ما زالت مركزاً رئيسياً للخبراء والعمالة الماهرة، في الصناعة والتعدين والأنشطة الاقتصادية الأخرى.

٣ ـ إن سيطرة أوروبا الاستعمارية قد زالت من خريطة العالم في الوقت الحاضر باستثناء بقايا ضئيلة الشأن مساحة وسكاناً، وقد انتهت الحرب العالمية الثانية وغرب أوروبا منهار اقتصادياً ودمرت الحرب الكثير من مدنه، وتوارى الدور السياسي الأوروبي على الساحة العالمية ليفسح مجالاً لقوى سياسية واقتصادية جديدة هي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي واليابان حتى أصبحت الدول الأوروبية دولاً من المرتبة الثانية تعيش في ظلال مجد غابر وتبدو أقزاماً في ظل القوى العظمى الحالية. ومع كل ذلك فقد استطاعت أوروبا الغربية أن تعيد تنظيم اقتصادها ودخلت في تكتلات اقتصادية أهمها السوق الأوروبية المشتركة European Economic Community والتي بدأت سنة ١٩٥٧ بست دول هي فرنسا وألمانيا الاتحادية وإيطاليا ودول البنلوكس Benelux الثلاث هولندة وبلجيكا ولكسمبرج ثم انضمت إليها بعد ذلك أربع دول هي المملكة المتحدة والدنمرك وإيرلندة واليونان. وإذا نظرنا إلى السوق الأوروبية المشتركة كوحدة اقتصادية فإنها تأتي بعد الولايات المتحدة في القوة الاقتصادية وتتفوق على الاتحاد السوفيتي في إنتاجها، ويبلغ إجمالي سكانها ٢٧٢ مليون نسمة وتفوق في ذلك حجم السكان في الولايات المتحدة أو في الاتحاد السوفيتي، كما تبلغ نحو ضعف سكان اليابان. والسوق الأوروبية المشتركة تعد اليوم ثاني أكبر منتج للصلب والسيارات في العالم، ولكن ينبغي القول بأن السوق الأوروبية المشتركة تمثل تكتلاً اقتصادياً ولا تمثل وحدة سياسية فهي ليست دولة فيدرالية مثلاً رغم أن بعض مظاهر الفيدرالية تحكم سياستها مثل البرلمان الأوروبي الذي يجمع دول السوق وإن كان يبدو كمؤسسة استشارية أكثر منها تشريعية.

٤ ـ لعب الموقع البحري لغرب أوروبا دوراً كبيراً في تاريخه وتاريخ العالم، فقد أدى هذا التوجيه البحري Maritime Orientation المبكر إلى سهولة اتصاله بباقي أقاليم العالم والتبادل الحضاري بينها على امتداد الثلاثة قرون الأخيرة، كما سهل له نقل المؤثرات الحضارية الأوروبية إلى العالم عبر

وسائل النقل المختلفة، واستمر الدور الأوروبي فعالاً حتى بعد أن انكمش دور أوروبا الاستعماري، فقد ارتبطت دول الاستعمار السابقة بصلات قوية تجارية وثقافية مع الدول التي تحررت من سيطرتها وتجلى ذلك في مجموعة دول الكمنولث البريطاني (٣٦ دولة سنة ١٩٧٦) أو المجموعة الفرنسية، وقد زحفت الحضارة الأوروبية إلى هذه الدول وغيرها لغوياً وثقافياً وحضارياً وسياسياً، واستمرت هذه المؤثرات في مظاهر شتى من حياة الدول حتى بعد حصولها على الاستقلال.

٥ - يمثل غرب أوروبا إقليماً اقتصادياً يسود به النظام الرأسمالي الحقيقي حيث المشروعات الرأسمالية الضخمة الفردية والمشتركة والتي تمارس دورها في إطار تشريعات شاملة تحميها مبادىء الديموقراطية النموذجية. كما يتميز بالاستثمارات الضخمة في الصناعة والنقل والتجارة والخدمات، ورغم أن الدولة تملك السكك الحديدية ومعظم الخطوط الجوية وتشترك في ملكية بعض الصناعات الكبرى مثل توليد الكهرباء وصناعة الحديد والصلب واستخراج الفحم فإن الاعتماد على الشركات والمشروعات الفردية والجماعية الرأسمالية هي السمة المميزة لأقطار غرب أوروبا. وقد أسهمت طرق النقل الحديثة في ربط مناطق الإنتاج الصناعي والعمران البشري بعضها ببعض في إطار تكامل اقتصادي في معظم الأحوال. ولعل في الاعتماد الكثيف على نهر الراين الدولي الذي يربط الأقاليم الاقتصادية للدول التي تقع في حوضه وإنشاء الإنفاق عبر جبال الألب وتسيير القطارات الدولية السريعة بين الأقطار الأوروبية ما يدل على ذلك.

٦ - يلعب غرب أوروبا دوراً ثقافياً ضخماً في عالم اليوم سواء في الفنون أو في العلوم والآداب، وقد أصبحت لغتان من لغاته وهما الإنجليزية والفرنسية لغتين عالميتين بسبب النفوذ الاستعماري والانتشار الثقافي لهما كلغتي تجارة وتبادل ثقافي وعلمي. وبالإضافة إلى ذلك يمارس غرب أوروبا دوراً هاماً للعالم المسيحي ممثلاً في نفوذ الفاتيكان على نحو ٥٠٠ مليون نسمة من

المسيحيين في العالم، كما تتركز في أوروبا مقرات لمنظمات دولية عديدة لعل أهمها سويسرة التي تزخر بمنظمات الأمم المتحدة وكذلك فرنسا وهولندة (اليونسكو في باريس ومحكمة العدل الدولية في لاهاي).

مظاهر البيئة الطبيعية

مظاهر السطح:

تتباين الظاهرات الجغرافية الطبيعية في أوروبا تبايناً واضحاً، فتمتد سلاسل المرتفعات الجبلية من الغرب إلى الشرق وتضم جبال البرانس والألب والكربات وامتداداتها في شبه جزيرة البلقان، ورغم وجود بعض الممرات والثغرات عبر هذه الجبال فإنها تمثل حاجزاً طبيعياً بين الشمال والجنوب. وتنحصر بين سلاسل الجبال الألبية والبحر المتوسط مجموعة من أشباه الجزر الجنوبية التي تتكون من هضاب وتلال وسهول ساحلية ضيقة، كما تمتد بعض السلاسل الجبلية من الشمال إلى الجنوب مثل جبال الأبنين وجبال الألب الدينارية وجبال رودوب (شكل رقم ٥).

وعامة يمكن تمييز أربع وحدات فيزيوغرافية كبرى في أوروبا هي مجموعة جبال الألب ومجموعة المرتفعات والهضاب الوسطى، ثم السهل الأوروبي العظيم وأخيراً مجموعة المرتفعات الشمالية الغربية.

وتشمل جبال الألب مجموعة من السلاسل المعقدة، وهي تعدُّ أحدث جبال أوروبا (يقدر عمرها الجيولوجي بنحو ٧٠ مليون سنة) وتتكون من صخور رسوبية وبللورية ملتوية، وتمتد في غرب أوروبا على هيئة قوس يمتد من الريفييرا الفرنسية والإيطالية إلى الحدود الشرقية للنمسا، وقد استخدم كثير من هذه السلاسل الجبلية كحدود سياسية بين الدول كما هي الحال في حدود فرنسا وإيطاليا وسويسرة وألمانيا والنمسا ويوغسلافيا. وقد أثّرت فيها عوامل التعرية بشدّة وظهرت قممها المرتفعة وأصبحت من أكثر جبال القارة تقطعاً.

شكل (٥) المرتفعات الجبلية والهضاب في أوروبا الجنوبية

وتتفرع السلاسل الجبلية من كتلة الألب العظمي في اتجاهات مختلفة أهمها جبال الأبنين التي تكون العمود الفقري لإيطاليا وسييرانيفادا في جنوب إسبانيا وجبال البرانس بين فرنسا وإسبانيا، كما تمتد في شبه جزيرة البلقان ممثلة في جبال الألب الدينارية وجبال بندس Pindus في اليونان.

وتحصر هذه الجبال الألبية عدداً من السهول والأراضي المنخفضة مثل حوض الأندلس ووادي نهر إبرو في إسبانيا وكذلك سهل البو في شمال إيطاليا وكان ذراعاً من البحر الأدرياتي ملأته رواسب المجاري المائية المنصرفة إليه. والسهول المجاورة لمرتفعات الأبنين ثمّ سهول البلقان خاصة سهل سالونيكا في اليونان.

وإلى الشمال من جبال الألب تمتد مجموعة من الهضاب التي تتكون من صخور صلبة قديمة تعرف بالمرتفعات الوسطى أبرزها أربعة هضاب هي الميزيتا الإسبانية والهضبة الوسطى في فرنسا Massif Central والهضاب الفرنسية الألمانية التي تمتد من هضبة الأردن Ardennes حتى حدود ألمانيا الشرقية، ثمّ هضبة بوهيميا. وتحوي هذه الهضاب معظم احتياطيات الفحم الأوروبية، ومعظم هذه الهضاب قليل السكان تكسو أراضيه الغابات. وتختفي هذه الهضاب والتلال في السهل الأوروبي الشمالي العظيم. ويبدأ هذا الإقليم الذي يتميز باستواء سطحه من جبال البرانس ويزداد اتساعاً بالاتجاه شرقاً حتى يندمج في سهول روسيا الأوروبية وينتهي عند جبال الأورال، وقد تعرَّض جزء كبير للتعرية الجليدية في الزمن الرابع وتكسوه في الوقت الحاضر رواسب جليدية وتتناثر به ركامات جليدية رملية وبحيرات صغيرة خلّفتها الغطاءات الجليدية. أمّا الجزء الذي لم يتعرض للتعرية الجليدية فيوجد في الجنوب الغربي متمثلاً في السهول المتموجة في حوض اللوار وحوض باريس. أمّا في أقصى شمال أوروبا: في فنلندة وشبه جزيرة إسكندناوه والأجزاء الشمالية والغربية من الجزر البريطانية فتوجد أقدم المرتفعات وأشدها صلابة وأكثرها تعقيداً، وقد تأثرت بعوامل التعرية الجليدية والمائية بشدّة مما خفض من ارتفاعها نوعاً وظهرت على

هيئة هضاب مرتفعة، وتعرف هذه المرتفعات في إسكنديناوه بالدرع الإسكنديناوي الفنلندي Fenno — Scandian Shield.

الظروف المناخية:

تقع قارة أوروبا بين دائرتي عرض ٣٦° و ٧١° شمالاً، ولا تبعد أية نقطة فيها أكثر من ٨٠٠ كيلو متراً عن البحر، ومن هنا كان عامل القرب من البحر المؤثر الرئيسي في مناخها، ويتجلّى ذلك في الرياح الغربيّة السائدة على معظم القارة وتحمل معها المؤثرات البحرية من المحيط الأطلسي حتى المناطق الداخلية بالقارة، كذلك تأثّر ساحل أوروبا الغربية بتيار الأطلسي الشمالي (تيار الخليج الدافىء) الذي تدفعه الرياح من خليج المكسيك في اتجاه شمالي شرقي عبر المحيط حتى شواطىء أوروبا، ولذا تميَّزت الجهات الساحلية بدفئها شتاءً حيث تحمل الرياح دفء البحر إليها كما تحمل نسيم البحر الذي يلطف مناخ اليابس صيفاً.

ويمكن تقسيم غرب أوروبا إلى ثلاثة أقاليم مناخية رئيسية هي مناخ البحر المتوسط الذي يسود في جنوب القارة في شبه جزيرة إيبريا وإيطاليا واليونان والساحل الجنوبي لفرنسا، ويتميز الشتاء بدفئه وسقوط الأمطار به كما يتميَّز الصيف بجفافه وحرارته. ثمَّ المناخ البحري في السواحل الغربية التي تمتد من شمال جبال الألب حتى البحر البلطي والجزر البريطانية وساحل النرويج وهي مناطق باردة نوعاً وممطرة طول العام. وأخيراً المناخ القاري في الأقاليم الداخلية ويشمل الأقطار الإسكندينافية فيما عدا مناطقها الساحلية المطلّة على المحيط الأطلسي ثمَّ الأحواض الداخلية في ألمانيا، وهي مناطق يزداد فيها المدى الحراري وترتفع حرارة الصيف بها نسبياً وتنخفض حرارة الشتاء ليصبح قارس البرد ويكثر سقوط الثلج (جدول رقم ٢).

مناخ البحر المتوسط:

ويسود هذا المناخ في المناطق الجنوبية من أوروبا المطلّة على البحر المتوسط حيث يتميز بأنّه مناخ شبه مداري جاف صيفاً وسقوط أمطاره في فصل الخريف

والشتاء بسبب الرياح الغربية والانخفاضات الجوية التي تكثر في نطاقها، ويقل متوسط الأمطار السنوية عَن مثيله في مناخ السواحل الغربية والمناخ القارِّي الرطب، ويلعب الموقع ونظام التضاريس دوراً مهماً في توزيع الأمطار على الأجزاء المختلفة من حوض البحر المتوسط، فهي تكثر بصفة خاصة على المنحدرات الغربية للجبال كما هي الحال على منحدرات جبال الألب الدينارية المطلَّة على البحر الأدرياتي، حيث يزيد المعدَّل السنوي للأمطار عن ١٠٠ بوصة، وتزداد أمطار حوض البحر المتوسط كما يزداد طول الفصل الممطر بصفة عامَّة كلما اتَّجهنا غرباً، وهذا أمر طبيعي لأنَّ الرياح الممطرة والانخفاضات الجوية تأتي عادة من الغرب، فيما يبلغ المعدَّل السنوي للأمطار في جبل طارق حوالي ٣٦ بوصة. نجد أنَّه حوالي ١٦ بوصة فقط في أثينا. (شكل رقم ٦).

أمَّا الصيف في مناخ البحر المتوسط فهو دافىء إلى حار، بينما الشتاء معتدل لطيف (متوسط حرارة يناير ١٤° م) وسقوط الثلج أمر نادر في الأراضي المنخفضة السطح رغم أنَّه قد يتساقط ويتجمع بعمق كبير على الجبال المجاورة، ويلاحظ أنَّ الفصل الخالي من الصقيع طويل للغاية وقد يمتد ليشمل السنة كلها في بعض سهول الأطراف الجنوبية.

وعلى العموم فإنَّ مناخ البحر المتوسط يشتهر بطقسه المعتدل المشرق والمشمس الأمر الذي يجذب ملايين السياح من الأقاليم الشمالية الأكثر برودة وغيوماً ومطراً، ومن هنا أصبحت السياحة في دول جنوب البحر المتوسط من الموارد الاقتصادية الهامة بها خاصة في إسبانيا وجنوب فرنسا.

مناخ الساحل الغربي البحري:

ويسود هذا المناخ في المناطق الممتدة على طول الجبهة البحرية الشمالية الغربية لأوروبا، ويتميز بالشتاء المعتدل البارد نسبياً، والصيف المعتدل اللطيف مع سقوط أمطار طوال السنة تكفي المحاصيل المختلفة. ويسود الطقس الغائم والضباب بنسبة مرتفعة خاصة في الشتاء. ومع ذلك فإنَّ معظم المناطق الواقعة إلى الغرب من خط يمتد من الدنمرك حتى ميونيخ ترتفع حرارة يناير بالكاد بها

عن درجة التجمد. أمّا ألى الشرق من هذا الخط فتنخفض حرارة يناير عن درجة التجمد، وتتجه خطوط الحرارة المتساوية في الشتاء من الشمال إلى الجنوب وهي في ذلك تعكس تأثير البحر وحتى في الصيف يقل عدد الأيام المشمسة، ويصل متوسط حرارة شهر يوليو إلى ١٤°م في سكوتلاند وساحل النرويج و١٥°م في منطقة انجلترا وألمانيا، و١٨°م في لندن وباريس، و ٢١°م في جنوب فرنسا.

وتعدُّ الأمطار متوسطة، تتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠ بوصة سنوياً باستثناء المناطق الجبلية المرتفعة على امتداد الساحل الشمالي الغربي، وليست هناك تغيرات فصلية مفاجئة، وتميل الأمطار إلى السقوط على هيئة رذاذ بطيء غالباً ما يستمر عدَّة أيام قد تطول كثيراً (قد تستمر نحو ٧٠ يوماً في لندن) وتتناقص كمية الأمطار بالاتجاه شرقاً (فورت وليام في اسكتلنده ٨٣ بوصة سنوياً، ولندن ٢٥و٤ بوصة، وميونيخ ٣٦، ووارسو٢٣). ونهار الشتاء في هذا المناخ قصير وغائم معتم ورطب، أمّا في الصيف فالنهار أطول وأكثر إشراقاً رغم أنّ بعض الأيام الباردة الملبَّدة بالغيوم قد تتخلَّله، ويتراوح فصل النمو من ١٨٠ ـ ٢٧٠ يوماً، وتعدُّ هذه المدَّة كافية لنضج معظم المحاصيل التي تزرع في العروض الوسطى.

المناخ القاري الرطب:

يسود المناخ القاري الرطب في بقية مناطق أوروبا، فمناخ الساحل الغربي يتغير بالتدريج بالاتجاه نحو داخل أوروبا وتقل المؤثرات البحرية ويميل المناخ إلى اكتساب الخصائص القارية، فأقصى ما تصل إليه المؤثرات الدفيئة للتيار البحري تتخلَّل شبه جزيرة كولا في الاتحاد السوفيتي وجاعلة ميناء مورمانسك على المحيط القطبي مفتوحاً طوال العام ولكن ما تلبث القارية في الظهور جنوباً وشرقاً وسط وشرق أوروبا، ويصبح الشتاء أكثر برودة والصيف أكثر حرارة ويصبح التساقط أقل في كميته متراوحاً بين ١٥ ـ ٢٥ بوصة مع زيادة الأمطار في فصل الصيف عنها في الشتاء، وهكذا يصبح هذا المناخ قارياً ـ بل وانتقالياً بين

مناخ غرب أوروبا والمناخ شبه الصحراوي في وسط آسيا.

المناخ شبه القطبي والقطبي:

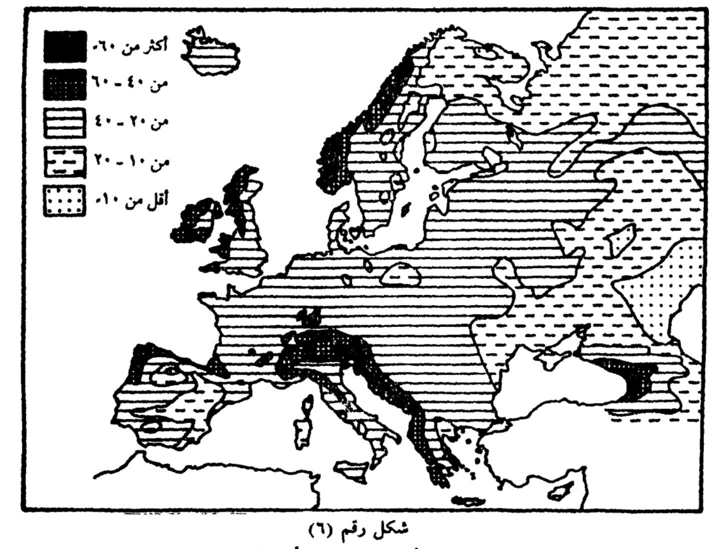
ويسود هذا المناخ في الأطراف الشمالية للقارة حيث الشتاء الطويل القارس البرد والصيف القصير المعتدل البارد نوعاً ومن ثمَّ يكون الفصل الخالي من الصقيع قصيراً لا تنمو به إلاَّ بعض النباتات التي تتحمل البرودة ويتغطّى هذا المناخ شبه القطبي بالغابات الصنوبرية. وإلى الشمال من هذا المناخ يسود مناخ التندرا حيث الظروف المناخية شديدة القسوة لا تسمح إلاَّ بنمو بعض الطحالب والأعشاب والشجيرات المنخفضة، وليست هناك فواصل حادة بين المناخ شبه القطبي والقطبي حيث توجد ظروف متشابهة في منطقة الانتقال بينهما.

جدول رقم (٢)

الحرارة والأمطار في بعض المحطات المناخية في غرب أوروبا

(الحرارة بالدرجة المئوية والأمطار بالبوصة)

المحطة	متوسط درجة الحرارة		السنة	كمية الأمطار السنوية	عدد أيام سقوط	
	يناير	يوليه			المطر	الثلج
١ ـ مناخ البحر المتوسط:						
جبل طارق	١٢,٨	٢٢,٨	١٧,٧	٣٦,٥	٨٤	-
نابولي	٨,٣	٢٤,٤	١٦,١	٤١,٦	١١٢	١
أثينا	٨,٩	٢٦,٧	١٧,١	١٤,٥	٩٩	٦
٢ ـ مناخ غرب أوروبا: (الساحلي البحري):						
بيرجن	١,١	١٤,٤	٧,١	٨٣,٤	٢٠٦	٣٨
لندن	٣,٩	١٧,٢	٩,٧	٢٥,٤	١٦٧	١٣
باريس	٢,٨	١٨,٣	١٠,١	٢٠,٨	١٦٢	١٤
٣ ـ مناخ وسط أوروبا القاري:						
برلين	- ١,١	١٨,٩	٩,٤	٢٠,٨	١٥٢	٣٤
بوخارست	- ٢,٨	٢٢,٨	١١,٣	٢٤,٢	١٠٦	٢٣
ستكهلم	- ٢,٩	١٦,٤	٥,٧	٤٢,٢	١٦٨	٥٨
فينا	- ١,٥	٢٠,١	٩,٦	٤٩,٣	١٥٣	٣٢
٤ ـ المناخ شبه القطبي والقطبي:						
هاباراندا (السويد)	- ١١	١٦	١,٥	٢٢,٠	١٤٥	٧٧
فاردو (النرويج)	- ٥	٩	١,٥	٢١,٠	١٤٥	٧٧



شكل رقم (٦)

توزيع الأمطار السنوية في أوروبا

النبات الطبيعي:

تعدُّ قارة أوروبا أكثر قارات العالم التي شهدت تغييرات، جذرية في غطائها النباتي الطبيعي، وذلك لأنَّ الإنسان استقرَّ بها وزرع أراضيها منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة، وحوَّل معظم سهولها إلى أراض زراعية وبدأ الاستيطان البشري في مناطق الغابات فأزال مساحات ضخمة منها وإن كانت الغابات الشمالية لم تشهد التعمير إلَّا حديثاً جداً.

وتشمل الغابات حوالي ٣٠٪ من مساحة أوروبا، وقد زرع جزء كبير من هذه الغابات حديثاً في الأراضي التي تقل قيمتها وفائدتها للزراعة المحصولية، وتضم إسكنديناوه مساحة كبيرة من الغابات الطبيعية وتكون الأخشاب عنصراً هاماً من عناصرها الاقتصادية. وقد تبنت دول أوروبية عديدة مشروعات إعادة تشجير الغابات Aforestation وغرست أنواعاً عديدة سريعة النمو من الأشجار المخروطية في مناطق التربات الضعيفة الخصوبة نسبياً والتي لا تصلح للزراعة العلمية الحديثة، وأهم المناطق التي شهدت هذا النوع من التشجير إقليم اللاندز Landes في جنوب غرب فرنسا ومناطق المروج الرطبة Heath في بلجيكا وألمانيا وهولنده وفي الحشائش المستنقعية Moors في بريطانيا.

وعلى العموم يمكن تقسيم النبات الطبيعي في أوروبا الغربية إلى ثلاثة أقسام كبرى أبرزها غابات البحر المتوسط التي تتكون من أشجار عريضة الأوراق دائمة الاخضرار تأقلمت مع الظروف المناخية وخاصة فصل الجفاف الطويل نسبياً، وهي في جملتها من نوع الأدغال Scrub Forests التي تتكون من أشجار متوسطة الارتفاع أو قصيرة أهمها البلوط Oak والفلين Cork والزيتون، وتمتاز بأنَّ جذوعها مغلَّفة بقشور سميكة وبأوراق صغيرة سميكة متصلبة، ومن الأشجار المهمَّة أيضاً شجرة القسطل (Chestnut) والغار Laurel وبعض أنواع الأشجار المخروطية مثل الأرز Cedar والسرو Cypress والكافور، وذلك كله إلى جانب أحراج كثيفة تتغطَّى بها الأرض في بعض المناطق وتتخلَّلها أحياناً

شجيرات قصيرة وتشتهر هذه الأحراج باسم الماكـي Maqui، وفضلاً عن هذه النباتات الطبيعية يشتهر إقليم البحر المتوسط بصلاحيته لغرس أشجار الفاكهة التي أهمها الموالح والمشمش والكمثري والتفاح والخوخ والتين واللوز والكروم.

أمّا النطاق النباتي الثاني فيتمثل في نطاق الغابات الشمالية المعـروفة بغابات الأشجار الصنوبرية ذات الأوراق الأبرية مثل الصنوبر Pine والشربين Fir والراتنجSpruce والبتولا Birch (شجر القضبان) وهي أشجار دائمة الخضرة معظم أخشابها من النوع اللين. وقد استغلّت هذه الغابات على نطاق واسع في شمال أوروبا خاصة في السويد والنرويج وفنلنده حيث تقطع الأشجار عادة في فصل الشتاء ثمّ تجر على الجليد إلى مجاري الأنهار وتترك حتى تنقلها المياه إلى المصب بعد ذوبان الجليد.

أمّا المجموعة الثالثة من الغابات فهي الغابات النفضية التي تسود في غرب أوروبا، وكانت تغطي فيما مضى معظم دول غرب أوروبا ووسطها ولكن نظراً لازدحام هذه البلاد بالسكان وزيادة الطلب على الغذاء فقد أزيلت من مناطق واسعة وحلّت محلها زراعة بعض المحاصيل التي أهمها القمح والبطاطس والبنجر والأعلاف الخضراء.

أمّا نباتات المروج الرطبة Heath والحشائش المستنقعية فتسود في مناطق السهول والأراضي التلالية أو المموجة في غرب القارة، وقد تحولت في معظمها إلى أراض زراعية كما استغلت في الرعي، وتمتد هذه الحشائش امتداداً متقطعاً في شمال أوروبا ونتج بعضها عن سوء استخدام الأرض خاصة في بعض مناطق البحر المتوسط.

الأنهار الأوروبية:

تخترق قارة أوروبا شبكة كثيفة من الأنهار التي تنبع في معظمها من مجموعة السلاسل الجبلية الألبية وتنحدر إمّا إلى حوض البحر المتوسط أو البحر الأسود وإما شمالاً إلى البحر البلطي وبحر الشمال (شكل رقم ٧) وتتحدّد



شكل رقم (٧)

الأنهار الرئيسية في أوروبا

خصائص الأنهار الأوروبية بطبيعة الأرض التي تجري فوقها وبنوع المناخ السائد، فمعظم الأنهار التي تنحدر إلى البحر المتوسط قصيرة تنحدر بشدَّة من الجبال إلى البحر واستخدامها في الملاحة قليل للغاية حيث أنَّ كثيراً منها ينخفض مستوى مائة كثيراً في فصل الصيف الجاف وهي أقل انتظاماً في تصريفها من أنهار شمال غرب أوروبا وذلك راجع إلى التوزيع غير المتوازن للأمطار السنوية في نمط مناخ البحر المتوسط، فهي غالباً ما تفيض بالمياه أثناء الفترات غزيرة الأمطار في الخريف والشتاء ولكنها قد تصبح مجار هزيلة في فصل الصيف الجاف.

وعلى النقيض من ذلك الأنهار الشمالية التي تغذيها مياه الأمطار الدائمة حيث تعظم مياهها وتفيض في فصل الشتاء الذي يقل فيه معدَّل التبخر، ولكن تستمر صلاحية الأنهار الكبيرة منها للملاحة حتى في أشد فصول الصيف جفافاً.

وأهم الأنهار البحر متوسطية نهر الرون الذي ينبع من سويسره ويجري عبر جنوب شرق فرنسا إلى البحر المتوسط، وقد عمق مجراه الأدنى لتحسين الملاحة النهرية به وتتباين الأنهار الرئيسية في شبه جزيرة إيبيريا في نظام جريانها ولا تصلح للملاحة إلاَّ في مجاريها الدنيا مثل نهر تاجه Tagus ودورو Doro وإبرو Ebro ويكاد نهر البو Po في شمال إيطاليا يكون النهر الوحيد بين الأنهار التي تصب في البحر المتوسط والذي يعظم جريانه وتزداد مائيته ويستخدم في الملاحة طوال السنة.

أمَّا أكثر أنهار أوروبا أهمية فهو نهر الراين الذي يعدُّ أكثر أنهار أوروبا صلاحية للملاحة وأكثرها استخداماً، ويصرف مع روافده مياه معظم شرق فرنسا وغرب ألمانيا. ونهر الراين صالح للملاحة من الميناء النهرية (بازل) في سويسره وحتى يصب في بحر الشمال، وتربط القنوات نهر الراين وروافده بكثير من أنهار وسط وغربي أوروبا، فقناة الموزل تربط الراين بمنطقة خام الحديد في اللورين الفرنسية، وقد تمَّت هذه القناة سنة ١٩٦٤، كما تربط قناة (ميتلاند

Mittlland) التي تمتد بعرض الأراضي الألمانية خلال السهل الشمالي لنهر الراين ومنطقة الرور بأنهار ألمانيا الأخرى: الفيزر والألب والأودر.

أمّا نهر الدانوب، فهو أطول أنهار أوروبا وينبع من مجموعة الجبال الألبية ويخترق جبال الكربات عبر بافاريا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا ثمّ يفصل بين جبال الكربات وجبال البلقان في منطقة الحدود الرومانية والبلغارية حتى يصب في البحر الأسود. ويعد نهر الدانوب (الطونة) من أعظم أنهار أوروبا من حيث إمكانيات الملاحة به ولكن قلل من هذه الإمكانيات تلك الانقسامات السياسية التي شهدتها أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية بين أوروبا الشرقية الشيوعية وأوروبا الغربية الرأسمالية ونظراً لأنّه يجري بين غرب القارة وشرقها وليس هناك ثمّة تبادل تجاري كبير بين هذين الاتجاهين فقد تضاءلت أهميته في الملاحة النهرية بالقارة وإن كان يستغل حالياً إلى درجة كبيرة كشريان رئيسي للنقل النهري بين الاتحاد السوفيتي وبعض دول الكتلة الشرقية.

التربة:

نتجت التربة في أوروبا ـ شأنها في ذلك شأن الأقاليم الجغرافية الأخرى ـ عن تفاعل معقد بين الظروف المناخية والحياة النباتية والتصريف المائي وصخور القشرة ثمّ بتدخل الإنسان لاستغلالها عبر آلاف السنين. فقد أدّى ازدحام السكان إلى الضغط على الأراضي وإزالة الغابات وإعداد المدرجات الجبلية لزراعتها وكذلك تسميد التربات الضعيفة واستصلاح المستنقعات بل واقتطاع أراض من البحر وتجفيفها.

وعلى العموم تعدُّ التربات في أوروبا الغربية متوسطة الخصوبة، وهناك منطقتان رئيسيتان من التربات الخصبة إحداهما في الجنوب الشرقي والأخرى في غرب الأقاليم الوسطى من القارة. وأخصب الأنواع تلك التي ترتفع فيها نسبة الجير وكذلك التربات الفيضية وتربات اللويس التي ذرتها الرياح (في العصور الجليدية) ثمّ التربة السوداء الغنية بالمواد العضوية والتربة الحمراء (الترا روسا Terra Rossa) ثمّ حديثاً التربات البركانية. وتسود التربات الغنية في السهل

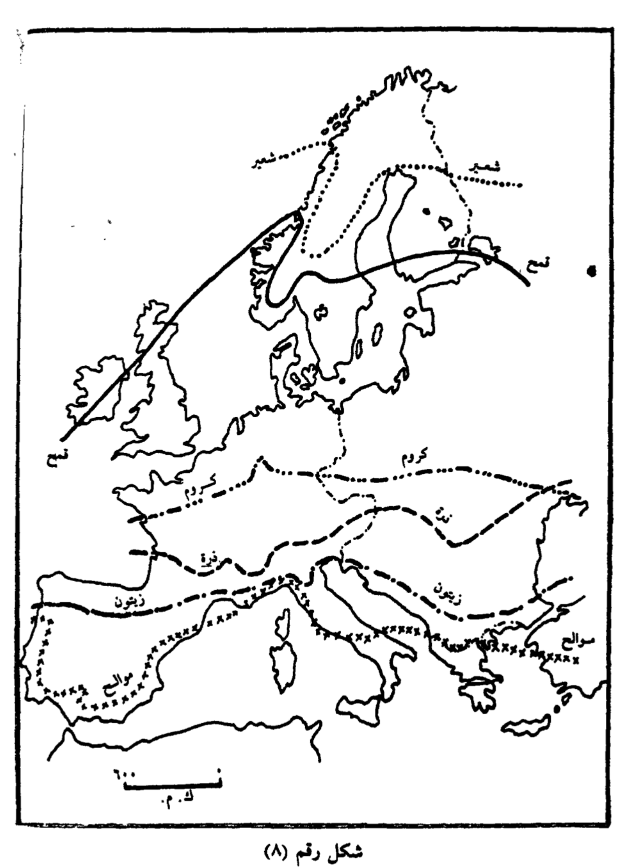
الأوروبي الذي لم يتأثر بالجليد، وكذلك حول مرتفعات وسط أوروبا، وتربة اللويس في وسط ألمانيا. أمّا التربة الفيضية فتتباين في خصوبتها وأعلى مناطقها خصوبة توجد في سهل البو والأودية الدنيا لأنهار الرين والرون والأنهار القصيرة الأخرى في غرب القارة. أمّا تربة البحر المتوسط فهي تربة حمراء وإن كانت تتخللها تربات بركانية خصبة أو تربات فيضية في أودية الأنهار التي تنتهي إلى البحر المتوسط.

وتسود التربات الفقيرة في شمال أوروبا حيث الأمطار الأغزر والصرف السيء، وتشبه في ذلك التربة الرملية والسهول التي تعرضت للتعرية الجليدية.

وقد انعكست خصوبة التربة في بعض المناطق في غرب أوروبا على المظاهر الحضارية مثل توزيع كثافة السكان والتحضر وتوفر فائض للغذاء، فتوجد منطقة تربة خصبة في كل دولة من الدول المزدحمة بالسكان تقريباً بالقارة، وغالباً ما تكون هذه المنطقة قلب الدولة الاقتصادي والسياسي، وقد استغل الأوروبيون أرضهم بذكاء وتقدم اعتماداً على وسائل التقنية الحديثة رغم ضغط السكان بدرجة تدعو إلى استيراد الغذاء من الخارج.

الظروف الطبيعية والزراعة الأوروبية:

تصلح معظم أراضي أوروبا لممارسة الزراعة وإن كانت الأراضي الزراعية تتباين في خصوبتها وخصائص التربة بها حسب تباين الظروف المناخية وطبيعة الصخور التي اشتقت منها التربة والعوامل التي أثّرت فيها، (جدول رقم ٣)، فالأراضي الجبلية المرتفعة وبعض مناطق شمال اسكنديناوه لا تصلح للزراعة بسبب قسوة مناخها، أمّا في بقية أوروبا فيمكن تمييز إقليمين زراعيين كبيرين هما إقليم البحر المتوسط وإقليم شمال غرب أوروبا، ففي حوض البحر المتوسط يطول فصل النمو ليشمل معظم السنة بما فيها فصلي الشتاء والربيع وتنضج المحاصيل خلال أشهر الصيف الحارة شديدة الجفاف، وتعدُّ المحاصيل الشجرية مثل الزيتون ومحاصيل الكروم كالعنب أهم معالم الزراعة في هذا الإقليم، بينما تقل محاصيل العلف التي تذوي وتجف في فصل الصيف ومن ثمّ تقل ماشية الألبان وتعظم أهمية حيوانات أخرى مثل الأغنام والماعز، وتعدُّ الماعز



شكل رقم (٨)

الحد الشمالي لزراعة المحاصيل الرئيسية في أوروبا

جدول رقم (٣) بعض الخصائص الزراعية لدول غرب أوروبا سنة ١٩٨٣

الدولة	المساحة الكلية (كم٢)	نسبة الأراضي الزراعية (٪)	متوسط إنتاج الهكتار من الحبوب (كلغ)	نسبة العاملين بالزراعة (٪)	نصيب الزراعة من الناتج القومي ٪
إقليم البحر المتوسط:					
اليونان	١٣٢٠٠٠	٣٠	٣٣٨٣	٢٩	١٥
إيطاليا	٣٠١٠٠٠	٤٢	٣٥٦٤	١٣	٦
إسبانيا	٥٠٥٠٠٠	١٢	١١٦٦	١٨	٧
البرتغال	٩٢٠٠٠	٣٩	١٠٦٦	٢٦	١٢
مالطة	٣١٦	٤٣	٢٦٦١	٦	٥
إقليم القلب الأوروبي:					
فرنسا	٥٤٧٠٠٠	٣٢	٤٧٦٥	٨,٥	٤
بلجيكا	٣١٠٠٠	٢٧	٥٥٤٥	٣	٢
هولنده	٤١٠٠٠	٢٥	٦٧٤٩	٥	٤
لكسمبرج	٣٠٠٠	٢٦	٥٥٤٥	٥	٢
المانيا الاتحادية	٢٤٩٠٠٠	٣١	٤٨٥٨	٥,٥	٢
بريطانيا	٢٤٤٠٠٠	٢٩	٥٤١٢	٣	٢
إيرلنده	٧٠٠٠٠	١٤	٤٨٣٢	١٨	١٢
سويسره	٤١٠٠٠	١٠	٤٩٠٤	٧	٤
النمسا	٨٤٠٠٠	٢٠	٤٦٧٨	١٠	٥
إقليم نورديا:					
فنلنده	٣٣٧٠٠٠	٨	٢٩٢١	١١	٧
السويد	٤٥٠٠٠٠	٧	٣٥٨٨	٥,٥	٣
النرويج	٣٢٤٠٠٠	٣	٣٧٤٣	٨	٥
الدنمرك	٤٣٠٠٠	٦٣	٤٥٣٣	٧	٨
إيسلنده	١٠٣٠٠٠	٠,١	-	١٢	٢٤

المصدر: Atlas eco, 1984; Atlas Economique Mondial, PP. 52 - 255.

من الحيوانات الرعوية ذات التأثير المدمر على الحياة النباتية الطبيعية في هذا النطاق. وتعتمد مناطق محدودة في حوض المتوسط على الري خاصة في جنوب إسبانيا وإيطاليا.

أمَّا إلى الشمال من المرتفعات الألبية فيتناقص فصل النمو بالاتجاه شمالاً وشرقاً ويحد ذلك من عدد المحاصيل التي يمكن زراعتها (شكل رقم ٨) وتتميز الأطراف الشمالية الغربية للقارة بصيفها المعتدل وبشتائها الدافىء وأمطارها الوفيرة مما يساعد على نمو الحشائش ومحاصيل العلف ومن هنا تزداد أهمية ماشية الألبان ومنتجاتها خاصة في شمال غرب فرنسا وبريطانيا ودول البنلوكس وسكنديناوه. وتحدد الظروف المحلية للمناخ والتربة أنواع الغلات، ولكن بصفة عامة تشمل الزراعة في غرب القارة محاصيل الحبوب والبطاطس والبنجر ومحاصيل العلف والكتان، وتعدُّ الخضر من أهم الغلات الزراعية بالقرب من المدن، وتزرع الخضر المبكرة والبطاطس والزهور للتصدير لأسواق المدن البعيدة في بعض الجهات الملائمة كما هو الحال في جنوب فرنسا وفي الأجزاء الدافئة نوعاً في جنوب غرب الجزر البريطانية.

الأقاليم الصناعية في أوروبا:

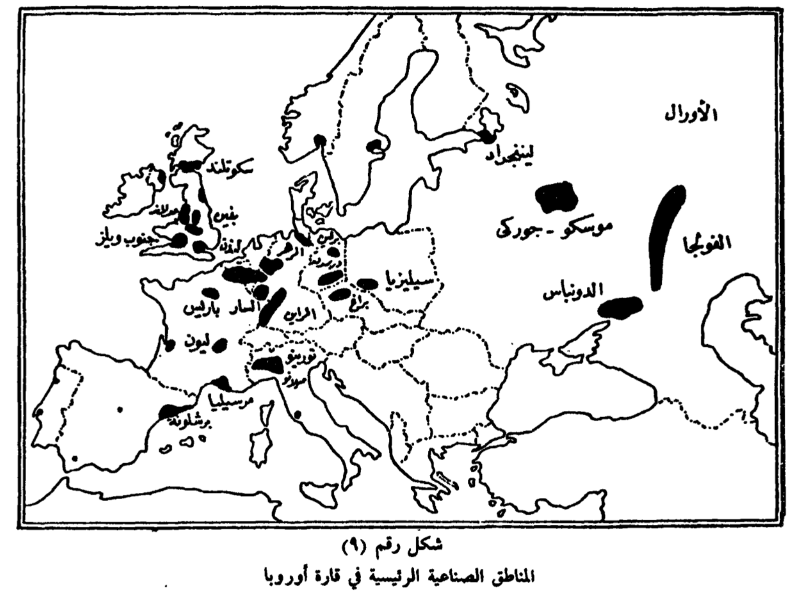
تعدُّ أوروبا الغربية مهد الصناعة الحديثة في العالم، فقد نمت بها الصناعة وأنشئت المصانع منذ نهاية القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد سبقت إنشاء شبكات السكك الحديدية وقامت بالقرب من المجاري المائية الصالحة للملاحة النهرية وكذلك من الموارد الطبيعية كالحديد وحقول الفحم التي كانت تمدُّها بمعظم حاجتها من الوقود، وقد انتشرت الصناعة وتزايد توزيعها في مناطق متفرقة وذلك نتيجة تحسن طرق النقل والمواصلات واستخدام موارد بديلة من مصادر القوى والوقود، ولكن رغم ذلك ما زالت معظم الصناعات التحويلية تتركز في مناطق حقول الفحم أو بالقرب منها وعلى المستوى العالمي تسهم أوروبا الغربية بنحو ربع الإنتاج الصناعي في العالم وقرابة

جدول رقم (٤) أهم الدول الصناعية في غرب أوروبا بالمقارنة مع باقي الدول الصناعية في العالم سنة ١٩٨١

الدولة	جملة الإنتاج الصناعي (مليار دولار)	٪ من الإنتاج الصناعي في العالم	كمية إنتاج الصلب (مليون طن)	٪ من العالم
المانيا الاتحادية	٣٩٧	٧,٨	٤٧	٦,٣
فرنسا	٢٦٠	٥,١	٢٥	٣,٤
المملكة المتحدة	٢٢١	٤,٣	١٢	١,٦
إيطاليا	١٧٤	٣,٤	٢٩	٣,٩
إسبانيا	٩٠	١,٨	١٣	١,٧
هولنده	٦٧	١,٣	٥	٠,٧
السويد	٥٤	١,١	٤	٠,٥
سويسره	٤٤	٠,٩	-	-
بلجيكا	٤٢	٠,٨	١٨	٢,٤
الجملة	١٣٤٩	٢٦,٥	١٥٣	٢٠,٦
الولايات المتحدة	١١٩٢	٢٣,٥	١١٣	١٥,٢
الاتحاد السوفيتي	٨٣٩	١٦,٥	١٤٩	٢٠,٠
اليابان	٥٥٥	١٠,٩	١١٤	١٥,٣
باقي دول العالم	١١٤٢	٢٢,٦	٢١٥	٢٨,٩
جملة العالم	٥٠٧٧	١٠٠,٠	٧٤٤	١٠٠,٠

المصدر:

- Beaujeu - Garnier, J. Et Al, Images Econoiques du Monde, 1983.
- Le Nouvel Observateur, Faits et Chiffres 1983.



شكل رقم (٩)
المناطق الصناعية الرئيسية في قارة أوروبا

خمس الإنتاج العالمي من الصلب (جدول رقم ٤).

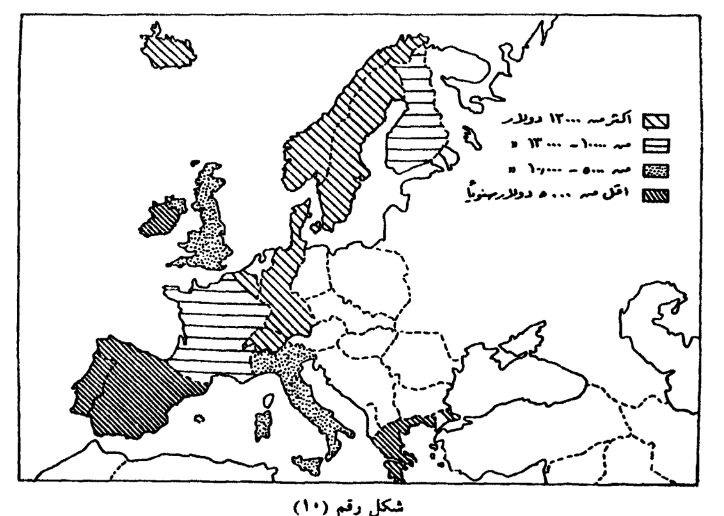
وتقع أهم حقول الفحم في نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق: من شمال انجلترا إلى أوكرانيا ويتركز فيها أو بالقرب منها معظم صناعات الحديد والصلب والمنسوجات بالمملكة المتحدة، وقسم كبير من الصناعات الثقيلة في فرنسا وكل الصناعات النسيجية والصناعات المعدنية في بلجيكا ثمَّ نمت بعد ذلك الصناعات التحويلية في ألمانيا بعد إنشاء السكك الحديدية بها، ولذلك توزعت الصناعات في ألمانيا مبكراً بصورة تفوق غيرها من دول غرب القارة التي نشأت فيها الصناعات مركزة في أقاليم محددة. وعلى ذلك يعدُّ إقليم الرور منطقة تركز صناعي كبرى في غرب ألمانيا وقد أصبحت حقول الفحم في الرور Ruhr وفي سيليزيا العليا أكبر الحقول الأوروبية وأعظمها إنتاجاً وأكبر مواقع تركز صناعات الحديد والصلب بالقارة. وتليها بعض المراكز الصناعية الأخرى الهامة في مناطق حقول الفحم في بلجيكا وشمال فرنسا وإقليم خامات حديد اللورين في شرق فرنسا. (شكل رقم ٩).

أمَّا الأقاليم الألبية وحوض البحر المتوسط فتفتقر إلى الفحم، ولذلك أصبحت القوى الكهرومائية أساس قيام الصناعة بها وخاصة في جنوب شرق فرنسا وفي سويسره وشمال إيطاليا. وقد نمت الصناعات التحويلية في تلك الجهات في فترة حديثة نسبياً لأنَّ الحصول على موارد القوى الكهرومائية بكميات كبيرة لم يصبح ممكناً إلاَّ في السنوات الأخيرة. وقد تزايدت أهمية البترول وأصبح منافساً خطيراً للفحم كمصدر للقوى في كل أوروبا وأصبحت دول القارة تعتمد على موارد البترول والغاز الطبيعي إلى حد كبير.

ويرتبط بالتقدم الصناعي والزراعي في غرب أوروبا ارتفاع نصيب الفرد من الناتج القومي بشكل واضح، حيث يصل نصيب الفرد الأوروبي نحو أربعة أمثال المتوسط العالمي، ومن الواضح أنَّ دول البحر المتوسط تحظى بأقل نصيب إذا ما قورنت بدول القلب الأوروبي والدول الإسكندنافية (جدول رقم ٥).

جدول رقم (٥) متوسط نصيب الفرد
من الناتج القومي سنوياً في دول غرب
أوروبا (بالدولار) سنة ١٩٨٣

الدولة	نصيب الفرد	الدولة	نصيب الفرد
إقليم البحر المتوسط:		إقليم نورديا:	
اليونان	٤٥٤٠	فنلنده	١٠٣٨٠
إيطاليا	٦٨٣٠	السويد	١٤٥٠٠
إسبانيا	٥٧٧٠	النرويج	١٣٨٠٠
البرتغال	٢٥٣٤	الدنمرك	١٢٧٩٠
مالطة	٣٩٧٠	إيسلنده	١٢٥٥٠
		المتوسط الأوروبي	١٠٠٢٥
إقليم القلب الأوروبي:			
		المتوسط العالمي	٢٧٥٤
فرنسا	١٢١٣٠		
بلجيكا	١١٩٨٠		
هولنده	١١١٤٠		
لكسمبرج	١٣٩٠٠		
ألمانيا الاتحادية	١٣٥٢٠		
بريطانيا	٨٩٥٠		
إيرلنده	٥٣٥٠		
سويسره	١٧١٥٠		
النمسا	١٠٢٥٠		



شكل رقم (١٠)

متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي سنوياً في دول غرب أوربا (١٩٨٣)

سكان غرب أوروبا

يقدَّر عدد سكان أوروبا (باستثناء الاتحاد السوفيتي) بنحو ٤٨٩ مليون نسمة سنة ١٩٨٣ أي حوالي ١٠٪ من سكان العالم موزعين بين دول أوروبا الغربية التي يسكنها ٣٥٢ مليون نسمة، وأوروبا الشرقية وسكانها ١٣٧ مليون نسمة. ويبدو توزيع السكان غير عادل في أجزاء القارة، وإن كانوا يميلون إلى التركز في نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق ينحصر بين إسكنديناوه من ناحية وبين جبال الألب والبحر المتوسط من ناحية أخرى. وتقل الكثافة السكانية نسبياً خارج هذا النطاق: في مرتفعات الألب وحوض البحر المتوسط باستثناء بعض الأودية النهرية المزدحمة بها مثل سهل البو وسهل إبرو وجنوب فرنسا في وادي الرون. وفي هذه الأقاليم تزيد الكثافة على ٢٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع.

ويتَّفق ارتفاع الكثافة السكانية إلى حد ما مع إقليم التربات الغنية والزراعة المتقدمة ولكن العامل الرئيسي في توجيه هذه الكثافة العالية هو وجود الأقاليم الصناعية التي يعمل بها معظم السكان وإلى ما يرتبط بالصناعة من أنشطة وخدمات، كذلك ترتبط الكثافة العالية بحقول الفحم في القارة التي قامت الصناعات عندها، وذلك كله بالإضافة إلى بعض العوامل الأخرى التي تؤثر في ارتفاع الكثافة السكانية كالعوامل التاريخية والحضارية وموقع المواد الخام والنقل.

والناظر إلى خريطة الكثافة السكانية في أوروبا الغربية يجد أنَّها تتباين تبعاً لاختلافات خصوبة التربة ومدى سهولة المواصلات، فهي ترتفع نوعاً ما في شمال وغرب فرنسا وفي جزء كبير من السهل الأوروبي الشمالي وعلى امتداد حوض الدانوب. أمَّا إلى الشمال من دائرة عرض ٦٠° شمالاً فإنَّ قسوة المناخ تحد من الزراعة وتكاد تجعل النشاط الصناعي متعذراً ومن ثم تقل كثافة السكان قلَّة ملحوظة.

وبالرغم من الحقيقة المعروفة من أنَّ أوروبا قد شهدت هجرة خارجة على نطاق واسع في القرنين الأخيرين ـ بخلاف أي قارة أخرى إلَّا أنَّها أكثر القارات ازدحاماً (تعد آسيا أكثر سكاناً إلَّا أنَّ بها مناطق واسعة تخلو من السكان) وقد يكون ارتفاع كثافة السكان في أوروبا راجعاً إلى أنَّها لا تضم مناطق صحراوية جافة، مع صغر المساحة الواقعة في النطاق البارد في شمالها ثمَّ توافر الموارد المعدنية الطبيعية والغابات والتربة الخصبة في نطاق العروض الوسطى. كذلك فإنَّ سكان هذه القارة موزعون توزيعاً غير عادل ومع ذلك فإنَّها أكثر القارات تجانساً في توزيعهم بالمقارنة بباقي القارات، ويرجع ذلك إلى ضآلة مناطق التخلخل السكاني فيها. وبصفة عامة فإنَّ منطقة الكثافة السكانية العالية بها تمتد من وسط بريطانيا عبر شمال شرق فرنسا والأراضي المنخفضة وتستمر حتى الحدود الغربية للاتحاد السوفيتي وهناك مناطق أخرى ذات كثافة عالية مثل حوض البو في إيطاليا وحوض الرون الأدنى في فرنسا (شكل رقم ١٠).

وتبدو درجة التباين في مستويات الكثافة إذا ما قورنت بعض الدول بغيرها، فتعتبر هولنده أكثر الدول كثافة حيث تصل بها إلى ٣٤١ نسمة في الكيلو متر المربع وتليها بلجيكا (٣٢٤) وألمانيا (٢٤٥) وبريطانيا (٢٢٩) وإيطاليا (١٨٩) ثمَّ فرنسا (٩٨). بينما تقل الكثافة بشكل واضح بالاتجاه شمالاً حتى تصل إلى ١٣ نسمة في الكيلو متر المربع في النرويج و١٤ في فنلنده (جدول رقم ٦).

ويرتبط توزيع السكان في أوروبا بعامل التضاريس حيث تعد المناطق السهلية أكثر ملاءمة للسكنى مما ترتب عليه تركز واضح للسكان، وأوضح الأمثلة على ذلك تلك المنطقة السهلية الممتدة من غرب فرنسا عبر الأراضي المنخفضة وشمال ألمانيا مشتملة على أجزاء من جنوب شرق إنجلترا وكذلك في مناطق السهول الصغرى مثل سهل البو وسهل الرون ومنخفضات جنوب إسبانيا، وقد تكون بعثرة السكان وتخلخلهم في المرتفعات الأوروبية هضاباً كانت أم جبالاً ناتجة عن برودتها بالنسبة للسهول المجاورة، مما يجعلها أقل

ملاءمة للزراعة ومن ثمَّ للتركز السكاني، كذلك يبدو أنَّ هناك ارتباطاً قوياً في شمال غرب أوروبا بين توزيع السكان وحقول الفحم والتي تتصل اتصالاً سهلاً بمناجم الحديد ونتناول ذلك بتفصيل أكثر فيما بعد.

على أنَّ المناطق المبعثرة السكان والقليلة الكثافة في أوروبا تشغل مساحات قليلة في القارة ويرتبط بعضها مباشرة بعامل الارتفاع والبعض الآخر بسوء التصريف المائي أو فقر التربة وتتمثل في مرتفعات الألب والبرانس والكربات ومعظم المرتفعات الأخرى، ومن الصعب أن نقرر أنَّ قلَّة سكان هذه المناطق راجع إلى طبيعة سطحها أو مناخها البارد، بل إنَّ هناك عوامل متعددة تشارك في هذه الظاهرة ويبدو أثر التضاريس واضحاً في البرتغال وإسبانيا، باستثناء منطقة مدريد فإنَّ أعلى كثافة سكانية تتركز في النطاق الهامشي في المنخفضات الفيضية.

ويمكن اتخاذ إيطاليا كمثل لتوزيع السكان في دولة أوروبية كثيفة السكان حيث يصل عددهم إلى ٥٦ مليوناً من البشر ويتوزعون توزيعاً غير عادل فوق رقعتها التي تتباين من السهول المستنقعية إلى المرتفعات الألبية، وتتكون إيطاليا في معظمها من أراض تلالية ومرتفعات جبلية وكلاهما لا يساعد على الزراعة الكثيفة، وبالرغم من الموارد المحدودة والهجرة نحو الخارج ومعدَّل المواليد المنخفض فإنَّ سكان إيطاليا يتزايدون بمعدل ١٠ في الألف سنوياً وإذا استمرَّ المعدل على ما هو عليه فإنَّ سكانها سيتضاعفون في خلال ٧٢ سنة.

ويتركز سكان إيطاليا في سهل البو شمالاً، كما توجد مناطق ثانوية لتركزهم في الجنوب وخاصة في سهول نابلي وفي بعض المناطق الساحلية في جزيرة صقلية، ويعد عامل السطح هاماً في تفسير هذا التوزيع ولكن كمية الأمطار الساقطة وموارد المياه الأخرى تعد عاملاً في هذا المجال، ففي سهل البو يتميز السطح في هذا الإقليم الفيضي الفسيح بالاستواء حيث تغذية روافد النهر التي أوجدت بيئة سهلية مناسبة للزراعة، كذلك فإنَّ كمية الأمطار الساقطة هنا

أكثف المناطق سكانا
مدن مليونية
مدن تزيد على ½ مليون نسمة

شكل رقم (١١)

المناطق الأكثف سكاناً في قارة أوروبا

كبيرة وأكثر من مثيلتها في باقي إيطاليا وخاصة في فصل الصيف عندما تساعد الظروف على الزراعة آنذاك، كما تساعد الروافد النهرية التي تتغذى من الثلوج الذائبة من مرتفعات الألب على قيام الزراعة مساعدة كبيرة، كما قامت بهذا السهل صناعات متعددة يمكن تفسير تركزها بسهولة الحصول على الطاقة الكهربائية المولدة من الماء وعوامل أخرى كتوفر القوى العاملة المدربة صناعياً.

ومع أنَّ كثافة السكان في سهل البو تزيد على ٢٥٠ شخص في الكيلو متر المربع إلَّا أنَّ هناك مناطق صغيرة في هذا الحوض قليلة السكان وتشمل الضفاف القريبة من المجرى والتي كانت الفيضانات وما ينتج عنها من آثار مدمرة وأوبئة قبل تحكم الإنسان فيها من أهم الأسباب التي أدَّت إلى ابتعاد التركز السكاني عنها واتجاهه شمالاً وجنوباً.

وكانت إيطاليا من المناطق الرئيسية للهجرة الخارجة في الماضي وذلك للتزايد السريع في السكان وضغطهم على الأرض الزراعية مما جعل الكثيرين يتجهون للهجرة إلى أقطار أخرى وخاصة الولايات المتحدة حيث يوجد بها في الوقت الحاضر قرابة المليون من مواليد إيطاليا وملايين أخرى من أصول إيطالية كذلك هاجر الإيطاليون إلى فرنسا وشمال إفريقيا والبرازيل والأرجنتين بأعداد كبيرة.

وفي النطاق شبه الجزري جنوباً وفي الجزر الإيطالية مثل صقلية وسردينيا فإنَّ مظاهر الحياة تختلف عن مثيلتها في سهل البو- ذلك لأنَّ هذه المناطق وإن كان يوجد بها أقاليم تزيد كثافة السكان بها على ١٢٠ نسمة في الكيلومتر المربع- إلَّا أنَّ معظم الأراضي جبلية المظهر وعرة التضاريس وتقل فيها المساحات الصالحة للزراعة والتي تقتصر على مناطق من السهل الساحلي ومع ذلك فهي كثيفة الإنتاج الزراعي ومتعددة المحاصيل، وجدير بالذكر أنَّ معظم الهجرات الخارجة من إيطاليا خرجت من هذه المناطق واتَّجه بعضها إلى سهل البو والآخر إلى دول أخرى.

جدول رقم (٦) بعض الخصائص السكانية
لدول غرب أوروبا ١٩٨٣

الدولة (مرتبة حسب حجم السكان)	عدد السكان بالمليون	كثافة السكان (نسمة / كم٢)	معدّل النمو السكاني ٪ سنوياً	نسبة سكان المدن٪
ألمانيا الاتحادية	٦١,٥	٢٤٥	- ٠,٢١	٨٣
إيطاليا	٥٦,٣	١٨٩	٠,٢٩	٥٩
المملكة المتحدة	٥٦,٠	٢٢٩	٠,٠٣	٧٤
فرنسا	٥٤,٦	٩٨	٠,٣٩	٧٣
إسبانيا	٣٨,٢	٧٥	٠,٨١	٦٤
هولنده	١٤,٤	٣٤١	٠,٤٥	٥٢
البرتغال	١٠,٠	١٠٧	٠,٦٩	٢٦
اليونان	٩,٩	٧١	٠,٧١	٦٥
بلجيكا	٩,٨	٣٢٤	٠,١٠	٩٥
السويد	٨,٣	١٨	٠,٠٦	٨٣
النمسا	٧,٥	٩٠	- ٠,٠٨	٥٥
سويسره	٦,٥	١٥٣	٠,٢٤	٥٨
الدنمرك	٥,١	١١٩	٠,١١	٨٣
فنلنده	٤,٨	١٤	٠,٤٥	٦٠
النرويج	٤,١	١٣	٠,٢٥	٧٠
إيرلنده	٣,٥	٤٨	١,١١	٥٦
لكسمبرج	٠,٤	١٣٨	- ٠,١٥	٦٨
مالطة	٠,٤	١٠١١	١,١٠	٩٤
إيسلنده	٠,٢	٢	١,١٢	٨٩

المصدر:

U. S. Dept. Of Commerce, World Population 1983, Washington D. C, 1983, PP. 454 - 517.

وذلك بالإضافة إلى الدويلات الأوروبية وهي لختنشتين وسكانها ٢٦٠,٠٠٠ نسمة، واندورا ٣٨٠,٠٠٠، وموناكو ٣٨,٠٠٠، وسان مارينو ٢٢,٠٠٠ نسمة، والفاتيكان (١٠٠٠ نسمة).

المجموعات اللغوية

يتكلّم سكان قارة أوروبا البالغ عددهم ٤٨٩ مليون نسمة نحو ٣٠ لغة بالإضافة إلى عدد كبير من اللهجات وقد كانت هذه المجموعات اللغوية من أهم العوامل التي أثّرت في تخطيط الحدود السياسية بالقارة، وتتكلّم الغالبية العظمى من شعوب أوروبا الحالية لغات تنتمي إما إلى المجموعة الرومانسية أو الجرمانية أو السلافية (شكل رقم ١٢)، وقد أخذت أهمية بعضْ هذه المجموعات اللغوية في التضاؤل مثل اللغات الكلتية Celtic القديمة بل واللغات الرومانسية التي يتكلمها بعض سكان الألب، ولم تعد أي منها تكون اللغة الرئيسية في أية دولة أوروبية، كما لم تصبح بعض هذه اللغات كاللغة القطالانية في إسبانيا والمقدونية في يوغسلافيا لغات رسمية إلاّ في عهد حديث للغاية بعد أن كانت من اللهجات المحلية فقط. وتوجد اللغات الكلتية اليوم بشكل متواضع في بعض أشباه الجزر الغربية البعيدة وتتمثل في البريتون في بريتاني (أقصى شمال غرب فرنسا) والويلش في ويلز (غرب بريطانيا)، والغالية الإيرلندية في إيرلنده والغالية الإسكتلندية في شمال غرب إسكتلنده، وفي كل هذه المناطق نجد الإنجليزية موجودة أيضاً كلغة ثانية، ذلك رغم قلّة عدد الذين يتكلّمون الكلتية بشكل مطلق حتى أنّهم يمثلون أقليات ضئيلة بين بقية السكان.

وتنتمي معظم اللغات الأوروبية إلى إحدى المجموعات اللغوية المنفصلة التالية:

١ ـ **اللغات الرومانسية**: وهي مشتقة من اللغة اللاتينية التي كانت أساساً لغة روما القديمة وانتشرت في حوض البحر المتوسط وما وراءه والجهات القريبة منه بواسطة جيوش الإمبراطورية الرومانية، ولم تحل اللاتينية بالضرورة محل لغات الشعوب التي خضعت لروما بل كان هناك تشجيع على تعلمها وبخاصة بين الطبقات العليا في كل ولاية رومانية، وسرعان ما أصبحت لغة شائعة في ميادين التجارة والإدارة والتعليم، وبمرور الزمن تطورت

الرومانية (أصل لاتيني)
السلتية
الباسك
الجرمانية - التيوتونية
الفنلندية - الاستونية
المجرية
السلافية
البلطيقية
اليونانية
الألبانية

شكل رقم (١٢)
المجموعات اللغوية في أوروبا

لهجات إقليمية من اللاتينية إلى اللغات الرومانسية الحالية وهي الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والرومانية بالإضافة إلى ذلك تشمل اللغات الرومانسية لغة الرومانس وبعض اللغات واللهجات الغامضة الأصل التي لا يزال يتكلمها بعض سكان الألب. ومن الواضح أنَّ كل لغة رومانسية تتمركز في دولة بعينها ولكن مع ملاحظة أنَّ حدود اللغة لا تتطابق مع حدود الدولة حيث توجد أقليات لغوية على الحدود المشتركة، فاللغة الإيطالية مثلاً تسود خارج إيطاليا في جزيرة كورسيكا (الفرنسية) وفي مدينة نيس الفرنسية وفي جنوب سويسره، كذلك امتدَّت اللغة الفرنسية إلى غرب سويسره وجنوب بلجيكا حيث تعرف هناك باسم الوالون.

ـ اللغات الجرمانية: ونشأت في إقليم البحر البلطي وانتقلت جنوباً إلى وسط أوروبا على أيدي الغزاة الألمان ثمَّ انتقلت غرباً إلى بريطانيا بواسطة جماعات الأنجلو ساكسون وشمالاً بطريق النرويج والسويد وعبر المحيط إلى إيسلنده ثمَّ انتقلت إلى غرب نهر الراين بواسطة الغزاة، وقد ظلَّ الحد الغربي للغات الجرمانية ثابتاً إلى حد كبير لعدَّة قرون، أمَّا حدها الشرقي فقد اعتراه التغيير كثيراً نتيجة لهجرات السكان. ومن الواضح أنَّ اللغتين الألمانية والإنجليزية هما أهم اللغات الجرمانية، وخارج ألمانيا تسود الألمانية في النمسا ولكسمبرج ولختنشتين والجزء الأكبر من سويسره، كما انتشرت كلغة حديث في إقليم الألزاس واللورين شرق فرنسا، وتطورت اللغة الهولندية كلغة وثيقة الصلة بالألمانية في شمال وغرب ألمانيا، كذلك أصبحت الفلمنكية Flemish التي تشبه الهولندية لغة شمال بلجيكا.

أمَّا اللغة الإنجليزية فقد اشتقت من العائلة الجرمانية وإن كانت تحوي كثيراً من التعبيرات والمفردات المشتقة من اللغة الفرنسية واللاتينية واليونانية وغيرها.

وعلى العموم يلاحظ أنَّ كل اللغات الحالية في شمال أوروبا (باستثناء اللغة الفنلندية ـ وهي لغة آسيوية) قد انحدرت من نفس اللسان الجرماني

القديم وكان التاج الدنمركي يحكم النرويج من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر ولذلك أصبحت اللغة الدنمركية لغة النرويجيين الأساسية مع شيء من التعديل الذي أدخل عليها.

٣ ـ **اللغات السلافية**: وقد انتشرت من النواة الرئيسية لبولنده الحديثة جنوباً إلى حوض الدانوب والبلقان وشرقاً حتى روسيا. وقد انتشرت أساساً عن طريق هجرات الشعوب السلافية في العصور الوسطى، وتشمل هذه المجموعة عدداً من اللغات الرئيسية أهمها: اللغة الروسية والأوكرانية والبولندية والتشيكية والسلوفاكية في تشيكوسلوفاكيا والصربية والكرواتية في يوغسلافيا والبلغارية.

٤ ـ **مجموعة اللغات الأورالية**: Uralic وهي لغات مشتقة من لغات وسط آسيا وحملها الغزاة إلى أوروبا وتمثلها اللغات المجرية والفنلندية والآستونية ولغات اللاب وغيرها من الجماعات شبه الرعوية في شمال أوروبا.

وبالإضافة إلى كل هذه اللغات التي نمت وانتشرت في العصور التاريخية توجد بعض اللغات الأخرى القديمة جداً (ترجع إلى ما قبل بدء عصور التاريخ المكتوب)، وتوجد في بعض المناطق الجبلية والأطراف المنعزلة وأبرزها اللغة الألبانية التي تمثل فرعاً من مجموعة لغات قديمة كانت منتشرة في الماضي في شبه جزيرة البلقان، ولغة الباسك التي يتكلم بها سكان القسم الغربي من جبال البرانس بين فرنسا وإسبانيا، وهي لا تنتمي إلى أي لسان معروف، وإن كانت قد استعارت كلمات عديدة من لغات أخرى.

المجموعات الدينية:

يلعب الدين دوراً هاماً في تشكيل طبائع وسلوك الشعوب وفي زيادة قوّة الشعور الوطني المحلي بالدول المختلفة، ولذا تعدُّ العقيدة الدينية كاللغة أحد مظاهر الحضارة البشرية، كما أنَّ توزيع العقائد الدينية مثل توزيع اللغات يعدُّ عاملاً هاماً في فهم تكوين النظم والعلاقات السياسية.

وتعدُّ قارة أوروبا ـ معقل الديانة المسيحية منذ العصور الرومانية وتدين الحضارة الأوروبية بالكثير للنفوذ المسيحي، ويعتنق معظم الأوروبيين مذهباً من مذاهب الديانة المسيحية، ويتفق توزيع هذه التقسيمات إلى حد ما مع المجموعات اللغوية فتسود الكاثوليكية بين الجماعات التي تتكلم اللغات الرومانسية في إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وشبه جزيرة إيبريا كذلك تسود في إيرلنده والنمسا والمجر وشمال يوغسلافيا ومعظم تشيكوسلوفاكيا وكل بولنده وجنوب ألمانيا وليتوانيا وجنوب هولنده وأجزاء من سويسره. أمَّا البروتستانتية التي نشأت في شمال ألمانيا فتعد العقيدة السائدة في الأراضي الإسكندنافية وفي فنلنده وهولنده وبريطانيا ولاتفيا واستونيا وأجزاء من المجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا.

أمَّا الأرثوذكسية (أو الكنائس الشرقية) التي انفصلت تدريجياً عن الكاثوليكية الغربية في أوائل العصور الوسطى، فتسود في شبه جزيرة البلقان.

وقد انتشر الإسلام في شبه جزيرة البلقان خلال فترة الحكم التركي التي امتدَّت فيها بين القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر، ويمثل الإسلام اليوم الديانة الرئيسية في ألبانيا وعقيدة الأقلية في يوغسلافيا وبلغاريا واليونان.

وبالإضافة إلى ذلك هناك أقليات يهودية في كثير من الأقطار الأوروبية ورغم أنَّ عدداً كبيراً من يهود أوروبا قد هاجر إلى إسرائيل بعد قيامها في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨ فإنَّ الأقليات اليهودية لا تزال نشطة في أقطار أوروبا خاصة أوروبا الغربية وفي بعض دول أوروبا الشرقية مثل رومانيا والمجر، وقد شهدت فرنسا وانجلترا تزايداً في أعداد المهاجرين اليهود من شرق أوروبا ومن شمال أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية.

الفصل الرابع

دول غرب أوروبا

رغم أنَّ إقليم غرب أوروبا يتميز بسمات متشابهة حضارياً واقتصادياً، إلاَّ أنَّه من المألوف تقسيمه إلى أقاليم أصغر حسب مواقع دوله في القارة، ويشتمل كل إقليم منها على عدَّة أقطار تتشابه إلى حد كبير في ظروفها الطبيعية المرتبطة بالسطح والمناخ والنبات الطبيعي، كما تتشابه في ظاهرات النشاط الاقتصادي والمستوى الحضاري. وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم دول غرب أوروبا إلى الأقاليم الأصغر التالية:

١ - إقليم البحر المتوسط:

ويضم الدول المطلَّة على البحر المتوسط والتي تتأثر في معظمها بظروفه المناخية وهذه الدول هي: اليونان وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال (شبه جزيرة إيبريا) ومالطة.

٢ - إقليم القلب الأوروبي:

ويشمل دول شمال غرب القارة التي تشغل في معظمها غرب السهل الأوروبي العظيم، وهي تمثل منطقة القلب الصناعي والاقتصادي لغرب أوروبا

وتضم: فرنسا وبلجيكا وهولنده ولكسمبرج (أي دول البنلوكس الثلاث)[1] وألمانيا الاتحادية وبريطانيا وإيرلنده. ويمكن أن نضيف إليها سويسره والنمسا وذلك رغم موقعهما المغلق في وسط القارة. وتعد فرنسا نموذجاً ممتازاً لدول نطاق القلب الأوروبي، فهي تتاخم المحيط الأطلسي في شمالها الغربي وتطل على البحر المتوسط في الجنوب، وتعكس أراضيها الشرقية خصائص إقليم وسط أوروبا من الناحيتين التضاريسية والمناخية.

٣ ـ إقليم نورديا:

ويضم دول الشمال الإسكندنافية وهي فنلنده والسويد والنرويج والدنمرك وإيسلنده، ويقع في أقصى شمال أوروبا مما جعله إقليماً يتمتع بنوع من العزلة والهامشية عن بقية القارة. ومع ذلك تتشابه دوله في كثير من الظاهرات الطبيعية والحضارية حيث اشتقت كل لغات نورديا من اللغة الجرمانية.

أولاً: دول البحر المتوسط

تشكل الدول الأوروبية المطلّة على البحر المتوسط أهمية خاصة للحضارة البشرية خاصة تلك التي انبثقت عن اليونان القديمة وإيطاليا (الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية) كذلك لعبت الدور الأكبر في تاريخ الكشوف الجغرافية وخاصة إسبانيا والبرتغال، وقد خرجت منهما تيارات ثقافية مؤثرة نحو العالم الجديد وصبغت أمريكا الوسطى والجنوبية بالثقافة اللاتينية. ويمكن تقسيم دول أوروبا الغربية المطلّة على البحر المتوسط إلى إقليمين ثانويين هما: اليونان وإيطاليا، ودولتا إيبيريا: إسبانيا والبرتغال.

١ ـ اليونان وإيطاليا

لعبت اليونان وإيطاليا منذ القدم دوراً حيوياً في الربط بين الحضارتين

(١) كلمة البنلوكس عبارة عن بداية أسماء الدول الثلاث باللغة الإنجليزية أي بلجيكا وهولنده ولكسمبرج. Belguim, Netherlands, Luxembourg.

الشرقية والغربية، وانبثقت منها حضارة دول أوروبا وتراثها الثقافي، ومع كل ذلك فإنَّ التكوين السياسي بشكله الحالي لكل من الدولتين يرجع إلى القرن التاسع عشر، فقد تكوَّنت دولة إيطاليا الحديثة سنة ١٨٦٠ عندما اتُّحدت الولايات الصغيرة المكوِّنة لها كنتيجة للحركات القومية، وحصلت اليونان على استقلالها سنة ١٨٣٠.

الإنتاج الزراعي:

يعمل حوالي ثلث السكان اليونانيين في الزراعة والغابات والصيد، وهي نسبة تفوق مثيلتها في أيَّة دولة من دول غرب أوروبا. ورغم تناقص الأهمية النسبية للزراعة وفي نسبة القوَّة العاملة فإنَّها ما زالت تسهم بنحو ربع قيمة الصادرات اليونانية كذلك يصل نصيب الزراعة إلى ١٥٪ من الناتج القومي سنة ١٩٨٣.

وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية في اليونان ٣٠٪ من المساحة الكلية التي تبلغ ١٣٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، وتوجد هذه الأراضي في مناطق متعددة حيث تتوفر الأمطار ويتوفر الري (شكل رقم ١٣). والمحصول الرئيسي هو القمح الذي يشغل نحو ربع المساحة المنزرعة ويسهم بالنصيب الأكبر في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب بل ويسمح الإنتاج بتصدير فائض للخارج، كذلك يزرع القطن والموالح والكروم والتبغ حيث يتزايد باستمرار تصدير كميات كبيرة منها خاصة الفاكهة والخضروات والنبيذ والتبغ.

أمَّا إيطاليا فتبلغ نسبة العاملين بالزراعة بها نحو ١٣٪ من جملة القوَّة العاملة ورغم أنَّ هذه النسبة تقل عن مثيلتها في اليونان فإنَّها تعدُّ من النسب المرتفعة بالمقارنة مع دول أوروبا الغربية الأخرى، وتسهم الزراعة بنحو ٦٪ من جملة الناتج القومي في إيطاليا. وتبلغ نسبة الأراضي الصالحة للزراعة قرابة ٤٠٪ من المساحة الكلية التي تصل إلى ٣٠١٠٠٠ كيلومتراً مربعاً. وتتركز في سهل البو ومناطق السهول في الوسط والجنوب (شكل رقم ١٤)، وقد استفادت الزراعة في سهل البو من إمكانيات التنمية التي أتاحتها المدن الصناعية بالإقليم

مثل ميلانو وجنوه، وقد تمثل ذلك في تنفيذ مشروعات عديدة مثل مشروعات الري والصرف والتسميد حتى أصبحت أراضي البو من أحسن الأراضي الزراعية في غرب أوروبا بعد أن كانت ذات إنتاج حدِّي منخفض.

وقد عملت الحكومة في إيطاليا على اتِّباع سياسة إصلاح زراعي لزيادة الإنتاج وتقليل الهجرة الريفية نحو المدن، فقد نفذت مشروعات لتجفيف المستنقعات وتطوير وسائل الري وتمليك الأراضي للفلاَّحين ومع ذلك كلّه ما زالت تيارات الهجرة مستمرة من المناطق الريفية خاصة من الجنوب الذي يعاني نقصاً حاداً في العمالة الزراعية.

وإيطاليا هي ثاني أكبر الدول في غرب أوروبا إنتاجاً للقمح والذرة (بعد فرنسا) وتعدُّ أكبر الدول المصدرة للنبيذ في أوروبا وقد اكتسبت في ذلك شهرة كبيرة. وبالإضافة إلى ذلك فقد تزايد الإنتاج الحيواني بفضل تحسين المراعي وتنمية الثروة الحيوانية، ومع ذلك تستورد إيطاليا كميات كبيرة من اللحوم والمنتجات الحيوانية.

موارد الثروة المعدنية:

تعدُّ اليونان ثاني أفقر دول أوروبا الغربية بعد البرتغال، فلا يتوفر بها سوى قدر محدود من الموارد وإن كان يوجد بها احتياطي كبير من فحم اللجنيت الذي يستخدم في توليد الطاقة الكهربائية من محطات تمد اليونان بنصف احتياجاتها من الكهرباء وقد بلغ إنتاجها من الفحم ٣٠ مليون طن بنسبة ٣٪ من الإنتاج العالمي سنة ١٩٨٣، كما يستخرج البترول من الرصيف القاري في بحر إيجه ويغطي إنتاجه (١,٤ مليون طن) نحو ١٠٪ من الاستهلاك المحلي وتستورد اليونان الباقي من الخارج وإن كانت هناك احتمالات مشجعة على زيادة إنتاج البترول والغاز الطبيعي بها في المستقبل. وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ اليونان تملك احتياطياً من البوكسيت يقدر بنحو مليار طن (ألف مليون طن) ويعدُّ هذا المورد أساساً لصناعة الألمنيوم للتصدير على هيئة معدن ومنتجات معدنية، وتنتج المناجم الرئيسية خامات من البوكسيت تحوي النيكل والرصاص

والفضة والحديد. وعلى العموم فإنَّ الثروة المعدنية في اليونان متواضعة لا تسهم إلاَّ بنحو ٢٪ فقط من الناتج القومي.

أمَّا إيطاليا فتأتي في المرتبة الرابعة بين دول أوروبا الغربية في إنتاج كل من الطاقة الكهرومائية والغاز الطبيعي. ويتركز إنتاج هذه الموارد في وادي نهر البو Po وفي صقلية، ولكن احتياطي الغاز الطبيعي الحالي يقدر أنَّه سينفد بانتهاء هذا القرن وذلك للاعتماد الشديد عليه حالياً والعمل على زيادة الإنتاج من الغاز (١٥ مليار متر مكعب، أي ١٪ من الإنتاج العالمي). أمَّا حقول البترول ومعظمها في صقلية فتنتج كميات صغيرة (٢ مليون طن) ولا تسهم في استهلاك إيطاليا من البترول إلاَّ بنسبة ضئيلة للغاية تصل إلى نحو واحد في المائة فقط. كذلك لا يتوفر في إيطاليا من الفحم إلاَّ كميات ضئيلة من النوع الرديء (اللجنيت). وبالإضافة إلى هذه الموارد المتواضعة من القوى والوقود فإنَّ إنتاج المواد الخام المعدنية في إيطاليا قليل هو الآخر، فكمية الحديد الخام قليلة والبوكسيت لا يكفي الاستهلاك المحلي ولكن تشذ إيطاليا عن كل هذا في إنتاج الزئبق حيث تعد من أوائل دول العالم المنتجة له إضافة إلى كميات متواضعة من الرصاص والزنك.

ومن ذلك يبدو أنَّ أيطاليا ليست قطراً معدنياً، فلا تسهم المعادن المستخرجة فيها بأكثر من ١٪ فقط من جملة الناتج القومي سنة ١٩٨٣.

الصناعة:

تستوعب الصناعة في اليونان ٢٩٪ من القوَّة العاملة وتسهم بنسبة ٣١٪ في الناتج القومي الكلي (١٩٨٣)، وتعتمد الصناعة في اليونان كقطر زراعي على تجهيز وتعبئة المنتجات الزراعية وذلك بالإضافة إلى بعض الصناعات الأخرى مثل المنسوجات والصناعات الكيماوية، وتتركز الصناعة في أثينا العاصمة كما تنتشر في المدن الأصغر الأخرى. وقد أنشأت اليونان أربعة معامل لتكرير البترول في ميناني بيريه وسالونيك للاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية وللتصدير، كذلك أنشئت صناعة الحديد والصلب لتقليل الواردات

منها إضافة إلى إقامة صناعة بناء السفن لتسهم في تدعيم أسطول اليونان التجاري (تعدُّ اليونان ثالثة دول العالم التي تملك أسطولاً بحرياً تجارياً وذلك من حيث الحمولة بعد ليبيريا واليابان).

ب - أمَّا إيطاليا فهي دولة صناعية كبرى تستوعب الصناعة بها ٣٨٪ من القوى العاملة كما تسهم في الناتج القومي الإجمالي بنسبة ٤١٪ وهي نسبة عالية تفوق مثيلتها في كثير من دول غرب أوروبا. وتتركز الصناعات الإيطالية بكثافة في شمال البلاد خاصة في سهل البو حيث المراكز الصناعية الرئيسية مثل تورينو وميلانو وجنوه. وقد حاولت الحكومة الإيطالية إعادة توزيع الصناعات في الجنوب لتقليل الهجرة الداخلية نحو مدن الشمال وكذلك لتقليل معدلات البطالة به. وتعتمد الصناعة على عدد كبير من الشركات الصغرى وذلك إلى جانب عدد من الشركات العملاقة العالمية مثل شركة فيات للسيارات وأوليفتي للأجهزة والآلات الحاسبة وآلات المكاتب وشركة إيني للبترول.

وتتميز الصناعة الإيطالية بالتعدد بشكل واضح ولكن أبرزها صناعة الصلب التي تعتمد على استيراد الخامات من الخارج، وتعد هذه الصناعة أساساً للعديد من الصناعات الهندسية والثقيلة خاصة صناعة السيارات والآلات المختلفة، وتتفوق إيطاليا في الصناعات الكيماوية التي تعتمد على المواد الخام المحلية مثل غاز الميثان والكبريت والأملاح والحجر الجيري والغاز الطبيعي الذي يعدُّ أساساً هاماً لإنتاج المخصبات الكيماوية.

وتحظى صناعة المنسوجات بأهمية كبرى بين الصناعات الإيطالية التي تصدر للخارج وتأتي إيطاليا في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة واليابان في إنتاج الأجهزة المنزلية مثل البرادات (الثلاجات) وآلات الغسيل والتبريد وغيرها التي تسود في أسواق السوق الأوروبية المشتركة كما تتفوق في صناعة الآلات الكاتبة وآلات المكاتب. كذلك تحتل السيارات الإيطالية (فيات) مكانة كبيرة في سوق السيارات العالمية فهي تمثل نحو خمس إنتاج السوق الأوروبية المشتركة

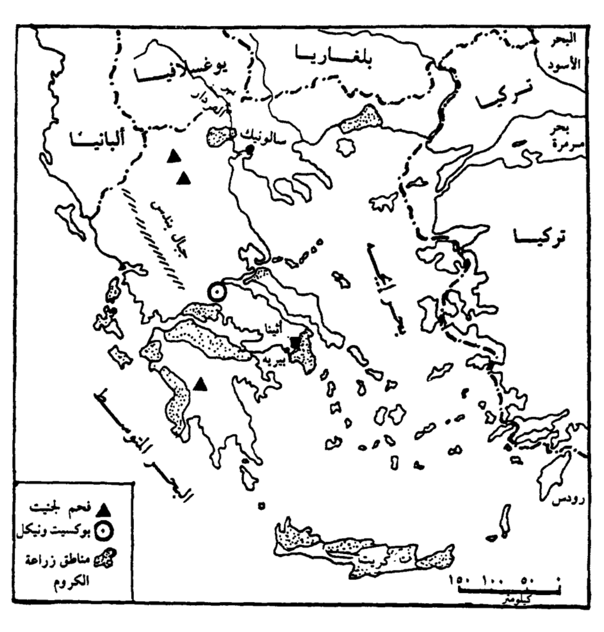
وقد أقامت لها فروعاً في بعض الدول مثل يوغسلافيا وإسبانيا وتركيا، كما أنشأت مصانع كاملة للسيارات في بولنده والاتحاد السوفيتي وتشترك في صناعة السيارات في دول أخرى مثل مصر وتركيا.

السكان والعمران:

تزايد سكان اليونان من حوالي ثلاثة أرباع المليون عند الاستقلال سنة ١٨٣٠ إلى نحو ١٠ مليون نسمة في الوقت الحاضر. ويعيش نحو ثلث هذا العدد في مجمعة أثينا بينما تتناقص الكثافة بشدَّة في المناطق الجبلية. واليونان كدولة شبه جزرية وجبلية تتناثر فيها بؤرات كثافة سكانية عالية في السواحل والمناطق الداخلية.

ويتميز الشعب اليوناني بالحركة والهجرة، فقد هاجرت أعداد ضخمة في أوائل هذا القرن إلى العالم الجديد خاصة الولايات المتحدة، وتعدُّ اليونان في الوقت الحاضر من الدول المصدرة للقوى العاملة شأنها في ذلك شأن دول النطاق الجنوبي لأوروبا وهي البرتغال وإسبانيا وإيطاليا ويوغسلافيا. وقد قدِّر أنَّ نحو نصف مليون يوناني يعملون في دول السوق الأوروبية المشتركة خاصة في ألمانيا الاتحادية. وتعد العمالة اليونانية في الخارج أساساً هاماً لاقتصاديات اليونان ويمكن أن يترتب على عودتها المفاجئة مشكلات حادة إذا ما قررت حكومة ألمانيا الغربية إعادة هؤلاء المهاجرين إلى وطنهم بسبب الركود الاقتصادي الذي يسود بها.

وتعد أثينا أكبر مدن اليونان حيث بلغ سكانها ٣,٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٣ وتمثل مع مينائها بيريه مجمعة مدنية كبرى تتعدد فيها الوظائف. ويليها مدينة سالونيك (٣٠٠,٠٠٠ نسمة) وهي الميناء الرئيسي لشمال اليونان، وتتحكم في طريق المورافا ـ الفردار وتقع إلى الشرق من دلتا الفردار بعيدة عن رواسب النهر التي يوجهها التيار الساحلي إلى الغرب.



شكل رقم (١٣)
اليونان

أمّا سكان إيطاليا الذين يبلغ عددهم ٥٦ مليون نسمة فيتركزون في مناطق عالية الكثافة أبرزها سهل البو حيث المدن الصناعية الكبرى، وفي وسط إيطاليا حيث مدينة روما العاصمة بسكانها الذين يبلغ عددهم ٣ مليون نسمة، وقد شهدت إيطاليا هجرات سكانية ضخمة نحو الخارج خففت من الضغط السكاني على أراضيها إلى حد كبير، كما لعبت الهجرة الداخلية دوراً كبيراً في نمو سكان الشمال حيث تتجه تيارات الهجرة من الأقاليم الجنوبية الفقيرة إلى روما وشمالاً البلاد.

وتقوم مدينة روما على عدد من التلال البركانية وقد أعطاها أهميتها القديمة وقوعها عند مصب نهر التيبر Tiber، أكبر الأنهار الإيطالية وموقعها المتوسط بالنسبة لطول شبه الجزيرة رغم أنَّ قلب إيطاليا الآن سواء في نواحي تكاثف السكان أو توفر الثروة وانتشار التعليم يوجد في السهل الشمالي. ولم يقع الاختيار على روما في سنة ١٨٧٠ لتكون عاصمة إيطاليا الموحدة إلا لمنزلتها الخاصة في التاريخ الإيطالي وحتى عهد غير بعيد كانت أصغر من ميلانو ونابولي ولكن مركزها كعاصمة للبلاد ساعد على نموها السريع فأصبحت أكثر مدن إيطاليا سكاناً. وقد أصبحت من المدن العالمية ذات التأثير الحضاري الضخم ممثلاً في دورها كمقر للكنيسة الكاثوليكية الرومانية (الفاتيكان). وتوضح الأرقام التالية أكبر مدن إيطاليا سكاناً:

روما	٣٠٠٠٠٠٠ نسمة
ميلانو	١٧٠٠٠٠٠ نسمة
نابولي	١٢٥٠٠٠٠ نسمة
تورينو	١٢٠٠٠٠٠ نسمة
بالرمو	٧٠٠٠٠٠ نسمة



شكل رقم (١٤)

إيطاليا

أهم مشكلات البيئة:

تعاني اليونان وإيطاليا من مشكلات بيئية مرتبطة بأنماط استخدام الأرض والموارد وما ترتب على ذلك من مشكلات أبرزها تعرية التربة في المنحدرات الجبلية وكذلك مشكلات التلوث التي ارتبطت بالتطور الصناعي في هذه الأقطار. وقد نجحت اليونان في حل بعض مشكلات البيئة حيث اتبعت سياسة إعادة تشجير الغابات Reforestation لتقليل أثر التعرية في المنحدرات الجبلية، وقد اعتمدت في ذلك على زراعة أشجار سريعة النمو مثل اليوكالبتوس Eucalyptus وذلك للتحكم في عملية التعرية وتنمية الغابات للاعتماد عليها مستقبلاً في صناعة لب الورق والحصول على الأخشاب.

أمّا إيطاليا فتعاني من مشكلات بيئية أبرزها مشكلة تلوث السواحل بشدّة من مياه الصرف الصحي للمدن الساحلية ومخلفات المصانع وقد فقدت كثير من الشواطىء السياحية قيمتها لهذا السبب.

وتشترك اليونان مع إيطاليا في أهمية السياحة في اقتصادياتها حيث تتمتعان بمناخ البحر المتوسط الدافىء شتاء وتستقبل الدولتان ملايين السياح للاستمتاع بشمس الشتاء ومشاهدة روائع التراث الحضاري في كل من الدولتين وخاصة في أثينا وروما، كذلك جذبت شواطىء الدولتين الملايين للاستمتاع بالبحر صيفاً. وأدّى ذلك إلى تنمية صناعة السياحة بها وتوفر الخدمات العديدة التي أدّت إلى تزايد معدلات النمو السياحي ودور السياحة في الاقتصاد القومي.

٢ ـ أيبيريا

تنقسم شبه جزيرة إيبيريا إلى دولتين هما: إسبانيا وسكانها نحو ٣٨ مليون نسمة والبرتغال وسكانها حوالي ١٠ مليون نسمة، وتعدُّ إسبانيا دولة فقيرة بالمقاييس الأوروبية وإن كان نصيب الفرد من الدخل القومي بها يزيد عن مثيله في البرتغال بنسبة ٧٠٪ وتشترك الدولتان في كثير من مظاهر التراث الحضاري وفي دورهما خارج شبه جزيرة إيبيريا منذ الكشوف الجغرافية والإمبراطوريات

الاستعمارية، كما تتشابهان في اللغة والثقافة والتاريخ ويكونان معاً إقليماً ثانوياً من أقاليم غرب أوروبا، وتبدو شبه جزيرة إيبيريا - والتي يطوق البحر بحوالي ٨/٧ محيطها وتحيط جبال البرانس بالأجزاء الباقية منها - وكأنها أكثر الأقسام الجغرافية وضوحاً في أوروبا.

ويتكون معظم شبه الجزيرة من هضبة الميزيتا (الهضبة الوسطى) التي تمتد فيها السلاسل الجبلية كما تطوقها الجبال أيضاً من الشمال والجنوب. أمّا السهول الساحلية الصغيرة التي تحف بشبه الجزيرة وخاصة في الغرب والشرق فهي سهول تفصلها الظاهرات التضاريسية عن بعضها وعن هضبة الميزيتا. وأبرز السلاسل الجبلية في شمال إيبيريا - جبال البرانس التي تمتد لمسافة ٤٢٠ كيلومتراً بين البحر المتوسط وخليج بسكاي وبمتوسط اتساع معدله نحو ١٣ كيلومتراً وأعلى قممها قمّة أنيتو Pic D,Aneto (٣٣٥٠ متراً) وينبع منها بعض روافد نهر أبرو. وتكون البرانس - خاصة الوسطى - حاجزاً مناخياً فاصلاً، فبينما يتمتع الجانب الفرنسي بكمية من المطر الغزير طول العام لا يصيب الجانب الإسباني إلاّ القليل منه. ولذا أصبح اعتماد السكان في هذا الجانب الأخير قائماً على رعي الأغنام والماعز، كما بدأت تشهد تنمية في استغلال مواردها المائية. وتشقها خطوط النقل بين إسبانيا وفرنسا وتنتمي كل هذه الأراضي الشمالية إلى مناخ غرب أوروبا المعتدل الساحلي ذي المناخ البحري. وحالت جبال البرانس وجبال كنتبريان وهضبة الميزيتادون توغله في داخل شبه الجزيرة. ويتميز هذا الإقليم بحرارته المعتدلة مع ميل إلى البرودة في الشتاء.

- أمّا البرتغال فهي في مجموعها جبلية خاصة في الشمال حيث يجري نهر دورو في واد ضيّق، وتجري الأنهار الرئيسية الثلاثة: دورو وتاجه ووادي.يانه على الهضبة الإسبانية قبل أن تدخل البرتغال، وتقع لشبونه على مصب نهر تاجه وهي عاصمة البرتغال وأكبر مدنه (شكل رقم ١٥).

أمّا السهول الساحلية الشرقية في شبه جزيرة إيبيريا وما يتصّل بها من سهول في حوضي نهر أبرو والوادي الكبير فتنتمي إلى مناخ البحر المتوسط

وتتكون السهول الساحلية في الواقع من عدد من المناطق الزراعية المنعزلة تحول الهضبة الوسطى (الميزيتا) دون امتدادها نحو الداخل وتفصلها عن بعضها نتؤات جبلية، ولما كانت هذه السهول واقعة في ظل الهضبة فقد أصبح مطرها قليلاً وكان لا بدَّ من الاعتماد على الري.

الزراعة:

تبلغ نسبة الأراضي الزراعية في البرتغال نحو ٤٠٪ من المساحة الكلية التي تصل إلى ٩٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، وتغطي الغابات والحشائش والمروج نسبة كبرى من هذه المساحة، ورغم وفرة الأمطار في الشمال إلَّا أنَّها تقل في الجنوب حتى أنَّ بعض الأقاليم الجنوبية تعاني الجفاف في بعض السنوات حيث تصل الأمطار بها إلى خمس الكمية التي تسقط في الشمال. وقد أدَّى ذلك إلى الاهتمام بالري في هذه المناطق.

ويعمل بالزراعة في البرتغال نحو ٢٨٪ من جملة القوَّة العاملة بها كما تسهم الزراعة بنسبة ١٢٪ من الإنتاج القومي، ومع كل ذلك لا يكفي الإنتاج الزراعي الاستهلاك المحلي مما يضطر البرتغال إلى استيراد كميات كبيرة من الحبوب والأغذية، والقمح، وهو أهم الحبوب الغذائية المزروعة وكذلك الذرة ويزرع الأول في الجنوب الجاف ويسود الثاني في الشمال حيث تسقط الأمطار في فصل الصيف، وتعدُّ البرتغال من الدول الكبرى في إنتاج النبيذ الذي يصدر بكميات ضخمة إلى الأسواق الأوروبية وأمريكا الشمالية. ويلي النبيذ في الأهمية الزيتون وزيته ثمَّ أنواع مختلفة من الفاكهة والفلين، واتجهت البرتغال إلى البحر مبكراً وقد وسعت من مياهها الإقليمية لتمتد حوالي ٢٠٠ ميلاً وذلك بفضل سيطرتها على جزر الآزور وماديرا وساعدها ذلك على تنمية حرفة صيد الأسماك التي تنتج منها نحو ثلث مليون طن سنوياً.

أمَّا في إسبانيا فلا تمثل الزراعة إلَّا ٧٪ فقط من الناتج القومي السنوي، ويعمل بها ١٨٪ من جملة القوَّة العاملة. وقد بلغت مساحة الأرض الزراعية بها نحو ١٢٪ من مساحة البلاد التي تصل إلى حوالي ١,٢ مليون كيلو متر مربع.

وتتركز الزراعة في السهول الساحلية وفي أودية الأنهار مثل أبرو والوادي الكبير حيث تعتمد الزراعة في مساحات واسعة من أراضيها على الري. وكذلك الحال في سهول الوادي الكبير Guadalquivir أو سهول الأندلس والتي تمثل منطقة من أغنى المناطق الإسبانية ومن أهم مراكزها العمرانية قرطبة وقادش وإلى الجنوب منها يقع جبل طارق مفتاح البحر المتوسط، وهو شبه جزيرة صخرية تحتلها بريطانيا منذ سنة ١٧٠٤ ولا يزيد عدد سكانها على ٣٠,٠٠٠ نسمة، وتقع مدينة جبل طارق على الجانب الشرقي لشبه الجزيرة وهي محطة بحرية هامة من الناحيتين التجارية والعسكرية وتشرف على مضيق جبل طارق الذي يبلغ اتساعه نحو ٣٢ كيلومتراً فقط.

وأهم ما يلاحظ على السهول الساحلية والداخلية في إسبانيا عزلتها عن بعضها البعض من جهة وعزلتها عن الهضبة من جهة أخرى وقد أدّى هذا إلى خلق كثير من المشكلات السياسية إذ أنَّ الجهات الساحلية نظراً لغناها تزدحم بسكانها وهي في الوقت نفسه بعيدة عن العاصمة مدريد ويشجع ذلك على قيام الحركات الانفصالية وكان أهمها الحركة القطالونية التي ساعد على قيامها عزلة هذه الجهات وانفرادها بلهجة خاصة مميزة.

وعلى أيّة حال فإنَّ الأقاليم الداخلية والجنوبية تقل بها الأمطار مما يؤدي إلى الاعتماد الكبير للزراعة على الري. ومع ذلك فإنَّ متوسط إنتاجية الأرض أدنى من مثيله في بقية أقطار أوروبا الغربية (باستثناء البرتغال)، وتسهم الزراعة بتغطية معظم الاستهلاك المحلي، كذلك تعمل إسبانيا على تنمية الصيد من مياهها الإقليمية، ومن البحار المجاورة وقد بلغت الكمية التي تمَّ صيدها ١,٣ مليون طن متري سنة ١٩٨٢، (٢٪ من الإنتاج العالمي).

موارد الثروة المعدنية:

كانت إسبانيا منذ عهد الفينيقيين ـ وما تزال «مستودعاً» للثروة المعدنية الفلزية، فهي من الدول الرئيسية في إنتاج الزئبق والنحاس والرصاص والبوكسيت والفضة وقد أقامت صناعة للحديد والصلب اعتماداً على الخامات

المحلية وإن كانت تستورد كميات إضافية من الحديد الخام من الخارج، وكذلك تستورد الفحم وذلك لأنَّ الفحم المحلي رديء النوع وتوجد طبقاته في تكوينات جيولوجية يصعب استغلالها، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ إسبانيا دولة فقيرة في إنتاج البترول حيث ينتج بكميات متواضعة قرب برجوس Burgos في حوض نهر أبرو ومن الرصيف القاري المجاور ولا يكفي الإنتاج الذي يصل إلى نحو ٣ مليون طن فقط ـ سوى ١٠٪ من الاستهلاك المحلي وكذلك الغاز الطبيعي الذي يستخرج بكميات تسهم بنحو عشر الاستهلاك المحلي أيضاً.

وتملك إسبانيا احتياطيات ضخمة من اليورانيوم، وقد شرعت في إنشاء محطات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية منها اعتماداً على اليورانيوم المتوفر محلياً، وقد أقامت بالفعل بعض المحطات التي تنتج حالياً نحو ٨٪ من إنتاج الكهرباء المستهلكة في إسبانيا. ومع كل ذلك فإنَّه رغم تعدد الثروة المعدنية وتواضع موارد القوى والوقود فلا تسهم موارد الثروة المعدنية المستغلة سوى بنسبة واحد في المائة فقط من الناتج الإسباني القومي ويتمثل إنتاجها الرئيسي من المعادن في الفضة والزنك والزئبق والرصاص.

أمَّا في البرتغال فموارد الثروة المعدنية ضئيلة للغاية وأهمها خام التنجستن وخام الحديد واحتياطي قليل من النحاس والقصدير والفحم ولا تنتج البترول أو الغاز الطبيعي وإن كانت نشطة في البحث عنها في أراضيها. وربما كان اليورانيوم أهم الموارد المستغلة حيث تعد البرتغال ثالثة الدول الأوروبية في إنتاجه (بعد فرنسا وإسبانيا). كذلك فقد نجحت البرتغال في استغلال نهر دورو في توليد الطاقة الكهرومائية والتي تمثل نحو نصف الكهرباء المستغلة في البلاد.

الصناعة:

تعدُّ إسبانيا من الدول التي شهدت تطوراً صناعياً كبيراً في العقود الأخيرة، فقد تضاعف الإنتاج الصناعي بها تقريباً عمَّا كان عليه في أوائل السبعينات (قفز إنتاج الصلب مثلاً من ٧,٤ مليون طن ١٩٧٠ إلى ١٢,٩

مليون طن سنة ١٩٨٢)، وتحمي القوانين الإسبانية الصناعات المحلية بفرض ضرائب عالية على الاستيراد من الخارج، ولا شك أنَّ هذه السياسة تصطدم بقيود السوق الأوروبية المشتركة التي تحاول إسبانيا جاهدة الانضمام إليها (تقرر قبولها ابتداء من أوَّل يناير ١٩٨٦). وتتفوق إسبانيا في عدد وفير من الصناعات أبرزها صناعات السفن والسيارات وتكرير البترول والكيماويات، وقد تطور إنتاج الصلب الإسباني منذ الخمسينات ولكن الاستهلاك منه تزايد بشكل حاد لدرجة جعلت إسبانيا تستورد كميات كبيرة منه من الخارج. كذلك تطورت الصناعات الكيماوية بدرجة كبية وارتبطت بتكرير البترول وبعض المواد الخام المحلية. وتستوعب الصناعة الإسبانية ٣٥٪ من جملة القوَّة العاملة وتسهم بنسبة ٣٦٪ في الناتج القومي.

أمَّا الصناعة في البرتغال فعمادها المنسوجات والملابس وإن كانت تلقي منافسة شديدة من دول أخرى نامية مثل البرازيل والهند والفلبين، كذلك تقوم بها صناعة الصلب وإن كانت تواجه مشكلات الاعتماد على الخارج لاستيراد فحم الكوك، ورداءة الخامات المحلية من الحديد. وقد تطورت صناعة بناء السفن في البرتغال مثل إسبانيا وبدأت تتخصص في إصلاح السفن، وقد تركزت هذه الصناعة في ميناء لشبونة Lisbon العميق والواسع والمطل على خطوط الملاحة الدولية حيث ناقلات النفط التي تتجه إلى غرب أوروبا، وقد استفادت من هذا الموقع بدرجة كبيرة.

السياحة:

تعدُّ السياحة في إسبانيا والبرتغال من مصادر الدخل القومي الرئيسية، بل إنَّ العائدات النسياحية في أسبانيا تجعلها في المركز الأول بين الدول الأوروبية في السياحة (٤٢ مليون سائح أنفقوا ٧,٤ مليار دولار سنة ١٩٨٢) ولذلك تسهم السياحة بأكثر من نصف عائدات النقد الأجنبي في إسبانيا، كذلك تتميز بأنَّ الدخل الصافي للسياحة في صالح إسبانيا بدرجة كبيرة حيث ينفق الإسبان قليلاً جداً في السياحة خارج بلادهم، وذلك مقابل ما يحققونه من دحل كبير

من السياحة الأجنبية الوافدة إلى بلادهم (الميزان السياحي هو الفرق بين الإنفاق السياحي في الخارج وعائدات السياحة الوافدة التي تصب في الداخل - وهو - كالفرق بين الدخل والمنصرف يبين مدى ما تحققه الدولة أو تخسره في السياحة الدولية).

وتقع إسبانيا والبرتغال فيما يعرف بنطاق الشمس السياحي في جنوب أوروبا حيث يلعب الطقس المشمس في جنوب إسبانيا والبرتغال الدور الأكبر في جذب ملايين السياح من دول شمال غرب أوروبا الصناعية التي تتلبد سماؤها بالغيوم بصفة شبه دائمة وتنخفض حرارتها شتاء مما يدفع الكثيرين إلى جنوب إسبانيا والبرتغال لقضاء عطلاتهم، ويتكرر نفس الأمر في فصل الصيف حيث تجذب الشواطىء المشمسة ملايين المصطافين من غرب أوروبا لقضاء عطلاتهم الصيفية.

وقد تفوقت إسبانيا في توفير العوامل التي تجذب السياح إليها من الدول الصناعية وقد تجلّى ذلك في انخفاض تكاليف السفر والإقامة بها حتى أصبحت السياحة بها من نوع سوق الأفواج السياحية الضخمة Mass Market Tourism وقد ساعدت على تنمية كثير من الصناعات اليدوية والخدمات المرتبطة بها خاصة وسائل النقل والمواصلات وأصبحت بعض المناطق مثل كوستادل سول Costa Del Sol وكوستا برافو Costa Bravo من أشهر الأماكن السياحية في العالم. ومن المتوقع تزايد أهمية السياحة في الاقتصاد الإسباني في المستقبل. أمّا البرتغال فيبلغَ حجم الحركة السياحية بها نحو عشر الحركة السياحية في إسبانيا ولم تصل بعد إلى مرحلة سوق الأفواج السياحية الضخمة.

بعض المشكلات الاقتصادية:

رغم أنَّ إسبانيا تعتمد على دخل سياحي ضخم وعلى عائدات كبيرة من العمالة الإسبانية في الخارج وترتبط باتفاقية تفضيلية مع دول السوق الأوروبية المشتركة، وساعد ذلك كله على تطور اقتصادي كبير بها منذ أوائل السبعينات، رغم ذلك يواجه الاقتصاد بها مشكلات كبيرة أبرزها الاعتماد الكبير على

واردات البترول من الخارج، ويمكن أن تتزايد هذه المشكلات حدَّة إذا تناقصت السياحة لأسباب معينة أو عاد المهاجرون من الخارج.

أمَّا البرتغال فكانت تعتمد على فوائض استثماراتها في مستعمراتها السابقة وعلى العائدات المحولة من العاملين البرتغاليين في الخارج وذلك لتحقيق توازن في ميزانها التجاري ومواجهة الواردات الضخمة. ولكن تغيرت هذه الأوضاع في الوقت الحاضر، فقد حصلت مستعمراتها الإفريقية على الاستقلال، ورغم أنَّ هناك مجالاً لزيادة الدخل السياحي فإنَّ البرتغال تعاني بشدَّة من استيراد البترول بأسعاره العالمية، وينبغي أن تطور من الزراعة والصناعة بها حتى يمكن أن تحقق مستوى معيشياً مرتفعاً.

وتسعى إسبانيا والبرتغال لتقوية علاقاتها مع دول السوق الأوروبية المشتركة وقد وافقت هذه الدول على انضمام الدولتين إلى عضوية السوق ابتداء من يناير ١٩٨٦، بالإضافة إلى ذلك تعمل الدولتان على زيادة روابطهما مع دول أمريكا اللاتينية اعتماداً على علاقاتها التاريخية والثقافية معها.

السكان والعمران:

تعدُّ إسبانيا من أكبر دول غرب أوروبا في معدَّل النمو السكاني بها حيث يصل إلى ٠,٦٪ سنوياً ومن المتوقع أن يتزايد حجم السكان بها من ٣٨ مليون نسمة في الوقت الحاضر إلى نحو ٤٥ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠. وتلعب الهجرة الخارجة دوراً هاماً في الوضع الديموغرافي، فقد قدِّر أنَّ حوالي مليون إسباني قد هاجروا للخارج بحثاً عن العمل خاصة في دول السوق الأوروبية المشتركة. أمَّا الهجرة الداخلية فهي مرتفعة وتتجه تياراتها من المناطق الريفية إلى المدن والمناطق السياحية الساحلية.

وتعاني إسبانيا من مشكلات التمزق السكاني الثقافي والسياسي، وليس ذلك وليد القرن العشرين بل يرجع إلى قرون مضت ومنذ القرن الخامس عشر

عندما توحدت البلاد تحت حكم الملك فرديناند وإيزابيلا (ارتبط اسمهما برحلة كولومبس الشهيرة إلى أمريكا). ويعيش القطالان Catalans في إقليم قطالونية في الشمال الشرقي وعاصمتهم برشلونه ويعتبرون أنفسهم مختلفين تماماً عن بقية المجتمع الإسباني في الشمال الغربي أو في الأندلس جنوباً. وقد كان اختيار مدريد عاصمة في موقع متوسط داخل البلاد يهدف إلى ربط الأقاليم وسيطرة العاصمة عليها وكذلك لتجنب النزعات القومية الانفصالية وعدم تركيز الوظائف السياسية والاقتصادية في عواصم القوميات الأخرى مثل برشلونه وساراجوزا Saragoza في الشمال الشرقي أو سيفيل Seville في الجنوب. ومع كل ذلك ما زالت هناك حركات انفصالية قوية أهمها حركة شعب الباسك Basque في المناطق الجبلية في الشمال والتي تهدف إلى الاستقلال عن الدولة. وشعب الباسك ذو حضارة متميزة يتحدَّث لغة الباسك التي لا تنتمي إلى الإسبانية وما زالت الحكومة المركزية مترددة في منح هذا الشعب حكماً ذاتياً حتى لا يشجع ذلك بقية الجماعات القومية على الانفصال.

ويعدُّ إقليم قطالونية أكثر أقاليم إسبانيا تقدماً، حيث ازدهرت به كثير من الصناعات التحويلية، وقد كان هذا الإقليم ولا يزال المعارض التقليدي لإقليم هضبة الميزيتا المحافظ والمتخلف نسبياً، وقد ارتبط التباين الثقافي في إيبيريا باختلاف اللهجات واللغات السائدة، فاللغة الإسبانية القشتالية يتكلَّم بها كل سكان هضبة الميزيتا وعلى طول امتداد الحافات الغربية بها تسود لهجات غاليسيا Galicia والتي ترتبط ارتباطاً باللغة الإسبانية والتي نشأ عن أحد فروعها اللغة البرتغالية. وتسود اللهجة القطالونية (الكاتلان) على سواحل البحر المتوسط بينما تسود اللهجات الأندلسية في الجنوب، ولغة الباسك في المناطق الجبلية في الشمال.

ويتركز السكان في السهول الساحلية وأودية الأنهار في الشمال الغربي والشرق والجنوب، وتعد مدريد العاصمة أكبر مدن إسبانيا حيث يربو عدد سكانها على ٣ مليون نسمة، ويليها برشلونه (١,٧ مليون) على الساحل

الشمالي الشرقي ثمَّ بلنسية Valencia وسيفيل Seville وساراجوزا Saragoza، وتبين الأرقام التالية أحجام المدن الإسبانية الكبرى:

مدريد	٣,٢٠٠,٠٠٠ نسمة
برشلونه	١,٧٤٢,٠٠٠ نسمة
بلنسيه	٧٤٠,٠٠٠ نسمة
سيفيل	٦٠٧,٠٠٠ نسمة
ساراجوزا	٥٧٠,٠٠٠ نسمة

أمَّا في البرتغال فلا تسود نزعات قومية انفصالية كتلك السائدة في إسبانيا، ولكن مشكلات السكان بها من نوع آخر أبرزها كيف تنظم حياتها الاقتصادية والاجتماعية بعد فقدان امبراطوريتها في إفريقيا (انجولا وموزمبيق)، وقد عاد من هذه المستعمرات التي استقلت نحو مليون برتغالي أو ١٠٪ من جملة سكان البرتغال في نهاية السبعينات، وقد أحدث ذلك ضغطاً كبيراً على موارد البلاد وإمكانياتها.

ويعدُّ مستوى المعيشة في البرتغال أدنى مستوى بين دول غرب أوروبا (وإن كان يفوق معظم دول العالم النامي) وتلعب الهجرة الخارجية للأيدي العاملة البرتغالية دوراً كبيراً في اقتصاديات البرتغال من خلال ما يرسله المهاجرون من تحويلات مالية، ورغم أنَّ البرتغال دولة سياحية إلَّا أنَّ عائدات العاملين البرتغاليين المرسلة من الخارج تفوق عائدات السياحة بها، وقد بدأت أسواق العمل في غرب أوروبا في الاستغناء عن أعداد كبيرة من العمال الأجانب ومنهم البرتغاليين والإسبان وبدأت أعداد منهم في العودة إلى بلادهم وما سيترتب على ذلك من مشكلات اقتصادية واجتماعية. وتعد مجمعة لشبونه Lisbon (١,٦ مليون نسمة) أكبر مدن البرتغال يليها مدينة بورتو Porto (١,٣ مليون نسمة) وتقع عند مصب نهر دورو.



شكل رقم (١٥)
اسبانيا والبرتغال

ثانياً: إقليم القلب الأوروبي

يعدُّ إقليم القلب الأوروبي واحداً من أعظم مناطق التركز العمراني الحضري والصناعي في العالم، ويضم بالتحديد شمال فرنسا وألمانيا الاتحادية ودول البنلوكس وبريطانيا، وهو يمثل في الواقع النواة الجغرافية والاقتصادية والحضارية في غرب أوروبا، وقد قامت فرنسا وبريطانيا وألمانيا بالأدوار القيادية في هذا الإقليم بل وفي «أوروبة» العالم، وشهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً اقتصادياً ضخماً وأصبحت بعض دوله مثل ألمانيا الاتحادية من أقوى الدول الصناعية في العالم، وتكون دول هذا الإقليم أساس السوق الأوروبية المشتركة التي انبثقت عمّا عرف باسم جماعة الفحم والصلب (European Coal And Steel Community) سنة ١٩٥١ (ضمّت هذه الجماعة ست دول هي

فرنسا وألمانيا الاتحادية وإيطاليا وبلجيكا ولكسمبرج وهولنده) وذلك لتنمية إنتاج الفحم والحديد والصلب وخلق التكامل فيما بينها بالنسبة لهذه الموارد وتخفيض تكاليف إنتاجها، وبعد نجاح هذا المشروع اتفقت هذه الدول الست على تكوين ما يعرف بالجماعة الاقتصادية European Economic Community أو ما اشتهر باسم «السوق الأوروبية المشتركة E E C». وذلك بهدف الإلغاء التدريجي للتعرفة الجمركية وغيرها من القيود التجارية على السلع الصناعية والزراعية، وكذلك على حركة انتقال العمال ورأس المال ومن ثمّ تصبح الدول الست وحدة اقتصادية تحكم تجارتها مع العالم الخارجي مجموعة مقننة من التعريفة الجمركية والحصص وغير ذلك من النظم التجارية.

وقد استطاعت دول السوق المشتركة أن تحقق نجاحاً مرموقاً رغم بعض المشكلات التي اعترضتها، وقد أصبحت قوّة اقتصادية ضخمة تقارن بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بل وزاد نموها بشكل كبير في السنوات الأخيرة خاصة بعد أن انضمّت إليها كل من المملكة المتحدة وإيرلنده والدنمرك في يناير ١٩٧٣ ثمّ اليونان بعد ذلك في يناير ١٩٨١ وبذلك أصبحت دول السوق العشر القوّة الاقتصادية الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة.

موارد الثروة المعدنية:

رغم توفر عدد وفير من الموارد الاقتصادية في إقليم القلب الأوروبي، فإنّ اعتماده على الأسواق الخارجية في الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة به يعدُّ أمراً هاماً في اقتصادياته كذلك فإنّ التكامل بين دوله أسهم في تبادل كثير من المواد الخام المحلية وخاصة موارد الوقود، ويبدو ذلك واضحاً في اعتماد فرنسا على ألمانيا الاتحادية في جلب كميات كبيرة من الفحم من إقليم الرور (شكل رقم ١٦) بينما تتوفر لديها خامات الحديد خاصة في منطقة اللورين، وكانت فكرة التبادل بين الفحم والحديد وراء مشروع شومان (Robert Schuman الفرنسي) للاستفادة بهذا التكامل الموقعي لحديد اللورين وفحم

الرور فيما عرف بجماعة الفحم والصلب الأوروبية التي سبقت الإشارة إليها. وبالإضافة إلى ذلك تعد ألمانيا الاتحادية من أوائل دول العالم في إنتاج فحم اللجنيت (وهو نوع رديء يعطي طاقة حرارية منخفضة) ولا يستخدم في صناعة الصلب بل في توليد الطاقة الكهربائية بدلاً من البترول المستورد.

وفي الوقت الذي تحقق فيه بريطانيا اكتفاء ذاتياً من البترول اعتماداً على إنتاجها في بحر الشمال، تعاني بقية دول إقليم القلب الأوروبي نقصاً شديداً في هذا المورد، ولذا تعتمد اعتماداً كبيراً على استيراده من الخارج. ولا تنتج فرنسا إلاّ أقل من ٥٪ من احتياجاتها البترولية، أمّا نصيب ألمانيا الاتحادية من حقول بحر الشمال فهو ضئيل للغاية (طالبت الحكومة الألمانية بتعديل اتفاقية جنيف سنة ١٩٥٨ والتي تقسم قاع بحر الشمال بين الدول المطلّة عليه وذلك من أجل إنتاج البترول والغاز الطبيعي)، ومن هنا فإنَّ ألمانيا تنتج بالكاد أقل من ٥٪ من احتياجاتها البترولية هي الأخرى كذلك تنتج كميات لا بأس بها من الغاز الطبيعي تجعلها في المرتبة الثالثة بعد هولنده وبريطانيا.

وفي بلجيكا استغلّت حقول الفحم منذ زمن طويل وقد انخفض إنتاج الفحم بها وإن كانت وسائل التقنية الحديثة واستخراج الفحم من مناجم أعمق وارتفاع أسعار الطاقة ساعدت على تطور الإنتاج بها، وكذلك تناقص إنتاج الفحم في هولنده ولكن تعاظم إنتاج الغاز الطبيعي من بحر الشمال. أما الموارد الأخرى فتتوزع بين الدول توزيعاً غير متساو، فتنتج فرنسا الحديد الخام وكذلك لكسمبرج وإن كانت تستورد أنواعاً منه من فرنسا، كما تعد فرنسا منتجاً رئيسياً للبوكسيت والبوتاس المستخدم في الصناعات الكيماوية. أمّا ألمانيا الغربية فهي منتج رئيسي للبوتاس أيضاً، وكذلك الزنك، كما يتوفر بها الرصاص والبوكسيت والنحاس بكميات محدودة.

وتصدر هولنده الغاز الطبيعي الفائض عن احتياجاتها عبر خط أنابيب إلى

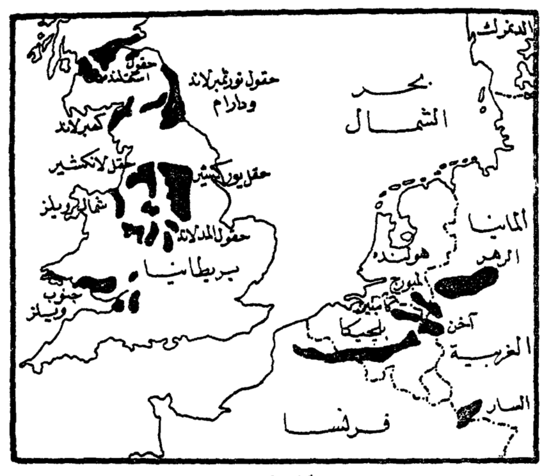
سويسره وفرنسا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا وحتى النمسا، أمَّا في بريطانيا[1] التي انبثقت منها الثورة الصناعية مبكراً في غرب أوروبا «ليست مواردها بالضخامة التي تتناسب مع دورها الاقتصادي بين دول السوق الأوروبية المشتركة والعالم، فقد استغلَّ الفحم بها للصناعة على مدى نحو ثلاثة قرون متواصلة، ويقدر أنَّ احتياطي الفحم بها يكفي الاستهلاك ـ بمعدله الحالي ـ لمدة مائتي سنة أخرى، وقد أدى الاستغلال الطويل للفحم إلى التعمق في المناجم وتزايد نفقات التعدين واستخدام التقنية الحديثة في ذلك، وما زال الفحم ـ وعمال الفحم ـ يلعبون الدور الرئيسي في الحياة الصناعية البريطانية.

أمَّا أهم موارد الطاقة الحديثة في بريطانيا فهو الغاز الطبيعي والبترول، وتحتل بريطانيا المرتبة الثانية بين الدول الأوروبية في إنتاج الغاز الطبيعي بعد هولنده، والخامسة بين دول العالم، وقد بلغ إنتاجها منه ٣٥ مليار متر مكعب أي ٢,٣٪ من الإنتاج العالمي (سنة ١٩٨٢). وقد تزايد الإنتاج من الغاز الطبيعي بدرجة طالبت الحكومة السكان بالاعتماد عليه في التدفئة بالمنازل بدلاً من الفحم، ولا شك أنَّ ذلك يؤدي إلى تقليل التلوث إلى حد كبير. كذلك فقد تزايد إنتاج بريطانيا من البترول من حقولها في بحر الشمال والتي تنتج نحو ١٠٣ مليون طن (١٩٨٢) وبذلك أصبحت الدولة الغربية الوحيدة التي تحقق الاكتفاء الذاتي من البترول. وهناك احتمالاتَ كبيرة لاكتشافات بترولية أخرى في جنوب غرب بريطانيا ستجعل من بريطانيا دولة مصدرة للبترول في المستقبل.

وبالإضافة إلى ذلك توجد خامات الحديد التي مضى على استغلالها عدَّة قرون وإن كانت خامات رديئة بالإضافة إلى القصدير الذي يعدن في كورنوال Cornwall.

---

(١) بريطانيا أو المملكة المتحدة United Kingdom التي تشمل انجلترا وسكوتلاند وويلز وشمال إيرلنده.



شكل رقم (١٦)
حقول الفحم في شمال غرب أوروبا

سكان إقليم القلب الأوروبي:

يعدُّ إقليم القلب الأوروبي أقل أقاليم العالم في معدلات النمو السكاني بل إنَّ بعض دوله (فرنسا وألمانيا الاتحادية) قد وصلت إلى نهاية ما يعرف بدورة الانتقال الديموغرافي Demographic Transition، وفيها بعد الحرب العالمية الثانية ارتفعت معدلات المواليد (Baby Boom) واستمرَّت مرتفعة نسبياً حتى أوائل السبعينات. كذلك فقد أدَّى أفول نجم الإمبراطورية الفرنسية والبريطانية إلى عودة المستوطنين من مناطق المستعمرات السابقة وكذلك تدفق عدد من أبناء هذه المستعمرات وأوضح الأمثلة على ذلك الجزائريون في فرنسا ومجموعات عربية أخرى من بلاد الشام وشمال إفريقيا إضافة إلى الآسيويين من جنوب شرق آسيا وكذلك بعض المهاجرين من جزر البحر الكاريبي.

أمّا سكان ألمانيا الاتحادية فقد تزايد عددهم بعد سنة ١٩٤٥ بسبب الهجرة الوافدة إليها بفضل التطور الاقتصادي الذي شهدته، وقد تزايد سكانها من ٤٦ مليون سنة ١٩٤٦ إلى ٦٢ مليون سنة ١٩٧١. وقد تدفّق عليها نحو ٢ مليون من ألمانيا الشرقية قبل إنشاء سور برلين سنة ١٩٦١ ومنع الهجرة إليها. وقد جذبت فرص العمل الضخمة في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية المهاجرين من إيطاليا وإسبانيا واليونان ويوغسلافيا وتركيا، ولكن وضعت قيود صارمة لوقف تدفق العمال الأجانب إلى ألمانيا بسبب المشكلات الاجتماعية والركود الاقتصادي الذي بدأت تشهده البلاد، وكذلك وضعت تشريعات للحصول على الأيدي العاملة من دول السوق الأوروبية المشتركة خاصة من إيطاليا.

ويعدُّ معدَّل المواليد الخام في ألمانيا الغربية منخفضاً للغاية لدرجة تثير قلق الحكومة الألمانية من تناقص عدد السكان في المستقبل، وقد بدأ التناقص بالفعل منذ سنة ١٩٧٥.

أمّا بلجيكا فتعد من أكثف دول أوروبا سكاناً وتنقسم ثقافياً إلى قسمين بسبب موقعها على امتداد النطاق الممزق Shatter Zone بين الثقافتين اللاتينية جنوباً والجرمانية شمالاً، وتعاني بلجيكا بشدَّة من الازدواجية الثقافية حيث يتحدَّث أكثر قليلاً من نصف سكانها باللغة الفلمنكية (تشبه اللغة الهولندية الألمانية الأصل) بينما يتحدَّث حوالي ٤٥٪ من السكان باللغة الفرنسية، وتقع العاصمة بروكسل قرب الخط الفاصل بين اللغتين.

أمّا هولنده فقد ظلَّت على امتداد فترة طويلة تتميز بأعلى معدً للنمو السكاني بين الدول الأوروبية ويصل حجم السكان بها إلى نحو ١٤ مليون نسمة بأعلى كثافة في غرب أوروبا، وتوجد بها أقلية أندونيسية وفدت من أندونيسيا ـ المستعمرة الهولندية السابقة.

وإذا انتقلنا إلى المملكة المتحدة فإنَّ سكانها يقدر عددهم بنحو ٥٦ مليون نسمة، وقد وصلت إلى نهاية مرحلة الدورة الديموغرافية التي تتميز بانخفاض معدلات المواليد والوفيات ومن ثمَّ النمو الطبيعي، وتبلغ نسبة الشيوخ بها

١٦٪. ويصل معدَّل المواليد إلى ١٦ في الألف فقط. ويعيش ٨٠٪ من سكانها في المدن من بينها سبع مجمعات مدنية Conurbations عملاقة (وهي مناطق حضرية تمتد من مدينة رئيسية نحو المدن المجاورة لتبدو في النهاية مدينة كبرى متصلة) تحوي ٣٠٪ من سكان البلاد.

أمَّا إيرلنده فقد ظلَّت طوال القرن العشرين مثلاً على الدول التي يتناقص سكانها باستمرار على مدى ٥٠ سنة. فقد وصل سكانها إلى ٦,٢٥ مليون نسمة قبل مجاعة البطاطس المشهورة في أربعينات القرن الماضي، فقد كانت تعتمد على زراعة البطاطس التي جلبت أصلاً من أمريكا الجنوبية ولاءمت ظروف إيرلنده الطبيعية حتى أصبحت المحصول الغذائي الرئيسي، إلاَّ أنَّها تعرضت لآفات زراعية قضت على معظم نبات البطاطس خلال سنوات متعاقبة منذ ١٨٤٠ ترتب عليها هجرة ضخمة من إيرلنده، وحتى بعد القضاء على مشكلة آفة البطاطس بدأت مشاكل أخرى منها نقص فرص العمل الصناعية في البلاد مما جعل الهجرة الخارجية مستمرة منها، حتى وصل السكان سنة ١٩٦١ إلى ٢,٨ مليون نسمة فقط بعد استمرار نزيف الهجرة لمدَّة قرن كامل من الزمان إلى بريطانيا وأمريكا الشمالية والأوقيانوسية وبدأ معدَّل النمو السكاني في التزايد مرة أخرى منذ الستينات حتى يقدر عدد السكان بنحو ٣,٥ مليون نسمة سنة ١٩٨٣، يعيش نصفهم في المدن بل إنَّ سدس السكان يعيشون في مدينة دبلن (٥٨٠,٠٠٠ نسمة) العاصمة (راجع جدول رقم ٧).

وبالإضافة إلى الهجرة الإيرلندية المستمرة إلى بريطانيا فقد استقبلت بريطانيا كذلك أعداداً ضخمة من المهاجرين من الهند والباكستان وجمايكا وترنداد، ويساعدهم في ذلك أنَّهم مواطنون من الكمنولث (رابطة المستعمرات البريطانية السابقة) مما يسمح لهم بالهجرة والإقامة في بريطانيا وإن كانت قيود الهجرة قد فرضت منذ أوائل السبعينات لتقليل تدفق المهاجرين إلى بريطانيا.

الزراعة:

تعدُّ الزراعة من الأنشطة الاقتصادية الهامة في دول منطقة القلب

الأوروبي، وترجع ثروة فرنسا في جزء كبير منها إلى غناها في الإنتاج الزراعي وتنوعه بها فتبلغ نسبة الأراضي الزراعية بها حوالي ثلث مساحتها الكلية، بينما يشكل ربع هذه المساحة أراضي المراعي والمروج. وقد تفوقت فرنسا في زراعة القمح حتى أنّها تعد ضمن الدول العشر الكبرى في إنتاجه في العالم، وتنتج تقريباً نصف احتياجات دول السوق الأوروبية الست الأصليين من القمح، كذلك تجود زراعة الفاكهة والخضروات في إقليم البحر المتوسط جنوب فرنسا إضافة إلى الزيتون والأرز، بينما يتخصص شمال شرق فرنسا القاري المناخ في إنتاج التفاح ومنتجات الألبان، وقد أدّى هذا التنوع والكثرة في الإنتاج إلى تقوية مركز فرنسا بدرجة كبيرة بين دول السوق الأوروبية المشتركة بل والعالم.

أمّا في ألمانيا الاتحادية - فالزراعة رغم تقدمها واعتمادها على الأساليب العلمية - فلا تكفي إلاّ لسد نحو ٨٥٪ من الاستهلاك الغذائي في البلاد وتتفوق ألمانيا في زراعة الحبوب والبنجر والأعلاف النباتية لتربية الثروة الحيوانية التي تسهم بدور كبير في الاقتصاد الزراعي الألماني.

وتشبه بلجيكا ألمانيا الاتحادية في أنّ الزراعة تشغل مساحة كبيرة من الأراضي ولكن تسهم بنسبة قليلة في الدخل القومي الإجمالي، وقد تقدّمت تربية الحيوان في نطاق السهول الساحلية الباردة نوعاً وفي الهضبة الجنوبية الشرقية.

وتصل نسبة الأراضي الزراعية في هولنده إلى نصف مساحة البلاد، والباقي في معظمه مراعي، وتصدر هولنده إلى دول السوق الأخرى اللحوم والزبد والبيض والجبن، وتزرع المحاصيل الغذائية في نصف مساحة الأراضي الزراعية تقريباً، وقد تقدّمت الزراعة المختلطة بشكل واضح وزراعة البساتين لإنتاج الفاكهة والخضر الزهور.

وتصل نسبة الأراضي الزراعية الرعوية في بريطانيا إلى نحو ٨٠٪ من جملة مساحة البلاد، وفي إيرلنده نحو ٨٥٪، ويزرع حوالي ثلث هذه الأراضي

جدول رقم (٧) أحجام المدن
الكبرى (نصف مليون فأكثر)
في دول القلب الأوروبي

المدينة	حجم السكان (ألف نسمة)	المدينة	حجم السكان (ألف نسمة)
المانيا الاتحادية:		فرنسا:	
برلين	١٨٩٦	باريس	٨٧٠٧
همبورج	١٩٤٥	ليون	١٢٢١
ميونيخ	١٢٩٩	مارسيليا	١١١٠
كولون	٩٧٧	ليل	٩٣٦
إسن Essen	٦٤٨	بريطانيا:	
فرانكفورت / مين	٦٢٩	لندن	٦٨٤٩
دورتموند	٦٠٨	جلاسجو	١٧٢٧
دسلدورف	٥٩٠	برمنجهام	١٠٣٠
شتوتجارت	٥٨٠	ليدز	٧٢٤
بريمن	٥٥٥	بلفاست	٥٤٩
ديسبورج	٥٥٨	شيفيلد	٥٤٤
هانوفر	٥٣٤	ليفربول	٥١٣
بلجيكا		إيرلنده:	
بروكسل	١٠٠٩	دبلن	٥٨٠
هولنده:		سويسره:	
روتردام	١٠٢٦	زيوريخ	٧٠٩
امستردام	٩٤٥	النمسا:	
لاهاي	٦٧٣		
		فينا	١٥٢٥

بالمحاصيل أمَّا الباقي فهو مراعي ومروج. ويزرع في سهول بريطانيا القمح والشعير والشيلم والبطاطس والبنجر وحشيشة الدينار (الجنجل Hop) التي تستخدم في إكساب البيرة نكهتها، أمَّا الأراضي المرتفعة خاصة في مرتفعات البنين Pennines وويلز وسكوتلاند فهي أراض حشائش تربى عليها الأغنام والماشية. وتنتج بريطانيا نحو نصف احتياجاتها الغذائية، وذلك لاعتبارات عدَّة أبرزها كثافة السكان العالية وارتفاع نسبة الأراضي غير الصالحة للزراعة وانخفاض نسبة السكان الزراعيين (حوالي ٢,٥٪ فقط). وقد تزايدت إنتاجية الأراضي الزراعية منذ الحرب العالمية الثانية وتضاعف إنتاج اللحوم.

أما إيرلنده فحوالي ٧٠٪ من أراضيها يستغل في الزراعة والرعي ولكن ثلاثة أرباع هذه النسبة للرعي. ويعمل بالزراعة هنا نحو ٢٠٪ من جملة السكان وتصدر إيرلنده اللحوم والماشية وذلك عماد اقتصادها في الواقع.

أنماط الصناعة:

تعدُّ صناعة الحديد والصلب من أهم الصناعات في منطقة القلب الأوروبي، وقد ساعدها موقعها على استيراد المواد الخام بأرخص تكاليف النقل، وتصدر المنتجات الصناعية إلى أسواق العالم. وتحظى هذه الصناعة بأهمية كبرى في فرنسا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا وبريطانيا. كذلك تحظى صناعة الألمنيوم في فرنسا بأهمية اقتصادية مستفيدة في ذلك من توفر الطاقة الكهرومائية الرخيصة في الأودية الجبلية قرب الحدود السويسرية والإيطالية أو عند أودية مرتفعات البرانس عند الحدود الإسبانية، أمَّا الصناعات الكيماوية فهي عديدة ترتبط بمصادر المواد الخام مثل البوتاس في الألزاس ومعامل تكرير البترول في وادي السين الأدنى وبوردو Bordeau ومارسيليا وكهرباء الأودية الجبلية في مرتفعات الألب. وقد أحرزت فرنسا تقدماً كبيراً في مجال الصناعات الجوية وأدَّى التعاون بينها وبين بريطانيا إلى إنتاج طائرة الكونكورد وأنواع عديدة من الطائرات المدنية والحربية، وتعد الطائرات الحربية من الصادرات الفرنسية الرئيسية، وكذلك فإنَّ شهرة فرنسا في صناعة السيارات والأجهزة الهندسية

تجعلها من الدول الكبرى في هذا المجال.

وقد لعبت باريس دوراً حضارياً ضخماً في حياة فرنسا السياسية والاقتصادية والحضارية (الثقافية) وأدّى تضخمها إلى إعادة توزيع كثير من الصناعات والخدمات خارج نطاق باريس، وتساعد الحكومة على ذلك بطرق عديدة منها تشجيع إنشاء الصناعات في المناطق التي تزداد فيها البطالة والإسهام بنحو ٢٠٪ من نفقات الإنشاء. وقد أدّى ذلك إلى تزايد أهمية ضواحي باريس والمناطق الأخرى. والواقع أنَّ باريس تعد مدينة عالمية ذات أهمية اقتصادية وثقافية وسياسية ليس لفرنسا فقط بل وللعالم كله.

وقد أدّى التخطيط الإقليمي الشامل في فرنسا إلى تزايد أهمية الموانى الغربية والجنوبية، وخاصة ميناء مرسيليا وتطور المناطق السياحية في ساحل البحر المتوسط (شكل رقم ١٧) وقد أصبحت مرسيليا ميناء أوروبا الجنوبي



شكل رقم (١٧)

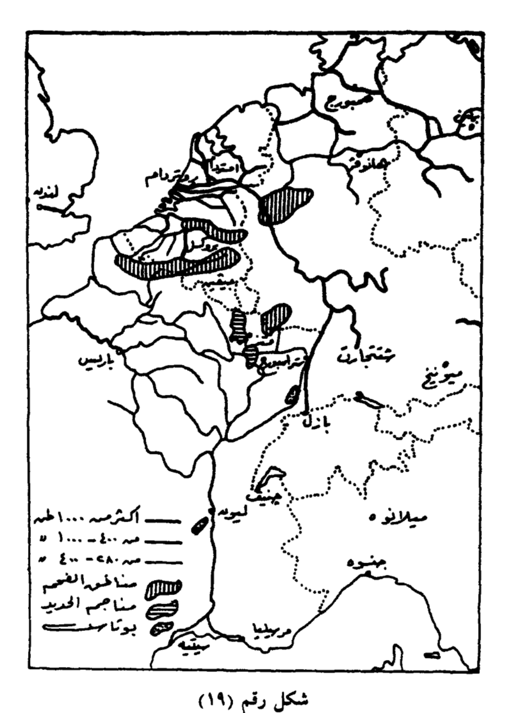
الجمهورية الفرنسية

الرئيسي مقابل روتردام الميناء الهولندي لأوروبا الغربية في الشمال. وينافس مرسيليا ميناء جنوه في إيطاليا كميناء دولي. كذلك فقد اكتسبت سواحل البحر المتوسط الفرنسية (الريفييرا) شهرة عالمية كمصايف وأماكن ترويح لقضاء العطلات ومن ثمَّ أصبحت السياحة مصدراً رئيسياً للتنمية الاقتصادية بها. كمـا أصبحت جبال الألب الفرنسية من المناطق العالية في التزحلق على الثلوج شتاء واستثمر الفرنسيون أموالاً ضخمة في هذه المناطق لتنميتها حتى أصبحت من أجمل وأرقى المشاتي العالمية.

أمَّا ألمانيا الاتحادية فالصناعة عماد اقتصادها دون منازع حيث تعتمد على تصدير المنتجات الصناعية المتعددة. وقد شهدت تطوراً صناعياً ضخماً بعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب العالمية الثانية واعتمدت في ذلك على مقومات أساسية أبرزها توفر الفحم في حقول الرور والسار. وتحظى ألمانيا بشهرة عالمية في الصناعات الكيماوية حيث قدمت للعالم كثيراً من المنتجات وكان لها فضل الريادة، وعلى سبيل المثال اعتمدت على مشتقات الفحم وصنعت منه الصبغات والأدوية والألياف الصناعية، وتأتي على رأس الدول الصناعية في ذلك وحظيت شركاتها الكبرى بالشهرة العالمية (باير وهوكست ـ وباسف) وأصبحت لها فروع في كثير من دول العالم. كذلك تعدُّ صناعة السيارات من الصناعات الرئيسية والتي تحظى بشهرة عالمية بأنواعها المختلفة، وقد برعت ألمانيا في صناعة الأجهزة والأدوات الدقيقة (آلات التصوير والميكرسكوبات والتلسكوبات).

وقد ساعد على التقدم الاقتصادي الكبير في ألمانيا الاتحادية شبكة من طرق النقل التي تعد واحدة من أكثف الشبكات في العالم. (شكل ١٨) وقد بدأ نظام الطرق السريعة الممتازة (Autobahns) في الثلاثينيات وتعد هذه الطرق من أحسن الطرق في العالم كفاءة ونشاطاً. كذلك طوَّرت نظاماً متقدماً من القنوات المائية التي تربط كل المدينة الرئيسية بها بل تربط مجموعة أنهار «الراين ـ ماين» بمجموعة نهر الدانوب (شكل رقم ١٩). وقد أكملت ألمانيا هذه الطرق بالنقل بالسكك الحديدية المتقدمة وبالطيران (شركة لوفتهانزا).

شكل رقم (١٨)
الطرق الرئيسية في أوروبا (طرق السيارات)



شكل رقم (١٩)
طرق النقل المائي الداخلي في غرب أوروبا
(موزعة حسب حجم الوحدات النهرية التي تستخدمها)

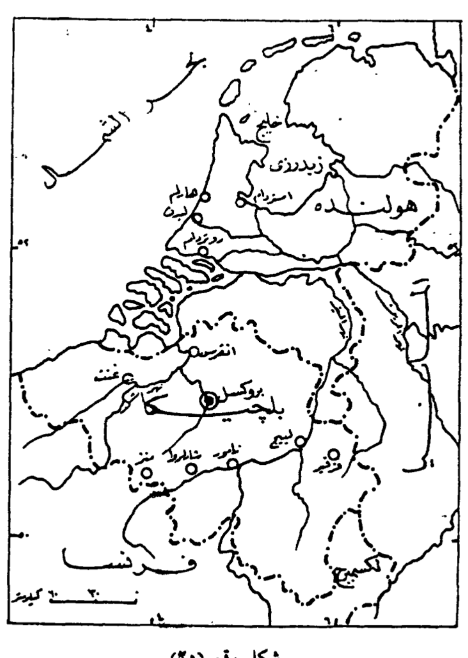
أمَّا الصناعة في بلجيكا فقد عانت كثيراً من الدمار في خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ولكنها شأنها في ذلك شأن دول غرب أوروبا تمكنت من اكتساب مكانة ممتازة خاصة في الصناعات المعدنية ورغم أنَّ هذه الصناعات

تعاني من عدم توفر الخامات المحلية الكافية وسوق محلي صغير فإن كثيراً من الشركات المتعددة الجنسية Multi National اختارت بلجيكا لإقامة صناعات بها وخاصة مصانع التجميع النهائي لكثير من لمنتجات الصناعية كالسيارات وذلك مستفيدة من موقع بلجيكا المتوسط في غرب أوروبا، وقد تدفقت عليها رؤوس أموال من دول السوق المشتركة ومن الولايات المتحدة حتى أصبحت بروكسل العاصمة من أكثر العواصم نشاطاً وارتفاعاً في التكاليف بسبب زيادة الطلب على خدماتها

وقد كان شمال بلجيكا (إقليم الفلمنك) من المناطق الرائدة في الثورة الصناعية حيث تخصص في المنسوجات بل إنَّ بعض الكتاب يعزى تقدم الصناعة في بريطانيا جزئياً - إلى استيعاب الأسواق البلجيكية للصوف الإنجليزي والتقنية التي ظهرت مبكراً في بلجيكا

أمَّا لكسمبرج التي اعتمدت طويلاً على صناعة الحديد والصلب المعتمدة بدورها على خامات محلية، فقد تحولت إلى تنويع صناعاتها التي أصبحت تشمل صناعات الألمنيوم والكيماويات وإطارات السيارات وغيرها.

أمَّا الصناعة في هولنده فترتبط ارتباطاً وثيقاً بموقعها البحري وموانيها الساحلية وتحكمها في مصب نهر الراين الذي يعدُّ شرياناً رئيسياً للنقل المائي في غرب أوروبا حيث يخدم القلب الصناعي لألمانيا الغربية وحتى سويسره (شكل رقم ٢٠)، وتعتمد الصناعة الهولندية على توفير مستلزماتها بهذا الطريق الداخلي الدولي وبطرق النقل المحيطي الأخرى التي تربطها بالعالم الخارجي، وقد تطورت موانيها لتلائم تزايد حركة التجارة الدولية بينها وبين العالم حتى أصبح ميناء روتردام هو الميناء الأوروبي الأول، وأكبر موانىء العالم استقبل بضائع حمولتها ٢٥٠ مليون طن سنة ١٩٨٢، مقابل ٦٢ لميناء همبورج في ألمانيا الاتحادية و ٦٥ لميناء أنفرس في بلجيكا و ٤٥ لميناء جنوه و ٤٤ لميناء لندن و ٩٢ لميناء مرسيليا وتسهم روتردام في توفير كثير من احتياجات الصناعة الهولندية.



شكل رقم (٢٠)

بلجيكا وهولنده

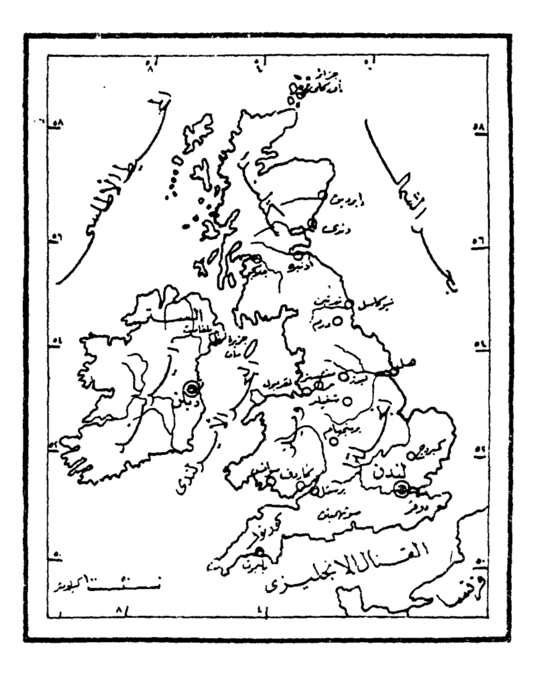
وتتخصص هولنده في كثير من الصناعات أهمها الصناعة الكيمـاوية والصلب وصناعة السفن والطائرات الصغيرة والصناعات الكهربائية وتعد شركة

فيلبس من أكبر الشركات العالمية المتخصصة في الصناعات الكهربائية

أمّا بريطانيا فتعد مهد الثورة الصناعية وأوّل دولة صناعية في العالم وقد وصلت إلى أقصى مراحل التصنيع الممكنة في ضوء المعرفة التقنية الحالية. وقد تخصصت مبكراً في صناعات محددة أبرزها صناعة الحديد والصلب والمنسوجات والسفن وإن كان دورها العالمي قد تناقص منذ الحرب العالمية الأولى في هذه الصناعات لظهور دول صناعية أخرى نافست بريطانيا في هذا المجال. (كانت بريطانيا مثلاً: تمد العالم سنة ١٩١٤ بأكثر من ٦٠٪ من صناعة السفن ولكن انخفضت نسبتها الآن إلى ٤٪ فقط).

وقد تأثّرت الصناعة البريطانية بكثير من العوامل منها تفكك الإمبراطورية البريطانية وفقدان كثير من الأسواق، وإن كانت أسواق الكمنولث ما زالت تستوعب نسبة كبيرة من الصناعات الإنجليزية. وقد اكتسبت بريطانيا شهرة ضخمة في الصناعات الكيماوية (شركة الصناعات الكيماوية الإمبراطورية ICI واحدة من أكبر شركات العالم)، وفي صناعة السيارات والأجهزة. وتتركز الصناعة البريطانية في معظم المدن الكبرى تقريباً سواء في النطاق الصناعي الأوسط (شفيلد وبرمنجهام وليفربول) أو الجنوب أو في الشمال (اسكوتلنده) (شكل رقم ٢١).

وهكذا يبدو أنّ القلب الصناعي الاقتصادي لأوروبا الغربية هو (ورشة العالم) الصناعية، وقد وصلت الصناعة فيه إلى أقصى المستويات الممكنة حتى أنّ البعض يذكر أنّه تعدّى مرحلة التقدم Overdeveloped ومع ذلك فلا بدّ للمحافظة على هذا المستوى من مواجهة كثير من المشكلات المرتبطة بالمواد الخام والوقود والأسواق العالمية حيث تعتمد الصناعات بشكل كثيف على استيراد المواد الخام. وقد نجحت أوروبا الغربية في تنويع صادراتها وتقديم خدمات مكثّفة تحقق ما يعرف بالصادرات غير المنظورة إلى بقية دول العالم مثل السياحة والبنوك والتأمين والخبرة الأوروبية.



شكل رقم (٢١)
الجـــزر البريطانية

سويسرة والنمسا

رغم أنَّ سويسره والنمسا تتشابهان في ظروف البيئة الطبيعية فإنَّها تتباينان بشدَّة في الظروف الحضارية والاقتصادية، وتعدُّ سويسره التي تكونت نواتها سنة ١٢٩١ أقدم الدول المستقلة بأوروبا، ولم تتورط في أية حرب خارجية منذ سنة ١٥١٥. أمَّا النمسا الحديثة فهي بقية دولة Rump State كانت يوماً ما امبراطورية شاسعة سيطرت على معظم وسط وجنوب أوروبا وانتهت سنة ١٩١٩. وتدين سويسره بثرائها لعوامل عديدة منها تحكمها في الطرق الهامة التي تربط بين الشمال والجنوب (بين وسط أوروبا وجنوبها) وعلى العمالة المدربة والماهرة ثمَّ على سياستها الممثلة في حيادها واستقرارها السياسي واقتصادها المتقدم.

ومساحة النمسا تصل إلى أكثر قليلاً من ضعف مساحة سويسره وبسكان يزيدون نحو مليون نسمة عن سكانها، وتملك أكبر قطاعٍ اقتصادي عام (ملك الدولة) خارج التكتل الشيوعي وجاء ذلك نتيجة إعادة التنظيم الاقتصادي بعد الدمار الذي شهدته النمسا عقب الحرب العالمية الثانية، وتتشابه الدولتان كثيراً في النشاط السياحي بهما.

موارد الثروة المعدنية:

تمتد في كل من النمسا وسويسره سلاسل جبلية ألبية عالية ومع ذلك فمواردهما المعدنية مختلفة تماماً. فبينما لا يتوفر في سويسره موارد معدنية هامة، تملك النمسا عدداً كبيراً من المعادن، فآبار البترول بها رغم ضآلة إنتاجها تسهم بنحو خمس الاحتياجات المحلية، والغاز الطبيعي يسهم بنحو نصف الاستهلاك المحلي. أمَّا الفحم فمن النوع الرديء (لجنيت) ويعدن على نطاق واسع، ويوجد خام الحديد ولكن نظراً لاستغلاله على مدى زمني طويل تناقصت احتياطياته وأصبح الإنتاج لا يغطي إلَّا أقل من ربع الاحتياجات المحلية، كما تعدن كميات من المعادن غير الحديدية والكيماوية الأخرى.

وتعد الطاقة الكهرومائية هامة في كلتا الدولتين، وقد استغلت سويسره

تقريباً كل الطاقة المائية الممكنة لديها، وقد اتجهت إلى مواجهة زيادة استهلاك الطاقة بإنشاء خمسة مفاعلات ذرية جديدة بدأ ثلاثة منها في إنتاج الطاقة الكهربائية. ويؤدي التذبذب الموسمي في نظم حريان الأنهار إلى تذبذب إنتاج الطاقة الكهرومائية، ففي فصل الصيف فقط تصدر سويسره الكهرباء إلى فرنسا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية. وعلى العكس من ذلك فإنَّ الطاقة المائية المتاحة في النمسا لا يستغل منها إلاَّ حوالي نصفها، وتصدر النمسا الكهرباء ويمكن أن تزيد من إنتاجها وصادراتها من الكهرباء إذا استغلت الطاقة المائية بأكملها.

السكان:

يبلغ عدد سكان سويسره نحو ٦,٥ مليون نسمة بما فيهم نحو مليون من الأجانب معظمهم من العمال الذين جذبهم النمو الاقتصادي في سويسره، ويعمل هؤلاء في الحرف الدنيا التي لا تتطلب مهارة مالية وأجورها منخفضة (مثل البناء والتشييد والنظافة والخدمات السياحية).

وتعدُّ سويسره دولة متعددة اللغات، فيتحدَّث ثلثا السكان باللغة الألمانية كلغة قومية، وحوالي الخمس يتكلَّمون الفرنسية ومعظم الباقي يتكلَّمون الإيطالية، ويكاد السكان ينقسمون بالتساوي بين الكاثوليكية والبروتستانت.

أمَّا سكان النمسا فينمون بمعدل منخفض للغاية ويصل عددهم إلى حوالي ٧,٦ مليون نسمة بما فيهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ من العمال الأجانب. وتزداد نسبة سكان الحضر في كل من الدولتين، وينمو إقليم تشينو Ticino (إقليم الحدود الإيطالية السويسرية) وغرب سويسره بمعدلات تفوق شرق سويسره ومنطقة زيوريخ، أمَّا في النمسا فتعد فينا العاصمة أكبر المدن ويتناقص سكانها منذ فقدان الإمبراطورية النمسوية المجرية عقب الحرب العالمية الأولى.

الزراعة:

أدَّى المظهر الجبلي السائد في كل من سويسره والنمسا إلى قلَّة مساحة الأرض الزراعية، فتصل نسبة هذه الأراضي في سويسره إلى ٢٥٪ من مساحتها الكلية والباقي أرض جبلية وعرة صخرية أو تغطيها الثلوج الدائمة. وتصل

مساحة الغابات إلى حوالي ربع مساحة الدولة بينما الباقي أرض رعوية منتجة. وقد تضاعف الإنتاج الزراعي منذ الحرب العالمية الثانية وذلك لاستخدام الأساليب العلمية وخاصة التسميد. وتسود المزارع العائلية وتسهم بنحو ٦٠٪ من الإنتاج القومي للغذاء، وتحقق سويسره اكتفاءً ذاتياً في إنتاج الألبان والبطاطس ولحم الخنزير ولحوم الأبقار.

وتصل نسبة الأراضي الزراعية إلى نصف مساحة النمسا، وحوالي ٤٠٪ من هذه النسبة يزرع بالمحاصيل، والباقي مراعي ومروج، وقد نجحت الزراعة في تحقيق نحو ٨٥٪ من احتياجات الغذاء في النمسا، وقد ساعد وجود المراعي الطبيعية على تحقيق الاكتفاء الذاتي في منتجات الألبان واللحوم ووجود فائض للتصدير، ويعد القمح والشعير والجودار والبطاطس والبنجر الحاصلات الرئيسية في النمسا بالإضافة إلى محاصيل الأعلاف.

الصناعة:

تعدُّ سويسره مثلاً فريداً في العالم على قدرة الموارد البشرية في التغلب على عوائق البيئة ونقص المواد الخام والطاقة. وكانت سويسره من أولى دول أوروبا التي دخلت عالم الثورة الصناعية، وما زالت تتميز بمعدل عالٍ للعاملين بالصناعة. وقد استفاد السويسريون من موقع بلادهم المغلق في وسط أوروبا وهمزة الوصل بين الطرق العابرة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وقد عملوا على تدويل نهر الراين الذي يربط بازل ميناء سويسره النهري بأكبر موانئ العالم وهو روتردام وبشبكة النقل المائي الكثيف في غرب أوروبا. وتعد طرق النقل هذه على قدر كبير من الحيوية لاقتصاد سويسره وساعد على ذلك ارتباط سويسره بنظم السكك الحديدية في فرنسا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية والنمسا وذلك عبر أنفاق هامَّة حفرت في الجبال. وقد أضيف إلى ذلك خطوط الأنابيب التي تربط معامل تكرير البترول السويسرية بإيطاليا وفرنسا وألمانيا الاتحادية.

وكانت الصناعات المبكرة في سويسره مبعثرة في المناطق الريفية والمدن الصغرى، اعتماداً على الطاقة المولدة من المساقط المائية وأثر ذلك في تحديد

مواقع الصناعات في البدايه. وقد كانت صناعة الأكواخ Cottage Industry هذه مرتبطة بأوَّل صناعتين اشتهرت بهما سويسره وهما الساعات والمنسوجات. فكانت هذه الصناعات تتم في المنازل والتي تخصصت في تصنيع جزء معين يتم تجميعه مع ما صنعته الأكواخ الأخرى. ولم يؤثر الانتقال من القوى المائية إلى القوى الكهرومائية في تغيير مراكز الصناعات بل حلَّت المصانع الصغيرة محل الأكواخ القديمة، وبدأت تجذب إليها العمالة الماهرة، وقد حقَّق ذلك السَّبق الجغرافي Geographic Momentum شهرة عالمية لسويسره في صناعاتها الدقيقة.

وتعدُّ المنسوجات حالياً أقل أهمية نسبياً عمَّا كانت عليه من قبل في الصناعة السويسرية فقد أدَّت المنافسة الشديدة إلى تحول سويسره نحو إنتاج المنسوجات الراقية والمرتفعة الثمن خاصة الملابس الحريرية.

وقد اكتسبت سويسرة شهرة فائقة في صناعة الساعات وسيطرت على أسواق العالم فترة طويلة وتعكس هذه الصناعة مدى الدِّقة في العمل وكذلك ارتفاع القيمة المضافة، كما تعوض سويسره بذلك استيراد كثير من الواردات من الخارج. وقد تعرَّضت هذه الصناعة في العقود الأخيرة لمنافسة شديدة من اليابانيين الدين تفوقوا في صناعة الساعات الألكترونية والرقمية ولم تلحق بها سويسره بسرعة. كذلك فإنَّ أجور العمل في سويسره مرتفعة ولذلك انكمش سوق الساعات السويسرية في السنين الأخيرة.

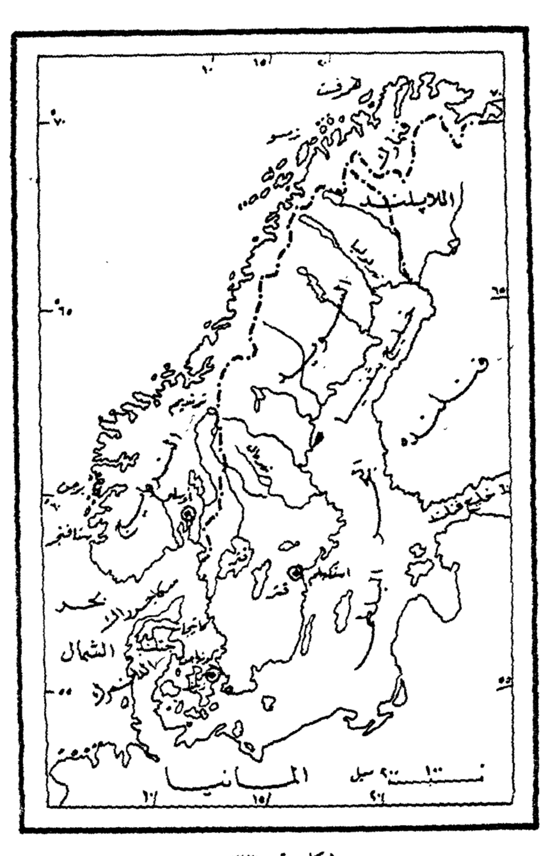
وتشتهر سويسره بصناعة الآلات والأدوية، حيث تصدر الآلات الكهربائية والأجهزة وأدوات الجراحة والقاطرات إلى الخارج. كذلك تنتج الآلات الإنتاجية وآلات التشكيل الميكانيكي والقواطع. وتأتي هذه الصناعة في الواقع في قمَّة سلم التصنيع في أيَّة دولة حيث يبدأ بالصناعات اليدوية ثمَّ تتحول إلى التصنيع كخطوة ثانية معتمدة على قوَّة غير ميكانيكية ثمَّ يتطور التصنيع بها إلى درجة كبيرة حتى ينتهي إلى صناعة المصانع ذاتها كمرحلة أخيرة.

وعلى العكس من سويسره ذات المشروعات الصناعية الخاصة ـ فإن الصناعات الرئيسية في النمسا مؤممة وانعكس ذلك على قلّة العائد وثبات الإنتاجية. وتعد صناعة الصلب أكثر صناعات النمسا التي تتخصّص في إنتاج أجود الأنواع منه، وذلك بالإضافة إلى بعض الصناعات الأخرى التي تعتمد على استيراد المواد الخام مثل الكيماويات والأدوية ولب الورق والمنسوجات والآلات والأجهزة المعدنية. وتعد فينا مركزاً صناعياً رئيسياً وتتركز بها الصناعات الألكترونية التي تنتج أجهزة التلفزيون ومعدات الاتصالات المختلفة.

وقد برعت كل من سويسره والنمسا في تحويل مناطق واسعة من جبالها إلى مناطق سياحية متقدمة، وقد نجحت سويسره ليس فقط في جعل السياحة صناعة هامة بل في جعلها علماً ذو قواعد وأصول تدرس في الفنادق والمطاعم ولها معاهدها ومدارسها الخاصة. وتعد النمسا من الدول السياحية الرئيسية في أوروبا حيث يتدفّق عليها كل عام أعداد ضخمة من السياح بدرجة تفوق سويسره، وقد برعت في تنمية مواردها السياحية المتعددة، ويقصدها السياح من غرب أوروبا خاصة من جارتها ألمانيا الاتحادية.

ثالثاً: إقليم نورديا
(إسكندنافيا وأيسلنده)

يتكوّن إقليم نورديا Norden ـ أو إقليم الشمال الأوروبي ـ من خمس دول هي دول إسكندنافيا الثلاث السويد والنرويج والدنمرك ودولتا فنلنده في الشرق وإيسلنده في الغرب، (شكل رقم ٢٢) ويعدُّ إقليماً أوربيا مميزاً طبيعياً وحضارياً، ففي هذا الإقليم نجد شعوباً من أصل مشترك ولغة مشتركة بالإضافة إلى وجود بعض الأقليات السلالية اللغوية، كذلك فإنّ الغالبية العظمى من السكان يدينون بدين واحد، وتبدو دول الشمال عموماً قليلة السكان والموارد ورغم ذلك فمستوى المعيشة من أعلى المستويات في أوروبا والعالم.



شكل رقم (٢٢)

شبه جزيرة اسكتلنده

وقد مرّت دول هذا الإقليم بتاريخ مشترك وكانت أبرز الدول فيه الدنمرك والسويد فقد حصلت السويد على استقلالها من ملوك الدنمرك سنة ١٥٢٣ وأصبحت قوة أوروبية رئيسية في القرن الذي تلا استقلالها مباشرة، فقد سيطرت السويد على فنلنده من القرن الثاني عشر إلى سنة ١٨٠٩ عندما تحولت فنلنده إلى دوقية كبرى تابعة للإمبراطورية الروسية، كذلك سيطرت الدنمرك على النرويج فيما بين عامي ١٣٨١ و١٨١٤ عندما سيطرت عليها السويد ولكنها حصلت على الاستقلال سنة ١٩٠٥. أمّا إيسلنده فرغم موقعها المتطرف فقد سيطرت عليها الدنمرك من سنة ١٣٦٠ حتى ١٩١٨ وما لبثت أن استقلت بعد ذلك.

ومن الغريب أنّ هذه الدول رغم اتفاقها في كثير من المظاهر الحضارية لم تسع للوحدة كما سعت مناطق أخرى في أوروبا مثل الولايات الألمانية، بل على العكس سعت كل دولة بمفردها لتمارس دوراً سياسياً خاصاً ومختلفاً عن جيرانها كما اتّجهت في عالم المعسكرات العالمية المعاصرة اتجاهات مختلفة بين الحياد والتعايش السلمي بين الشرق والغرب (السويد وفنلنده) أو الانحياز نحو التكتلات الغربية (النرويج والدنمرك وإيسلنده).

الدول الإسكندنافية:

تختلف الدول الإسكندنافية اختلافاً كبيراً في مواردها الاقتصادية، وتعد الدنمرك أقل هذه الدول جميعاً في هذا المجال، ولا تملك من موارد الوقود إلّا بعض رواسب الفحم اللجنيت ثمّ البترول والغاز الطبيعي الذي تنتجها من قطاعها الصغير في بحر الشمال، وليست بها إمكانيات طاقة كهرومائية بسبب استواء سطحها وانخفاضه، وتبقى المواد الخام المحلية للدنمرك ممثلة في المنتجات الغذائية التي تجهز وتعبأ بها ثمّ صناعات أخرى أهمها صناعة الإسمنت التي تعتمد على صخور الحجر الجيري والرواسب الطباشيرية.

وتبلغ نسبة السكان العاملين بالزراعة في الدنمرك نحو ٩٪ من جملة القوة العاملة، ويسهمون بنحو ربع صادرات البلاد، والواقع أنّ الدنمرك تنتج فائضاً

وفيراً من الغذاء يكفي نحو ثلاثة أمثال سكانها، وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية (زراعة ومراعي) نحو ثلثي مساحة البلاد، وتنتج هذه الأراضي القمح والشعير والبنجر والأعلاف الحيوانية. وتتخصص الدنمرك في إنتاج المنتجات الحيوانية ذات العائد المرتفع، وأبرزها الزبد والجبن والبيض والحم الخنزير. وقد أدّت جودة هذه المنتجات إلى تمتعها بأسعار عالية في أسواق غرب أوروبا. «.

أمّا النرويج فهي على العكس تتمتع بإمكانيات ضخمة من موارد الطاقة خاصة البترول والغاز الطبيعي الذي اكتشف واستغلته في قطاعها الكبير في رصيفها القارِّي ببحر الشمال، وإن كانت لا تتوفر بها موارد الفحم إلاَّ بكميات قليلة في سبتزبرجن - وهي أرخبيل قطبي في أقصى شمال النرويج، وقد أصبحت النرويج من الدول الغنية بالبترول وحققت الاكتفاء الذاتي سنة ١٩٧٥ والدولة الأوروبية الوحيدة التي تصدر البترول ابتداء من سنة ١٩٨٠. وبسبب الظروف الطبيعية المرتبطة بآبار البترول البحرية حيث توجد في خانق عميق (عمقه عدَّة آلاف من الأقدام) فيتم نقل البترول بالناقلات مباشرة إلى النرويج (من أرصفة بحرية ثابتة) وليس بالأنابيب كما هي الحال في آبار بريطانيا في بحر الشمال. أمّا الغاز فينقل بأنابيب مباشرة إلى كل من سكوتلاند وألمانيا الاتحادية وتتبع النرويج سياسة دقيقة لإنتاج البترول بكميات محددة حفظاً على استمرار هذه الثروة لأجيالها القادمة وتقليل معدلات التضخم في أسواقها، ويتميز البترول النرويجي بجودته وقلَّة الكبريت به.

وتتمتع النرويج بإمكانيات كبيرة في توليد الطاقة الكهرومائية بسبب غزارة الأمطار التي تسقط على سلسلة المرتفعات الجبلية. ورغم أنَّ النرويج يتميز بأنَّها من أكبر المنتجين للطاقة الكهرومائية مما يؤدي إلى ارتفاع نصيب الفرد فيها - فإنَّها لا تستغل سوى نصف الطاقة الكامنة بها. أمّا النصف الثاني فمن الصعب استغلاله لصعوبة البيئة وارتفاع التكاليف.

ويستخرج الحديد بالقرب من الحدود مع الاتحاد السوفيتي في أقصى الشمال، ويصدر الفائض من الحديد للخارج بعد استهلاك جزء منه محلياً في

صناعة الصلب، كما يتوفر النحاس والحجر الجيري، ومن هنا تصدر النرويج - مثل الدنمرك - كميات كبيرة من الإسمنت.

ولا تسود الزراعة في النرويج إلاَّ في مساحة قليلة هي التي تتمتع بمناخ ملائم للزراعة (٢,٧٪ فقط من المساحة) ومع ذلك ترتفع إنتاجية الهكتار بها ارتفاعاً كبيراً لاتباع الأساليب العلمية في الإنتاج الزراعي، وتربى الماشية والأغنام على المراعي الطبيعية والمحاصيل والأعلاف.

أمَّا السويد فهي غنية في مواردها المعدنية، ويعدن الحديد من مواقع متعددة أكبرها منجم الحديد في كيرونا Kiruna وجاليفار Gallivare وسفابافارا Svappavaara. كذلك يستخرج منها النحاس والرصاص. أمَّا موارد الطاقة فتعدُّ السويد من أكبر الدول المستوردة للبترول في العالم، ولم يكتشف بها البترول حتى الآن، ولكنها تملك إمكانيات ضخمة لإنتاج الطاقة الكهرومائية تستغل نصفها فقط، وتشترك مع النرويج في تصدير الطاقة الكهربائية (عبر كابلات بحرية) إلى الدنمرك في الصيف، وتستورد الفحم لتوليد الطاقة من الدنمرك في الشتاء.

وتصل نسبة العاملين في الزراعة في السويد إلى حوالي ٦٪ من جملة السكان العاملين، وقد كانت هذه النسبة نحو ٧٥٪ منذ مائة سنة تقريباً. وتزرع محاصيل القمح والشعير والبنجر والبطاطس. ولكن تحظى الثروة الحيوانية بأهمية كبرى حيث تستمد الدولة ثلاثة أرباع الدخل الزراعي من المنتجات الحيوانية كالألبان واللحوم والأغنام ويتركز النشاط الزراعي في أقصى جنوب السويد حيث تجود التربة ويلائم المناخ الزراعة وخاصة في المثلث الواقع بين استكهلم العاصمة ومالمو Malmo جنوباً وجوتبرج Goteborg غرباً (شكل رقم ٢٢).

أمَّا فنلنده فهي على عكس الدول الإسكندنافية الثلاث الأخرى حيث تعاني بشدَّة من نقص موارد القوى والوقود ولا يوجد بها إلاَّ قليل من اللبد النباتي، وقد اعتمدت على الطاقة الكهرومائية لسد النقص في موارد الطاقة ومع

ذلك فلا تسهم الطاقة الكهرومائية سوى بثلث إنتاج الكهرباء في البلاد، ولكن يعوق توليد الكهرباء من المياه عدم استمرار جريان الأنهار وتجمدها في الشتاء. وتتجه فنلنده ـ مثل السويد ـ إلى الاعتماد على تطوير الطاقة الذرية لتغطي ٢٠٪ من استهلاك الطاقة بها. وقد بنى لها الاتحاد السوفيتي مفاعلين ذريين وبنت السويد مفاعلين آخرين دليلاً على توازن علاقات فنلنده بين الشرق والغرب.

وتقل مساحة الأراضي الزراعية بوضوح في فنلنده لطبيعتها التي تأثرت بالعصر الجليدي بشدّة وأصبحت مثل الدرع الكندي. وتقل نسبة الأراضي الزراعية عن ١٠٪ من المساحة الكلية وتخصص هذه النسبة في إنتاج المحاصيل الغذائية وتحاول فنلنده دفع زراعة القمح والشعير والبنجر نحو الشمال باستنباط أنواع يقل فصل إنباتها ليتلاءم مع قصر فصل النمو بالاتجاه شمالاً.

أمَّا السكان فيقلون عن ٥ مليون نسمة، وقد شهدت فنلنده حديثاً هجرة خارجة منها للعمل في السويد، وساعد على ذلك أنَّ اللغة السويدية هي إحدى اللغات السائدة، أمَّا اللغة الفنلندية فهي ترتبط باللغة المجرية والاستونية ولا تنتمي إلى لغات اسكندنافيا.

الصناعة:

انعكس نقص المواد الخام المحلية بما فيها موارد الطاقة على قلّة الصناعات الدنمركية، وإن كانت تتفوق في بعض الصناعات الصغيرة القيمة، وتعد صناعة السفن من الصناعات الهامة رغم المنافسة اليابانية والبولندية، وتدخل الآلات (مثل آلات الديزل) وأجهزة الاستماع والأثاث الراقي ضمن الصادرات، إضافة إلى ذلك تعد الدنمرك من أكبر الدول المصدرة للجعة في غرب أوروبا وكذلك في بعض أنواع الأطعمة المميزة.

ويقل عدد سكان الدنمرك عن ٥ مليون نسمة، ويتميزون بالتجانس باستثناء أقلية ألمانية صغيرة في الجنوب.

وفي النرويج تعد الصناعة بها على مستوى صغير إذا قورنت بالدول

الصناعية الأخرى في غرب أوروبا، ويرتبط معظمها بتوفر الطاقة الكهرومائية بكثرة، وأبرز صناعاتها الألمنيوم حتى أنَّ النرويج من أكبر الدول المصدرة له في العالم، كذلك أدَّت الطاقة الوفيرة إلى صناعة كيماوية ضخمة أبرزها صناعة الأسمدة وبعض المنتجات الكهروكيماوية الأخرى.

وتحظى النرويج بأهمية كبرى في سوق السياحة العالمي حيث تكون السياحة عائداً هاماً في اقتصادها، وتعتمد في ذلك على خدمات النقل والخدمات الأخرى، ويتدفق عليها السياح من السويد وألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة، وبيئة النرويج بمناظرها الجميلة ونقائها وخلوها من التلوث تلعب دوراً هاماً في جذب السياح.

ويعدُّ الأسطول النرويجي التاريخي من أكبر الأساطيل في العالم ويضم ناقلات البترول وسفن الحاويات وسفن نقل الغاز المسيل وسفن نقل مختلف البضائع، كذلك يدير النرويجيون أسطولاً من السفن السياحية المنتظمة Cruise Liners في البحر الكاريبي والبحر المتوسط وعلى امتداد سواحلهم الجميلة، ولا ريب أنَّ اعتماد النرويج على أسطول تجاري كبير كهذا يجعل اقتصادها حساساً لأيَّة تغييرات في حجم التجارة الدولية.

أمَّا السويد التي يبلغ عدد سكانها نحو ٨,٥ مليون نسمة (قدر حجم سكان القاهرة الكبرى) فتتمتع بقاعدة صناعية متنوعة ومعقدة، فهي تعد من الدول الهامة في إنتاج وتصدير السيارات وآلات الطيران، ومعدات الهاتف. وتتخصص السويد في إنتاج أنواع ممتازة من الصلب مثل الصلب الذي لا يصدأ وأنواع أخرى منه اللاَّزمة لصناعة الآلات، وقد تطورت بها صناعة السفن تطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة، ورغم أنَّ السويد تصدر الصلب إلاَّ أنَّها تستورد أنواعاً أخرى منه وذلك لسد مطلب الصناعة بها.

بالإضافة إلى ذلك فإنَّ السويد تستغل ثروتها الغابية التي تغطي نسبة كبيرة من مساحة البلاد.

أمّا فنلنده فتعد صناعة منتجات الأخشاب هي عماد اقتصادها ذلك لأنّ ثلثي مساحة فنلنده تغطيها الغابات، ورغم ذلك تعوق ظروف البيئة من الاستغلال الكامل خاصة قصر فصل النمو وزيادة تكاليف الإنتاج. كذلك تخصصت فنلنده في صناعة السفن وخاصة العبارات ومحطمات الجليد.

إيسلنده:

تعدُّ إيسلنده نموذجاً جغرافياً فريداً رغم روابطها الثقافية والتاريخية مع دول إسكندنافيا. فهي من أكثر دول العالم تجانساً حيث يرجع السكان في أصولهم إلى المستوطنين النرويجيين الأوائل الذين وفدوا لجزيرة إيسلنده في القرن التاسع والعاشر واندمجوا مع المستوطنين السليتيين Celtic الأوائل الذين وفدوا من الجزر البريطانية. ولا يزيد سكان إيسلنده عن ربع مليون نسمة، وينمون بمعدل منخفض للغاية (أقل من ٠,٥٪) وتتمتع بمميزات الشعوب المتقدمة حيث تنعدم فيها الأمية تقريباً. ويصل متوسط أمد الحياة إلى ٧٤ سنة. ويقل فيها معدل وفيات الأطفال الرضع - وهو مرآة التقدم - إلى أقل من ١٠ بين كل ألف مولود (نصف مثيله في الولايات المتحدة وحوالي عشر مثيله في مصر).

ورغم قلّة الموارد في الجزيرة فقد نجح السكان في الوصول إلى مستوى اقتصادي مرتفع يفوق مثيله حتى في بقية أوروبا.

وجزيرة إيسلنده ترجع إلى أصل بركاني، وتتكون في معظمها من بحيرات وثلاجات ومناطق صحراوية تغطيها اللافا البركانية، وتعد من الدول الرائدة التي استغلت الطاقة الحرارية الأرضية Geothermal Energy. فقد اعتمدت على استخدام المياه الساخنة والبخار الذي ينبثق طبيعياً من الينابيع ومن النافورات الطبيعية Geysers لتدفئة المنازل وكذلك بيوت النبات الزجاجية. وقد نجحت في توليد الطاقة الكهربائية من هذه النافورات والينابيع، حيث تلعب دوراً كبيراً في جزيرة بركانية حرمت من موارد الطاقة الأخرى. وتعد الثروة السمكية هي المورد الاقتصادي الرئيسي في الجزيرة، وتكون نحو ٨٣٪ من صادراتها للخارج، ويبلغ إنتاج الأسماك بها نحو ١,٥ مليون طن سنوياً.

وتحاول باستمرار مد مجال مياهها الإقليمية وذلك لتحافظ على موارد الثروة السميكة، ودخلت بسبب ذلك في مشكلات مع دول الصيد الكبرى الأخرى خاصة بريطانيا.

ونظراً لأنَّ ٤٪ فقط من مساحة الجزيرة صالح للزراعة فإنَّ الإنتاج الزراعي محدود ويكاد يقتصر على زراعة البطاطس والكرنب والأعلاف. وقد أدَّت الثروة السمكية إلى توسيع مياهها الإقليمية، فبعد أن كانت إيسلنده قد حددتها بنحو ٢٦ كيلومتراً في بداية القرن السابع عشر إلاَّ أنَّها حاولت توسيع هذه الرقعة بعد ذلك، ففي سنة ١٩٧٢، وسعت منطقة الصيد الخاصة بها إلى ٨٠ كيلومتراً حول سواحلها ومدت مياهها الإقليمية إلى ٣٢٠ كيلومتراً. وقد أدَّى ذلك إلى حدوث احتكاك بينها وبين بريطانيا هدد وحدة حلف الأطلنطي، ورغم أنَّ إيسلنده لا تملك قوات عسكرية خاصة (لأنَّ الدنمرك تتولى حمايتها بضمان من الولايات المتحدة) فإنَّ بها قاعدة عسكرية ضخمة للتحكم في شمال الأطلسي، وتوجد بها قاعدة جوية أمريكية قرب العاصمة ريجافيك.

وقد عقدت معاهدة بين إيسلنده والولايات المتحدة سنة ١٩٧٤ تتولى بمقتضاها الولايات المتحدة الدفاع عن الجزيرة.

الفصل الخامس

شرق أوروبا

يمثل شرق أوروبا إقليماً انتقالياً كبيراً بين إقليم غرب أوروبا والاتحاد السوفيتي، كما أنَّه منطقة معقدة حضارياً حيث يعد ملتقى الديانات الإسلامية، والكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسة، وكذلك اللغات الرومانسية والسلافية والألمانية، وقد نظر إليه باستمرار على أنَّه منطقة حاجزة Buffer Area ضدَّ هجوم العناصر غير الأوروبية، كذلك يتميز شرق أوروبا بالتنافر الحضاري الحاد فلا هو يتبع دول إسكندنافيا أو غرب أوروبا أو روسيا أو البحر المتوسط، ومع ذلك كله لم يسلم من التطورات السياسية التي شهدتها هذه الأقاليم كلها خاصة في الحربين العالميتين الأولى والثانية حتى أصبح مشهوراً بالنطاق الممزق Shatter Zone بعد تفكك الإمبراطورية الألمانية والروسية والنمسوية المجرية والعثمانية.

ويتكون إقليم شرق أوروبا من ثمان دول (جدول رقم ٨) يحوي معظمها أكثر من مجموعة سكانية عرقية به، وخاصة تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا. وقد وصل التعقيد العرقي أقصى مداه بالإقليم في منطقة البلقان حيث تتعدَّد

القوميات (نحو ١٤ قومية) التي توزعت في الوحدات السياسية التي تخلفت عن الإمبراطورية العثمانية وأصبح من العسير أن تستقل كل قومية بدولة مستقلة حتى أصبح تعبير البلقنة Balkanization مرادفاً إلى تفتيت الدول إلى وحدات سياسية أصغر.

ورغم أنَّ شرق أوروبا قد نجح في استيعاب القوميات داخل وُحدات سياسية أكبر فإنَّ بعض دوله ما زالت تعاني من مشكلات الدمج القومي، كما يبدو في حالة ألمانيا الشرقية ويوغسلافيا. وقد تحدَّدت الحدود السياسية بمعاهدات بين الدول وإن كانت تحمل في طياتها إمكانيات النزاع في المستقبل.

وقد شهد إقليم أوروبا تطوراً اقتصادياً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية، فقبل سنة ١٩٤٥ كانت المناطق الصناعية قاصرة على برلين وساكسونيا في ألمانيا الشرقية، وسيليزيا وبعض المدن في بولنده، والقطاع التشيكي في تشيكوسلوفاكيا، أمَّا اليوم فتوجد نحو سبع مناطق متخصصة في الصناعات المعدنية، وست مناطق في المنسوجات وخمس مناطق في صناعة السيارات وأربع مناطق في الصناعات الكيماوية.

أمَّا الزراعة فقد أصبحت جماعية Collectivized في معظم الأحوال وإن كانت بولنده تشذ عن هذه القاعدة حيث تمثل الملكيات الفردية نحو ٨٠٪ من المزارع وإن كانت أقل تقدماً من الصناعة في هذه الدول.

وقد اتَّجهت دول شرق أوروبا إلى تنمية الصناعات الثقيلة بها وكذلك الصناعات الاستهلاكية لتحقيق الاكتفاء الذاتي ثمَّ بدأت في تصدير كثير من الصناعات للخارج. وترتب على ذلك تقدم صناعي واضح في كل هذه الدول باستثناء ألبانيا. وتعدُّ أسواق العالم الثالث مجالاً هاماً لسلع دول شرق أوروبا خاصة الآلات والمنسوجات.

وقد أدى التقدم الاقتصادي إلى تزايد العلاقات التجارية ليس مع باقي دول العالم الشيوعي فقط بل مع الدول الرأسمالية الأخرى في الغرب، وقد

أدّى التعاون المشترك بين دول شرق أوروبا والاتحاد السوفيتي إلى قيام ما يعرف بالسوق الشيوعية المشتركة (الكوميكون)، وقد أصبح الاتحاد السوفيتي أكبر ممول لهذه الدول بالمواد الخام اللازمة للصناعة وأصبحت الدول التي تسير في فلكه أكبر مستورد لصناعات هذه السوق.

جدول رقم (٨) بعض الخصائص الجغرافية
لدول شرق أوروبا ١٩٨٣

الدولة	المساحة (كم^{2})	عدد السكان (بالمليون)	معدل نمو السكان (٪) سنوياً	متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار
المانيا الشرقية	١٠٨,٠٠٠	١٦,٧	٠,٣-	٧٢٨٦
بولنده	٣١٣,٠٠	٣٦,٦	٠,٩	٤١٨٧
تشيكوسلوفاكيا	١٢٨,٠٠٠	١٥,٤	٠,٣	٥٦١٠
رومانيا	٢٣٧,٠٠٠	٢٢,٧	٠,٦	٢٥٤٦
المجر	٩٣,٠٠٠	١٠,٧	٠,١-	٣٨٥٠
بلغاريا	١١١,٠٠٠	٨,٩	٠,٣	٤٤١٣
يوغسلافيا	٢٥٦,٠٠٠	٢٢,٨	٠,٧	٢٧٨٩
البانيا	٢٩,٠٠٠	٢,٩	٢,٣	٧٨٥
الجملة	١٢٧٥,٠٠٠	١٣٦,٧	٠,٥	٤٥٧١

ملامح البيئة الطبيعية في شرق أوروبا:

يغلب على شرق أوروبا الطبيعة السهلية المنبسطة في الشمال والمظهر الجبلي في الجنوب الغربي، ومثلما هو منطقة انتقال في عالم السياسة والحضارة، فهو أيضاً كذلك في الظروف المناخية حيث يعد منطقة انتقال بين المؤثرات البحرية غرباً والمؤثرات القارية نحو الشرق. ويتميز الإقليم بسقوط أمطار وفيرة وإن كانت تغزر بشكل واضح في بعض المناطق الجبلية.

مظاهر السطح:

يعدُّ الثلث الشمالي من إقليم شرق أوروبا امتداداً للسهل الأوروبي العظيم حيث يبدو كأرض منبسطة تعرضت للتعرية الجليدية وتتميز بسوء الصرف، وتبدو مخلفات العصر الجليدي واضحة في التلال الركامية في شمال ألمانيا الشرقية وبولنده والتي تعد سمة مميزة للسطح بها، كما تتخللها مجموعة من البحيرات التي تعد منطقة سياحية هامَّة في هاتين الدولتين، وإلى الجنوب من هذه الركامات توجد قنوات جليدية قديمة تكوَّنت أثناء تقهقر الغطاء الجليدي في العصر الجليدي وتركت آثارها واضحة في مجار قديمة استغلَّها السكان في إنشاء نظام متقدم من القنوات الملاحية.

ويحيط بهذا السهل الشمالي من الجنوب سلسلة من الكتل والجبال القديمة ممتدة من وسط ألمانيا حتى بوابة مورافيا Moravia Gate بين مرتفعات السوديت التشيكية وجبال الكربات. وهنا نجد المظهر الجبلي والأحواض والهضاب المنخفضة التي تغطيها طبقة سميكة من تربة اللويس Loess (تربة دقيقة الحبيبات أرسبتها الرياح) في كثير من أجزائها، وتحيط مرتفعات الهارز Harz وثورنجيان Thuringian في جنوب غرب ألمانيا بهضبة جيرية منخفضة أصبحت واحدة من أهم المناطق الصناعية في ألمانيا الشرقية. أمَّا هضبة بوهيميا فهي كتلة من الصخور البللورية القديمة تكون جوانبها المدرجة جبال السوديت وأور Ore وبوهيميان فورست Bohemian Forest وهي كلها مرتفعات غنية بثروتها المعدنية وتكون في مجموعها واحدة من أهم مناطق التعدين الأوروبية منذ عصور ما قبل التاريخ. وتفصل بوابة مورافيا Moravia Gate الواسعة بين هذه الجبال الغربية وبين مرتفعات الألب الكرباتية وجنوب بولنده الهضبي المظهر. وتتكون هضبة جنوب بولنده من الحجر الجيري الذي تغطيه ركامات جليدية وتربات اللويس وهي منطقة غنية بثروتها من الحديد الخام غير الجيِّد بينما تتوفر في أوديتها بعض موارد الثروة البترولية والغاز الطبيعي.

وتبدو جبال الكربات على شكل هلال يحيط بحوض الدانوب الأوسط أو

حوض المجر وأبرز كتلتين عند طرفي هذه الجبال هما كتلة Slovak في تشيكوسلوفاكيا وكتلة بيهور Bihor Massif في رومانيا، وهما كتلتان غنيتان بالثروة المعدنية. وفي الجنوب الغربي حول حوض الدانوب الأوسط تمتد جبال الألب الدينارية التي تبدو كمرتفعات عريضة من الحجر الجيري ذات سلاسل وهضاب تتميز بالتعرية المائية التي خلفت ظاهرات مميزة أبرزها الكهوف والأحواض والحفر الغائرة المجاري المائية في باطن الأرض. وتستمر الألب الدينارية بعد ذلك ممتدة في ألبانيا حيث تعرف بجبال بندس Pindus.

وإلى الجنوب والشرق من مرتفعات الكربات تمتد السهول التي تكون منطاق الإنتاج الزراعي في رومانيا وبلغاريا، وتبدو مرتفعات الكربات على هيئة حرف S مقلوباً وتواصل امتدادها لتعرف باسم الترانسلفانيا ثمّ بعد ذلك باسم جبال البلقان وهي من المناطق الهامة في الإنتاج الزراعي أيضاً. أمّا أقصى الطرف الجنوبي لإقليم شرق أوروبا فتشغله كتلة قديمة تعرف باسم جبال رودوب Rhodope.

ويختلف شرق أوروبا عن غربها من حيث الموقع بالنسبة للبحار والدور الذي لعبته ظروف كل منهما في تاريخه، فشرق أوروبا يتصل بسهولة بالبحار شبه المغلقة وهي البحر البلطي في الشمال والبحر المتوسط والبحر الأسود في الجنوب والجنوب الشرقي. ولكنّه لا يتصل بأيّة محيطات مفتوحة كما هي الحال في دول غرب أوروبا. ومن هنا لم تكن القوّة البحرية يوماً ما هدفاً لأيّة دولة من دول شرق أوروبا وإن كان الوصول للبحر قد أثّر في تاريخ بعض دوله مثل بولنده التي استمرّت سياستها الخارجية في الوصول إلى البحر البلطي عن طريق ما يعرف بممر دانزيج Danzig أو بالممر البولندي بعد أن حصلت على أراض واسعة من ألمانيا وأصبح لها جبهة بحرية على البلطي بذلت جهوداً ضخمة في تنميتها حتى أصبحت من الدول الرئيسية في صناعة السفن وأصبح لها أسطول تجاري هام.

المناخ:

يسود في شرق أوروبا المناخ القاري الرطب مع وجود بعض المؤثرات

البحرية في الأطراف. ونظراً للبعد عن المحيط الأطلسي فإنَّ الشتاء في شرق أوروبا يعدُّ أقسى وأبرد من شتاء غرب أوروبا والمدى الحراري الفصلي واليومي كبير. ويشمل الإقليم المناخي الشمالي كلاً من ألمانيا الشرقية وبولنده ومعظم تشيكوسلوفاكيا، ويتصف هذا الإقليم بشتاء معتدل نسبياً وبحرارة تصل في يناير ما بين - ٥ وصفر مئوي. وتنخفض الحرارة بالاتجاه شرقاً حيث تبدأ المؤثرات القارية والهواء البارد من سيبيريا. أمَّا فصل الصيف فيكون بارداً نوعاً بينها الفصول الانتقالية (الربيع والخريف) طويلة للغاية، ورغم سقوط الأمطار سنوياً فإنَّ قمتها تكون في فصل الصيف. وتتراوح الأمطار بين ٢٠ - ٣٠ بوصة سنوياً، ويتعرض شرق بولنده للجفاف الشديد في بعض السنوات.

أمَّا الإقليم المناخي الجنوبي فهو أكثر دفئاً في الصيف وإن كانت حرارة الشتاء تختلف عن مثيلتها في الشمال. وفصل الصيف طويل وحار وتسقط الأمطار بقمتين إحداهما في الربيع والأخرى في بداية الصيف. ويعدُّ المناخ مثالياً لزراعة القمح الشتوي وكذلك الذرة.

وهناك ثلاثة مناطق تختلف في مناخها عن هذا النمط المناخي العام وهي سواحل ألبانيا ويوغسلافيا المطلَّة على البحر الأدرياتي حيث يسود مناخ البحر المتوسط بشتاته الممطر وصيفه الجاف، ونظراً لأنَّ هذه السواحل تحميها جبال الألب الدينارية فإنَّ شتاءها يكون معتدل الحرارة، وتتعرض هذه المناطق لرياح محلية باردة هي رياح البورا Boras التي تهب لعدَّة أيام في فصل الشتاء وتؤدي إلى خفض شديد لدرجة الحرارة يؤثر على كثير من الحاصلات الزراعية، أمَّا جبال الألب الدينارية ذاتها فتعترض الرياح السائدة مما ينعكس على كمية الأمطار بها حيث تسقط عليها كمية تزيد على نحو٨٠ بوصة سنوياً مما يجعلها واحدة من أكبر مناطق أوروبا مطراً. والمنطقة الثالثة هي شرق رومانيا التي تتميز بمناخ الإستبس الحقيقي حيث يفوق التبخر كمية الأمطار الساقطة سنوياً.

التصريف النهري:

تشق السهول الشمالية لشرق أوروبا ثلاثة أنهار رئيسية هي نهر الألب

Elbe ونهر الأودر Oder ونهر الفستولا Vistula، وتتميز هذه السهول بوجود مخلفات العصر الجليدي متمثلة في الركامات وفي البحيرات الجليدية والمستنقعات. أمّا وسط شرق أوروبا فيشقه نهر الدانوب وروافده، وهذا النهر يعدُّ شرياناً هاماً للملاحة في شرق القارة ولا تعترضه إلّا بعض الجنادل عند البوابة الحديدية Iron Gate عند التقاء جبال ترانسلفانيا بجبال البلقان، وقد أقيمت عند هذه البوابة الضخمة محطة توليد كهرباء مائية ومشروع ملاحي وذلك بالاشتراك بين كل من رومانيا ويوغسلافيا. ويسير الدانوب بعدها في تعرجات واضحة. وقد أقيمت مشروعات كثيرة للتحكم في فيضانه وتغير مجراه. أمّا الهضاب والمرتفعات الدينارية في غرب يوغسلافيا فتعاني من عدم وجود أنهار تنصرف نحو البحر الأدرياتي.

الترबات والنبات الطبيعي:

يعدُّ البلوط والبتولا من أشهر أشجار شرق أوروبا، وتوجد مناطق غابية واسعة في كل من رومانيا ويوغسلافيا، وقد تحوَّلت كثير من المستنقعات والسفوح الجبلية إلى زراعة أشجار البتولا وذلك لتكون مادة خام لصناعة لب الورق. وفي معظم حوض الدانوب يسود الإستبس الذي تتناثر به الغابات.

وقد تكونت التربة البنية والسوداء الخصبة فيما يعرف بنطاق اللويس الذي يمتد شمال جبال الكربات والسوديت، كذلك تسود التربة السوداء الخصبة في شرق رومانيا وبلغاريا وتعد هذه التربات منتجة بدرجة عالية. وفي نطاق البحر المتوسط توجد التربة الحمراء الخصبة التي تعرف باسم Terra Rossa في جيوب مبعثرة على الساحل وفي المناطق الجبلية.

الموارد المعدنية:

أمّا في مجال الموارد المعدنية والطاقة فإنَّ شرق أوروبا إقليم غني في تلك الموارد. فتملك رومانيا البترول والغاز الطبيعي والمجر البوكسيت والقليل من البترول ويوغسلافيا لديها ثروة متنوعة من بينها الكروم والبوكسيت والنحاس والزئبق وخام الحديد والفحم والقليل من البترول ويوجد الفحم والحديد الخام

كذلك في تشيكوسلوفاكيا وبولندة ويوجد بألمانيا الشرقية اليورانيوم والبوتاس وتملك بولندة رواسب هامة من الرصاص والزنك وبالإضافة إلى ذلك فهناك موارد طاقة كهرومائية وخاصة في أقطار جنوب أوروبا.

ولم يبدأ استغلال الثروة المعدنية في شرق أوروبا على مجال كبير إلاّ حديثاً فكان بترول رومانيا وفحم وحديد تشيكوسلوفاكيا وبولندة أهم الموارد التي استغلت قبل الحرب العالمية الثانية وقد بدأت الدول الشرقية في التنمية الصناعية منذ سنة ١٩٤٥ بدرجة كبيرة ونتيجة لذلك أصبحت الموارد الزراعية والمعدنية وموارد الطاقة في شرق أوروبا على درجة عالية من الأهمية في البناء الاقتصادي. والسياسي بها.

السكان:

يتكون سكان شرق أوروبا من عدّة مجموعات ثقافية رئيسية ويعكس التعقيد الجنسي للشعوب في هذا الجزء من القارة دور الإقليم كمنطقة انتقال عبرتها هجرات بشرية على امتدا الألفي سنة الأخيرة وفي الوقت الذي حدثت فيه هجرات آسيوية من شعوب الإستبس نحو الغرب فقد حدثت أيضاً هجرات سكانية إسكندنافية وألمانية وبحر متوسطية نحو الشرق. وفي العصر الحديث أصبح شرق أوروبا منطقة نزاع بين الشعوب الجرمانية غرباً والسلافية شرقاً وتفصل بينها حدود تنتقل باستمرار من الشرق إلى الغرب.

وقد حدثت تغيرات سكانية كبيرة في شرق أوروبا منذ سنة ١٩١٨ شملت عناصر من الأتراك والبلغار واليونانيين، كذلك أزيح حوالي ثلاثة ملايين نسمة من بولندة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية، وفي سنة ١٩٣٩ أعيدت الجماعات الألمانية المقيمة في دول البلطيق ـ وفي سنة ١٩٤٥ أزاحت بولندة والمجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا عدداً آخر من الألمان أعيدوا إلى ألمانيا وكذلك أعيد المجريون من جنوب تشيكوسلوفاكيا والإيطاليون من يوغسلافيا كما أثرت التغيرات في الحدود السياسية في التركيب العنصري لدول

شرق أوروبا وذلك لأنَّ تبادل الأقليات والأراضي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية نتج عنه وحدة عرقية أكبر في دول شرق أوروبا أكثر مما كان عليه الحال عند نهاية الحرب العالمية الأولى، ففي بولندة مثلاً كان البولنديون يمثلون ٦٨٪ من جملة السكان ولكنهم يكونون الآن ما يقرب من ١٠٠٪ من سكان هذه الدولة، وعلى العموم يبلغ عدد سكان شرق أوربا نحو ١٣٧ مليون نسمة يتركز حوالى ربعهم في بولنده بمفردها وحوالى السدس في كلٍّ من رومانيا ويوغسلافيا.

التطور السياسي:

يبدو التعقيد السياسي في شرق أوروبا ممثلاً في تعدد الوحدات السياسية به وبالكثير من المشكلات الإقليمية التي ميزت هذا النطاق من القارة. وتتمشى كثير من الحدود السياسية مع حدود تاريخية ومناطق متنازع عليها مثل ترانسلفانيا، ولم تتبع قوى الوحدة والتجزئة في شرق أوروبا نفس النمط الذي تبعته في غرب أوروبا، فبعد الحرب العالمية الأولى باستثناء اليونان وتركيا انقسم شرق القارة إلى إحدى عشرة وحدة سياسية مستقلة يحوي الكثير منها مجموعتين عرقيتين أو أكثر داخل حدوده وقد ناضلت تلك الدول على امتداد عقدين من الزمان في سبيل التماسك الداخلي والتنمية الاقتصادية واهتمَّ بعضها بتوسع أراضيه على حساب جيرانه وتحت هذه الظروف فإنَّ توحيداً عسكرياً أو سياسياً على مستوى كل شرق القارة كان أمراً مستحيلاً بل وقع هذا النطاق فريسة لتوسع القوى المجاورة مثل ألمانيا وإيطاليا وروسيا، ومنذ الحرب العالمية الثانية أصبح هناك تسع دول في هذا النطاق سبع منها تسير في فلك الاتحاد السوفيتي.

ويرجع النمط السياسي الحالي في شرق أوروبا إلى القرن التاسع عشر فقد أدَّى تفتت الإمبراطورية العثمانية إلى خلق وحدات سياسية جديدة ضعيفة نسبياً في جنوب شرق أوروبا وهي الجبل الأسود واليونان والصرب ورومانيا وبلغاريا وألبانيا مكوِّنة نوعاً من الفراغ السياسي تطمع القوى الرئيسية في بسط السيطرة عليه. وقد أدَّت هزيمة ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا وتركيا وضعف

روسيا في الحرب العالمية الأولى إلى ترك المجال مؤقتاً لإيطاليا وبريطانيا وفرنسا كمتنافسين للسيطرة على تلك المنطقة.

وقد أعيد رسم الخريطة السياسية لشرق أوروبا تماماً بعد الحرب العالمية الأولى فاختفت دويلة الصرب والجبل الأسود كوحدات مستقلة منفصلة وظهرت دول جديدة هي فنلندة واستونيا ولاتفيا ولتوانيا وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وتوسعت رومانيا على حساب المجر وروسيا وفقدت بلغاريا منطقة تراس الشرقية إلى اليونان وكذا بعض المناطق الصغيرة ليوغسلافيا.

وفي أثناء العشرينيات وأوائل الثلاثينيات عندما كانت ألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي منهمكين في مشاكلهم الداخلية استمرَّ الوضع السياسي لشرق أوروبا ثابتاً نسبياً ومستقراً فيما عدا بعض مناطق الحدود البولندية واللتوانية وضم فيومي لإيطاليا وفي أثناء ذلك لم تكن هناك دولة واحدة في مركز يمكنها من اتباع سياسة التوسع الإقليمي ضدَّ جيرانها ولكن بدأت ألمانيا والاتحاد السوفيتي ذلك بعد منتصف الثلاثينيات وما انتهى عام ١٩٣٨ حتى بدأ الألمان في توسيع حدودهم شرقاً ثمَّ اشتعلت الحرب العالمية الثانية لتصبح أوروبا الشرقية والغربية على السواء مسرحاً لها.

أما فيما بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان لهزيمة ألمانيا وإيطاليا أثر كبير في إزاحتها كقوى كبرى ذات طموح إقليمي في شرق القارة فقد احتلَّت القوات السوفيتية معظم أراضيه وقوى السوفيت نفوذهم بها وضمَّ الاتحاد السوفيتي استونيا ولاتفيا ولتوانيا في سنة ١٩٤٠ كما ضمَّ مساحات أخرى بعد الحرب وخاصة في شرق فنلندة وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وقامت حكومات شيوعية في دول شرق القارة بمساعدة السوفيت في بولندة وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وألبانيا وحول السوفيت شرق أوروبا بذلك إلى منطقة عازلة ضخمة في مواجهة الغرب.

وواقع الأمر أنَّ شرق أوروبا شهد بعد الحرب العالمية الثانية نشأة ميزان

جديد للقوى السياسية يتميز بثلاث سمات رئيسية هي[1]:

١ ـ إنَّ الاتحاد السوفيتي وسع من رقعته على حساب دول شرق أوروبا في الفترة من سنة ١٩٢٩ حتى سنة ١٩٤٥، وقد شملت الأراضي الجديدة التي حصل عليها استونيا ولاتفيا ونحو ثلث أراضي بولندة السابقة وجزء من بروسيا الشرقية وإقليم روثنيا في تشيكوسلوفاكيا ومقاطعة بسارابيا وجزء من بكوفينا من رومانيا وبعض الأجزاء من أراضي فنلندة.

٢ ـ هيمن السوفيت بعد الحرب على دول أوروبا الشرقية وأقاموا حاميات سوفيتية بها وفرض حكومات شيوعية بوسائل مختلفة/ وكانت تشيكوسلوفاكيا آخر حكومة شيوعية أقيمت في شرق أوروبا في فبراير سنة ١٩٤٨، ولكن ظهر في نفس السنة أول صدع بارز في الهيمنة السوفيتية على دول شرق أوروبا عندما خرج تيتو عن الخط العقائدي السوفيتي وكان السبب الرئيسي في ذلك أنَّ الحزب الشيوعي في يوغسلافيا قد حصل على السلطة دون مساعدة الاتحاد السوفيتي وبعد ذلك مباشرة طردت يوغسلافيا من الكومينفورم[2]، كما ترتب على ذلك تخلص ألبانيا من وصاية يوغسلافيا وتحول ولاؤها الشيوعي من موسكو إلى بكين.

٣ ـ ارتبطت كل دول شرق أوروبا (فيما عدا يوغسلافيا وألبانيا) في منظمة حلف وارسو العسكري السياسي، وفي مجلس المساعدات الاقتصادية المتبادلة (الكوميكون) وذلك بقصد تنسيق السياسات العسكرية والاقتصادية والاتجاهات السياسية داخل الكتلة الشرقية.

---

(١) باوندز وكنجز بري ـ أطلس أوروبا ـ (ترجمة محمد فاتح عقيل) ـ منشأة المعارف ـ الإسكندرية ـ ١٩٦٨ ـ ص ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) اتحاد الدول الشيوعية في شرق أوروبا.

الفصل السادس

دول شرق أوربا

يمكن تقسيم شرق أوروبا إلى ثلاثة أقاليم سياسية يضم كل منها دولتين أو أكثر وذلك على أساس التشابه الاقتصادي والحضاري والطبيعي. فالدول الشمالية الثلاث: ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبولنده تكوِّن إقليماً واحداً، وتتمتع بأعلى مستوى اقتصادي ممثلاً في ارتفاع نصيب الفرد من الدخل وزيادة مستوى التصنيع ومستويات المعيشة. وتضم ألمانيا الشرقية واحدة من أقدم المناطق الصناعية في ألمانيا وهي ساكسونيا العليا. وكذلك تملك بولنده حقول فحم سيليزيا مع إقليم السوديت الصناعي القديم الذي حصلت عليه من ألمانيا في سنة ١٩٤٥، وعملت على تنميته وتطويره بعد ذلك. وكذلك تشيكوسلوفاكيا التي كانت - خاصة قطاعها الغربي - المنطقة الصناعية الأساسية للإمبراطورية النمساوية والمجرية. وهذه الدول الثلاث استطاعت أن تطور اقتصادها والتخصص في صناعات معينة وتكون في مجموعها إقليماً صناعياً أساسياً لشرق أوروبا، ورغم أنَّ الزراعة قد تقدمت في هذه الدول فإنَّها ما زالت تعاني نقصاً في الغذاء.

أما الإقليم السياسي الثاني فيضم كلاً من المجر ورومانيا، وهذا الإقليم

شهد تطوراً صناعياً حديثاً ولكن يميزه أنَّه يحوي أهم المناطق الزراعية في شرق أوروبا وتنتج دولتاه فائضاً غذائياً هاماً. ورغم أنَّ به صناعات ثقيلة إلاَّ أنَّ الصناعات الخفيفة هي التي تسود الإنتاج الصناعي. ويكوِّن نهر الدانوب شرياناً هاماً لربط أجزاء هذا الإقليم. ورغم اختلاف اللغة بين الدولتين بل والديانة فإنَّ تعاونهما المشترك قوي ومستمر ويكون المجريون في رومانيا أكبر الأقليات الأجنبية بها (حوالي ثلث رومانيا بحدودها الحالية كان ضمن أراضي الدول المجرية) كذلك فهناك علاقات تاريخية وثيقة ساعد عليها الجوار وطرق النقل.

أمَّا الإقليم السياسي الثالث فيضم ثلاث دول جبلية هي بلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا، ويضمها تاريخ مشترك في أنها كانت ضمن أراضي الإمبراطورية العثمانية وعلى امتداد عدَّة قرون، وهذه الدول هي أقل دول شرق أوروبا تقدماً وأكثرها في مساحة الأراضي الزراعية وتعاني من مشكلات داخلية لعلَّ أبرزها مشكلة النقل وصعوبة المواصلات. وتعد ألبانيا أكثر الدول الثلا تخلفاً بينما تحقق يوغسلافيا وبلغاريا خطوات واسعة نحو التقدم، إضافة إلى كل ذلك أنَّ توجيه هذا الإقليم جبلي ونحو البحر المتوسط مما أدَّى إلى تقوية علاقاته بدول هذا الحوض.

١ ـ دول النطاق الصناعي
في الشمال: ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبولنده

تكون المناطق الصناعية والتعدينية نواة الصناعة القديمة عند التقاء حدود الدول الثلاث معاً، وتشبه نسبة السكان العاملين في الصناعة في هذه الدول مثيلتها في دول غرب أوروبا. ولذا فإنَّ الإنتاج الصناعي متقدم بها ويزداد تقدماً. ويتميز بالتنوع الشديد حيث يشمل كل أنواع الصناعات المختلفة في الواقع. وقد أدَّى ذلك إلى تزايد الصادرات الصناعية ليس إلى دول الكتلة الشيوعية فقط بل إلى دول أخرى في العالم.

ويعدّ هذا النطاق الصناعي في الدول الثلاث واحداً من المناطق الصناعية الكبرى في العالم، وليست الصناعة فيه وليدة العصر الحديث بل تميز بصناعات

قديمة قبل أن ينضوي تحت لواء الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية.

ويتسع القلب الصناعي لهذه الدول مبتعداً عن منطقة الحدود المشتركة بينها. وتتوفر هنا المواد الخام المحلية اللازمة للصناعة لعلّ أبرزها حقول الفحم في سيليزيا وخامات الحديد في جبال السوديت وأور Ore ورواسب اللجنيت الضخمة في التلال والأراضي المجاورة (شكل رقم ٢٣). وقد بلغ إنتاج هذا الإقليم المشترك في سنة ١٩٨٠ نحو ٢٣٠ مليون طن من الفحم و ٤٠٠ مليون طن من اللجنيت وحوالي ٤٠ مليون طن من الصلب. وذلك كله بالإضافة إلى أنَّه أنتج نحو ٤٪ من نحاس العالم وكميات ضخمة من الرصاص والمنتجات الأخرى رخيصة الثمن مثل الزجاج والسيراميك والصلصال والإسمنت والطوب. كما أنَّ هذا الإقليم الصناعي يعد أكبر أقاليم أوروبا المنتجة للمنسوجات وأحد الأقاليم العالمية في الصناعات الكيماوية، كذلك فإنَّه ينتج أكثر من مليون سيارة ونحو ٢ مليون جهاز تلفزيون سنويا.

وتقوم به المدن الصناعية الكبرى المشهورة وأهمها ليبزيج وكراكوف Krakow وبراغ وعشرات المدن المتوسطة والصغيرة ومئات المراكز الصناعية التي تتناثر به وتحيطه.

وبالإضافة إلى النشاط الصناعي الضخم تقوم الزراعة في منطقة القلب على أطرافه وبالقرب منه وتكون منطقة زراعية هامة في الدول الثلاث.

١ - بـــــولنده

تزيد مساحة بولنده قليلاً عن ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وبسكان قدِّر عددهم بنحو ٣٦ مليون نسمة وهي بذلك أكبر دول شرق أوروبا، وقد كان لها علاقات قوية مع الغرب وهاجر منها عدد كبير من السكان إلى العالم الجديد خاصة الولايات المتحدة وتتميز بشخصية مستقلة عن بقية دول شرق أوروبا وإن كانت قد تعرضت في تاريخها الطويل لتغيرات حادة في الحدود السياسية وحتى وصلت إلى شكلها الحالي وقد كانت التغيرات التي شهدتها بولنده ناتجة عن وقوعها بين الاتحاد السوفيتي في الشرق وألمانيا في الغرب.

شكل رقم (٢٣)

نطاق القلب الصناعي في بولنده وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا

وتكون السهول الوسطى النواة التاريخية والسياسية لبولنده، وتبدو مستوية السطح وذات تربات تتفاوت خصوبتها من إقليم لآخر بها. فالسهول الرملية الواقعة جنوب التلال الركامية في الشمال تعد ضعيفة التربة، وقد كانت هذه السهول أهم مناطق طرد السكان الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية بين عامي ١٨٦٣ و ١٩٢٥. وإلى الجنوب من هذه السهول يوجد نطاق من التربة الخصبة التي تقوم به الزراعة خاصة القمح والبنجر. أمّا التلال والأودية الجنوبية فهي أكثر مناطق بولنده إنتاجاً وسكاناً. ويمتد نطاق من الأراضي الجيرية من سيليزيا العليا وشرقاً حتى الحدود الروسية يكون مقدمات جبال الكربات. أمّا جبال الكربات والسوديت ومقدماتها الجبلية القريبة فتحوي ثروة بولنده المعدنية، وتتبعثر في هذه المناطق الجبلية أحواض خصبة التربة وتتخللها بعض الممرات المنخفضة.

الزراعة:

كانت الزراعة حتى عهد قريب أساس الاقتصاد البولندي وما زالت تسهم في إعالة نحو ٣٠٪ من جملة السكان. وتصل مساحة الأراضي الزراعية نحو نصف مساحة بولنده. وفي بعض السنوات ذات المعدلات العادية تحقق بولنده الاكتفاء الذاتي بل وتصدر فائضاً من الغذاء. وفي سنوات أخرى يقل الإنتاج وتضطر بولنده إلى استيراد الحبوب. ومعظم المزارع صغيرة الحجم وأربعة أخماسها ملكية فردية وتتعرض لتناقص مستمر في عدد العاملين بها حيث تزداد تيارات الهجرة إلى المدن الصناعية. وتتولى المزارع الجماعية توفير الآلات الزراعية، كما أدّى إنتاج المخصبات الزراعية في سيليزيا إلى توفيرها محلياً لتسميد الأرض، ومع ذلك فما زالت إنتاجية الأرض الزراعية في بولنده دون مستوى أي مثيلتها في دول البنلوكس أو ألمانيا مثلاً بنحو ٤٠ ـ ٥٠٪ ويزرع القمح والشعير على نطاق واسع وكذلك الشيلم، وتعد البطاطس من المحاصيل الرئيسية الهامة وإن فاقتها في الأهمية محاصيل الأعلاف والمحاصيل الصناعية مثل البنجر وعباد الشمس والنباتات الزيتية، وإضافة إلى ذلك تزايدت أهمية إنتاج الحيوان في السنوات الأخيرة.

ويمكن تقسيم بولنده إلى عدة مناطق مميزة، فأراضي اللويس في الجنوب مع الأراضي التي استصلحت من المستنقعات تزرع القمح كما تسود الزراعة لإنتاج الألبان حيث تتقابل حقول القمح في الأودية بمراعي الجبال، وفي القسم الغربي تبدو المزارع أكبر واستخدام الآلة أكثر، ويزرع الشعير في دورات زراعية، بينما تتخصص أجود الأراضي في زراعة المحاصيل الصناعية، وفي الشرق تتخصص المزارع في إنتاج الألبان وذلك لاستهلاك المدن الكبرى بالإقليم. أمَّا في منطقة بوزنان Poznan فتسود تربية الحيوانات اعتماداً على زراعة الشوفان والبطاطس، وأهم الحيوانات هي الماشية والخنازير، وهذا الإقليم يتخصص في الرعي التجاري ويشبه مزارع ألمانيا الاتحادية والدنمرك.

أمَّا حول العاصمة وارسو فيوجد نطاق من الزراعة التقليدية حيث تسود زراعة الحبوب والأعلاف، وتعتمد على المخصبات اعتماداً كبيراً. كذلك تربى الأغنام والماشية لتموين وارسو وتوابعها باللحوم والألبان. وإلى الجنوب الشرقي من هذا الإقليم توجد منطقة متخصصة في زراعة الحبوب والبنجر (الشمندر السكري) أما في الجزء الأدنى من نهر الأودر فتعرف بإقليم الدلتا وتتخصص في المراعي والمروج وكذلك زراعة محاصيل الأعلاف، وعلى العموم يمكن القول بأنَّ الزراعة البولندية قد تطورت في العقود الثلاثة الأخيرة حيث تزايد إنتاجها وارتفعت غلَّة الفدان بها.

الثروة المعدنية والصناعة:

كثيراً ما ينظر إلى بولنده على أنها «مستودع» المعادن لشرق أوروبا، فحقل الفحم في سيليزيا العليا ينتج نحو ٢٠٠ مليون طن من الفحم سنوياً يغذِّي بها محطات الطاقة ومصانع الحديد والصلب في شرق أوروبا ويحقق فائضاً من العملات الأجنبية من خلال صادراته للخارج. بالإضافة لذلك تتبعثر مناجم فحم اللجنيت في القطاع الأوسط من البلاد حيث ينتج من أربعة حقول رئيسية منها، ولكن بولنده فقيرة في موارد البترول والغاز الطبعي حيث لا تنتج إلَّا كميات ضئيلة للغاية (٣٠٠,٠٠٠ طن من البترول و ٦ مليار متر مكعب من

الغاز الطبيعي)، ومن هنا تعتمد الصناعات الكيماوية البولندية اعتماداً كلياً على البترول السوفييتي.

ورغم أنَّ إنتاج بولنده من الحديد الخام قليل فإنَّها تنتج الصلب بكميات كبيرة معتمدة على استيراد الخامات من الخارج من الاتحاد السوفييتي. كذلك فقد دلَّت البحوث الجيولوجية على وجود احتياطي ضخم من النحاس في الجنوب الغربي ومن الكبريت الطبيعي الجيد في الجنوب الشرقي.

وتتجه الصناعات في بولنده نحو الإنتاج الصناعي الثقيل بدرجة تفوق كلًا من ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا. ويعد إقليم سيليزيا العليا هو منطقة القلب الصناعي بها ويشبه إلى حد كبير إقليم الرور في ألمانيا الاتحادية حيث تنتشر به مصانع الصلب والآلات المعدنية ومصانع الكيماويات. وأبرز المدن الصناعية كراكوف ..... Krakow حيث الصناعات المتنوعة على الحافة الشرقية للإقليم الصناعي البولندي وأبرز صناعاتها الآلات الهندسية المختلفة. أمَّا المدن الغربية في هذا الإقليم الصناعي فتتخصص في إنتاج الصناعات الكيماوية والإسمنت على نطاق كبير.

أمَّا إقليم سيليزيا الأدنى فيتخصص في إنتاج المنسوجات حيث تمتع بالخبرة في هذه الصناعات منذ العصور الوسطى، وتتوزع المدن على امتداد جبال السوديت، وأهمها تلك المجموعة من المدن في وادي نهر الأودر حيث استفادت من موقعها على هذا النهر كطريق ملاحي رخيص، وتعد مدينة وركلو Wroclow هي المدينة الرئيسية في هذا الإقليم.

وتتركز الصناعة في وسط بولنده في عدَّة مدن أهمها وارسو العاصمة ولودز Lodz وبوزنان Poznan، وتتخصص وارسو في الصناعات الاستهلاكية والمعدات الصناعية، بينما تشتهر لودز بصناعات النسيج التي اكتسبت فيها شهرة كبيرة منذ العصور الوسطى، أما بوزنان فهي مدينة الإنتاج الحربي ومعدات السكك الحديدية إضافة إلى صناعات كيماوية ودوائية ضخمة تصدرها بولنده إلى دول الكتلة الشيوعية.

ومن الأقاليم الصناعية الأخرى في بولنده وادي نهر الفستولا الأدنى الذي يتخصص في تعبئة الأغذية والصناعات الخشبية، وأبرز مدنه موانىء البلطيق المشهورة أهمها جدانسك Gdansk وجدينيا Gdy.nia وهي تتخصص في الهندسة البحرية، كذلك تقوم في هذه الموانىء صناعة تكرير البترول المستورد من الاتحاد السوفييتي.

وقد كان جنوب شرق بولنده بين المناطق التي استهدفتها خطط التنمية في الدولة لجعله إقليماً صناعياً في الثلاثينات ولم يتحقق ذلك إلاّ في الثمانينات وقد قامت الصناعة به على منجم الفحم الجديد في لوبلين Lublin كذلك اكتشف به الغاز الطبيعي وكميات ضخمة من الكبريت ورمال صناعة الزجاج والصلصال مما يكون أساساً هاماً للصناعات التي تقوم عليها. وأهم صناعات هذا الإقليم الآلات الزراعية ومعدات الطائرات والجرارات ومعدات التعدين والأجهزة وعدد كبير من الأدوات الصناعية الأخرى.

سكان بولنده:

تعدُّ بولنده واحدة من أكثر دول العالم التي شهدت انتقالاً ضخماً لعدد كبير من سكانها. ففي الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٧ طرد حوالي ٨ مليون ألماني من الأراضي الألمانية التي ضمَّت لبولنده بعد الحرب العالمية الثانية، وفي نفس الوقت استقبلت بولنده ٣,٥ مليون بولندي طردهم الاتحاد السوفييتي من الأراضي التي استولى عليها من بولنده، وقد تولت الهجرة الداخلية إعادة توزيع السكان على رقعة الدولة حيث وفدت أعداد ضخمة من المهاجرين من المناطق الريفية في وسط وشرق بولنده لملء فراغ المناطق الغربية التي أعلنت في سنة ١٩٦٠ أنها أصبحت مأهولة تماماً بالسكان، وقد كان معدل المواليد المرتفع أحد العوامل الهامة التي ساعدت على إعادة ملء هذا الفراغ السكاني عقب الحرب العالمية الثانية، حتى أنَّ سكان هذه المناطق يزيدون بنسبة الخمس عمَّا كانوا عليه قبل الحرب.

وقد ترتب على إعادة توزيع السكان في بولنده وهجرة السكان من الريف

إلى الحضر زيادة واضحة في نسبة سكان المدن التي تقرب من ٦٠٪ من السكان بعد أن كان ٢٠٪ فقط قبل سنة ١٩٣٩، وقد أدّى ذلك إلى إقفار الأراضي الريفية في عدد السكان في المقاطعات الشرقية والجنوبية الشرقية. وتعد وارسو العاصمة (٢,٢ مليون نسمة) مركز الجذب السكاني الرئيسي في البلاد ويليها المدن الصناعية في سيليزيا ثمّ مدن الموانىء الساحلية.

وقد تعرّضت بولنده لهجرة دولية خارجة أبرزها هجرة نحو مليون بولندي إلى ألمانيا الغربية بعد سنة ١٩٤٥، كذلك توجد أقليات بولندية في الاتحاد السوفييتي (١,٦ مليون) وعدَّة آلاف منهم في تشيكوسلوفاكيا والمجر، وبالإضافة إلى ذلك هناك عدَّة ملايين من المهاجرين وأحفادهم يعيشون في الولايات المتحدة وكندا وفرانسا وبريطانيا وألمانيا الغربية واستراليا.

٢ ـ ألمانيـــا الشرقية

تتمتع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ـ كما تعرف رسمياً ـ بأعلى مستوى للمعيشة بين كل دول الكتلة الشيوعي، وتشغل ألمانيا الديموقراطية القطاع الزراعي الكبير من ألمانيا قبل التقسيم بينما ألمانيا الغربية تشغل ما كان يعرف بالقطاع المعدني والصناعي الكبير.

وتبلغ مساحة ألمانيا الشرقية ١٠٨,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وسكانها يبلغ عددهم نحو ١٧ مليون نسمة، وتمثل منطقة الاحتلال السوفييتية بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وقد طرد إليها نحو ٤,٥ مليون ألماني من الأقطار الشرقية في أوروبا ومن المناطق التي استولت عليها بولنده من ألمانيا بعد الحرب (شرق نهر الأودر ورافده نيسه)، وذلك كله فيما بين عامي ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠، وبعد ذلك هاجر من ألمانيا الشرقية نحو ٢,٨ مليون ألماني نحو ألمانيا الغربية بين عامي ١٩٥٥ ـ ١٩٦١، وقد أدّى هذا التدفق الضخم للمهاجرين من ألمانيا الشرقية إلى بناء سور برلين في أغسطس ١٩٦١ لمنع هجرة السكان إلى برلين الغربية ومنها إلى باقي ألمانيا الغربية وفي الوقت الحاضر لا يسمح قانوناً إلَّا بهجرة نحو ٢٠,٠٠٠ مهاجر ألماني شرقي سنوياً إلى ألمانيا

الغربية ومعظمهم من كبار السن والمعوقين. وإن كان البعض يهاجر بطرق أخرى غير مباشرة (مثل طلب اللجوء السياسي في الخارج).

وكما هي الحال في ألمانيا الاتحادية، يفوق معدَّل الوفيات معدل المواليد مما انعكس على تناقص السكان فيما بعد الحرب العالمية الثانية.

الزراعة:

تبلغ مساحة الأرض المزروعة في ألمانيا الشرقية نحو ٥٠٪ وتغطي الحشائش والمروج نحو ١٥٪ أخرى، وتخضع الزراعة لنظام التجميع الزراعي وتزداد إنتاجية الفدان بدرجة تشبه مثيلتها في دول غرب أوروبا وهي تعد بذلك المثل الوحيد بين الدول الشيوعية التي ترتفع فيها إنتاجية الفدان إلى هذا المستوى، وتزرع معظم الأراضي بالحبوب والبنجر لتقليل الاعتماد على الواردات الغذائية من الخارج. ويعمد المزارع إلى استخدام المخصبات بشكل كثيف لزيادة الإنتاج. كذلك تزايد الاهتمام بالثروة الحيوانية خاصة الماشية والخنازير لتقليل استيراد اللحوم حتى أصبح نصيب الفرد من إنتاج بعض عناصرها مثل الدواجن والخنازير يفوق مثيله في ألمانيا الغربية. وعلى ذلك فما زالت ألمانيا الشرقية تعتمد على الخارج في استيراد احتياجاتها الضرورية من الحبوب والأغذية الزراعية.

المعادن والصناعة:

تعد ألمانيا الشرقية أولى دول العالم في إنتاج الفحم الأسمر (اللجنيت) حيث تبلغ إنتاجها نحو ٢٥٠ مليون طن سنوياً (ربع الإنتاج العالمي سنة ١٩٨١) كذلك تملك احتياطياً ضخماً من البوتاس والمعادن النادرة مثل اليورانيوم في جبال أور Ore وثورينجيا Thuringia (شكل رقم ٢٣)، وعموماً فالثروة المعدنية ليست متنوعة في ألمانيا الشرقية وليست ضخمة ولكنها تكفي لمواجهة احتياجات البلاد من الوقود وبعض المواد الخام الأخرى للصناعات الكيماوية المتقدمة. وتعمل نسبة كبيرة من السكان في الصناعة وتفوق ألمانيا الشرقية في ذلك أي دولة أخرى في العالم (باستثناء الدول المدنية مثل سنغافورة وهونج

كونج ورغم عدم توفر فحم الكوك أو الحديد الخام بها فإنها تنتج نحو ٧ مليون طن من الصلب سنوياً اعتماداً على استيراد هذه المواد من الخارج خاصة الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية المجاورة.

وتأتي الصناعات الكيماوية في مقدمة الصناعات في ألمانيا الشرقية في قيمة الإنتاج وتوجد بها واحدة من أكبر مصانع الأسمدة الكيماوية والصناعات الكيماوية الأخرى للاستهلاك المحلي والتصدير. ويعدُّ فحم اللجنيت أهم مصدر للطاقة المتوفرة محلياً للصناعة. وتستورد البترول من الاتحاد السوفييتي بواسطة خط الأنابيب المعروف بخط الصداقة..... Friendship Pipeline وتقوم على البترول ومنتجاته صناعة هامة كيماوية أخرى. وقد تخصصت ألمانيا الشرقية في صناعة اللدائن والمنتجات المشابهة وتصدر هذه المنتجات لأسواق الكتلة الشيوعية.

وتتركز صناعة النسيج في ألمانيا الشرقية في مقاطعة ساكسوني... Saxony، وتعد مدينة كارل ماركس شتاد.... Karl Marx Stadt أولى المراكز في صناعة الخيوط والملابس الصناعية، كالفراء الصناعي وغيره من الملابس. كذلك تعد برلين الشرقية العاصمة مركزاً رئيسياً للصناعات الألكترونية ومعدات المكاتب والأجهزة المنزلية. وتشتهر ليبزيج وتوابعها بإنتاج البصريات والعدسات وأدوات المعامل الطبية وأدوات الصناعة.

ومن المدن الصناعية الأخرى مدينة درسدن ...Dresdon وليبزيج وبعد أن كانت درسدن قبل الحكم الشيوعي سكنية راقية بمسارحها وفنونها ومتاحفها التي تحوي مجموعات فنية رائعة أصبحت الآن مدينة صناعية بحتة تتخصص في صناعات الخزف والصيني والمنسوجات والصناعات الكيماوية والآلات وكذلك البصريات.

أمّا ليبزيج، المشهورة بمعرضها التجاري العالمي السنوي - فقد مارست هذه الوظيفة منذ العصور الوسطى. فقد كان معرضها قائماً على المنتجات الزراعية في ظهيرها الزراعي حيث أخصب ألمانيا الشرقية، وأدّى ذلك إلى تقوية

علاقات ليزيج بشرق أوروبا منذ عصر مبكر. ولكن معرضها العالمي اليوم تحول إلى المنتجات الصناعية المختلفة من دول الكتلة الشيوعية ومكان لتبادل السلع والآلات والتقنية بين الشرق والغرب تماماً كم يحدث في بوزنان في بولنده. وتنتج المدينة وضواحيها الآلات الهندسية والمصانع الكاملة، وما زالت ليبزيج مركزاً هاماً لإنتاج الفراء اعتماداً على استيراد الفراء الخام من الاتحاد السوفييتي، كذلك اشتهرت منذ عهد طويل بالطباعة والنشر وصناعة المطابع.

وقد ترتب على تقسيم ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية تنمية ميناء روستوك Rostock.... وكان هذا الميناء من موانىء الهانزا القديمة واعتراه الركود زمناً طويلاً حتى أصبح اليوم ميناء ألمانيا الشرقية الرئيسي بل ويعمل جاهداً على جذب تجارة تشيكوسلوفاكيا (إلى الخارج) إليه بعيداً عن ميناء تسزن Szezcin البولندي.

٣ ـ تشـــيكوسلوفاكيا

ظهرت تشيكوسلوفاكيا. كدولة سنة ١٩١٨، عندما توحد التشيك والسلوفاك بعد انهيار امبراطورية النمسا والمجر وهاتان المجموعتان ترتبطان ثقافياً وكذلك تتشابه لغتاهما ولكن يبدو أن كلًا منهما كان صغيراً من ناحية العدد بحيث لا يمكنه تكوين دولة منفصلة ومن ثمَّ ارتبطا طواعية لتكوين دولة تشيكوسلوفاكيا. لكن التشيك كانوا أكثر عدداً من السلوفاك كما كانوا أكثر تقدماً من الناحية التقنية والعلمية والسياسية. وكان يعيش إلى جانب هاتين المجموعتين أقليات من الألمان ـ، والبولنديين والمجريين كونت في مجموعها نحو ٤ مليون نسمة من مجموع السكان الذي وصل إلى ١٣,٦ مليون نسمة، وكان الألمان أكبر هذه الأقليات حيث قدِّر عددهم بنحو ٣,٣ مليون نسمة يعيشون في بوهيميا ومورافيا فيما كان يسميه هتلر بالسوديتلاند ......Sudetenland. وكانت هذه الأقلية آداة في يد هتلر لتحطيم تشيكوسلوفاكيا في سنة ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ إلاَّ أنَّ معظم الألمان طردوا بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت تشيكوسلوفاكيا منذ سنة ١٩٤٥ أكثر تجانساً من حيث السكان، فقد تبادلت مع المجر نحو

۲۰۰,۰۰۰ مجرى، مقابل ۸۰,۰۰۰ سلوفاكي، كما استولى الاتحاد السوفييتي على منطقة روثنيا الكرباتية الصغيرة المساحة في أقصى الشرق والتي كان يسكنها أقلية أو كرانية، وتناقصت الأقليات بعد ذلك حتى أصبحت نسبتها لا تتعدّى ٦٪ من جملة السكان في الوقت الحاضر بعد أن كانت ثلث السكان قبل الحرب العالمية الثانية.

ويبلغ عدد التشيك ضعف عدد السلوفاك رغم ارتفاع معدَّل المواليد لدى هؤلاء الآخرين، ومعظم التشيك بروتستانت بينما غالبة السلوفاك تتبع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وما زال القطاع السلوفاكي من الدولة يغلب عليه الطابع الزراعي وأقل في مستواه الاقتصادي من القطاع التشيكي المتقدم، ومع ذلك ليست هناك مشكلات تهدد كيان الدولة.

الزراعة:

يعمل ۱۲٪ فقط من سكان تشيكوسلوفاكيا بالزراعة مقابل ٥٠٪ سنة ۱۹۳۹ ومع ذلك فهي من القطاعات الاقتصادية الهامة في الدولة. ويعدُّ حوض بوهيميا أحد المناطق الزراعية الرئيسية الأربعة في البلاد وكان قلب المملكة التشيكية القديمة ويشتهر بتربة اللويس الخصبة التي تنتج القمح والشعير والبنجر، كذلك تقوم حرفة تربية الحيوان على النباتات الطبيعية والمروج. والمنطقة الزراعية الهامة الأخرى هي منطقة منخفضات مورافيا، فتتميز أجزاؤها الجنوبية بالدفء الذي يكفي نضج الكروم والذرة بينما تتخصص أطرافها الشمالية في زراعة الشعير والبنجر.

أمَّا المنطقتان الزراعيتان الأخريان فهما في سلوفاكيا وهما وادي الدانوب وأودية الروافد العليا لنهر تيزا Tisza في أقصى شرق تشيكوسلوفاكيا. وتنتج هذه المناطق الذرة وعباد الشمس والتبغ بالإضافة إلى القمح والكروم، أمَّا الأراضي الزراعية الأخرى فتنتج الشوفان والبطاطس وتربي الخنازير والماشية. وتخضع الزراعة للنظام الجماعي ومع ذلك هناك مزارع ما زالت تخضع للزراعة الفردية في المناطق الجبلية في سلوفاكيا، ورغم استخدام الآلات إلَّا أنَّ الزراعة

تعاني نقصاً في الأيدي العاملة بسبب هجرة الشباب إلى المدن.

وبالرغم من ارتفاع إنتاجية الأرض في تشيكوسلوفاكيا فإنَّ الزراعة لا تكفي لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء، وذلك لتخصيص مساحة واسعة لزراعة المحاصيل الصناعية، وتزيد إنتاجية الفدان من الحبوب عن مثيلتها في الولايات المتحدة ولعلَّ البيرة والنبيذ هما الصادرات الغذائية الرئيسية للبلاد في الوقت الذي تستورد فيه الحبوب وبعض الأغذية الأخرى من الخارج.

المعادن والصناعة:

تعد تشيكوسلوفاكيا أغنى من ألمانيا الشرقية في الثروة المعدنية وإن كانت أقل من بولنده في هذا الصدد. وتتوفر موارد ضخمة من فحم اللجنيت في جبال أور Ore التشيكية وبالقرب منها، ومعظمها من الفحم الجيد، ويبلغ الإنتاج السنوي نحو ١٠٠ مليون طن وذلك إضافة إلى نحو ٣٠ مليون طن من فحم البيتومين من سيليزيا العليا التشيكية.

وتنتج جبال أور السلوفاكية الحديد الخام واليورانيوم وحتى الذهب بكميات قليلة، وتعد خامات الحديد أساس صناعة الحديد والصلب في هذا الإقليم بالإضافة إلى إنتاج مميز لها هو الجرافيت لصناعة الأقلام الرصاص والكاولين الجيد لصناعة الصيني والخزف. وتعتمد البلاد على الاتحاد السوفييتي في إمدادها بالبترول والغاز الطبيعي.

والصناعة هي عماد الاقتصاد التشيكي ويوجد بالبلاد ثلاث مناطق رئيسية لصناعة الصلب إحداها في كلادنو Kladno قرب براغ والثانية في سيليزيا العليا (في استرافا ...Ostrava) والثالثة في كوسايس Kosice في شرق سلوفاكيا. ويبلغ إنتاج تشيكوسلوفاكيا ١٥ مليون طن من الصلب ويعد نصيب الفرد من هذا الإنتاج ومن استهلاك الصلب أعلى من أي قطر آخر باستثناء لوكسمبرج. كما أنها تتصدر كل دول شرق أوروبا في الإنتاج والاستهلاك بالنسبة للطاقة الكهربائية.

وتعد معدات النقل والأسلحة عناصر الإنتاج الصناعي بها، وتنتج مصانع سكودا ذات الشهرة العالمية والتي توجد في بلزن Pilsen (Plzen) وبعض المدن الأخرى أكثر من ثمانمائة عنصر من المنتجات المعدنية والآلات وأبرزها السيارات والأسلحة الخفيفة. كذلك تنتج براغ كثيراً من الصناعات المعدنية ولكن أهمها أجزاء الطائرات والسيارات الكبيرة والحافلات والدراجات وأدوات الآلات ومعظم هذا الإنتاج الصناعي يتم تصديره.

كذلك تقوم الصناعات الكيماوية بدور هام في الاقتصاد القومي حيث تتم بأكملها لاستهلاك السوق المحلي التي تستورد الخامات اللازمة بتكاليف نقل مرتفعة وتشتهر تشيكوسلوفاكيا بصناعاتها الزجاجية المتقدمة حيث تصدر الكريستال وزجاج المعامل والمجوهرات وغير ذلك.

السكان:

رغم المستوى المرتفع من التصنيع في تشيكوسلوفاكيا فإنَّ عدد المدن الكبرى قليل أهمها العاصمة براغ بسكان يبلغ عددهم ١,٢ مليون نسمة من جملة السكان البالغ عددهم ١٥ مليون نسمة. وهي مدينة مخططة ولم تدمرها الحروب وتحوي مظاهر عمارة من كل الأنواع. ويتوزع السكان بانتظام على رقعة البلاد في قرى ومدن صغيرة يتراوح سكانها من ٢٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ نسمة. وتمتد مدينة براتسلافا Bratislava على نهر الدانوب، وقد أصبحت المدينة الثانية في البلاد بفضل تقدمها الصناعي.

وتعد تشيكوسلوفاكيا عضواً مطيعاً في الكتلة الشيوعية، ولم تشهد اضطرابات أو قلاقل كبيرة كما حدث في بعض الدول الشيوعية الأخرى لأنَّ الحزب الشيوعي بها كان قوياً منذ البداية، ولأنَّ المستوى الاقتصادي كان أكثر ارتفاعاً منه في أية دولة شيوعية أخرى ومع ذلك فقد شهدت بعض الاضطرابات سنة ١٩٥٣، واتَّبعت منذ الستينات سياسة انفتاح سياسي بعد مرحلة طويلة من الركود، وكذلك شهدت قلاقل أخرى مما اضطر القوات السوفييتية إلى التدخل سنة ١٩٦٨ لتقوية القبضة الشيوعية عليها.

رومـــانيا والمجر

يسكن رومانيا والمجر عناصر غير سلافية مختلفة في ذلك عن بقية دول شرق أوروبا، فاللغة الرومانية ذات الأصل اللاتيني تمثل تراثاً ثقافياً على امتداد خمسة عشر قرناً منذ نهاية الإمبراطورية الرومانية. أمَّا لغة المجر وهي الماجيار Magyar.... فهي لسان آسيوي قديم ولا ينتمي إلى أية لغة هندوأوروبية وفي كلتا الحالتين تأثرت اللغة بالمؤثرات السلافية وظهر ذلك في بعض الكلمات بهما، كما تبدو هذه المؤثرات في المظاهر الحضارية كالأدوات الزراعية والملابس الشعبية والطعام والموسيقى ومع كل ذلك فالثقافة الرومانية والمجرية ذات شخصية مميزة وكانت الدافع الأول في النزعة الاستقلالية عن الدول السلافية المجاورة.

وقد عانت الدولتان كثيراً من سيطرة الدول الأخرى لعلَّ أبرزها السيطرة التركية التي استمرَّت نحو أربعمائة سنة في رومانيا ومائة سنة في المجر، وقد كان للغزو التركي أثر كبير في حياة هاتين الدولتين. وكما هي الحال في شرق أوروبا تعرضت حدود الدولتين لكثير من المنازعات من الدول المجاورة ولكن أبرزها ما تعرضت له رومانيا عندما استولى الاتحاد السوفييتي على نحو (٣٥,٠٠٠) كلم[٢] سنة ١٩٤٠، وهي التي تكون حالياً جمهورية مولدافيا السوفييتية والتي يعيش بها نحو ٢,٥ مليون نسمة من الناطقين بالرومانية.

وبالإضافة إلى ذلك تمثل الدولتان منطقة انتقال حضاري بين غرب أوروبا وشرقها، فالمجر تسود بها الديانة الكاثوليكية الرومانية أو البروتستانت وذلك كما هي الحال في السلاف الشماليين، أمَّا رومانيا فتسود بها الكاثوليكية الأرثوذكسية كما هي الحال في روسيا واليونان ومعظم السلاف الجنوبيين. كذلك فإنَّ الدولتين تشغلان وسط شرق أوروبا ـ فيما بين البلقان جنوباً والسهل الأوروبي الشمالي شمالاً، كما يقعان في منطقة انتقال بين الإسلام والمسيحية. ويسيطران على بعض الطرق التجارية التقليدية الهامة لأوروبا ويتميزان بخصوبة أراضيهما وإنها من أكثر أراضي أوروبا إنتاجية، وفوق ذلك كله يربط نهر

الدانوب الدولتين بطريق للنقل والتجارة، وعلى ذلك تبدو الدولتان في النهاية معبراً ثقافياً لحضارة أورو آسيوية منذ وقت مبكر.

وتمثل رومانيا والمجر منطقة هامة لإنتاج الحبوب لغرب أوروبا وذلك اعتماداً على تربتها السوداء الخصبة. وتبدو كل دولة منها ذات عاصمة مهيمنة على بقية المدن بالدولة. فيعيش نحو عشر الرومانيين في العاصمة بوخارست. وتحوي هذه المدينة نحو ٢٥٪ من جملة الصناعات الرومانية. ومن هنا فهي مدينة مهيمنة . . . Primatc City بالدرجة الأولى. كذلك يعيش في بودابست عاصمة المجر نحو ربع سكان الدولة ويتركز بها أكثر من نصف الصناعات بها، وقد لعبت كلتا العاصمتين دوراً كبيراً كنويات للتنمية في هذين القطرين وكان ذلك على حساب المراكز العمرانية في ظهيرها الجغرافي.

٤ ـ المجـــــر

كانت المجر حتى سنة ١٩١٨ جزءاً من إمبراطورية النمسا والمجر، وكان المجريون يحكمون عدداً كبيراً من السلوفاك والرومانيين والصرب والكروات الذين كان مجموعهم يكاد يتساوى مع عدد المجريين أنفسهم، وعندما انهارت الإمبراطورية سنة ١٩١٨ قسِّمت مملكة المجر تقسيماً شنيعاً بدرجة لم تتعرض لها أي دولة أخرى في أوروبا وتناقصت مساحتها إلى أقل من ثلث ما كانت عليه وفقدت أكثر من نصف عدد سكانها السابقين.

وقد حصلت المجر بعد أن تحالفت مع ألمانيا الهتلرية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية على بعض المكاسب الإقليمية على حساب تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغسلافيا ولكنها فقدت كل هذه المكاسب في سنة ١٩٤٥ وأعيدت حدودها إلى ما كانت عليه سنة ١٩٣٧، وذلك بعد أن اكتسحتها القوات السوفييتية (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) وأقامت حكومة موالية للاتحاد السوفييتي، وقامت بها ثورة في سنة ١٩٥٦ للتحرر من السيطرة من الشيوعية ولكن تمكنت القوات السوفييتية من إخمادها، ومنذ ذلك التاريخ بدأت السيطرة السوفييتية تخف تدريجياً مع استمرار المجر دولة هامة من دول المعسكر الشيوعي.

سكان المجر:

تبلغ مساحة المجر ٩٣,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، ويسكنها نحو ١٠,٧ مليون نسمة وينمو السكان بمعدَّل منخفض للغاية بل تتفوق الوفيات على المواليد (الوفيات ١٤ في الألف والمواليد ١٣ في الألف سنة ١٩٨٣) ومنذ أن هاجر من المجر نحو نصف مليون نسمة بعد إحداث سنة ١٩٥٦، لم يرتفع معدل النمو السكاني بها حيث لم يتعدَّى معدَّل النمو نصف في المائة في أية سنة بعد ذلك ويقدر عدد المهاجرين المجريين خارج حدود الدولة بنحو ٤,٥ مليون نسمة منهم ٣ مليون نسمة في الأقطار المجاورة التي كان تحكمها المجر من قبل.

ولعبت الهجرة الداخلية دوراً كبيراً في زيادة نسبة سكان المدن التي تصل الآن إلى نحو ٥٥٪ من جملة السكان. وبالمقاييس الأوروبية تعد المجر دولة كثيفة السكان حيث تبلغ الكثافة نحو ١١٤ نسمة في الكيلومتر المربع، مما يعكس الخصوبة العالية للأرض المنزرعة. ويعيش السكان الريفيون في قرى كبيرة ـ عكس دول غرب أوروبا وكما يحرص المزارع على أن تكون لهم مساكن في حقولهم للإقامة بها أثناء فصل العمل الزراعي الكثيف.

الزراعة:

يفيض الإنتاج الزراعي عن حاجة المجر، فتبلغ مساحة الأراضي المنزرعة بها نحو ثلاثة أرباع مساحة الدولة تخصص ٦٠٪ منها لزراعة المحاصيل. والذرة أول المحاصيل المنزرعة من حيث المساحة والإنتاجية ويليه القمح. كما يزرع البنجر في مساحة كبيرة وتقوم عليه صناعة السكر التي تحقق فائضاً كبيراً، كما يستخدم لب البنجر Pulp في تغذية قطعان الخنازير، ولذا يفيض إنتاج اللحوم أيضاً عن حاجة السكان وهذا أمر نادر في دول شرق أوروبا.

والأرض الزراعية تخضع للتجميع الزراعي أو تحت إشراف الدولة وكان ذلك أمراً سهلاً في دولة سادت بها الإقطاعات الكبيرة ولم يكن للملكيات الصغيرة إلاَّ دور صغير وقد اتُّبعت المجر هذا النظام منذ سنة ١٩٥٠ مباشرة وإن كان يسمح للزراع ببعض الملكيات الخاصة الصغيرة.

وقد بدأت زراعة البساتين .....Horticulture تحظى بأهمية كبيرة في السنوات الأخيرة، فقد تحوّلت مساحات كبيرة إلى زراعة الكروم والفاكهة وذلك لتصديرها إلى دول الكوميكون، وقد أصبحت المجر بسرعة الدولة المصدرة للغذاء لكثير من دول شرق أوروبا.

المعادن والصناعة:

تعد المجر أفقر دول أوروبا الشرقية في مواردها المعدنية، فلا تنتج إلاّ كمية قليلة من البترول والغاز الطبيعي (٢ مليون طن بترول سنوياً) لا تكفي استهلاكها المحلي، وتستورد نحو ٨٠٪ من كمية البترول الذي تستهلكه سنوياً، وفي الوقت الذي توجد فيه كميات كبيرة من فحم اللجنيت فإنّها تستورد فحم الكوك اللازم لصناعة الصلب بها من الخارج، وتستخدم اللجنيت في محطات توليد الطاقة الكهربائية وقد أنشأت المجر محطة طاقة نووية لتوليد الكهرباء بمساعدة السوفيت ولكنها تستورد كميات كبيرة من الطاقة الكهربائية من الاتحاد السوفييتي الذي ربط المجر بشبكتها الكهربائية القومية. كما يمتد خطان للأنابيب لنقل البترول السوفييتي اللازم للمشروعات المجرية كما أنشىء خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي من حقوق الفولجا ـ الأورال مباشرة إلى المجر.

وتوجد كميات قليلة من الرصاص والزنك والحديد الخام وإن كانت لا تكفي الاستهلاك الصناعي مما يجعل المجر تستورد بقية احتياجاتها من الخارج، ولا تنتج من المعادن التي يفيض إنتاجها سوى البوكسيت وأنشئت عليه صناعة سوفييتية مجرية مشتركة لإنتاج الألمنيوم معتمدة على خامات البوكسيت من المجر وعلى الطاقة من الاتحاد السوفييتي وادي ذلك إلى جعلها واحدة من أكبر الدول الأوروبية في صناعة الألمنيوم.

وتتخصص المجر في إنتاج عدد وفير من الصناعات الاستهلاكية لعلّ أبرزها صناعة أجهزة التلفزيون التي تصدرها إلى بقية الدول الشيوعية وكذلك البرادات (الثلاجات) وأجهزة المطابخ وغير ذلك. كذلك فقد اشتهرت بصناعة الحافلات والقطارات الفاخرة والأثاث وذلك بالإضافة إلى صناعة الأنبذة

والأدوات الموسيقية التي تصدر إلى كل أوروبا ثمَّ الملابس والأحذية. والأدوات الصناعية اللازمة للآلات المختلفة.

وتتركز معظم الصناعات في بودابست وتنتشر باقي الصناعات في بقية المدن وعلى امتداد نطاق المرتفعات الممتدة من بحيرة بالاتون Balaton وحتى مدينة ميسكولك ...Miskolc، أمَّا الصناعات الكيماوية التي تحتاج كميات كبيرة من المياه فقد قامت على امتداد نهر الدانوب في محوره الشمالي الجنوبي عبر مدينة بودابست.

وتعد المجر أكثر دول شرق أوروبا اعتماداً على التجارة الخارجية، وتحظى دول الكتلة الشيوعية السوفييتية بنحو نصف هذه التجارة، ويمثل الاتحاد السوفييتي أكبر مستورد (٣٠٪ من صادرات المجر تتجه إليه) وأكبر مصدر للمواد الخام اللازمة (نحو ربع واردات المجرتاتي منه)، وبالإضافة إلى ذلك تتبادل المجر التجارة مع النمسا وألمانيا الاتحادية وسويسرة وإيطاليا وبعض دول العالم الثالث.

٥ ـ رومـــانيا

يوحي اسم رومانيا بأنها تنحدر من الإمبراطورية الرومانية، بل إنَّ جزءاً كثيراً من أراضيها قد غزته بالفعل القوات الرومانية في القرن الثاني الميلادي وقد أدمج في الإمبراطورية الرومانية تحت اسم داشيا Dacia، وقد ترك ذلك بصمات واضحة على اللغة ذات الأصل اللاتيني ـ وإن كان ادعاء الرومانيين بأنهم نسل الرومان القدامى في عهد الإمبراطورية الرومانية ادعاء لا يقبله كثير من العلماء والباحثين.

وتعد رومانيا دولة مندمجة الشكل، ولكن تقطعها السلاسل الجبلية ـ جبال الكريات وجبال الألب الترانسلفانية، وربما كانت هذه الجبال هي الملاذ الذي التجأ إليه أحفاد سكان إقليم داشيا الذين صبغوا بالصبغة الرومانية في وجه الغزاة الذين غزوا هذه البلاد بعد ذلك فقد خضعت هذه الأراضي التي تكون رومانيا الحديثة لغزاة متعددين مثل البولنديين والأتراك والروس والصرب

والنمسويين. ولذا لم تظهر الدولة الحالية إلَّا في منتصف القرن التاسع عشر. وقد استفادت رومانيا كثيراً من الحرب العالمية الأولى حيث تضاعفت مساحتها عن طريق ضم أراض تسكنها عناصر مجرية وصربية وبلغارية وأوكرانية وروسية وألمانيا بل وتركية، وفي سنة ١٦١٨، ضمَّت رومانيا مقاطعة بسارابيا التي طالب الاتحاد السوفييتي بها سنة ١٩٤٠ وكذلك بإقليم بكوفينا Bukovina، وحصل عليها بالفعل وأجبرت رومانيا على إعادة أراضي بلغاريا إليها، وتأكدت هذه التسويات الإقليمية في معاهدة الصلح التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.

سكان رومانيا:

يبلغ عدد سكان رومانيا نحو ٢٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٣ يعيشون في مساحة قدرها ٢٣٧,٠٠٠ كيلومتر يتزايدون بمعدل منخفض يقل عن ١٪ سنوياً، وتصل كثافة السكان إلى نحو ٩١ نسمة في الكيلومتر المربع مما يدل على أنَّها دولة منخفضة الكثافة إذا قورنت بقية دول شرق أوروبا، وتتباين أرضها في الخصوبة حسب ظاهرات السطح والعوامل المحلية المؤثرة في التربة.

الزراعة:

يصل نسبة الأراضي القابلة للزراعة في رومانيا إلى ٦٥٪ من جملة مساحة البلاد رغم أنَّ ٤٠٪ فقط من هذه المساحة هو المنزرع بالمحاصيل، وتشغل الحشائش والمروج مساحة كبيرة، ويمكن أن تتحول مساحات واسعة إلى الزراعة في وادي الدانوب ودلتاه إذا نفذت بها مشروعات الصرف والتحكم في فيضان النهر، وتبلغ نسبة المزارع الفردية نحو ١٠٪ من مزارع الدولة ومعظم هذه المزارع تشغله الحشائش والمروج.

ونظراً لتذبذب سقوط الأمطار في رومانيا فإنَّ إنتاجية الحبوب متذبذبة بها. ويعد الذرة المحصول الرئيسي، ويليه القمح الذي يكفي إنتاجه الاستهلاك المحلي بل ويفيض في بعض السنوات للتصدير وقد زرعت مساحات كبيرة في السنوات الأخيرة بالمحاصيل الزيتية والبنجر والبساتين لإنتاج الكروم والفاكهة، وقد تطور لذلك السبب إنتاج النبيذ الذي يجد طريقه

للتصدير لأسواق أوروبا الغربية (غرب أوروبا).

وتعدُّ تربية الحيوان متقدمة في رومانيا أكثر منها في المجر ويبلغ عدد الأغنام نحو ١٥ مليون رأس بالإضافة إلى عدَّة ملايين من رؤوس الحيوانات الأخرى كالخنازير والأبقار، وتتفوق بها الصناعات الحيوانية كإنتاج البيض واللحوم.

وفي المتوسط تصدر رومانيا نحو ٣ أو ٤ مليون طن من الحبوب سنوياً أي ما يساوي ١٥ ـ ٢٠٪ من الإنتاج المحلي بها ورغم شهرتها الصناعية إلاَّ أنَّها تظل دولة هامة في تصدير المنتجات الزراعية.

المعادن والصناعة:

رومانيا دولة غنية بمواردها المعدنية، فهي تنتج نحو ١٢ مليون طن من البترول سنوياً وهي من أقدم الدول البترولية في العالم، ورغم ذلك لا تكفي هذه الكمية الاستهلاك المحلي مما يضطر رومانيا إلى استيراد البترول من الاتحاد السوفييتي والدول العربية. وقد اكتشفت بها واحد من أكبر حقول الغاز الطبيعي في العالم ويبلغ إنتاجها منه نحو ٣٤ مليار متر مكعب (٢,٢٪ من إنتاج العالم سنة ١٩٨٢)، وأصبح يمثل مادة أساسية للصناعات الكيماوية بها.

وتملك رومانيا احتياطيات ضخمة من الفحم ولكن معظمه منخفض الرتبة ولا تنتج من الفحم الجيد إلاَّ كميات قليلة لا تكفي الاستهلاك المحلي بها ويبلغ جملة إنتاج الفحم بها نحو ٣٠ مليون طن سنوياً من كل الأنواع، كما تنتج نحو ٥ مليون طن من الأملاح وكمية كبيرة من الأخشاب وملايين الأطنان من الحجر الجيري والكبريت وهي أهم المواد للصناعات الكيماوية بها.

وتستورد رومانيا نحو ٨٠٪ من خامات الحديد اللازمة للصناعة بها ويبلغ إنتاجها السنوي من الصلب نحو ١٥ مليون طن وهي في ذلك تأتي في المرتبة الثالثة بين دول شرق أوروبا في إنتاج الصلب وقد اكتشفت بها احتياطيات ضخمة من البوكسيت اللازم لصناعة الألمنيوم وكذلك تنتج النحاس بكميات متواضعة ولكنها من الدول الكبرى في أوروبا في إنتاج الذهب والفضة كما تتوفر بها احتياطيات كبيرة من اليورانيوم.

وبالإضافة إلى هذه الموارد المعدنية تتمتع رومانيا باحتياطيات ضخمة من الغابات الطبيعية التي تعد أساساً لصناعة لب الورق والأخشاب وتعد الصناعات الكيماوية من الصناعات الهامة في رومانيا وتتركز قرب آبار البترول وبجوار الموانىء الرئيسية على نهر الدانوب وهما برايلا Braila وجالاتي Galati وميناء كونستانتا Constanta.

وتشكل الصناعات الكيماوية عنصراً رئيسياً من الصادرات الرومانية وأبرزها الأسمنت ولب الورق والورق. وذلك كله بالإضافة إلى الصناعات الثقيلة كالجرارات الزراعية ومعدات آبار البترول وحتى المصانع الكاملة. وتزداد العلاقات التجارية بين رومانيا والدول غير الشيوعية حيث تمثل التجارة معها أكبر مما تمثله مع الدول الشيوعية وأبرز صادرات رومانيا للعالم الغربي الفراء والملابس والبتروكيماويات، ويعد الاتحاد السوفييتي أهم مصدر تحصل منه رومانيا على بعض المواد الخام اللازمة لصناعاتها، وتبلغ نسبة صادرات رومانيا إلى دول العالم الثالث نحو ٢٠٪ من جملة تجارتها.

دول البلقان

أصبحت كلمة البلقان ـ مرادفة للتجزئة السياسية في أي إقليم آخر بالعالم وذلك بسبب التعقيد البشري لشبه جزيرة البلقان والتي خضعت طويلاً لحكم الأتراك الذين لم ينته في جزء كبير منها إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين في بعض جهاتها. وكان الحكم التركي قاسياً لم يسمح بالتنمية الاقتصادية ولا بظهور التنظيمات السياسية المحلية وظلّت المناطق التي غزاها وحكمها الأتراك في شبه جزيرة البلقان متأخرة اقتصادياً وغير ناضجة سياسياً.

وإقليم البلقان جبلي ومعقد في تضاريسه، ففي الغرب تمتد مرتفعات الألب الدينارية عبر أراضي دالماشيا اليوغسلافية وفي ألبانيا واليونان. وإلى الشرق تمتد مرتفعات رودوب جنوباً لتقطع أراضي بلغاريا الغربية وتفصلها عن اليونان، ويقع بين هاتين السلسلتين الجبليتين منخفض أخدودي يصرف مياهه شمالاً نهر مورافا ..Morava وجنوباً نهر فاردار Vardar وإلى الشرق منه يوجد

وادي نهر ماريتزا Maritsa الذي يتجه نحو الشرق ليصب في بحر إيجه، وعلى طول وادي نهر الدانوب وهذه الأودية مرّت جيوش معظم الغزاة الذين تعرضت لهم بلاد البلقان، ويمر خلالها في الوقت الحاضر طرق النقل الرئيسية في شبه الجزيرة كالسكك الحديدية وطرق السيارات.

وسلاسل الألب الدينارية التي تقع في أقصى الغرب جبال عريضة معقدة التضاريس تفصل معظم شبه جزيرة البلقان عن البحر الأدرياتي. وتوجد أنسب الأراضي التي تخترقها الطرق عبر هذه الجبال في أقصى الشمال الغربي فيها وراء مينائي تريست وريجيكا حيث تخترقها عدد من الطرق والسكك الحديدية. كما أنه المنفذ البحري لتجارة شمال يوغسلافيا ولجزء كبير من دول حوض الدانوب الأوسط. كذلك توجد مناطق مناسبة عبر أراضي ألبانيا شقها نهر درين ..Drin خلال الجبال وتنتهي هذه الطرق إلى ساحل البحر الأدرياتي، وفي أقصى الشرق يعد ميناء سالونيك اليوناني المنفذ البجري للإقليم الأوسط الذي يضم وادبي المورافا وفردار Vardar. وعلى ذلك تبدو أنماط الطرق في شبه جزيرة البلقان بسيطة للغاية حددتها مجاري الأنهار الرئيسية وتوضح في الواقع طرق الغزو القديمة والحديثة كما توضح طرق التجارة الحالية.

وينقسم اقليم البلقان في إطار اقليم شرق أوروبا ـ إلى ثلاث دول هي يوغسلافيا وبلغاريا وألبانيا وهي دول شيوعية وإن كانت تتباين في أسلوب تطبيقها في الداخل.

٦ ـ يـــوغسلافيا

أنشئت يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الأولى بتجميع عدد من الشعوب السلافية الجنوبية حول مملكة الصرب القديمة، وكان اتحاد هذه الشعوب بعيداً عن التجانس وواجهت الدولة كثيراً من المشكلات الداخلية والخارجية الخطيرة بينها وبين جيرانها، وتضم يوغسلافيا التي يعني اسمها (أرض السلاف الجنوبيين) مجموعات بشرية مختلفة أكبرها عدداً جماعات الصرب (٤٠٪) والكروات (٢٢٪) الذين يتكلمون نفس اللغة تقريباً ولكنهم يكتبونها بخط مغاير ومختلف وفق تراثهم الديني وعاداتهم القديمة، وهناك خمس مجموعات

بشرية أخرى منهم السلوفين. وهم شعب سلافي يعيش في أقصى شمال غرب يوغسلافيا ولكنهم أقل عدداً وأكثر ارتباطاً بحضارة الغرب.

وفي أقصى الجنوب الشرقي يعيش المقدونيون وهم شعب أقل تقدماً وحضارة وتشبه لغتهم لغة الصرب والكروات، ويكون المسلمون أغلبية السكان في إقليم البوسنة ويشكلون همزة وصل بين يوغسلافيا ودول العالم الإسلامي في الشرق الأوســط.

أمّا سكان الجبل الأسود (مونت نجرو .....Montnegro) فعلى الرغم من أنهم لا يشكلون جماعة سكانية كبيرة إلاّ أنهم يعتزون بتراثهم القديم في مقاومة الحكم الأجنبي عبر القرون في الوقت الذي خضعت فيه بقية الدولة للسيطرة التركية والمجرية ـ النمساوية. وتوضح الأرقام التالية التوزيع النسبي للجماعات البشرية في يوغسلافيا[1].

المجموعة البشرية	٪من جملة السكان	اللغة	الديانة	الوضع الدستوري داخل الدولة
الصرب	٤٠	الصرب ـ الكروات	أرثوذكس	جمهورية
الكروات	٢٢	الصرب ـ الكروات	كاثوليك	جمهورية
السلوفين	٨	السلوفينية	كاثوليك	جمهورية
البوسنة	٨	الصرب ـ الكروات	الإسلام	جمهورية
الألبانيون	٦	الألبانية (غيرسلافية)	الإسلام	إقليم ذو حكم ذاتي.
المقدونيون	٦	المقدونية	أرثوذكس	جمهورية
مونت نجرو (الجبل الأسود)	٢	الصرب ـ الكروات	أرثوذكس	جمهورية
المجريون	٢	ماجيار	كاثوليك	إقليم ذو حكم ذاتي
الأتراك	١	تركية	الإسلام	لا يوجد
مجموعات أخرى	٥	-	-	-

(١) المصدر:

Stansfield, J; And Zimolzak, C, World Regions, Columbus, 1982, P. 250

وتتكون يوغسلافيا بنظامها الاتحادي (الفدرالي) الحالي من ست جمهوريات وإقليمين لهما صفة الحكم الذاتي (راجع الجدول السابق) وقد شكّلت يوغسلافيا دستورها الاتحادي على نمط الدستور السوفييتي وعملت لفترة ما بالتعاون الوثيق مع الكرملين ولكن نشأ الخلاف بينهما سنة ١٩٤٨ وقاومت يوغسلافيا محاولات السوفيت للسيطرة والإشراف على تنميتها الاقتصادية وسياستها وَفْق مصالح الاتحاد السوفييتي، ورغم استمرارها دولة شيوعية إلاَّ أنَّ يوغسلافيا كانت مستقلة في كثير من النواحي عن الكتلة السوفييتية ونهجت سياسة دولية محايدة إلى حد كبير وفق مفهوم الحياد الإيجابي منذ عهد جوزيب بروزتيتو.

وقد ساعد موقع يوغسلافيا على التحكم في معظم الطرق البرية الهامة من غرب أوروبا وشرقها نحو بحر إيجه والبحر الأدرياتي والبحر الأسود والمضايق التركية، ويقع قطاع كبير من نهر الدانوب وكذلك ممر الموارفا ـ الفردار وكثير من الممرات عبر جبال الألب الدينارية ورودوب والبلقان ـ تقع كلها في يوغسلافيا، ويعبرها الخط الحديدي الأوروبي إكسبريس الشرق السريع بالإضضافة لى بعض الطرق الدولية الأخرى التي تربط ساحل الأدرياتي بحوض الدانوب. وقد عملت شبكة الطرق على توطيد سلطة الدولة على بقية أقاليمها كما ساعد على تنمية هذه الأقاليم اقتصادياً حيث تعد بلجراد العاصمة عقدة المواصلات الرئيسية نحو باقي أجزاء يوغسلافيا والدول الأوروبية المجاورة.

الزراعة:

تصل نسبة الأراضي الصالحة للزراعة في يوغسلافيا إلى نحو ٤٠٪ من مساحة البلاد بينما تصل مساحة المراعي والغابات إلى ٣٠٪ وتشبه يوغسلافيا كل أقطار جنوب الكربات وشرق النمسا في أنَّ الذرة هو المحصول الرئيسي بها يليه القمح، وكما هي الحال في رومانيا تعد الأغنام أهم عناصر الثروة الحيوانية وإن كانت الخنازير تتزايد أهميتها بسرعة في المناطق الهامشية الإنتاج.

ويتميز المناخ في يوغسلافيا بأنَّه معتدل حيث يسود بها مناخ البحر المتوسط على سواحل الأدرياتيك، وفصل النمو طويل يناسب زراعة محصولين متعاقبين

سنوياً في المناطق الساحلية وفي النصف الجنوبي من البلاد، وقد تتعرض البلاد للجفاف الشديد في بعض السنوات، وعلى العموم تعد يوغسلافيا مكتفية ذاتياً في إنتاج الحبوب كما تحقق فائضاً في إنتاج اللحوم والسكر والزيوت النباتية، كما تزرع الفاكهة والخضر وتسوق في أسواق شمال غرب أوروبا عندما لا يتوفر الإنتاج المحلي منها.

الثروة المعدنية والصناعة:

تتوفر في يوغسلافيا موارد متعددة من الثروة المعدنية ولكن موارد الوقود بها متواضعة وتتمثل في فحم اللجنيت والبيتوميني، ورغم انخفاض قيمتها الحرارية فإنَّ هذه الموارد من الفحم ما زالت المصدر الرئيسي لإنتاج الطاقة. وتوجد منطقة التعدين الرئيسية في وسط البوسنة وشمال الصرب (جنوب بلجراد مباشرة) وفي النصف الشرقي من جمهورية سلوفينيا. وتملك الدولة إمكانيات ضخمة لتوليد الطاقة الكهرومائية من جبال الألب الدينارية تجعل يوغسلافيا ثاني دول أوروبا بعد النرويج في هذه الإمكانيات. وعموماً تسهم الطاقة الكهرومائية بها بنصف الطاقة الكهربائية المستغلة.

ويوغسلافيا غنية في المعادن الفلزية، فتنتج حوالي ٢,٥ مليون طن من البوكسيت سنوياً من أقليم ساحل الأدرياتيك كما يعدن الكروم والرصاص والزنك والزئبق بكميات كافية للتصدير.

وقد أسهمت هذه الموارد المحلية في قيام صناعات معدنية هامة، وطوَّرت يوغسلافيا صناعة الحديد والصلب وإن كانت دون مستوى باقي دول شرق أوروبا (باستثناء ألبانيا) وقد حدَّ نقص الفحم الملائم من تطور هذه الصناعة، بينما تطورت الصناعات المعدنية الأخرى اعتماداً على المواد الخام المتوفرة منها.

وتتركز الصناعة في منطقتين رئيسيتين هما المنطقة الشمالية الغربية (سلوفينيا وكرواشيا) حيث تتخصص في صناعة الملابس والصناعات الألكترونية والهندسية. ومنطقة الدانوب حيث صناعات إعداد وتجهيز وتعبئة الأغذية والصناعات الكيماوية. وقد بدأت الصناعة تغزو مناطق أخرى في البوسنة وعلى

امتداد ممر مورافا ـ الفردار ـ وقد شهدت قيام صناعات مشتركة مع رأس المال الإيطالي والأمريكي والألماني والياباني. وتصدر يوغسلافيا بعض الصناعات الرخيصة إلى غرب أوروبا مثل الملابس والأثاث بينما تصدر الأجهزة والمعدات الكهربائية إلى شرق أوروبا بالإضافة إلى الأغذية المحفوظة والنبيذ. وقد بدأت كثير من صناعاتها في دخول أسواق العالم الثالث منذ منتصف الخمسينات.

٧ ـ بلغـــاريا

تعدُّ بلغاريا بلقانية الموقع، سلافية اللغة والثقافة آسيوية الأصل، وأكثر حلفاء الاتحاد السوفيتي طاعة. ويعد البلغار أحد الشعوب السلافية الجنوبية. وقد خضعت بلغاريا لغزو الأتراك في القرن الرابع عشر وظهرت من جديد كدولة بتأييد من روسيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ولكنها ورثت النزاعات القديمة بين شعوب البلقان، وفقدت بلغاريا في حروب البلقان (١٩١٢ ـ ١٩١٣) والحرب العالمية الأولى أجزاء من أراضيها حصلت عليها رومانيا ويوغسلافيا بل وفقدت منفذها السابق على بحر إيجه الذي استولت عليه اليونان. والواقع أنَّ بلغاريا فقدت كل الأراضي التي كانت تسكنها جماعات غير بلغارية وأصبحت كالمجر دولة صغيرة متجانسة لا تحوي أية أقليات لها شأن فيما عدا عدد صغير من الأتراك واليونانيين وحتى هؤلاء طرد معظمهم من الأراضي البلغارية. إلاَّ أنَّ بلغاريا تركت وبها شعور من المرارة والمعارضة لجيرانها وطالبت في فترة ما بين الحربين العالميتين لإعادة النظر في التسويات الأقلية وقد استعادت بلغاريا الأراضي التي استولت عليها رومانيا وذلك في سبتمبر ١٩٤٠ واستمرت بحدودها الحالية بعد ذلك.

وتتعدد النويات الاقتصادية في بلغاريا شأنها في ذلك شأن دول البلقان الأخرى أهمها وسط بلغاريا وسهل تراسيا Thrace والسهول الساحلية والأودية والأحواض الغربية.

الزراعة:

تتوفر في بلغاريا مقومات طبيعية جيِّدة للزراعة أبرزها التربة الخصبة

والمناخ الملائم والأراضي المستوية في السهول والأودية. ورغم موقعها وقربها من البحر المتوسط والبحار المجاورة فإنّ مناخها يميل إلى القارية بشتائه البارد، وقد تتعرض في بعض السنوات لجفاف حاد في شهور الصيف. ويبدو ذلك بوضوح في إقليم الدانوب. وكقاعدة عامة تعد بلغاريا دولة الحبوب خاصة الذرة والقمح. وتربى الحيوانات أساساً لإنتاج اللحوم. أمّا في المنخفضات الجنوبية والشرقية فيكون المناخ أكثر اعتدالاً والصيف أكثر جفافاً مما يساعد على زراعة بعض المحاصيل المتعددة منها الأرز مثلاً على الري والتبغ البلقاني الشهير والقطن وزراعة التوت والزهور لإنتاج العطور، والفاكهة والخضر. أمّا الأودية الغربية فتسود بها الزراعة لإنتاج الألبان وزراعة البنجر والمحاصيل الصناعية بينما تربى الأغنام في مناطق الحشائش على الجبال والمناطق المجاورة. وتعتمد ١٥٪ من الأرض الزراعية على الري. وقد أدّى استخدام الأسمدة إلى زيادة الإنتاج من إقامة صناعة الأسمدة الكيماوية بها حتى أصبحت إنتاجية الأرض دون مثيلتها في غرب أوروبا بقليل. كما أنّ الزراعة تستوعب نحو ٢٥٪ من القوة العاملة وهو رقم يشبه دول غرب أوروبا الصناعية.

المعادن والصناعة:

تعتمد بلغاريا ـ مثل جارتها يوغسلافيا ـ على الفحم المنخفض القيمة وعلى الطاقة الكهرومائية. ويبلغ الإنتاج السنوي نحو ٣٠ مليون طن فحم. وقد أنشأت بلغاريا صناعة تكرير البترول اعتماداً على البترول المستورد من الاتحاد السوفيتي. كذلك تعدن الرصاص والزنك والنحاس والحديد الخام وتقوم عليها صناعات معدنية مختلفة. وتتركز الصناعات المعدنية الكبرى في صوفيا، وتنتج بلغاريا معظم احتياجاتها من الصلب حيث يبلغ الإنتاج ٢,٥ مليون طن سنوياً.

السياحة:

تتنافس يوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا في مجال السياحة حيث تستقبل كل منها أكثر من ٦ مليون سائح سنوياً، وذلك اعتماداً على ظروف المناخ المشمس

والشواطىء الممتازة وانخفاض تكلفة الإقامة والنقل. وفي الوقت الذي تفتح فيه يوغسلافيا أبوابها للسياح من غرب أوروبا فإنَّ بلغاريا تستقبل السياح من كل الدول. وتعد فارنا وبورجاس Burgas أهم المراكز السياحية في بلغاريا وينظر إليها على أنها «ريفييرا» رسمية.

٨ ـ البــــانيا

تعدُّ أقل دول البلقان أهمية ومستوى بل تصنف على أنَّها أكثر بلاد أوروبا تخلفاً وما زالت دولة زراعية بعد أن مضى على نظامها الشيوعي نحو أربعين عاماً. وعلى الرغم من أنَّها كانت من الناحية الإسمية جزءاً من الإمبراطورية التركية إلَّا أنَّها لم تخضع قط لسيطرة الأتراك الذين كان يقف في طريقهم الطبيعية الجبلية المعقدة وعنف المقاومة الألبانية. ويتكلم أهلها عدَّة لهجات من اللغة الألبانية وهي لغة قديمة موجودة في البلاد قبل مجيء اليونانيين. ويدين غالبية السكان بالإسلام كما توجد أقلية كبيرة من الأرثوذكس والكاثوليك مما يبين أثر كل من تركيا واليونان وإيطاليا في هذه الدولة على الترتيب.

ويبلغ عدد سكان ألبانيا نحو ٣ مليون نسمة يعيشون في مساحة تصل إلى ٢٩٠٠٠ كيلومتر مربع. ويعيش نحو ١,٥ مليون ألباني في يوغسلافيا بالإضافة إلى عدد كبير في شمال اليونان.

الاقتصاد الألباني:

من الصعب الحصول على بيانات عن ألبانيا، ومن المعروف أنَّها دولة مصدرة للبترول منذ أواخر الثلاثينات. كما تعدن كميات كبيرة من الكروم والنحاس والنيكل وتصدر نسبة كبيرة من هذه الخامات. كما تتوفر بها احتياطيات ضخمة من الفحم وبها إمكانيات كبيرة من الطاقة الكهرومائية. ومع ذلك كله فإنَّ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي بها يعد أقل متوسط في كل أوروبا.

وألبانيا هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي يبلغ معدَّل النمو السكاني

حوالي ٢٪ سنوياً ويعد ذلك أحد المعوقات الرئيسية أمام التنمية. ورغم أنَّ ألبانيا دولة شيوعية إلاَّ أنَّها اتبعت منذ سنة ١٩٦١ سياسة الانحياز الكامل لقيادة الصين بدلاً من الاتحاد السوفيتي وربما كان ذلك مرتبطاً بالاحتكاك والصدام الدائم في العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفيتي وكذلك يوغسلافيا وخوفها من سيطرة يوغسلافيا عليها.

وقد تمكنت ألبانيا بمساعدة من الصين والاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا بل ومن بعض الأقطار في غرب أوروبا ـ من إقامة صناعة تكرير البترول وصناعات كيماوية أخرى وكذلك صناعة النسيج والتبغ والإسمنت والآلات الزراعية وقد بذلت جهوداً في تجفيف المستنقعات الساحلية واستخدام الري في السهل الساحلي والمناطق الفيضية بالداخل وأدَّى ذلك إلى تحسين الإنتاج الزراعي بها. وتزرع الموالح في مناطقها الجنوبية على سواحل الأدرياتي كذلك تزرع القطن وبعض المحاصيل شبه المدارية في السهل الساحلي.

البَابُ الثَالثُ

الاتِحَاد السّوفيتي

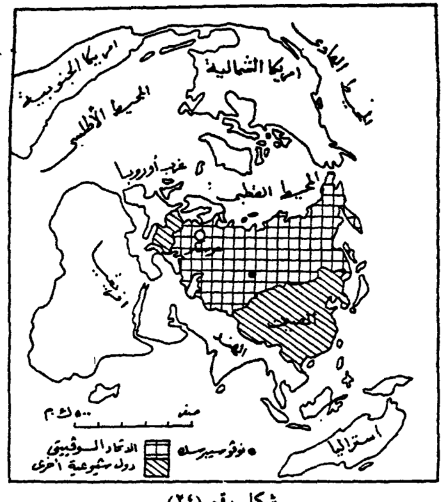
الفصل السابع

الاتحاد السوفيتي
البيئة والإنسان

يعدُّ الاتحاد السوفيتي أو اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ـ أحد القوتين العظميين في الوقت الحاضر، كما أنَّه أكبر دول العالم مساحة، ولا يفوقه في عدد السكان سوى الصين والهند، وقد ساعد موقعه في الكتلة الأوراسية وغنى موارده ونمو اقتصادياته ومركزه في الحركة الشيوعية العالمية على ظهوره كقوَّة كبرى في السياسة العالمية ذات تأثير قوي على مجرياتها.

وكان لموقع الاتحاد السوفييتي في الهارتلاند الأوراسي أهمية كبرى في توجيهه السياسي وقوَّته العالمية، فإلى الغرب منه تقع الدول الأوروبية بسكانها الكثيرين وتقدمهم الصناعي والاقتصادي الكبير، وإلى الجنوب منه تقع المصادر البترولية الهائلة في الخليج العربي، وكذلك شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا حيث يتركز السكان بدرجة كثيفة وتتنوع الموارد الطبيعية بها، وإلى الشرق تقع الصين بسكانها الذين قارب عددهم المليار نسمة، واليابان بسكانها الذين بلغوا مائة وستة عشر مليوناً وباقتصادها القوي محلياً وعالمياً، ومن هنا فإنَّ الموقع الأوراسي للاتحاد السوفييتي جعله أكثر ارتباطاً واتصالاً بالسكان والموارد

الاقتصادية في نصف الكرة الشرقي، ومن ثمَّ أكثر تأثيراً في الأوضاع الاقتصادية والسياسية، بل والاجتماعية - في الدول المحيطة به والقريبة منه (شكل رقم ٢٤).



شكل رقم (٢٤)
موقع الاتحاد السوفييتي بين قارات العالم

وقد أدَّت المساحة الكبيرة للاتحاد السوفييتي إلى تنوع طبيعي كبير - ويبدو ذلك في التنوع المناخي بصفة خاصة كما تؤثر تأثيراً مباشراً في التنمية الزراعية والاقتصادية بصفة عامة، ويسود في معظم أراضي الاتحاد السوفييتي شتاء طويل وقارس، كذلك فإنَّ هناك مساحات واسعة يسود بها المناخ الجاف وشبه الجاف خاصة في الأجزاء الجنوبية الوسطى، وعلى وجه التقريب فإنَّ حوالي ثلثي الاتحاد السوفييتي بارد بدرجة لا تساعد على الزراعة، وقد عاق المناخ التطور

الاقتصادي في كثير من الأقاليم، حيث تتجمد الكثير من الأنهار والموانىء في بعض شهور السنة، وكان ذلك سبباً رئيسياً على امتداد التاريخ الروسي منذ القرن السابع عشر- في محاولة الوصول إلى موانىء المياه الدافئة على البحار المفتوحة في الجنوب، وكذلك الرغبة في تحقيق الأمن والسيطرة على بعض المناطق ذات الموارد الاقتصادية الهامة.

وبالإضافة إلى الظروف المناخية الصعبة هناك عوامل أخرى مثل التضرس في مظاهر السطح ووجود مساحات كبيرة من التربات غير الخصبة وسوء الصرف الطبيعي بها كل ذلك عاق بدوره من التطور الزراعي في بعض مناطق الاتحاد السوفييتي كما هي الحال في شرق ينسي في سيبيريا وعلى امتداد الحدود الجنوبية للدولة حيث يسود المظهر الجبلي بوضوح، ويقابل ذلك في النطاق السوفييتي الأوروبي وفي غرب سيبيريا توفر التربة الخصبة في كثير من المناطق، ويعد نطاق التربة السوداء (التشرنوزم) الخصب أكبر نطاق من نوعه في العالم حيث يتركز إنتاج الحبوب في جمهورية أوكرانيا وبعض المناطق المجاورة.

وقد أكدت الأبحاث الجيولوجية أنَّ الاتحاد السوفييتي يملك داخل حدوده موارد ضخمة من المعادن الرئيسية فيما عدا القصدير، بالإضافة إلى ذلك فإنَّه يملك احتياطياً كبيراً من الفحم والبترول، كما أنَّ الموارد المائية والغابية تعد من العوامل الطبيعية للقوة السوفييتية الاقتصادية والتي تتمثل في وجود أعظم احتياطي من الغابات في العالم بالاتحاد السوفييتي.

وتصلح معظم أنهار الاتحاد السوفييتي للملاحة في كثير من أجزائها، ولكن ثلاثة من أكبرها وهم إوب وينسي ولينا يتجهون نحو الشمال في المحيط المتجمد الشمالي، بينما يصب نهر الفولجا في بحر قزوين المغلق، وبالإضافة إلى النقل. فإنَّ الأنهار السوفيتية تسهم في توليد القوى الكهربائية وكذلك في الري. ومن الملاحظ أنَّ أنهار وسط وشرق سيبيريا ذات قيمة كبيرة في القوى الكهربائية، بينما أنهار الفولجا في روسيا الأوروبية وسرداريا في جنوب غرب روسيا الآسيوية تستخدم في الري بصفة أساسية، وهناك مشروعات هندسية

طموحة لتحويل مياه بعض الأنهار التي تصب شمالاً لكي تتجه نحو المناطق الجافة وشبه الجافة في الجنوب حتى يمكن استغلالها في الري وفي توليد الكهرباء، وسيترتب على ذلك توسع زراعي ضخم في الأراضي والإنتاج في آسيا السوفيتية.

ويؤثر الحجم (٢٢,٤ مليون كيلومتر مربع) - الذي يجعل الاتحاد السوفييتي أكبر دولة في العالم بمساحة تصل إلى نحو ثلاثة أمثال مساحة الولايات المتحدة وإلى نحو سدس مساحة اليابس العالمي - ويمتد في قارتين ولمسافة ٤٨٠٠ كيلومتر من الشمال ألى الجنوب و ٩٦٠٠ كيلو متر من الشرق إلى الغرب (شكل رقم ٢٥) - كل ذلك يؤدي إلى مشكلات ضخمة في النقل البري فيصل طول الخط الحديدي مثلاً بين برست على الحدود الغربية وفلاديوفستك على ساحل المحيط الهادي شرقاً إلى ٩٦٠٠ كيلومتر. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ ضخامة الاتحاد السوفييتي تبرز مشكلات أخرى ممثلة في أنّ حوالي ثلاثة أرباع مساحته في قارة آسيا بينما ثلاثة أرباع سكانه في أوروبا - وما يترتب على ذلك من صعوبة في النقل والمواصلات.

كذلك فإنّ حجم الاتحاد السوفييتي ومناخه وحدوده الطبيعية تعدُّ مقومات رئيسية في الدفاع الوطني عن الدولة، ذلك لأنّ هذه المساحة الشاسعة قد مكّنت الجيوش الروسية من التراجع نحو الداخل دون أن تتعرض لهزيمة ساحقة كما حدث أمام نابليون في القرن التاسع عشر وأمام جيوش النازي في القرن العشرين، وقد لعب الشتاء القارس في روسيا دوراً ملحوظاً في مجال الدفاع حيث أثّرت برودته على الغزاة وحدَّت من أطماعهم إلى حد كبير.

وقد أوضح ماكيندر[1] ذلك الدور الخطير الذي تلعبه المناطق الجبلية والمسطحات المائية التي تحف بحدود الاتحاد السوفييتي عندما تحدَّث عن نظريته المعروفة بالهارتلاند، فمن الطرف الشرقي للبحر الأسود وشرقاً حتى فلاديوفستك تسير الحدود في معظمها مع مناطق جبلية، كما أنها تخترق مناطق

(١) هالفورد ماكيندر عالم بريطاني جاء بنظرية قلب العالم (الهارتلاند) سنة ١٩٠٤ التي تنبأت بالدور الكبير الذي ستلعبه دولة هذا القلب (الإتحاد السوفيتي) في الشؤون العالمية مستقبلاً.

تخلخل سكاني فيما بينها وبين الدول المجاورة، وعلى النقيض من ذلك الحدود السوفييتية الأوروبية التي تمتد من البحر الأسود وحتى منطقة الحدود القطبية مع النرويج حيث تمر في السهل الأوروبي العظيم ومن ثمَّ يقل تأثيرها في مجال الدفاع الوطني بشكل حاد، وقد وفد الغزو الخارجي للاتحاد السوفييتي من هذه الحدود السهلية التي لا يعوق تقدم الغزاة بها عوائق طبيعية ذات قيمة.



شكل رقم (٢٥)

مساحة الاتحاد السوفييتي بالمقارنة مع الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان

ويجاور الاتحاد السوفييتي اثنتا عشرة دولة في قارتي أوروبا وآسيا ولا يفصله عن اليابان سوى أقل من عشرين كيلومتراً (بين جزر كوريل وجزيرة هوكايدو)، كما لا تبعد الولايات المتحدة عنه إلَّا بمسافة ثلاثة كيلومترات فقط فيما بين ألاسكا وأقصى الطرف الشرقي لسيبيريا. ولا شك أنَّه بالرغم من أنَّ معظم

الحدود بين الاتحاد السوفييتي وجيرانه حدود طبيعية في الجنوب والشرق إلاّ أنّ كثرة الدول المجاورة على حدوده يمكن أن تمثل تهديداً خطيراً للأمن السوفييتي إذا ما توحدت جميعاً في عمل عسكري ضده.

وبالنسبة للاتحاد السوفييتي، كما كان الحال لألمانيا من قبل، فإنّ هذه الحلقة من الدول المجاورة تجعلها سهلة المنال في حالة الحروب بينها وبين الاتحاد السوفييتي وخاصة إذا لم تتوحد فيما بينها عسكرياً، وقد ظهرت قدرة الاتحاد السوفييتي في ضم مناطق الدول المجاورة مثلما حدث في فنلندة ودول البلطيق وبولندة ومنشوريا واليابان ثمّ في أفغانستان منذ غزوه لها في ١٩٧٩.

وكذلك فقد أسهم حجم وشكل الاتحاد السوفييتي في القوّة المركزية للدولة وذلك للصعوبات السياسية المرتبطة بتوحيد مثل هذه المساحة الشاسعة من ناحية ولأنّ البلاد تمتد بين البحر الأسود وبحر قزوين عبر حدود طبيعية قوية في جبال القوقاز، وتضم مساحة تختلف في مناخها وسكانها في كثير من مظاهرها عن باقي أجزاء الاتحاد السوفييتي من ناحية أخرى، وفي هذه المنطقة التي تعرف بنطاق «عبر القوقاز» توجد جمهوريات جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، أمّا في روسيا الأوروبية شمال القوقاز وفي غرب سيبيريا فإنّ مظاهر السطح تتميز بالتجانس، وتتمثل في نطاق سهل عظيم كان من أهم العوامل التي أسهمت في الوحدة السياسية، أمّا في وسط وشرق سيبيريا وفي المناطق السيبيرية الجنوبية فإنّ المساحة والسطح وحتى المناخ كانت من العوامل الهامة في القوّة المركزية، وفيما بعد الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال، كانت هناك محاولات شجعتها اليابان على إقامة دولة منفصلة في الإقليم البحري المطل على الباسفيكي، كذلك فقد واجهت الحكومة المركزية في موسكو كثيراً من المتاعب من شعوب المناطق الجنوبية على طول الحدود مع الصين وأفغانستان، وقد بذلت الحكومة جهوداً كبيرة في ربط هذه المناطق بقلب الدولة بإنشاء خطوط النقل المختلفة، كذلك وفّرت كثيراً من الخدمات لسكان هذه المناطق حتى تنمي لدى السكان الشعور بالولاء للدولة الروسية.

مظاهر البيئة الطبيعية

مظاهر السطح:

رغم مساحته الضخمة فإنَّه يغلب على أراضي الاتحاد السوفييتي سيادة السهول الواسعة (شكل رقم ٢٦)، ويتجلى ذلك بوضوح في الأراضي الواقعة غرب نهر ينسي Yenisey حيث السهل السيبيري الغربي - ثمَّ السهل الأوروبي السوفييتي العظيم الذي تتخلله المرتفعات الروسية الوسطى وتلال فلداي. ويفصل هذين السهلين مرتفعات الأورال ممتدة من الشمال إلى الجنوب ومكونة الحد التقليدي بين قارتي أوروبا وآسيا. وتعد هذه الجبال أبرز الظاهرات التضاريسية العالية في هذا الإقليم وإن كانت أعلى نقطة فيها تصل إلى ٢٠٧٠ متراً وهي قمة نارودنايا Narodnaya في القطاع الشمالي الضيق لهذه السلسلة الجبلية، وبالاتجاه جنوباً يزداد اتساع هذه الجبال ويقل ارتفاعها ليصل إلى ١٧٩٠ متراً في أعلى نقطة بها وهي قمة يامان تاو Yaman Tau.

وإلى الشرق من بحر قزوين يمتد السهل التوراني الذي يحيط ببحر آرال - مصب التصريف الداخلي المغلق، وتحف به مرتفعات الكازاخ Kazakh من الشمال الشرقي، أمَّا أعلى مناطق الاتحاد السوفييتي في هذا الإقليم فتتمثل في جبال القوقاز فيما بين البحر الأسود وبحر قزوين، وأعلى قمَّة بها هي قمة البروس Elbrus بارتفاع قدره ٦١٦٠ متراً، ثمَّ السلاسل الجبلية التي تحف بآسيا السوفييتية جنوباً حيث جبال تيان شان والبامير والتي يوجد بها أعلى قمم الاتحاد السوفييتي على الإطلاق وهي «قمة الشيوعية» Communism Peak وارتفاعها حوالي ٨٠٠٠ متراً.

أمَّا إلى الشرق من نهر ينسي فتبدو أراضي الاتحاد السوفييتي على هيئة هضاب وسلاسل جبلية عالية، فالهضبة السيبيرية الوسطى عبارة عن مجموعة هضاب مختلفة الارتفاع تقطعها عدَّة أنهار أهمها نهر ينسي ونهر لينا وروافدهما، وتحف بها من الجنوب والشرق أراض وعرة تتخللها سلاسل جبلية أبرزها جبال فرخويانسك وشيرسكي Cherskiy ثمَّ جبال شوكوت Chukot في أقصى شمال

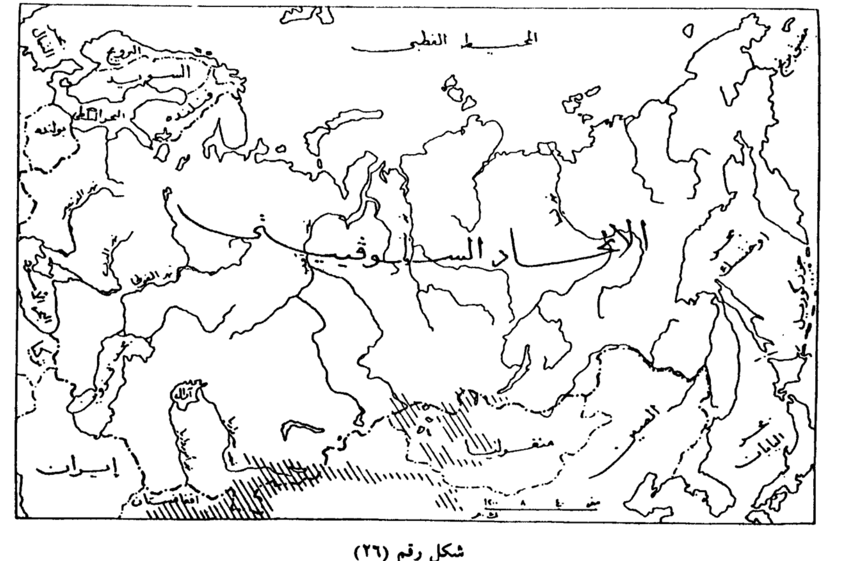
شرق سيبيريا، وجبال يابلونوفي وستانوفوي في الجنوب من هضبة سيبيريا الوسطى.

وتزخر أراضي الاتحاد السوفييتي بالعديد من البحار والبحيرات الداخلية لعلّ أكبرها بحر قزوين (مساحته ٣٩٣,٠٠٠ كيلومتر مربع) وأعمقها بحيرة بيكال (أعمق نقطة بها تصل إلى ١٣٠٠ متر)، وبحر آرال الذي تنكمش مساحته وبحيرة بلكاش، وفي السهل الأوروبي توجد مجموعة من البحيرات أهمها بحيرتا لادوجا وأونيجا قرب حدود الاتحاد السوفييتي مع فنلنده.

وتحظى السهول السوفييتية في أوروبا باهتمام كبير، حيث تتكون في معظمها من أودية نهرية واسعة مثل وادي الدنيبر والدن وينتهيان إلى البحر الأسود، ووادي نهر الفولجا الذي ينتهي إلى بحر قزوين. ثمّ وادي دفينا Dvina الذي ينتهي إلى البحر الأبيض الروسي.

التصريف النهري:

يتمثل التصريف النهري لأراضي الاتحاد السوفييتي في شبكة من الأنهار الضخمة التي تنصرف نحو المحيط المتجمد الشمالي أو نحو البحر الأسود، بالإضافة إلى تلك الأنهار التي تنصرف داخلياً نحو بحر قزوين أو بحر آرال، فتصرف أنهار أوب وينسي ولينا نحو المحيط المتجمد الشمالي وهي تنبع من مرتفعات وسط آسيا، حيث تغذيها مجموعة من الروافد المتشعبة. وتعد هذه الأنهار من أكبر أنهار العالم، وتتوفر لها إمكانيات هائلة لتوليد الطاقة الكهرومائية واستخدامها في إقامة مشروعات ضخمة عليها. أمّا نهر الآمور- فينتهي إلى المحيط الهادي. وينبع نهر الفولجا في روسيا الأوروبية من مرتفعات حول موسكو حيث نواة روسيا الحديثة وينتهي إلى بحر قزوين، وهو بحر داخلي يصل مستوى سطح مياهه إلى ٢٨ متر تحت مستوى سطح البحر، بينما ينتهي نهرا الدن والدنيبر إلى البحر الأسود، وهناك منطقة أخرى ذات تصريف داخلي هي بحر آرال وتقع شرق بحر قزوين ويخترقها نهران كبيران هما أموداريا وسرداريا.



شكل رقم (٢٦)

بعض مظاهر السطح في الاتحاد السوفيتي

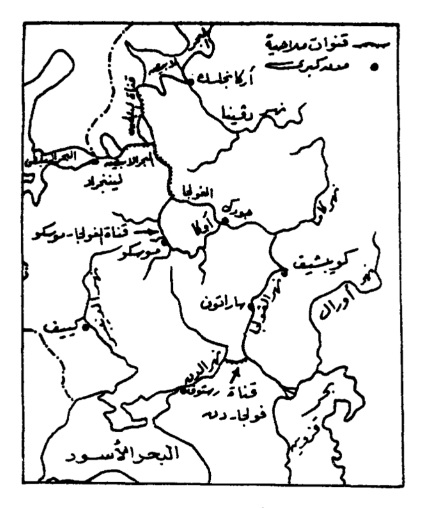
وتتفاوت كل هذه الأنهار في الطول وكمية المياه ونظام الفيضان والتجمد، وتتسف مجاريها في القطاعات بالخوانق والجنادل الضخمة خاصة في جبال آسيا الوسطى وفي هضبة سيبيريا الوسطى، كما تتسع أوديتها في بعض الأماكن مثل نهر أوب الأدنى.

ومعظم الأنهار السوفيتية يتجمد سطح مياهها حوالي عشرة شهور سنوياً مما يعوق الملاحة النهرية، ولكنها في الربيع تشهد فيضانات ضخمة، كذلك فإنّ معظم الأنهار يسير في اتجاهات غير مناسبة حيث تنتهي أنهار سيبيريا العملاقة إلى محيط متجمد غير ذي فائدة، كذلك يتجه نهر الفولجا إلى بحر قزوين المغلق، وبصفة عامة تبدو الأنهار السوفييتية في معظمها متجهة من الشمال إلى الجنوب، بينما تتجه حركة السكان والتجارة والنقل من الشرق إلى الغرب.

ومع كل هذه المثالب، فقد شهدت الأنهار السوفييتية تطوراً كبيراً منذ قيام الثورة الشيوعية، فقد أمكن الاستفادة من معظمها خاصة في أوروبا السوفييتية - ويعد الاتحاد السوفييتي في الواقع أوَّل دول العالم في كيفية الاستفادة من الأنهار في مجال الصيد وتوليد الطاقة الكهرومائية والري والنقل المائي الداخلي.

ويعد نهر الفولجا من الأنهار الهامة التي أنشئت عليها مشروعات ضخمة خاصة قرب المدن الواقعة عليه، فقد بنيت عدَّة سدود خلقت خلفها عدة بحيرات عظمى ممتدة من فولجوجراد Volgograd وشمالاً حتى موسكو. كذلك أنشئت قناة الفولجا - الدن التي تربط نهر الفولجا ببحر آزوف ومن ثمَّ خلقت اتصالاً مباشراً بينه وبين البحر الأسود، وأنشئت بعض المشروعات الأصغر في أعالي نهر الفولجا ونهر Oka والتي تسمح بالملاحة النهرية للسفن ذات الغاطس الذي يصل إلى ستة أمتار (شكل رقم ٢٧).

وقد اهتمت الحكومة السوفييتية بإنشاء شبكة من القنوات في السهل الأوروبي السوفييتي - والتي تربط لينجراد مع البحر الأبيض الروسي وتعرف بشبكة مارينسك Marinsk، وقد ربط خزان ريبنسك Rybinsk العملاق في



شكل رقم (٢٧)
الملاحة النهرية في الاتحاد السوفيتي

أعالي نهر الفولجا بين مجموعة الفولجا ومجموعة مارينسك حتى أصبح هناك اتصالاً ملاحياً بين البحر الأسود وكل من المحيط القطبي الشمالي والبحر البلطي.

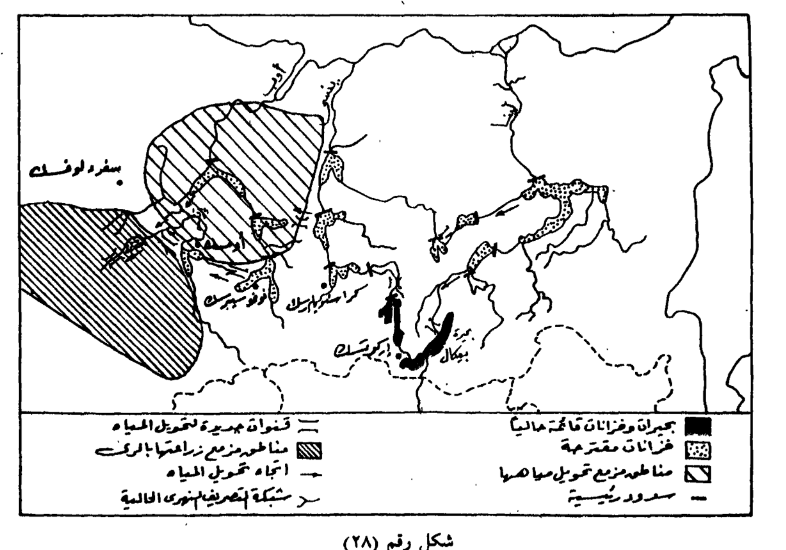
وقد شهد نهر الدنيبر إنشاء مشروعات ضخمة عليه وأدَّت إلى تكوين سلسلة من البحيرات النهرية، وتعد محطة توليد الطاقة الكهرومائية عند جنادل ثنية الدنيبر واحدة من أكبر المشروعات التي تمَّت في الثلاثينات. وقد أنشئت منذ ذلك الحين عدَّة مشروعات أخرى ساعدت على استمرار الملاحة حتى فيما بعد كييف عاصمة أوكرانيا. واستكمالاً لذلك لجأت الحكومة السوفييتية إلى إنشاء مشروعات أخرى للاستفادة من أعالي نهر الدن وكذلك نهر الدنيبر وذلك

لاستغلالها في نقل خام الحديد من منطقة كورسك Kursk، وتهدف هذه المشروعات إلى ربط كل من نهري الدنيبر والدن بنهر الفولجا وروافده قرب موسكو.

وبالإضافة إلى ذلك تخطط الحكومة المركزية لإنشاء مشروعات طموحة لربط الأنهار السوفييتية الأوروبية بالقنوات الأوروبية الأخرى وذلك عن طريق بولنده ونهر دفينا الغربي. ومن الواضح أنّ الهدف الرئيسي الكامن وراء هذا أنّ الاتحاد السوفييتي يرمي إلى تكامل اقتصاده مع اقتصاد شرق أوروبا من ناحية وتعزيز علاقاته التجارية مع غرب أوروبا من ناحية أخرى.

ومن المشروعات الأخرى التي تهدف إلى ربط الأنهار الروسية الأوروبية مشروع ربط نهر كاما Kama ـ وهو أحد الروافد الرئيسية لنهر الفولجا ـ بنهرين صغيرين يتجهان شمالاً نحو المحيط القطبي وذلك حتى يصبح لمنطقة الأورال مخرجاً مائياً نحو القطب وما سيترتب على ذلك من استغلال موارد الأخشاب والفحم في هذه المنطقة.

إلاّ أنّ هــذه المشروعـات في الأنهار الأوروبية تتضـاءل أمـام تلك المشروعات الطموحة للأنهار الآسيوية، والتي تتمثل فيها يعرف بمشروع تحويل الأنهار السيبيرية Siberian River Reversal Scheme والذي يهدف إلى تحويل أعالي بعض الأنهار وتوجيهها للصحاري السوفيتية، وقد بدأ هذا المشروع بثلاث خطوات رئيسية الأولى هي التحكم في منابع نهر ينسي على امتداد رافـده انجارا Angara وقد أنشىء سد حجز مياه نهر انجارا عند مدينة إركوتسك، والخطوة الثانية إنشاء سد في منتصف هذا النهر (سد Bratsk وتمّ سنة ١٩٦١)، وهو أكبر السدود في العالم وكوّن بحيرة طولها ٥٠٠ كيلومتر، ثمّ أنشىء السد الثالث قرب مصب هذا النهر عند Ust - Illimsk، وفي نفس الوقت أنشئت عدّة سدود على أعالي نهر ينسي قرب مدينة كراسنويارسك Krasnoyarsk. وأدّت هذه السدود كلها إلى توليد طاقة كهرومائية قامت عليها صناعات ضخمة، كما تنقل الطاقة الفائضة نحو المراكز الصناعية في الغرب السوفييتي.



شكل رقم (٢٨)
مشروع تحويل الأنهار السيبيرية

أمّا المرحلة التالية من هذا المشروع فتتمثل في توجيه مياه الأنهار إلى الصحاري لزراعتها، وقد أنشئت عدّة سدود على نهري أموداريا وسرداريا وبعض الأنهار الأخرى التي تنبع من جبال وسط آسيا.

وبالإضافة إلى ذلك اتّجهت مشروعات التنمية على نهر أوب وإرتيش Irtysh ثمّ ربطه بمجموعة نهر ينسي بعد ذلك وتحويل مياه النهرين إلى وسط آسيا السوفييتية، وستنصرف هذه المياه في النهاية إلى بحر قزوين، كذلك سترتبط الأنهار الآسيوية بالأنهار الأوروبية التي اكتملت الاستفادة منها. ولا ريب في أنّ هذه المشروعات الطموحة ستؤدي إلى استغلال موارد سيبيريا والصحاري الآسيوية السوفييتية والتي تعد ظهيراً للقلب الصناعي في أوروبا السوفييتية.

الظروف المناخية:

يعدُّ مناخ الاتحاد السوفييتي مناخاً قاسياً، ويعكس في الواقع الموقع الشمالي في العروض العليا واتساع اليابس وأثر ذلك في سيادة ظاهرة القارية التي تعكس تطرفاً حرارياً كبيراً وكذلك ظهور مناطق جافة وشبه جافة لبعدها عن مصادر الرطوبة أي البحار والمحيطات كذلك امتداد الحواجز الجبلية في الجنوب والشرق التي تعمل كحاجز ضخم أمام المؤثرات البحرية الملطفة من المحيطين الهادي والهندي، كذلك فإنَّ الاتحاد السوفييتي بمساحته الشاسعة تتكون على معظم أراضيه منطقة ضغط مرتفع في فصل الشتاء مما يؤدي إلى هبوب الرياح الباردة منه وليس استقباله لرياح بحرية ملطفة ـ وهذا هو حال المناطق القارية باستمرار. حيث الأمطار قليلة والمـدى الحراري كبير وفصلا الربيع والخريف قصيران.

في فصل الشتاء (يناير):

يتصف فصل الشتاء بالبرودة الشديدة خاصة في وسط وشمال شرق سيبيريا، فقد وصلت حرارة يناير مثلاً في مدينة فرخويانسك إلى ـ ٩٠° ف (ـ ٦٨° مئوية)، أمّا في الغرب فتظهر المؤثرات البحرية من المحيط الأطلسي

ممثلة في هبوب الرياح الغربية التي يمتد تأثيرها بعيداً في داخل الاتحاد السوفييتي وحتى نهر ينسي، كذلك يؤثر المحيط الهادي تأثيراً قليلاً على السواحل الشرقية فقط. وعلى النقيض من ذلك ترتفع درجة الحرارة نسبياً في مناطق محدودة قرب البحر الأسود وبحر قزوين لتصل إلى الصفر المئوي وإن كان ذلك يعكس مناخاً بارداً في هذه المناطق.

وعلى العموم فإنَّ شتاء الاتحاد السوفييتي طويل وقاس، ويسقط الصقيع في نحو ثلثي مساحة البلاد وعلى امتداد فترة تتراوح بين خمسة وستة شهور سنوياً، كما تتجمد التربة في نحو نصف مساحة البلاد. وقد لعبت الظروف المناخية الباردة دوراً بارزاً في تاريخ الاتحاد السوفييتي وحياته الاقتصادية والسياسية، بل انعكست بوضوح على الأدب الروسي، كذلك تعوق البرودة من استخدام الأنهار في الملاحة النهرية لتجمد مياهها، ولذلك برع السوفييت في استخدام محطمات الثلوج Ice - Breakers للتغلب على التجمد في بعض المناطق الهامة وللوصول إلى الموانى في الشتاء. وقد نجح السوفييت في بناء أوَّل محطمة للثلوج في العالم تدار بالطاقة النووية (محطمة لينين)، وكذلك فإنَّ معظم الاتحاد السوفييتي بارد جداً لدرجة لا تسمح بالزراعة وذلك باستثناءات محدودة للغاية ممثلة في زراعة بعض الخضر في بيوت زجاجية في النطاق القطبي.

في فصل الصيف (يوليه):

أمَّا فى فصل الصيف فتصبح الأحوال المناخية أبرد نوعاً بالاتجاه شمالاً وإن كانت بعض أجزاء السواحل القطبية تظل باردة ولا تزيد حرارتها في يوليه عن الصفر المئوي إلَّا قليلاً، وتكاد حرارة الصيف هنا تكفي فقط لإذابة الثلوج ويستمر ذلك لمدَّة شهرين أو ثلاثة.

أمَّا بالاتجاه جنوباً فتزداد الحرارة خاصة في وسط آسيا وفي جنوب كازاخستان حيث يصل متوسط الحرارة العظمى في شهر يوليه إلى ٤١° مئوية في طشقند، وتتناقص الحرارة بطبيعة الحال في المناطق الجبلية الجنوبية وفي مرتفعات القوقاز.

وفي فصل الصيف تتحول أراضي الاتحاد السوفييتي الآسيوي إلى منطقة ضغط منخفض تجذب بدورها الرياح الرطبة من الأقاليم المجاورة، فتتأثر سواحل المحيط الهادي بالرياح الموسمية الصيفية الجنوبية الشرقية، بينما تسود الرياح الغربية والشمالية الغربية في غرب سيبيريا والسهل الأوروبي.

والأمطار في الاتحاد السوفييتي متوسطة وتصل إلى قمتها في فصل الصيف وهناك منطقتان تقل بهما الأمطار بوضوح: الأولى منطقة شمال وشرق بحر قزوين حيث تقل الأمطار بها عن ٨ بوصة سنوياً والأخرى معظم شمال شرق الاتحاد السوفييتي خاصة في سهول نهر لينا وساحل المحيط القطبي وتقل الأمطار هنا عن حوالي ٨ بوصات سنوياً. أمَّا المناطق الوفيرة الأمطار فتتمثل في أعالي الجبال (أكثر من ٣٢ بوصة) في النطاق الجنوبي وساحل المحيط الهادي، وفي معظم روسيا الأوروبية وغرب سهول سيبيريا تتراوح كمية الأمطار بين ٢٠ ـ ٢٦ بوصة سنوياً، وهي أمطار ذات قيمة كبيرة بسبب موقع هذه الأراضي في العروض العليا الشمالية وانخفاض معدَّل التبخر مما يجعلها مورداً هاماً للزراعة، وترجع هذه الأمطار الغزيرة إلى تأثير المحيط الأطلسي والرياح الغربية الآتية منه، والتي يقل تأثيرها بالاتجاه شرقاً، ثمَّ تتناقص الأمطار نحو الشمال بسبب انخفاض درجة حرارة الهواء وعدم قدرته على حمل الرطوبة.

ويعد شهر يوليه الشهر الوحيد الذي يخلو من تساقط الصقيع في الاتحاد السوفييتي، وبصفة عامة يتزايد الصقيع من الساحل نحو الداخل ويبلغ أقصاه في الشمال الشرقي من سيبيريا حيث يسقط الصقيع على امتداد فترة تتراوح بين تسعة وعشرة شهور في السنة، وبالإضافة إلى ذلك تتجمد مياه الأنهار لمدَّة تزيد على أربعة شهور سنوياً، ولما كانت أعالي الأنهار تبدأ في الذوبان أولاً فيؤدي ذلك إلى تكون بحيرات كبيرة بسبب تجمد الأجزاء الشمالية من هذه الأنهار ويترتب على ذلك فيضانات ضخمة تمتد لمسافات بعيدة، ولا شك أنَّ كثيراً من المشروعات التي نفذت على أعالي هذه الأنهار قد قللت من أخطار هذه الفيضانات إلى حد كبير.

الأقاليم المناخية:

يسود في الاتحاد السوفييتي ثلاثة أقاليم مناخية رئيسية تمتد من الشرق إلى الغرب، وهي من الشمال: الإقليم القطبي وشبه القطبي، ثمَّ المناخ القاري الرطب، ثمَّ المناخ الجاف، وبالإضافة إلى هذه الأقاليم الكبرى هناك بعض المناطق المحدودة في أقصى الشرق الآسيوي حيث المناخ الموسمي. وفي شمال وشرق البحر الأسود حيث المناخ شبه المداري الرطب. ويعيش معظم السكان في الواقع في الحافات الدافئة للمناطق الباردة وكذلك في الحافات الممطرة في المناطق الجافة، وعلى العموم فإنَّ هذه المناطق المأهولة تضيق بالاتجاه شرقاً حيث تتزايد القارية وتتناقص المؤثرات البحرية.

ويمتد الإقليم القطبي امتداداً ضخماً من مضيق بيرنج في أقصى الشرق إلى الحدود السوفييتية النرويجية الفنلندية في أقصى الغرب ويبدأ ضيقاً في الغرب ثمَّ يأخذ في الاتساع شرقاً حتى يشمل كل الاتحاد السوفييتي في المنطقة المجاورة لبحيرة بيكال. ويمكن تقسيم هذه الأقاليم إلى مناخ التندرا على طول ساحل المحيط المتجمد الشمالي والمناخ شبه القطبي أو مناخ الغابات الصنوبرية - والتي يسميها الروس بغابات التايجا Taiga، ومناخ التندرا قاس جداً ولا يسمح بنمو الأشجار إلاَّ في بقاع محدودة حيث تظل درجة الحرارة دون الصفر المئوي لمدَّة تتراوح بين ثمانية وعشرة شهور في السنة، وتتألف نباتات التندرا من بعض الطحالب وحشائش البحر Lichens ونباتات بردية، وتكون هذه النباتات مرعى لحيوانات الرنَّة.

أمَّا المناخ شبه القطبي فيمتد جنوب مناخ التندرا وهو أدفأ نسبياً حيث تربو الحرارة به على ١٠° درجات مئوية لمدَّة شهرين أو أربعة شهور في الصيف، ويبقى الشتاء قاس وطويل حيث تظل حرارته دون الصفر المئوي في فترة قد تصل إلى سبعة شهور، وعلى سبيل المثال تصل حرارة يناير في مدينة أركوتسك Irkusk إلى ١٢° ف، (- ٢١° م).

ويشمل المناخ القطبي أكثر من نصف مساحة الاتحاد السوفييتي ويمتد

ليشمل معظم روسيا الأوروبية شمال خط عرض ٥٦° شمالاً ثمَّ يتسع إلى الشرق من جبال الأورال حتى يشمل معظم سيبيريا.

وإلى الجنوب من إقليم المناخ القطبي وشبه القطبي، يمتد نطاق مثلث الشكل من الأطراف الغربية للاتحاد السوفييتي وحتى قرب مدينة نوفوسيبيرسك في سيبيريا الغربية، ويسود في هذا المثلث المناخ البارد الرطب وهو مناخ منطقة القلب الاقتصادي السوفييتي في روسيا الأوروبية، ويتميز هذا الإقليم بشتاء بارد طويل وصيف قصير وبارد نوعاً وتتزايد القارية بالاتجاه شرقاً حتى يتزايد المدى الحراري الفصلي واليومي وتتناقص الأمطار بالاتجاه جنوباً وشرقاً.

وتعدُّ موسكو مثالاً على هذا الإقليم المناخي الرطب، فتصل حرارتها في يناير إلى - ١٠,٣° مئوية (١٣,٥° ف) وفي يوليه ترتفع إلى ١٨°م (٦٠° ف) ويتساقط الثلج حوالي ثمانية شهور في السنة. وتزيد الحرارة بالاتجاه جنوباً، كما يقصر الشتاء وتقل قسوته، فتصل حرارة الشتاء والصيف في كييف مثلاً إلى - ٥°م (٢٣° ف) و ٢٢°م (٧٢° ف) على الترتيب، وتتراوح الأمطار بين ١٨ إلى ٢٠ بوصة سنوياً والسماء صحو ومشمسة في معظم أيام السنة.

ويسود في هذا الإقليم المناخي الغابات المختلطة أو الغابات النفضية الصلبة كأشجار البلوط والدردار والإسفندان، وفي جنوب هذا النطاق يوجد نطاق من الإستبس الشجرية الذي يمثل منطقة انتقال بين الغابات النفضية في الشمال وحشائش الإستبس في الجنوب.

ويمتد إقليم الإستبس في جنوب منطقة القلب الأوروبي ممتداً من الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي مع رومانيا وشرقاً حتى مرتفعات التاي في وسط آسيا السوفييتية في نطاق شرقي غربي يبلغ طوله نحو ٤٨٠٠ كيلومتراً ويتراوح عرضه بين ٥٠٠ , ١٠٠٠ كيلومتر ويتميز مناخ الإستبس عن المناخ البارد الرطب شماله بأنَّ صيفه أدفأ، والفصل الخالي من الصقيع به أطول وأمطاره أقل (من ١٠ - ٢٠ بوصة) ولكنها تسقط في الوقت المناسب للزراعة في أوائل الصيف

ومتصفه. ورغم أنَّه يتعرض في بعض السنوات للجفاف وما يشكله ذلك من خطر على الزراعة فإنَّه يعد من أعظم مناطق الاتحاد السوفييتي في الإنتاج الزراعي والرعوي، كذلك فإنَّ هذا النطاق يحوي أكثر التربات خصوبة في الاتحاد السوفييتي وهي تربة التشرنوزم ـ أي التربة السوداء.

أمَّا الإقليم الثالث فهو الإقليم الصحراوي الجاف والذي يسود في آسيا الوسطى إلى الشرق من بحر قزوين حيث تتناقص كمية الأمطار وتتضاءل حشائش الإستبس حتى تنتهي إلى إقليم صحراوي شاسع يشغل الجزء الأعظم من آسيا السوفييتية الوسطى حتى بحيرة بلكاش، وتقل أمطاره عن ٨ بوصات سنوياً، ويتميز بالمدى الحراري الكبير حيث تنخفض حرارة يناير إلى درجة التجمد وما دونها ـ باستثناء بعض المناطق المحدودة ـ وترتفع حرارة الصيف إلى ما يزيد على ٢٧° (٨٠° ف)، بل قد تصل إلى ٣٨°م (١٠٠° ف)، وتسقط الأمطار في جنوب هذه الصحاري في فصل الشتاء بينما تسقط على أطرافها الشمالية في فصل الصيف، ولكن الظاهرة السائدة هي الجفاف الشديد وارتفاع معدَّل التبخر بدرجة كبيرة ولا تسمح الأمطار ـ إلاَّ في مناطق محدودة ـ بنمو الحشائش القصيرة، وتقوم الزراعة على الري معتمدة على مياه المجاري المائية الهابطة من جبال تيان شان وجبال البامير.

وبالإضافة إلى هذه الأقاليم الثلاثة الكبرى هناك ثلاث جيوب مناخية يسود بها المناخ شبه المداري الرطب وهي شبه جزيرة القرم حيث مناخ البحر المتوسط وفي السهول الصغيرة الواقعة على طرفي جبال القوقاز فيما يسمى بمنطقة ما وراء القوقاز قرب الحدود التركية الإيرانية ثمَّ على امتداد ساحل بحر قزوين وفي كل هذه الجيوب الصغيرة نجد الجبال الواقعة في شمالها تحميها من الرياح الباردة ومن ثمَّ لا تنخفض حرارة الشتاء بها إلى ما تحت الصفر، ومن هنا فإنَّ الشتاء عموماً معتدل والصيف دافىء إلى حار، ولذلك اشتهرت هذه الجيوب بزراعة محاصيل شبه مدارية والكروم والبساتين، وكذلك بمصايفها الجميلة (أشهرها يالتا) حتى أنَّها تسمى أحياناً «بالريفييرا الروسية».

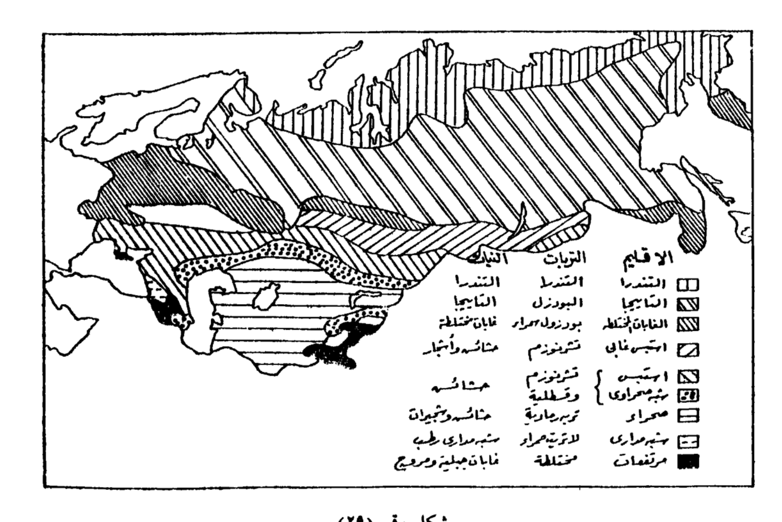
ويتميز أقصى شرق الاتحاد السوفييتي المطل على ساحل المحيط الهادي من مدينة فلاديفوستك جنوباً حتى مصب نهر آمور شمالاً بمناخ موسمي يعد امتداداً للمناخ السائد في شمال الصين وكوريا وتسقط الأمطار هنا صيفاً بسبب الرياح الموسمية التي تحمل الرطوبة من المحيط الهادي وتتراوح كميتها من ٢٠ ـ ٣٠ بوصة سنوياً، أمّا في الشتاء فتتعرض المنطقة للرياح الباردة الجافة التي تهب من منطقة الضغط المرتفع جنوب بحيرة بيكال.

الحياة النباتية والتربة:

تتمشّى الأقاليم النباتية مع الأقاليم المناخية إلى حد كبير، وعلى ذلك تبدأ الحياة النباتية من الشمال ممثلة في إقليم التندرا ثمَّ أقليم الغابات الصنوبرية، ويليها إقليم الغابات المختلطة والنفضية التي تتناقص جنوباً لتنتهي إلى الإستبس الشجري فالإستبس فالصحراء.

ويضم إقليم التندرا أنواعاً عديدة من النباتات قليلة القيمة الاقتصادية والتي تتألف من الطحالب وحشائش البحر ونباتات بردية وبعض الشجيرات وهي كلها نباتات تأقلمت مع المناخ البارد للغاية ومع الصرف السيء والجفاف. والتربة الحمضية الضحلة والصقيع وتجمد التربة.

أمّا نطاق الغابات الصنوبرية ـ أو التاييجا ـ التي تغطي مساحة شاسعة من سيبيريا وشمال روسيا الأوروبية في أعظم نطاق متصل من الغابات على سطح الأرض وهي أهم أنواع الحياة النباتية في الاتحاد السوفييتي (شكل رقم ٢٩)، وتنمو أشجار هذه الغابات ببطء شديد بسبب البرودة وتجمد التربة كما تنتشر المستنقعات بين ثنايا الغابات بشكل واضح. وهي تحوي أنواعاً محدودة من الأشجار وأهمها الصنوبر والشربين والراتنج واللاركس وهي كلها أشجار ليِّنة تصلح لعمل عجينة الورق وكذلك تستخدم كأخشاب وقود وفي الصناعات الخشبية الأخرى، ولقد أصبح الاتحاد السوفييتي بهذا الاحتياطي الضخم من الغابات أكبر دول العالم إنتاجاً للأخشاب حيث بلغ نصيبه في أوائل الثمانينات حوالي ١٦٪ من الإنتاج العالمي الذي يصل إلى ٢٤٠٠ مليون متر مكعب سنوياً.



شكل رقم (٢٩)

الأقاليم النباتية والتربة في الاتحاد السوفييتي

وإلى الجنوب من الغابات الصنوبرية يوجد نطاق من الغابات المختلطة أو الغابات النفضية الصلبة كأشجار البلوط والدردار والإسفندان، وتتدرج هذه الغابات إلى نطاق من الإستبس الشجري - وهو منطقة انتقالية في الواقع بين الغابات النفضية في الشمال وحشائش الإستبس في الجنوب، وقد تحوَّلت هذه المنطقة إلى أراضي زراعية تماماً.

أمَّا نطاق الإستبس فيبدو كنطاق من الحشائش لا نهاية له، والإستبس Steppes - مصطلح مناخي ونباتي في آن معاً، وتزداد كثافة هذه الحشائش بتزايد كمية الأمطار ثمَّ ما تلبث أن تتناقص جنوباً بشرق حتى تنتهي إلى المناطق شبه الصحراوية، وعلى ذلك يشغل نطاق الإستبس السوفييتي مساحة ضخمة تمتد من الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي مع رومانيا إلى جبال التاي في وسط آسيا السوفييتية وتمتد لمسافة ٤٨٠٠ كيلومتراً من الشرق إلى الغرب ويتراوح عرضه بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ كيلو متراً. وينتهي الإستبس إلى مناطق شبه صحراوية وصحراوية حيث تقل الأمطار عن ٨ بوصات سنوياً. وتتبعثر بها نباتات مقاومة للجفاف ويسود ذلك في نطاق واسع من آسيا الوسطى السوفييتية، حيث المناخ الصحراوي الجاف وتنمو النباتات عقب سقوط الأمطار في أوائل الربيع كما تترعرع بعض الحشائش وتكون مصدراً لغذاء قطعان الرعاة.

وترتبط الأنواع الرئيسية للتربة بالأقاليم النباتية والمناخية إلى حد كبير، وذلك رغم أنَّ مساحات كبيرة من النباتات الطبيعية خاصة في نطاق الغابات النفضية ونطاق الإستبس قد تحولت إلى الزراعة أو الرعي، ولعلَّ في التربة السوداء المعروفة بالتشرنوزم في نطاق حشائش الإستبس دليل على ذلك حيث تعد من أكبر المناطق الزراعية في الاتحاد السوفييتي الأوروبي.

وإذا تتبعنا أنواع التربة من الشمال إلى الجنوب نجد أنَّ التربة في إقليم التندرا قليلة الخصوبة تكثر بها الصخور وتختلط باللبد النباتي ولا تتحلل النباتات بها إلاَّ ببطء شديد بسبب البرودة الشديدة إضافة إلى تجمد التربة لمدَّة تصل إلى عشرة شهور سنوياً.

أمّا تربات الغابات الصنوبرية ـ أو التاييجا ـ فهي تربة أكثر سمكاً عن تربة التندرا، وتتشابه معها في فقرها في المحتوى العضوي، وهذه التربات من نوع البودزل Podzols ـ وهي كلمة روسية تعني «التربات الرمادية»، ويرجع فقر هذه التربة في المواد العضوية لتعرضها الشديد لظاهرة غسل التربة ـ أو جرف مكوناتها Leaching، ولذلك فهي تربة فقيرة للغاية في خصوبتها الطبيعية، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ انخفاض درجة الحرارة بشكل عام لا يساعد على تحلل أوراق الأشجار التي تسقط وتختلط بالتربة، مما يؤدي إلى تشبع هذه الأوراق بالمياه فتصبح حمضية وتلك صفة أخرى من صفات تربات البودزل ومن ثمَّ فإنَّ إمكانات استغلال هذه التربة في الزراعة تعد محدودة للغاية.

أمّا في نطاق الغابات النفضية والمختلطة فتتحسن خواص التربة نسبياً، فتزداد بها كمية المواد العضوية وتقل بها ظاهرة غسيل التربة ويزداد سمكها كما تتمتع بصرف أحسن ولذلك استغل السوفيت تربة هذا النطاق في الزراعة استغلالاً جيداً من خلال تطبيق الأساليب العلمية واستخدام المخصبات وأصبحت من المناطق الهامة لإنتاج المحاصيل التي تتلاءم مع الظروف المناخية المعتدلة الباردة مثل محاصيل البطاطس والكتان والشوفان والشيلم والشعير والبنجر (الشمندر السكري) كذلك يسود بها تربية الحيوان ومزارع منتجات الألبان اعتماداً على زراعة الأعلاف الملائمة.

أمّا في نطاق الإستبس فتسود تربات خصبة حيث تساعد الظروف المناخية والأرضية على تكوين تربة سمراء متوسطة الحمضية وغنية في المواد العضوية والكالسيوم والبوتاس والنتروجين والفوسفور أو أي معدن يحتاجه النبات في الواقع، وهذه التربة يسميها الروس تربة التشرنوزم Chernozem، أي التربة السوداء ـ وهي تربات عميقة عظيمة الخصوبة تتمثل في كل نطاق الإستبس وتعد من أحسن أنواع التربة في العالم وتشبه في خصائصها نطاق «البراري» في إقليم السهول الوسطى في أمريكا الشمالية. وترجع أسباب الخصوبة العظيمة لهذه التربات السوداء إلى توفر المواد العضوية المتحللة (تسمى المادة الدبالية

Humus مـن المتخلفات النباتية والحيوانية التي تتحلل بفعل البكتيريا وتصبح جزءاً من التربة ذاتها. وكذلك يتوفر بها قدر كاف من الكلس (الجير) لمعادلة حموضة التربة حينما تزيد عن الحد المعقول.

وعلى امتداد الحافات الجافة للإستبس تصبح التربة بنية وتميل إلى الاحمرار (تميل إلى اللون القسطلي)، وتقل خصوبتها ومن ثمَّ تستخدم فيها المخصبات، ورغم أنَّ المناخ الجاف هنا يجعل الزراعة صعبة، فقد شهدت هذه المناطق مشروعات زراعية ضخمة تعتمد على الري.

سكان الاتحاد السوفييتي:

سبق القول بأنَّ سكان الاتحاد السوفييتي وصل عددهم إلى ٢٧١ مليون نسمة سنة ١٩٨٣، ويبدو عدم التساوي السكاني على رقعة الاتحاد السوفييتي إلى حد كبير كما يبلغ متوسط الكثافة العامة ١٢ نسمة في الكيلومتر المربع، وتعد منطقة غرب أوكرانيا وغرب روسيا الأوروبية من أكثر مناطق الاتحاد السوفييتي كثافة، وتمتد الكثافات المتوسطة خلال الأجزاء الوسطى عن روسيا الغربية وفي مناطق مبعثرة على امتداد الطرف الشرقي للبحر الأسود وفي مناطق الزراعة القائمة على الري في التركستان، ويبدو أثر المناخ في الاتحاد السوفييتي واضحاً في توزيع السكان، حيث لا يلائم المناخ السكان في كثير من المناطق وأهمها نطاق التندرا في شمال أوراسيا وكذلك معظم نطاق الغابات الصنوبرية ونطاق الأراضي الجافة في تركستان وفي أقصى جنوب شرق روسيا الأوروبية، وقد أدَّى امتداد خط السكك الحديدية السيبيرية من لننجراد حتى فلاديفوستك إلى خلق شريط سكاني حوله في سيبيريا.

وقد كان لارتفاع معدَّل المواليد في الاتحاد السوفييتي أثر واضح في تزايد السكان به، وقد حدا ذلك بالحكومة الروسية أن تتجه لاستغلال أراض جديدة لزراعتها بعد أن تركز السكان في الأراضي المنتجة في روسيا الأوروبية، وقد أضافت برامج التنمية مساحات كبيرة للأراضي الزراعية في النطاق الصحراوي في تركستان الذي تعتمد الزراعة فيه على الري، وكذلك استغلت أراضي

واسعة في شرق سيبيريا وأصبحت مناطق تركز سكاني ثانوي في الوقت الحاضر وساعد على ذلك استغلال الثروات المعدنية في سيبيريا وإنشاء طرق النقل المختلفة لهذا الغرض.

وتعتبر جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفييتية الممتدة من بولنده إلى نهر الدن من أكبر مناطق الاتحاد السوفييتي كثافة في السكان حيث تزيد فيها على ٨٤ نسمة في الكيلومتر المربع وتشترك في ذلك مع المناطق الكثيفة في أقصى غرب الاتحاد السوفييتي وفي النطاق الصناعي في الشرق، وقد ارتبط التركز السكاني في أوكرانيا بتوفر المقومات الجغرافية للإنتاج الزراعي، لذلك يعد هذا الإقليم من أكثر جهات الاتحاد السوفييتي صلاحية للزراعة، فبالرغم من الأمطار القليلة فإنّها أكثر من أجزاء أخرى كثيرة في روسيا، فيصل متوسط الأمطار الساقطة على كييف مثلاً ٢٤ بوصة سنوياً، كما تلائم الحرارة الإنتاج الزراعي إلى حد كبير حيث تصل إلى ١٨° مئوية في شهر يوليو، كما أنَّ الشتاء ليس طويلاً ويتميز الصيف بالاعتدال، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ تربة اللويس التي تتميز بها أوكرانيا تعد أكثر التربات خصوبة بالمقارنة بالأنواع الأخرى للتربات في الاتحاد السوفييتي وتنتج هذه الجمهورية كـميات كبيرة من القمح والبنجر.

وقد اتّسعت أوكرانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق اكتساب أراض من جنوب شرق بولنده وشرق تشيكوسلوفاكيا ونتيجة لذلك فقد أضيفت إليها أراضي زراعية خصبة، وعلى امتداد رقعة الاتحاد السوفييتي فإنَّ هناك ارتباطاً قوياً بين تركز السكان وكثافة الزراعة وذلك فيما عدا المناطق الصناعية كما هي الحال في إقليم الدونباس الذي يعتبر الإقليم الصناعي في حوض نهر الدن، والذي يعد إقليماً صناعياً زراعياً - ويرجع تقدمه الصناعي إلى توفر عوامل الصناعة مثل حقول الفحم إلى الشمال الغربي للدن الأدنى مباشرة، كذلك فإن خام الحديد يتركز في منطقة قرب كريفوى رج عند الثنية الكبيرة لنهر الدنيبر وتخدم هذا الإقليم وسائل نقل متعددة تتمثل في النقل المائي عن طريق القنوات والأنهار وكذلك النقل البحري والبري، ويتميز سكان شرق

أوكرانيا بالحضرية أكثر من سكان غرب أوكرانيا الريفيين حيث قامت الصناعة في الشرق في ثنية الدنيبر الكبرى بصفة أساسية على خام الحديد والفحم والتقدم الكبير في استغلال المياه لتوليد الطاقة الكهربائية.

ويبين الجدول رقم (٩) توزيع السكان في جمهوريات الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٨٣.

جدول رقم (٩) توزيع السكان في
جمهوريات الاتحاد السوفييتي ١٩٨٣

الجمهورية	المساحة (ألف كيلومتر مربع)	السكان (مليون نسمة)	٪ من السكان
روسيا السوفييتية الاتحادية	١٧,٠٧٥	١٤١,٠	٥٢,٠
أوكرانيا	٦٠٤	٥٠,٥	١٨,٦
كازاخستان	٢,٧١٧	١٥,٥	٥,٧
أوزبكستان	٤٤٧	١٧,٠	٦,٣
روسيا البيضاء (بلوروسيا)	٢٠٨	٩,٨	٣,٦
جورجيا	٧٠	٥,١	١,٩
أذربيجان	٨٧	٦,٤	٢,٣
مولدافيا	٣٤	٤,٠	١,٥
ليتوانيا	٦٥	٣,٥	١,٣
قرغيزيا	١٩٨	٣,٨	١,٤
تاجيكستان	١٤٣	٤,٢	١,٥
لاتفيا	٦٤	٢,٦	١,٠
أرمينيا	٣٠	٣,٢	١,٢
تركمانستان	٤٨٨	٣,٠	١,١
استونيا	٤٥	١,٥	٠,٥
الجملة	٢٢,٢٧٥	٢٧١,٢	١٠٠,٠

المصدر:

(1) States man's year book, 1977. p. 1388.

(2) L'institut National D'Etude Demographiques, Bull. Mensuel, Fevrier 1984, Numero 177.

ومن الجدير بالذكر أنَّ سبع دول من الإثنتا عشرة المجاورة للاتحاد السوفييتي هي دول شيوعية، وقد أصبح الاتحاد السوفييتي منذ الحرب العالمية الثانية ـ جغرافياً وسياسياً مركز العالم الشيوعي وتبدو مجالات نفوذه الحالية أبعد بكثير من الدول المجاورة له مباشرة.

ويلعب الاتحاد السوفييتي دوراً كبيراً للغاية في الشؤون السياسية العالمية وله علاقات دبلوماسية مع ما يزيد على ١٢٠ دولة من دول العالم، وجدير بالذكر أنَّ الاتحاد السوفييتي له وضع فريد في الأمم المتحدة حيث تتمتع جمهوريتان من جمهورياته الخمس عشرة بعضوية الأمم المتحدة وهما أوكرانيا وروسيا البيضاء.

والواقع أنَّ سكان الاتحاد السوفييتي يعدون عامل قوة سياسية واقتصادية على درجة كبيرة من الأهمية سواء من حيث الحجم والتركيب العمري وخصائص السكان الأخرى مثل الحالة العملية حيث تسهم المرأة بدور كبير في القوى العاملة بل وفي الجيش بدرجة تفوق مثيلتها في دول العالم الغربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

وقد قدر عدد سكان الاتحاد السوفييتي في منتصف ١٩٨٣ بحوالي ٢٧١ مليون نسمة، ويأتي بذلك في الترتيب الثالث بين دول العالم بعد الصين والهند، ويمثل السكان بطبيعة الحال وهم بهذا الحجم عنصراً في القوة المركزية داخل الدولة، فرغم التباين في التركيب العنصري ونمط التوزيع الجغرافي في هذه المساحة الشاسعة، إلَّا أنَّ الحكومة المركزية بذلت جهوداً كبيراً في تجميع الثقافات المحلية حتى تقلل من التنافر القومي على رقعة الدولة.

وقد أوضحت بيانات أوَّل تعداد سكاني أخذ في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية ـ وهو تعداد ١٩٥٩ ـ إنَّ مجموع السكان بلغ في تلك السنة ٢٠٩ ملايين نسمة بزيادة قدرها حوالي ١٠٪ فقط من سكان ١٩٣٩، ولا شكَّ أنَّ هذه الأرقام مدلولاً هاماً حيث توضح مدى الخسائر الحربية السوفييتية

في الحرب العالمية الثانية والتي يقدرها البعض بحوالي ٢٠ مليون نسمة منها ٧ ملايين نسمة خسائر حربية مباشرة و١٣ مليون نسمة قدِّر أنّهم كانوا سيولدون خلال فترة الحرب. وقد تزايد السكان بمعدلات قليلة بعد ذلك، فقد قدَّروا سنة ١٩٦١ بحوالي ٢١٩ مليون نسمة وفي سنة ١٩٧٠ بحوالي ٢٤٣ وفي سنة ١٩٨٣ وصل عددهم إلى ٢٧١ مليون نسمة.

وقد هبط معدَّل المواليد ومعدَّل الوفيات منذ العشرينات هبوطاً ملحوظاً نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة وتزايد العمران الحضري والاهتمام بالخدمات الصحية، ففي سنة ١٩٢٦ كان معدل المواليد ٤٧ في الألف والوفيات ٢٠ في الألف ثمَّ انخفضت هذه الأرقام في سنة ١٩٥٧ إلى ٢٥ في الألف و٨ في الألف على الترتيب مما أدَّى إلى هبوط حاد في المعدل الطبيعي للنمو السكاني من ٢٧ في الألف إلى ١٧ في الألف ـ وفي سنة ١٩٨٣ قدِّر معدَّل المواليد بنحو ١٨ في الألف فقط والوفيات بحوالي ١٠ في الألف ومعنى ذلك أنَّ معدَّل النمو الطبيعي يصل إلى أقل من ١٪ سنوياً.

وتبين الأرقام التالية حجم السكان في الاتحاد السوفييتي منذ أوائل القرن العشرين:

السنة	عدد السكان (بالمليون)
١٨٩٧ (الإمبراطورية الروسية)	١٢٦,٩
١٩١٣ (الإمبراطورية الروسية)	١٧٠,٩
١٩٣٩ (تعداد)	١٧٠,٦
١٩٥٩ (تعداد)	٢٠٨,٨
١٩٧٠ (تعداد)	٢٤١,٧
١٩٨٣ (تقدير)	٢٧١,٢

ويتميز السكان في الاتحاد السوفييتي بالتباين العرقي أو السلالي بدرجة كبيرة فهناك أكثر من ١٠٠ مجموعة قومية، ولكن الغالبية العظمى من السكان

ترجع إلى خمس عشرة قومية رئيسية والباقي مجموعات صغيرة تنتشر في الاتحاد السوفييتي وبعضها قليل العدد مثل اليونانين والبولنديين والألمان واليهود وغيرهم من العناصر التي لا تهدد وحدة الدولة أو سيطرة العناصر السلافية عليها.

وتكون العناصر السلافية ثلاثة أرباع السكان في الاتحاد السوفييتي وتتكون هذه العناصر أساساً من الروس الكبار (٥٣٪) والأوكرانيين أو الروس الصغار (١٨٪) والروس البيض (أقل من ٥٪ من جملة سكان الاتحاد السوفييتي)، وعلى ذلك تبدو العناصر الروسية مسيطرة عددياً واقتصادياً وسياسياً وتعد لغتهم هي اللغة السائدة.

أمّا المجموعة العرقية الثانية فهي مجموعة شعوب التاي والتي تتكون من الأوزبك والتركمن والقرغيز والكازاخ في جمهوريات آسيا الوسطى والبشكير والتتار والشوفاش في منطقة الفولجا ـ الأورال، والياكوت والتوفنيان والتايتسي في سيبيريا وقد تحولوا من حياة البداوة إلى الزراعة المستقرة والعمل في الصناعات المختلفة. أمّا سكان القوقاز فتسود بينهم جماعات جورجيا وأرمينيا ويرتبطون بدورهم بالجماعات التركية ـ الأذربيجانية.

وينقسم الاتحاد السوفييتي إلى خمس عشرة جمهورية اشتراكية تتميز كل منها بسمات قومية خاصة تتمثل في لغة محلية وأديان وعادات مميزة، وغالباً ما تسمى الجمهورية باسم قوميتها الخاصة وإن كانت هناك قوميات ليس لها جمهوريات خاصة بها مثل البشكير والتتار وغيرهم والذين يدخلون في عداد جمهوريات أخرى وسنتناول ذلك بعد قليل في العلاقة بين التركيب العرقي والتركيب السياسي.

وحسب بيانات تعداد ١٩٧٠ يتوزع سكان الاتحاد السوفييتي توزيعاً عرقياً وقومياً على النحو الذي يبينه الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠) التوزيع العددي والنسبي
للمجموعات القومية في الاتحاد السوفييتي
سنة ١٩٧٠

المجموعة الرئيسية	عدد السكان بالمليون	٪
١ ـ السلاف	١٧٩,٠	٧٤,٠
الروس الكبار	١٢٩,٠	٥٣,٣
الأوكرانيون	٤٠,٨	١٦,٩
الروس البيض (بلورشان)	٩,٢	٣,٨
٢ ـ الشعوب الإيرانية والتركية	٢٥,٥	١٠,٥
الأوزبك	٩,٢	٣,٨
التتار	٥,٩	٢,٣
القزخ	٥,٣	٢,٢
التاجيك	٢,١	٠,٩
القرغيز	١,٥	٠,٦
التركمان	١,٥	٠,٦
٣ ـ القوقازيون	١٠,٩	٤,٥
الأذربيجان	٤,٤	١,٨
الأرمينيون	٣,٣	١,٥
الجورجيون	٣,٢	١,٣
٤ ـ البلاطقة	٥,١	٢,١
الليتوانيون	٢,٧	١,١
اللاتفيون	١,٤	٠,٦
الأستونيون	١,٠	٠,٤
٥ ـ قوميات أخرى	٢١,٥	٨,٩
الجملة	٢٤١,٧	١٠٠,٠

المصدر:

Statesman,s Yearbook, 1977 - 78, P. 1400.

وإذا كانت هذه الجمهوريات المكوِّنة للاتحاد السوفييتي تتميز بقوميات خاصة تمثل أغلبية السكان بها كما سبق القول، إلاَّ أنَّ هناك عناصر أخرى تسكن الجمهورية الواحدة، ويبدو ذلك من دراسة أرقام جدول (١١) التي توضح النسبة المئوية للعناصر السكانية المكونة لكل جمهورية من هذه الجمهوريات حيث يتضح منها أنَّ الروس ينتشرون أكثر من غيرهم خارج حدود جمهوريتهم، فترتفع نسبتهم في أوكرانيا وروسيا البيضاء ومعظم جمهوريات الاتحاد السوفييتي الآسيوية.

جدول رقم (١١) التركيب القومي لسكان
الجمهوريات السوفييتية (١٩٧٠)[1]

الجمهورية	التركيب القومي
روسيا الاتحادية	روس (٨٣٪)، وآخرون (١٧٪).
أوكرانيا	أوكرانيون (٧٥)، روس (١٩٪)، آخرون (٦٪).
روسيا البيضاء	روس بيض (٨١٪)، بولنديون (١٪)، روس (٢٪)، آخرون (٧٪).
جورجيا	جورجيون (٦٧٪)، روس (١٠)، أرمن (٩٪)، آخرون (٧٪).
أرمينيا	أرمن (٨٩٪)، أذربيجان (٦٪)، روس (٣٪)، آخرون (٢٪).
ملدافيا	ملدافيون (٦٥٪)، أوكرانيون (١٤٪)، روس (١٢٪)، آخرون (٩٪).
أستونيا	أستونيون (٦٨٪)، روس (٢٥٪) آخرون (٧٪).
لاتفيا	لاتفيون (٥٧٪)، روس (٣٠٪)، آخرون (١٣٪).
لتوانيا	لتيوانيون (٨٠٪)، روس (٩٪)، بولنديون (٨٪)، آخرون (٣٪).
الكازاخستان	الكازاخ (٣٪)، الروس (٤٢٪)، أوكرانيون (٧٪)، آخرون (١٨٪).
التركمانستان	التركمان (٦٦٪)، روس (١٥٪)، آخرون (١٩٪).
أوزبكستان	الأوزبك (٦٥٪)، روس (١٣٪)، آخرون (٢٢٪).
تاجيكستان	تاجيك (٥٦٪)، أوزبك (٢٣٪)، روس (١٣٪)، آخرون (٨٪).
قرغيزيا	قرغيز (٤٤٪)، روس (٢٩٪)، أوزبك (١١٪)، آخرون (١٦٪).

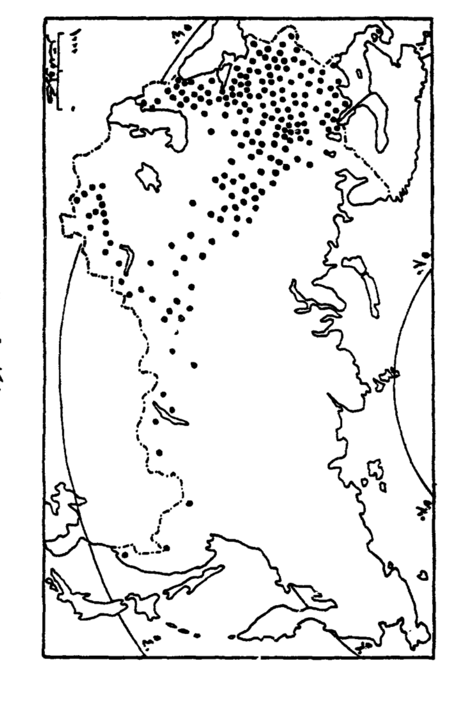
(١) المصدر: السابق ص ص ١٤١١ - ١٤٤٩.

وقد تغيَّر السكان في الاتحاد السوفييتي تغيراً جذرياً منذ العشرينات من هذا القرن، ففي هذا التاريخ كان السكان يتركزون بصفة أساسية في روسيا الأوروبية في مثلث قاعدته تمتد من لينجراد إلى البحر الأسود ـ وقمته إلى حد ما في منتصف جبال الأورال، ولكن باستمرار تنفيذ سياسة التصنيع والخطط الخمسية السوفيتية منذ قيام الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ تطلبت ضرورة إعادة توزيع السكان، ومن ثمَّ فقد اتجهت أعداد كبيرة من السكان ـ وفق خطط موضوعة لذلك الغرض ـ من هذا المثلث السابق الذكر إلى مناطق الحشائش في سيبيريا الغربية، وفي إقليم حوض كوزنتسك في وسط سيبيريا ونطاق الإستبس في منطقة الكازاخ والحافات الجنوبية لسيبيريا في إقليم بحيرة بيكال (شكل رقم ٣٠).

وقد شجعت الحكومة المركزية هجرة السكان نحو هذه المناطق لتعميرها بقصد إحداث توازن في توزيع السكان على رقعة الدولة من ناحية، واستغلال الموارد الاقتصادية في المناطق التي يتم تعميرها من ناحية أخرى، كما أنَّ ازدياد الاختلاط بين الجماعات العرقية المختلفة يؤدي إلى تقليل التباين القومي والإقليمي فيما بينها.

وقد ارتبط بإعادة توزيع السكان المخطط هذا ـ نمو هائل في حجم سكان المدن، وكان ذلك استجابة مباشرة لخطة التصنيع التي جذبت كثيراً من السكان للعيش في المدن الكبرى ذات المستوى المعيشي المرتفع، وقد تزايدت نسبة سكان المدن في الاتحاد السوفييتي من ٣٢٪ سنة ١٩٣٩ إلى ٤٨٪ سنة ١٩٥٩ ثمَّ إلى ٥٦٪ سنة ١٩٧٠ وقدِّرت بحوالي ٦٠٪ سنة ١٩٧٦. وتتركز المدن الكبرى في شرق أوكرانيا وإقليم موسكو وإقليم الأورال وأودية آسيا الوسطى وغرب سيبيريا.

وحسب تعداد ١٩٧٠ فإنَّ بالاتحاد السوفييتي ١٨٨ مدينة يتراوح حجم كل منها من ١٠٠,٠٠٠ ـ ٥٠٠,٠٠٠ نسمة، و٢٣ مدينة حجم كل منها أكثر من نصف مليون نسمة (مقابل ١٣٦، ٦٦ في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٦)، ويوجد عشرة مدن مليونية (مقابل ٣٠ في الولايات المتحدة)، وأكبرها موسكو (٨ ملايين نسمة) ولينجراد (٤ ملايين).



شكل رقم (٣٠)

توزيع السكان في الاتحاد السوفيتي (كل نقطة تساوي مليون نسمة)

القوميات والتركيب السياسي الداخلي:

يرجع التركيب السياسي الداخلي في الاتحاد السوفييتي إلى التباين القومي الكبير على رقعته الجغرافية، ويعزى ذلك في البداية إلى أنَّ الإمبراطورية الروسية في مراحل نموها وتوسعها الأراضي ضمَّت إليها كثيراً من الشعوب والقوميات المختلفة التي يقدر عددها بحوالي مائة مجموعة قومية داخل الاتحاد السوفييتي ومعظمها مجموعات صغيرة العدد، أمَّا المجموعات الكبرى التي يربو عددها على مليون نسمة فتبلغ نحو ١٥ قومية رئيسية فقط.

وفي ضوء ذلك أصبح الاتحاد السوفييتي ينقسم إلى ١٥ جمهورية يسكن كل منها قومية رئيسية تسمى الجمهورية باسمها، وتنقسم هذه الجمهوريات على أساس القومية وسهولة الحكم الإداري - إلى أقسام ثانوية بلغ عددها ١٢٦ إقليماً (في سنة ١٩٧٦) وهذه بالتالي تنقسم إلى ٣١١٨ وحدة إدارية أقل و ٢٠٢٩ مدينة و ٢٧٥٧ مركزاً عمرانياً حضارياً و ٤١١٧٥ مركزاً عمرانياً ريفياً.

وعلى ذلك يمكن إيجاز هرم التركيب السياسي الداخلي في الاتحاد السوفييتي على النحو التالي (شكل رقم ٣١):

١ - الجمهوريات الاتحادية Union Republics:

وهي الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الخمس عشرة التي تمثل في الواقع أكبر ١٥ مجموعة بشرية من القوميات السوفييتية من حيث العدد بل والمستوى الحضاري أيضاً، وأكبر هذه الجمهوريات جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفييتية Russian Societ Federated Socialist Republic. وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة أرباع مساحة الاتحاد السوفييتي ويعيش بها أكثر من نصف عدد سكانه. ويكون الروس أكثر من ٨٠٪ من عدد سكان هذه الجمهورية، وتقع بقية جمهوريات الاتحاد السوفييتي الأربع عشرة الأخرى حولها، فهناك ست جمهوريات في الغرب وثلاث في القوقاز وخمس في آسيا الوسطى.

جمهورية روسيا الاتحادية
موسكو
كازاخستان

حدود الجمهوريات الاتحادية
حدود الجمهوريات ذات الحكم الذاتي
حدود المناطق ذات الحكم الذاتي
حدود الأقاليم القومية

شكل رقم (٣١)

التركيب السياسي الداخلي في الاتحاد السوفيتي

وتتمتع كل جمهورية اتحادية بسلطات إدارية واسعة، بل إنَّ لكل منها دستورها الذي يعبر عن شخصيتها الخاصة وقوَّاتها العسكرية ونشيدها القومي وعلمها وعاصمتها كما أنَّ لها الحق في الدخول في علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وعقد الاتفاقات بل وتبادل التمثيل السياسي معها، ولكن ذلك أمر نظري في الواقع حيث أنَّ هذه الجمهوريات تخضع تماماً في علاقاتها الخارجية لهيمنة العاصمة موسكو. وذلك لأنَّ الاتحاد السوفييتي دولة مركزية الحكم تماماً، ويتمسك السوفييت بنصوص الدستور عندما يلائم ذلك أغراضهم ولعلَّ أبرز مثال على ذلك أنَّ للاتحاد السوفييتي ثلاثة مقاعد في هيئة الأمم المتحدة: واحد للاتحاد السوفييتي ككل والثاني لجمهورية روسيا البيضاء والثالث لجمهورية أوكرانيا وذلك على أساس أنهما جمهوريتان مستقلتان حسب الدستور.

٢ ـ الجمهوريات ذات الحكم الذاتي **Autonomous Republics**:

وهي وحدات سياسية سوفييتية تتمتع بالحكم الذاتي كجزء من جمهورية اتحادية ويعيش على أرضها أغلبية إحدى القوميات التي تقطن هذه الجمهوريات الاتحادية. ويبلغ عدد الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ٢٠ جمهورية منها ١٦ في جمهورية روسيا الاتحادية (مثل جمهوريات داغستان وكاريليا والتتار والبشكير) واثنتين في جمهورية جورجيا وواحدة في كل من جمهوريتي أذربيجان بالقوقاز وأوزبكستان في آسيا الوسطى.

٣ ـ الأقاليم الإدارية ذاتية الحكم **Autonomous Regions (Oblasts)**:

وهي وحدات إدارية قد تنقسم إليها الجمهوريات الاتحادية، ولا تحتوي على أية مجموعة قومية هامة، وذلك عكس الجمهورية الاتحادية التي تقع فيها هذه الأقاليم الإدارية، ويبلغ عدد هذه الأقاليم الإدارية ثمانية منها خمسة في جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية وإقليم واحد في كل من جورجيا وأذربيجان وتاجيكسان.

٤ ـ مناطق قومية **National Areas (Okrugs)**:

وهي عبارة عن أقسام إدارية لها تكوين قومي مميز ونمط معيشي خاص،

وهي تشغل عادة المناطق المتطرفة الكبيرة المساحة والمبعثرة السكان مثل المناطق الواقعة في شمال سيبيريا ويشغلها رعاة الرنَّة الرحل، ويبلغ عدد هذه المناطق القومية عشر مناطق تقع كلها في جمهورية روسيا الاتحادية ولكل منطقة من هذه المناطق ممثلون في مجلس السوفييت الأعلى، ومن أمثلتها منطقة الكورياك.

التركيب الاقتصادي:

تطور الاقتصاد السوفييتي تطوراً ضخماً في الفترة التي أعقبت قيام الثورة الشيوعية به، ويمكن الوقوف على مدى هذا التطور بمختلف المقاييس، ففي سنة ١٩٢٨ أنتج الاتحاد السوفييتي ٥ ملايين طن من الصلب وقفز هذا الرقم إلى ١٣٦ مليون طن سنة ١٩٧٤ جاعلاً الاتحاد السوفييتي يتبوأ المركز الثاني في الإنتاج العالمي، كذلك فقد قفز إنتاج الفحم من ٣٥ مليون طن سنة ١٩٢٨ إلى ٦٨٥ مليون طن سنة ١٩٧٤، وتوضح الأرقام الخاصة بإنتاج البترول وأطوال السكك الحديدية ومختلف الصناعات تطوراً مماثلاً فيما بعد قيام الثورة الشيوعية.

وعلى المستوى العالمي - يسهم الاتحاد السوفييتي بدور كبير وبنسب متفاوتة في مجالات الإنتاج المختلفة مما يعكس قوَّته الاقتصادية كقوة عظمى كما يبين الجدول رقم (١٢).

الصناعة:

تتوفر في الاتحاد السوفييتي المقومات الأساسية اللازمة للنمو الصناعي كالمواد الخام وموارد القوى والوقود والقوة العاملة ورأس المال والمستوى التقني المتقدم والأسواق، وتتحكم الدولة في توجيه الصناعة حسب خطط موضوعة، وكانت رؤوس الأموال - حتى وقت قريب تستمد من الدخل الزراعي في الدولة، ويبدو أثر السكان بوضوح في توفر عدد كبير منهم في الفئة العمرية ١٨ - ٤٥ سنة والتي تعد بدورها مورداً كبيراً للعمل في قطاعات الإنتاج الصناعي. ولذلك فقد شمل التدريب الفني في الاتحاد السوفييتي عدداً كبيراً من هؤلاء السكان وذلك بقصد خلق طبقة من الفنيين الصناعيين، وبالإضافة إلى

ذلك كله ـ فإنَّ السوق السوفييتية تستوعب معظم المنتجات سواء كانت منتجات ثقيلة أو استهلاكية كما تجد بعض الصناعات طريقها نحو الأسواق الخارجية كالصناعات الثقيلة والأسلحة وغيرها.

جدول رقم (١٢) نسبة الإنتاج السوفييتي
من جملة الإنتاج العالمي (١٩٨٢)(١)

الزراعة	الترتيب العالمي	٪	الثروة المعدنية والصناعة	الترتيب العالمي	٪
القمح	الأول	١٨	البترول	الأول	٢٣
الشوفان	الأول	٣١	الغاز الطبيعي	الأول	٣٣
الشعير	الأول	٢٩	الحديد الخام	الأول	٢٩
البنجر	الأول	٢٨	الفحم	الثاني	١٩
النبيذ	الرابع	٩	الكهرباء	الثاني	١٧
الماشية	الثاني	١٠	الطاقة الذرية	الثالث	١٠
الخنازير	الأول	٩	الألمنيوم	الثاني	١٨
الأغنام	الأول	١٢	الصلب	الأول	٢٣
الأسماك	الثاني	١٣	الذهب	الثاني	١٩
الصوف	الأول	١٦	النحاس	الثاني	١٤
القطن	الثاني	٢٠	المنجنيز	الأول	٣٠

ولا شكَّ أنَّ تأثير النمو الصناعي في القوة الذاتية للاتحاد السوفييتي تأثير قوي وملموس، ويتميز التوزيع الجغرافي للصناعات الروسية بالتشتت لا بالتركز، وقد سارت الدولة على هذه السياسة ـ أي سياسة التوزيع الصناعي فيما بعد الحرب العالمية الثانية عندما هددت القوات الألمانية التي هاجمت الاتحاد السوفييتي عبر أوكرانيا ـ حوض الدونتز الذي كان يمثل المنطقة الصناعية

(١) Beau jeu - Garnier, J. et al., Images économiques du monde, 1983, p.251.

الرئيسية آنذاك، وقد ترتب على إعادة التوزيع الجغرافي للصناعات ـ إنشاء مصانع في وسط وجنوب الأورال، وفي مدن مثل سفردلوفسك وشليابنسك ومجنيتوجورسك والتي أصبحت فيها بعد مراكز صناعية هامة، كذلك فقد أعقب هذه الحرب إنشاء صناعات في مناطق سوفييتية أخرى ومن أهمها حوض كوزنتسك على بعد حوالي ٢٠٠٠ كيلومتر شرق الأورال، ووادي آمور في أقصى الشرق، وكاراجندا في منطقة الكازاخ وفي إقليم القوقاز ومنطقة مورمانسك عند الحدود مع شمال فنلندة، وطشقند في جنوب سيبيريا وإقليم أركوتسك قرب بحيرة بيكال، وقد أثّر هذا التشتت الصناعي الكبير في توزيع السكان وطرق النقل التي تربطها بعضها ببعض.

الزراعة:

حظيت التنمية الصناعية في الاتحاد السوفييتي بنصيب أكبر مما حظيت به التنمية الزراعية، ولذلك فمن الملاحظ أنَّ معدَّلات الزيادة في الإنتاج الصناعي أكبر من مثيلاتها في الإنتاج الزراعي، ولذلك فبعد أن كانت السمة الغالبة على الاتحاد السوفييتي هي أنّه دولة زراعية حتى سنة ١٩٢٨، أصبح بعدها دولة زراعية ـ صناعية في آن واحد، وقد زاد نصيب الصناعة والنقل من الناتج القومي من ٤٢٪ سنة ١٩١٣ ثمَّ قفز إلى ٧٩٪ سنة ١٩٧٤، وهبط نصيب الزراعة من ٥٨٪ في سنة ١٩١٣ إلى ١٥٪ سنة ١٩٧٤، وهبطت نسبة العاملين في الزراعة من ٧٥٪ من جملة السكان سنة ١٩١٣ إلى ٢٤٪ سنة ١٩٧٤.

وقد بدأت الحكومة سياسة التجميع الزراعي منذ الخطة الخمسية الأولى، وألغت الملكيات الفردية تدريجياً وأقامت مزارع جماعية ضخمة حيث يحصل فيها الزراع على نصيب من الأرباح أو مزارع حكومية يحصل فيها العمال على أجور محدَّدة تدفع لهم.

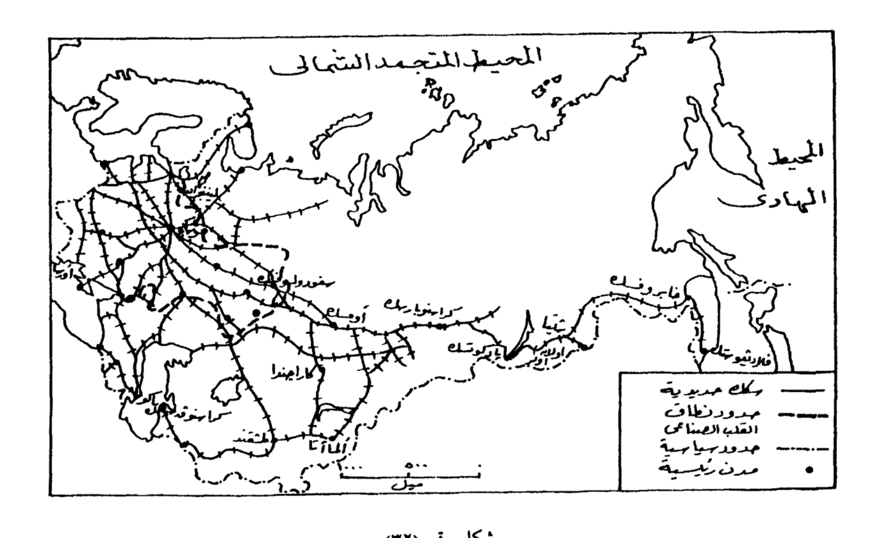
وقد اتُّبعت الحكومة سياسة التوسع الزراعي القائمة على أساس مشروعات زراعية كثيرة تتبع أساليب الميكنة الحديثة كما حدث في مناطق من جمهورية روسيا الاتحادية وفي أوكرانيا وغرب سيبيريا. كذلك اتُّبعت أساليب

حديثة لتحسين الوسائل الزراعية بتدريب الزراعة وتشجيعهم بوسائل متعددة مثل زيادة أسعار الحاصلات الزراعية والسماح بإنشاء بعض الحدائق وتربية الماشية وغير ذلك.

وبالإضافة إلى التوسع الرأسي اتبعت الحكومة السوفييتية سياسة استصلاح الأراضي في مساحات واسعة ووفرت فيها وسائل الري والصرف وذلك في المناطق التي لا تسمح الأمطار فيها بالزراعة. أو في المناطق التي يقل فيها فصل النمو، وقد ترتب على ذلك كله زيادة كبيرة في الرقعة الزراعية حيث زادت من ١١٨ مليون هكتار سنة ١٩١٣ إلى ١٤٦ مليون سنة ١٩٥٠ ثمَّ إلى ٢١٦ مليون سنة ١٩٧٤، ويمثل انخفاض الإنتاج الزراعي - خاصة من الحبوب - مشكلة كبيرة في الاقتصاد السوفييتي وقد يحدث ذلك في بعض السنوات لأسباب عديدة مما يضطر معه الاتحاد السوفييتي إلى استيراد كميات كبيرة من الخارج لسد النقص في الإنتاج المحلي.

وقد ساعد على التقدم الاقتصادي شبكة من وسائل المواصلات التي تربط بين أجزاء الاتحاد السوفييتي الشاسع المساحة (شكل رقم ٣٢)، وحتى سنة ١٩٧٥ زادت أطوال السكك الحديدية زيادة كبيرة تقدر بأكثر من أربعة أمثال ما كانت عليه في سنة ١٩٢٠ وكان أبرزها خط سكة حديد سيبيريا، وكذلك كثير من الخطوط الدولية التي تربط روسيا بالدول الشرقية في أوروبا وكذلك في بعض الدول الأخرى مثل فنلندة وتركيا وإيران ومنغوليا الخارجية ومنشوريا، وتلعب السكك الحديدية دوراً حاسماً في نقل البضائع والركاب في الاتحاد السوفييتي حيث تنقل ٦٣٪ من جملة البضائع المنقولة و ٤٤٪ من الركاب حسب تقديرات سنة ١٩٧٤.

كذلك فإنَّ الطرق المائية تسهم بدور واضح في الاقتصاد القومي ومن أبرزها قناة الدن الفولجا عند فولجو جراد (ستالينجراد سابقاً) والتي تربط نهر الفولجا بالبحر الأسود، ثمَّ قناة البلطي - البحر الأبيض والتي تجري في الشمال الشرقي من لينinجراد ثمَّ قناة موسكو - الفولجا.



شكل رقم (٣٢)

السكك الحديدية في الاتحاد السوفيتي (الخطوط الرئيسية)

التطور السياسي للاتحاد السوفييتي:

يتكون الاتحاد السوفييتي من خمس عشرة جمهورية، وتعتبر جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية أكثر هذه الجمهوريات مساحة وسكاناً، وقد تعرَّضت الحدود الخارجية للاتحاد السوفييتي لتغير ملموس في بعض الفترات منذ قيام ثورة أكتوبر ١٩١٧. كذلك حدثت تغييرات في الحدود الداخلية بين الجمهوريات المكونة للدولة، كما تمَّ سنة ١٩٥٤ عندما ضمَّت شبه جزيرة القرم إلى أوكرانيا بعد أن كانت تابعة لجمهورية روسيا الاتحادية، وكذا عندما أدمجت كاريلو ـ فنلندة في جمهورية روسيا الاتحادية في سنة ١٩٥٦.

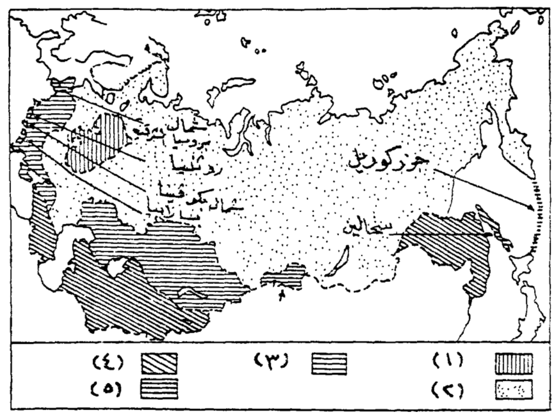
وتعدُّ موسكو عاصمة الاتحاد السوفييتي والمدينة الرئيسية به، وتقع في مركز متوسط في روسيا الأوروبية، وإن كانت متطرفة جغرافياً عن المناطق الواقعة شرق الأورال وبالرغم من أنَّ بطرس الأكبر جعل عاصمة البلاد سان بطرسبرج (لننجراد حالياً)، واستمرت كذلك لمدَّة قرنين من الزمان، وذلك حتى يمكن أن تستفيد من قربها بالدول الغربية إلاَّ أنَّ موسكو أصبحت العاصمة مرة أخرى في سنة ١٩١٨، وأصبحت رمزاً للاتجاه نحو الشرق بعد انهيار حكم القياصرة.

ومنذ أغسطس سنة ١٩٣٩ ضمَّ الاتحاد السوفييتي إلى أراضيه مساحة أخرى تقدر بنحو ٦٨١٠٠٠ كيلومتر مربع ويبلغ سكانها أكثر من ٢٣ مليون نسمة منهم حوالي ٤٠٪ ينتمون إلى عناصر غير سلافية (أنظر جدول رقم ٣٣). وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ الاتحاد السوفييتي قد خلق منطقة نفوذ إيديولوجي في شرق أوروبا مساحتها الكلية حوالي مليون كيلومتر مربع وسكانها يزيدون على ١٠٠ مليون نسمة، وهذه الدول الظاهرة للاتحاد السوفييتي والمتحالفة معه تعتبر دولاً مستقلة وتتمتع بعضوية الأمم المتحدة.

وليس للاتحاد السوفييتي مستعمرات بالمعنى التقليدي لها، فجزر كوريل وجنوب سخالين تخضع إدارياً لجمهورية روسيا الاتحادية، وقد أعطيت هذه المناطق للاتحاد السوفييتي بالاتفاق مع الحلفاء، وذلك بعد هزيمة اليابان في سنة ١٩٤٥ وتبلغ مساحة جزر كوريل ١٠٢٠٠ كيلومتر مربع، أمَّا الجزء الجنوبي من

سخالين فتبلغ مساحته ٣٦٠٠٠ كيلومتر مربع.

ويعتبر النمو والتوسع في مساحة الأراضي السوفييتية حتى وصلت إلى شكلها الحالي مظهراً تاريخياً معقداً للتفاعل بين القوى الداخلية والخارجية، ومنذ القرن الخامس عشر بدأت روسيا في اتباع خطوات تدريجية للنمو الأرضي والتي ظهرت بجلاء في ظل الحكم الشيوعي، فيمكن من خلال دراسة التطور التاريخي لهذا النمو أن نقسمه إلى مراحل ثلاث توضحها الخريطة رقم (٣٣) - وهذه المراحل هي:



(١) دوقية موسكو الكبرى ١٤٦٢.
(٢) التوسع حتى وفاة بطرس الأكبر ١٧٢٥.
(٣) التوسع من ١٧٢٥ حتى نهاية القرن الثامن عشر.
(٤) الوتسع خلال القرن التاسع عشر.
(٥) التوسع خلال القرن العشرين.

شكل رقم (٣٣)
النمو الأرضي للاتحاد السوفييتي

١ ـ تأسيس الدولة الروسية وتوسعها حتى سنة ١٩٠٠:

يمكن تتبع تاريخ الشعب الروسي منذ القرون الأولى من العصر المسيحي، ففي ذلك الوقت شغلت جماعات سلافية مساحة في الشمال الشرقي للكربات بين نهري الفستولا والدنيبر، وتحت ضغط جماعاة الغزاة بدأ السلاف في الانتشار خارج حدود منطقة تركزهم ابتداء من القرن الثاني الميلادي، فاتجهت مجموعة منهم عبر ألمانيا حتى نهر الإلب ونحو الجنوب الغربي في سولوفاكيا وبوهيميا ونحو الشرق إتَّجه السلاف الشرقيون إلى أودية الدنيبر والدون، أمَّا نحو الشمال فاتجهوا نحو المنطقة المجاورة لموسكو في الوقت الحاضر، كذلك اتَّجهت مجموعة سلافية نحو الجنوب إلى شبه جزيرة البلقان. وكان هؤلاء السلاف كثيري التناسل ومن فروعهم العديدة جاء البولنديون والتشيك والبوهيميون (سكان بوهيميا) والمرافيون والسلوفاك والرثنيون والصرب والكروات والسلوفنيون، وكذلك ثلاث مجموعات سلافية في روسيا السوفييتية حالياً هم الروس الكبار والأكرانيون والروس البيض.

وخضع الشعب الروسي للتتار منذ بداية القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، عندما نجح دوق موسكو في تكوين وحدة سياسية مستقلة، وفي خلال الأربعة قرون ونصف التي تلت ذلك امتدَّت حدود موسكو في جميع الاتجاهات وخاصة في عهد بطرس الأكبر (١٦٨٢ ـ ١٧٢١) والإسكندر الأول والثاني خلال القرن التاسع عشر. وتوضح الخريطة السابقة مراحل هذا التوسع الروسي. وقد أسهمت عدَّة عوامل في تطور التوسع الأرضي الروسي منها عدم وجود قوى سياسية أخرى داخل الأراضي الروسية لتنافس موسكو وكذلك استمرار التنمية العسكرية والحضارية في الدولة الروسية، ونمو السكان المستمر، وضعف الدول المجاورة، كل ذلك أدَّى إلى توسع الدولة من ٣٩٠٠٠ كيلومتر مربع في القرن الخامس عشر إلى ٢٢ مليون كيلومتر مربع في الوقت الحاضر، وقد ساعد تركز القوَّة العسكرية والسياسية في العاصمة بالرغم من المساحة الشاسعة للدولة ونقص طرق النقل في معظم

الأحيان، على عدم خلق تحديات قوية لسلطة الحكومة المركزية من جانب أقاليم أخرى من الدولة وذلك على امتداد التاريخ الروسي منذ سنة ١٤٦٢ وحتى الوقت الحالي.

ولقد لعبت الأراضي الشاسعة القليلة السكان في وسط آسيا دوراً هاماً في النمو الأرضي الروسي، خاصة في خلال القرن التاسع عشر عندما وسعت الدولة حدودها في اتجاه الجنوب والشرق حتى أوقفتها قوى عالمية أخرى مثل بريطانيا والصين واليابان. ولم تحدث حركة مضادة للتوسع سوى بيع ألاسكا للولايات المتحدة سنة ١٨٦٧، وعلى طول الحدود الغربية والجنوبية الغربية كانت عملية النمو بطيئة لدرجة كبيرة وقد يكون ذلك ناتجاً عن مواجهة قوى لا يستهان بها في هذا الاتجاه مثل السويد وألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر وتركيا.

٢ ـ الأراضي التي فقدتها روسيا حتى سنة ١٩١٩:

توقفت عملية النمو الأرضي مؤقتاً خلال القرن العشرين، لأسباب منها الهزيمة العسكرية على يد اليابان والألمان، ففي سنة ١٩٠٤ شنَّت اليابان هجوماً ضدَّ روسيا في الشرق الأقصى حتى تقلل من القوَّة الروسية في تلك المنطقة، ونتيجة للهزيمة التي لحقت بها، فقد اضطرت روسيا إلى التخلي عن الجزء الجنوبي لجزيرة سخالين لليابان وكذلك تجاهلت محاولاتها لتأسيس منطقة قوية في منشوريا، وبعد ذلك بسنوات قليلة دخلت روسيا الحرب العالمية الأولى في جانب بريطانيا وفرنسا، ولكن لحقتها الهزيمة مرَّة أخرى على يد الألمان في سنة ١٩١٧، بتوقيع معاهدة برست ـ ليتوفسك مع ألمانيا وحلفائها في مارس ١٩١٨، فقدت روسيا مساحات كبيرة من أراضيها في الغرب والجنوب الغربي، وتكونت فيها وحدات سياسية هي فنلندة وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا وروسيا البيضاء وبولندة وأوكرانيا، والتي خضعت لنفوذ ألماني في سياستها الخارجية. وبالإضافة إلى ذلك فقدت فارس ـ اردهان على طول الحدود التركية الروسية وضمَّت إلى تركيا.

ومن الطريف أن نشير إلى بعض الشبه بين معاهدة برست - ليتوفسك ومعاهدة فرساي بعد هزيمة ألمانيا وتسليمها في نوفمبر ١٩١٨، وذلك لأنَّ الحلفاء المنتصرين كانوا متخوفين من النظام الشيوعي الجديد، وشجعوا عزلة روسيا بقدر الإمكان، لذلك فقد نصَّت معاهدة فرساي على إستقلال فنلندة وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة كدول مستقلة دون سيطرة من الألمان أو الروس.

وفي الجنوب الغربي فقد ضمَّت مقاطعة بسارابيا إلى رومانيا، وبقيت الحدود التركية الروسية كما تحدَّدت في معاهدة برست - ليتوفسك دون تغيير، وعلى ذلك فقد فقدت روسيا معظم الأراضي التي توسعت فيها شرق أوروبا خلال القرنين السابقين.

الاتحاد السوفييتي منذ الحرب العالمية الأولى:

يمكن تلخيص التطور السياسي للاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الأولى في ثلاث فترات رئيسية: الوحدة السياسية الداخلية، إستعادة الأراضي التي فقدت بعد الحرب العالمية الأولى، التوسع السوفييتي في مناطق جديدة والفترة الأولى استمرت حتى سنة ١٩٣٩، والثانية من ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٤١، والثالثة بدأت واستمرت منذ سنة ١٩٤١.

ففي خلال الفترة الأولى (١٩١٨ - ١٩٣٩) بقيت الحدود الروسية ثابتة إلى حد كبير، وعلى امتداد خمس عشرة سنة أعقبت الحرب العالمية الأولى، أقامت روسيا علاقات قليلة مع دول العالم الأخرى، وبذل الاتحاد السوفييتي جهوداً ضخمة في خلال هذه الفترة لتقوية الحكم الشيوعي داخل البلاد وتقوية وشائج الارتباط والاندماج بينها، وفي سنة ١٩٣٣ بدأ الاتحاد السوفييتي يلعب دوراً هاماً في السياسة الدولية، بالتعاون مع دول غرب أوروبا المناهضة للفاشية التي تزايدت في القارة الأوروبية منذ الثلاثينات، ومن هذه الدول فرنسا وبريطانيا التي بدأت تنظر للاتحاد السوفييتي كحليف يمكن عن طريقه مقاومة التوسع الألماني في الأراضي الأوروبية.

أمّا الفترة الثانية في التاريخ الروسي فيما بعد الحرب العالمية الأولى فقد بدأت في سبتمبر سنة ١٩٣٩ عندما غزت القوات الألمانية بولندة، وأعقبها دخول القوات السوفيتية الأراضي البولندية من الشرق لمقاومة الغزاة الألمان، وقد قسمت الدولة البولندية حينذاك بين ألمانيا وروسيا، واتّسعت الحدود السوفييتية هذه المرة نحو الغرب حتى نهر بج Bug، وبعد ذلك بشهر غزا السوفييت فنلندة ونتج عن ذلك ضم منطقة تقع على حدودها الشرقية إلى الاتحاد السوفييتي، وأصبح الاتحاد السوفييتي في وضع يمكنه من تقوية مركزه الدفاعي في الشمال الغربي وخاصة حول مدينة ليننجراد، وفي يونية سنة ١٩٤٠ أنذرت روسيا رومانيا بإعادة منطقة بسارابيا والتخلي عن منطقة باكوفينا الشمالية وتحقق لها ذلك وفي الشهر التالي أعيدت دويلات البلطي الثلاث ليتوانيا ولاتفيا واستونيا إلى الاتحاد السوفييتي.

وعلى ذلك فقد استطاع الروس في خلال عشرة شهور أن يستعيدوا معظم الأراضي التي فقدوها في شرق أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى وأنشأوا بعد ذلك دفاعاً قوياً ضدَّ الألمان.

أمّا الفترة الثالثة من التاريخ السوفييتي المعاصر، والتي تتمثل في توسع السوفييت في أراض جديدة بدأت في سنة ١٩٤٤، فبعد أن كانت القوات السوفييتية قد تقهقرت أمام الألمان، تمكن من استعادة كل الأراضي التي هاجمتها القوات الألمانية بل وأضافت على هذه الأراضي الروسية مناطق أخرى عبر الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي وأقامت في هذه الأراضي دولاً تابعة لها، وفي خلال فترة قصيرة أصبحت دول شرق أوروبا والتي غزتها القوات السوفييتية، وكذلك دولتا يوغسلافيا وألبانيا اللتين نجحت فيهما الأحزاب الشيوعية في إقامة نظام شيوعي، أصبحت تظاهر الاتحاد السوفييتي وتتحالف معه، ويتجلى ذلك في انضمامهما معه في حلف دفاعي واحد هو حلف وارسو.

وقد كان لاتجاه القوات السوفييتية في شرق أوروبا وقوات الحلفاء في غربها أثر واضح في المظاهر السياسية في أوروبا فيما بعد الحرب العالمية الثانية،

ذلك لأنَّ هناك خطاً تقريبياً يفصل بين المناطق التي دخلتها القوات السوفييتية من ناحية والقوات المتحالفة من ناحية أخرى، ويبدأ هذا الخط من «ستيتن» على البحر البلطي شمالاً حتى «تريست» جنوباً ـ وقد حررت القوات السوفييتية برلين وبراغ وفيينا من النازي، وقد وضع خط وقف إطلاق النار في ألمانيا بين السوفييت والحلفاء ليكون حداً بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية. »

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية وسع السوفييت من حدودهم مع بولندة في منطقة بروسيا الشرقية سابقاً[1]، وفي تشيكوسلوفاكيا، وكذلك اضطر الفنلنديون إلى التخلي عن شبه جزيرة بوركالا في خليج فنلندة للسوفييت كقاعدة بحرية، ثمَّ أعيدت إلى فنلندة في سنة ١٩٥٦، أمَّا في وسط آسيا فقد ضمَّت منطقة تانوتوفا، وكانت محمية روسية إلى الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٤٦، وامتدَّ النفوذ الروسي كذلك إلى منغوليا الخارجية ولفترة وجيزة إلى سنكيانج الغربية وفي الشرق الأقصى حصل الاتحاد السوفييتي على كل جزيرة سخالين وجزر كوريل شمال شرق اليابان[2]، وبذلك خرج الاتحاد السوفييتي من الحرب العالمية الثانية كقوة أوراسية عظمى، واستمر في تنمية موارده في أوروبا وفي وسط آسيا وفي شمال غرب المحيط الهادي وبدأ يلعب دوراً حيوياً في السياسة العالمية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ويلخص (الجدول رقم ١٣) توزيع الأراضي التي ضمها الاتحاد السوفييتي منذ سنة ١٩٣٩ ـ وجملة سكان كل منها.

---

(١) بلغت مساحة الأراضي التي ضمها الاتحاد السوفييتي من بروسيا الشرقية ١١,٦٥٥ كيلومتراً مربعاً ويضم مدن كونجزبرج (أعاد السوفييت تسميتها باسم كالييننجراد) وتيلسيت (سميت سوفيننسك) وإنستربرج (سميت شيرنيا خوفسك).

(٢) بعد هزيمة اليابان في سنة ١٩٤٥ ـ ضمَّ الاتحاد السوفييتي ـ كما سبق القول ـ بالإتفاق مع دول الحلفاء ـ النصف الجنوبي من سخالين (٣٦,٠٠٠ كم^{2}) وجزر كوريل (١,٠٠٠ كم^{2})، وتطالب اليابان حالياً بإعادة هذه الجزر وقد أعلن السوفييت استعدادهم لإعادة بعض الجزر إلى اليابان عندما تنسحب القواب الأمريكية من اليابان.

جدول رقم (١٣) - المكاسب الإقليمية
للسوفييت منذ سنة ١٩٣٩

المنطقة وسنة الضم	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان
أجزاء من فنلندة (١٩٤٠)	٤٦٤٤٤	٥١٤,٢٥١
أستونيا (١٩٤٠)	٤٥٢٢٩	١,١٣٤,٠٠٠
لاتفيا (١٩٤٠)	٦٥٤٢٨	١,٩٩٤,٥٠٦
ليتوانيا (باستثناء منطقة فلنا) (١٩٤٠)	٥٢٨٣٣	٢,٨٧٩,٠٧٠
شمال بروسيا الشرقية (من ألمانيا سنة ١٩٤٥)	١٥٨٠٠	٨٣٠,٠٠٠
شرق بولندة (١٩٤٥)	١٧٧,٨٤٧	١٠,٩٠٠,٠٠٠
روثينيا (من تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٥)	١٢٧٤٣	٧٢٥,٠٠٠
باكوفينا الشمالية (من رومانيا سنة ١٩٤٠)	٥٦٨٥	٦٥٠,٠٠٠
بسارابيا (من رومانيا سنة ١٩٤٠)	٤٤٤٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
منطقة كوشكا (من أفغانستان سنة ١٩٤٦)	٤٥٩٠	—
تانوتوفا (١٩٤٦)	١٦٥٧٦٠	٦٥,٠٠٠
سخالين الجنوبية (من اليابان سنة ١٩٤٥)	٣٦٠٩٢	٣٣٢,٠٠٠
جزر كوريل (من اليابان سنة ١٩٤٥)	١٠٢١٥	١٧٥٥
جملة المكاسب الإقليمية	٦٨١٠٥٨	٢٣,٠٤١,٣٧٧

المصدر:

Alexander, M, L., World Political Patterns, Chicago, 1966, P. 348.

وقد تعاظم دور الاتحاد السوفييتي كقوة شيوعية عظمى ومارس دوراً هاماً في قيادة الحركة الشيوعية في العالم منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقوي نفوذه في الدول الأوروبية الشرقية التي اعتنقت المبادىء الشيوعية وكوّن معها حلف وارسو كحلف دفاعي عسكري في مواجهة النفوذ الغربي، وهذه الدول هي جمهورية ألمانيا الديموقراطية، وبولندة وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا.

وهؤلاء الشركاء الستة يكونون أيضاً سوقاً اقتصادية مشتركة هي مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة Council For Mutual Economic Assistance وتعرف اختصاراً باسم الكوميكون Comecon، وهي بذلك ترتبط سياسياً واقتصادياً مع الاتحاد السوفييتي ارتباطاً وثيقاً.

الفصل الثامن

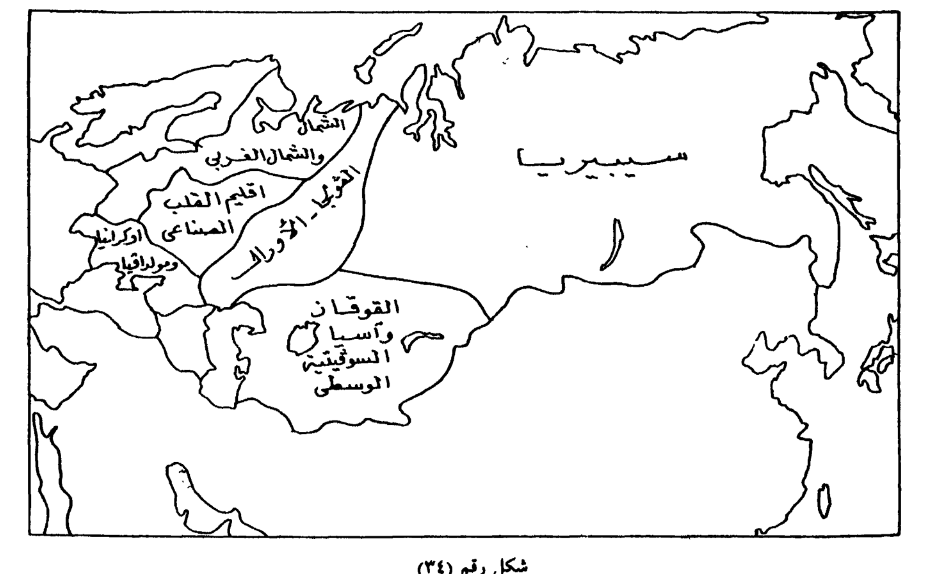
أقاليم الاتحاد السوفييتي

سبق القول بأنَّ الموارد الطبيعية والسكان والإنتاج لا تتوزع توزيعاً متساوياً على رقعة الاتحاد السوفييتي التي تربو على ٢٢ مليون كيلومتر مربع، كذلك فإنَّ بعض أجزائه مثل الشرق الأقصى وآسيا الوسطى والقوقاز تمثل وحدات مندمجة مميزة ساهم في ذلك موقعها المتطرف وظروف البيئة والإنتاج بها، كما أنَّ بعض الأجزاء الأخرى كما هي الحال في غرب سيبيريا تتميز بوفرة الموارد الاقتصادية وخاصة الثروة المعدنية بينما تعاني أجزاء أخرى من نقص هذه الموارد مثل الأجزاء الشمالية الغربية، وإضافة إلى ذلك كله فهناك أقاليم تتركز بها الكثافة السكانية وأخرى تتصف بالتبعثر والندرة.

وقد أدى هذا التباين في الموارد والسكان والظروف الطبيعية إلى تقسيم الاتحاد السوفييتي إلى عدَّة أقاليم جغرافية لكل منها سماته الطبيعية والبشرية المميزة إلى حد كبير، وهي ستة أقاليم على النحو التالي: (شكل رقم ٣٤):

١ ـ إقليم القلب الصناعي:

وهو النواة الأوروبية التي نمت حولها الدولة وشهدت أولى مراحل التنمية



شكل رقم (٣٤)
الأقاليم الجغرافية الكبرى في الاتحاد السوفيتي

الصناعية، ويحوي أكبر نطاق صناعي في الاتحاد السوفييتي وكذلك الظهير الزراعي الذي يخدمه.

٢ ـ الإقليم الشمالي الغربي:

ويمثل الظهير البلطي، وقد تطورت جمهورياته الأربع ذات التركيب العرقي المميز ـ على أساس صناعي ـ زراعي وذلك كظهير لمدينة لينتجراد، وقد ارتبط هذا الإقليم مبكراً ومنذ القرن السابع عشر بموسكو، وإن كانت موارده الاقتصادية مثل الفحم والمعادن والأسمدة المعدنية والبترول والغاز والأخشاب قد اعتمدت في استغلالها على لينتجراد.

٣ ـ إقليم أوكرانيا ومولدافيا:

ويمثل القلب الزراعي للاتحاد السوفييتي، وتعتمد وحدته الإقليمية على الزراعة التجارية به، واعتماده على المحاصيل الصناعية وانفراده العرقي عن القلب السوفييتي ودوره الكبير في الصناعة السوفييتية، وتمتد حدوده شرقاً لتشمل أراض زراعية ومناطق صناعية متشابهة.

٤ ـ إقليم ـ الفولجا ـ الأورال:

ويبدو كإقليم طولي ممتد من الشمال إلى الجنوب، وقد وجَّه شكله هذا امتداد نهر الفولجا وجبال الأورال، ويتميز وادي الفولجا بثرائه في البترول وموارد القوى، بينما تحوي جبال الأورال ثروة معدنية ضخمة، ويمثل هذا الإقليم بنهره وجباله أحد أقاليم المواد الخام الرئيسية للصناعة في الاتحاد السوفييتي.

٥ ـ إقليم القوقاز وآسيا السوفييتية الوسطى:

وهو إقليم مميز بشرياً واقتصادياً، فتسود به الثقافة الإسلامية ويتوفر به البترول والغاز الطبيعي ـ وتسود به الزراعة المتخصصة وتتشابه به الظروف المناخية ويشمل ظاهرات طبيعية موحدة أبرزها بحر قزوين وجبال القوقاز وهو يمثل المناطق الحديثة التي ضمَّت للاتحاد السوفييتي. ويشهد دوراً متعاظماً كهمزة وصل بين الاتحاد السوفييتي وأقطار الشرق الأوسط كما يزداد دوره الاقتصادي واستحدثت به أنشطة هامة أبرزها الوظيفة السياحية لكل جمهوريات الاتحاد السوفييتي.

٦ - إقليم سيبيريا:

وهو أكبر أقاليم الاتحاد السوفييتي مساحة وأقلها سكاناً، ويعد نطاق توسع وتنمية اقتصادية مستقبلية هائلة، ويمثل خط حديد عبر سيبيريا trans - Siberian والأنهار الكبرى به شرايين هامة لربط أجزائه الشرقية بالغربية، ويتعامل معه الروس كإقليم تخطيطي مستقل، ويشمل شمال كازاخستان لتشابهها بشريا رغم أنها عمرت بأغلبية روسية أكثر من القزاخ الأصليين. كذلك يضم إقليم كوزباس kuzbas وشرق سيبيريا الذي يتكامل مع باقي سيبيريا في تنمية موارده الطبيعية.

١ - إقليم القلب الصناعي:

يعدُّ إقليم القلب الصناعي موطناً للثقافة الروسية وقلب الدولة الروسية الحديثة وتمارس موسكو دورها به كعاصمة للدولة والإقليم معاً وتتفرع منها الطرق البرية والحديدية، وليس هناك إقليم سوفييتي آخر تتمركز فيه مدينة واحدة كما هي الحال في إقليم القلب الصناعي الذي يتمركز حول موسكو.

وتعدُّ موسكو المدينة الأولى في الاتحاد السوفييتي بسكان يبلغ عددهم ٨ مليون نسمة، ويحيطها نطاق دائري أخضر من الحدائق والغابات ويحيط بها دائرة من المدن التوابع التي يتراوح حجم سكان كل منها من ٥٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ نسمة أو أكثر، (شكل رقم ٣٥) وهي تمارس دوراً هاماً ومكملاً للنشاط الاقتصادي في موسكو حيث تبدو كضواح متخصصة في الأنشطة العلمية والتكنولوجية والتعليمية لخدمة احتياجات موسكو، ويلي هذه المدن في النطاق الدائري حول موسكو نطاق آخر من المدن الصناعية شبه المستقلة في وظائفها ويتراوح حجم سكانها من ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠ نسمة وتقع على بعد يتراوح بين ١٥٠ إلى ٢٠٠ كيلومتر عن موسكو ومن أهمها مدن فلاديمير Vladimir وكالينين Kalinin وتولا Tula. وتبدو هذه المدن في الواقع كمراكز تجارية رئيسية لخدمة ظهيرها وكذلك كمدن صناعية متخصصة.

راينك
ڤولجا
جوركى
موسكو
تولا
أوكا
إقليم
القلب
الصناعى
٦٠٠
كيلومتر
طريق دائرى
حدود موسكو ١٩٣٥
حدود المنطقة الخضراء
ضواحي موسكو القريبة
موسكو
مدينة مليونية
نصف مليونية
ربع مليونية
موسكو
١٠ ٢٠ ٣٠ كم

شكل رقم (٣٥)
مدينة موسكو وتوابعها

وعلى بعد ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كيلومتر من موسكو هناك حلقة ثالثة من المدن الصناعية والإدارية ذات الحجم السكاني المماثل، وقد تطورت هذه المدن ونمت حولها مجموعة من التوابع المتخصصة، ويقل ارتباطها بموسكو إذا ما قورنت بمدن الحلقة الثانية أو الأولى. وأهم المدن في هذه الحلقة الثالثة مدينة ياروسلافل Yaroslavl وعدد سكانها ٦٠٠,٠٠٠ نسمة ولجنوركي Gorki (١,٣ مليون نسمة) وفورنز Vornezh (٧٩٠,٠٠٠) وتنتج موسكو بمفردها حوالي ١٠ في المائة من قيمة الإنتاج الصناعي في الاتحاد السوفييتي. وتعد أكبر مركز تعليمي في البلاد ومقر الحكومة المركزية وعقدة رئيسية لطرق المواصلات وتمارس هيمنة كبيرة على الثقافة الروسية والسوفييتية، وهي مدينة مغلقة منذ وقت طويل Closed City ولا يسمح بالهجرة لها إلاّ بتصريح رسمي، كما لا يسمح بإنشاء مصانع جديدة بها وإن كانت المصانع القائمة بالفعل يمكنها أن تتوسع في الإنشاءات والإنتاج.

ولذلك فإنّ نمو سكان المدينة يكاد يكون نمواً طبيعياً لم يزد حجم السكان بها إلاّ بنسبة ٦٠٪ فقط فيما بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٧٩، ويصل معدّل نموها الحالي إلى ١,٣٪ سنوياً.

وتتنوع الصناعة في توابع موسكو المجاورة من الصناعات الخفيفة الهندسية إلى الصناعات الثقيلة وكذلك المنسوجات وضغط الأغذية والتي اشتهرت بها بعض المدن مبكراً منذ القرن التاسع عشر، وتعد الصناعات الكيماوية والأجهزة والسلع الاستهلاكية من الصناعات الهامة في هذه التوابع معتمدة في ذلك على توفر عوامل الإنتاج، ورغم أنّ موسكو تنتج السيارات والشاحنات إلاّ أنّ الإنتاج الرئيسي لذلك يأتي من مدن أخرى في الإطار الثاني والثالث.

وتبرز مدن هامة في الإطار الثاني حول موسكو لعلّ أبرزها مدينة تولا Tula والتي اعتمدت في البداية على استخراج الحديد الخام ومن ثمّ قامت بها صناعة الحديد والصلب وتغيرت وظائفها بعد ذلك إلى الصناعات الكيماوية خاصة في إنتاج الأسمدة النتروجينية، وبعد استغلال خامات الحديد من منطقة

كورسك Kursk تطورت صناعة الصلب تطوراً كبيراً في هذه المدينة وتوابعها.

أمّا الإطار الثالث حول موسكو فيحوي ثلاث مدن مهمة وهي جوركي وياروسلافل Yaroslavl وفورنز Voronezh، إضافة إلى مدن نطاق النسيج القديم على امتداد أعالي نهر الفولجا ومدن القلاع التاريخية التي قامت لحماية طرق المواصلات قديماً، وتعد مدينة جوركي أهم مدن هذا النطاق بأكمله، وتقع عند اتصال نهر الفولجا بنهر أوكا Oka وقد اشتهرت بأنّها مركز إنتاج الشاحنات في الاتحاد السوفييتي ويوجد بها مصنع سيارات الفولجا وأكبر مصنع لإنتاج الأوتوبيسات وعدّة مصانع أخرى لإنتاج الآلات الهندسية. ورغم إنشاء مصانع في مدن أخرى تظل جوركي أكبر مركز لصناعة السيارات والشاحنات في الاتحاد السوفييتي، وقد أضيفت إليها صناعة السفن والقوارب والسكك الحديدية والطائرات ومكونات وسائط النقل المختلفة، وتنتج مصانع الصلب الضخمة بها الأنابيب اللازمة لنقل السوائل والغازات في الاتحاد السوفييتي، كذلك يتركز بالمدينة صناعات كيماوية مختلفة أهمها صناعة الأسمدة والأعلاف والورق. وتنمو جوركي حالياً مع توابعها بمعدل يفوق موسكو بدرجة واضحة، كما تقوم بدور همزة الوصل بين أكبر ثلاثة أقاليم صناعية في الاتحاد السوفييتي وهي القلب الصناعي الرئيسي ووادي الفولجا ـ وإقليم الأورال.

أما في أعالي وادي نهر الفولجا فتقوم مدينة يلروسلافل Yaroslavl ـ كأكبر مركز عمراني وصناعي بسكان يصل حجمهم إلى ٦٠٠,٠٠٠ نسمة، وقد قامت شهرتها في البداية كمركز لصناعة المنسوجات ثمّ تطورت الصناعة بها تطوراً كبيراً منذ قيام الثورة الشيوعية حتى أصبحت مركزاً متخصصاً في صناعة الآلات الهندسية والكهربائية وكذلك الصناعات البتروكيماوية وصناعة تكرير البترول. وقد شهدت الصناعة الكيماوية بها تطوراً كبيراً عندما استخرجت الكحول من البطاطس وكذلك إنتاج المطاط الصناعي من البترول.

وقد تخصصت عدّة مدن أصغر في صناعات النسيج كما هي الحال في سلسلة المدن الممتدة بين يلرو سلافل حتى جوركي، وأكبرها مدينة إيفانوفو

Ivanovo التي تعد من أكبر مدن حلج وغزل القطن. وفي أقصى الشمال الغربي لإقليم القلب الصناعي السوفييتي تقوم مدينة رايبنسك Rybinsk حيث مقومات الغابات الصنوبرية، ومن هنا تخصصت في إنتاج الأخشاب والورق وكذلك في توليد الطاقة الكهرومائية لمصانع الإقليم المجاور.

وتتباعد المدن عن بعضها البعض جنوب وشرق موسكو في الإطار الدائري الثالث حولها، وأبرزها مدينة كورسك Kursk في أقصى الجنوب الغربي حيث مناجم الحديد الخام من الأنواع الجيدة، وفاقت في أهميتها منطقة الأورال في هذا المجال وأصبحت ثاني أهم منطقة تعدينية في الاتحاد السوفييتي. كذلك تبرز مدينة فورنز كمدينة رئيسية في الطرف الجنوبي لإطار التوابع الخارجي حول موسكو، وتقع في منتصف المسافة بين الدونباس وموسكو، وقد تخصصت هذه المدينة في إنتاج الآلات الزراعية وآلات حفظ وتعبئة الأغذية والأجهزة الألكترونية، كما أنها مركز هام لصناعة الطائرات، وتنتج المطاط الصناعي معتمدة في ذلك على الغاز الطبيعي الوارد لها من أوكرانيا.

وتتصل كل هذه المدن الواقعة حول موسكو اتصالاً سهلاً ومباشراً معها وقد شهدت تطوراً كبيراً في خلال العقود الثلاثة الماضية كذلك تشملها خطط التنمية المستقبلية لتتكامل اقتصادياً مع أوكرانيا ووادي الفولجا والإقليم الصناعي الآسيوي الأوسط.

وتأتي الزراعة في مرتبة تالية بعد الصناعة في هذا الإقليم، ففي الشمال يقصر الصيف ويكون بارداً نوعاً، وتبدو المزارع الجماعية هنا صغيرة ومبعثرة بين الغابات، ولعلَّ أبرز مشكلة للزراعة هنا هي مشكلة الصرف، وترتبط الزراعة هنا إلى حد كبير بالمدن الصناعية سواء في إنتاج الخضر وبعض المحاصيل أو في تقليل السكان العاملين بالزراعة، ونقص السكان في المناطق الريفية، وعلى العموم فإنَّ هذه المنطقة تدخل في خطة التنمية الزراعية في الدولة مستقبلاً والتي ستعتمد على تحسين الصرف وخواص التربة وانتقاء البذور الملائمة وإنشاء مشروعات الري مما سيؤدي إلى زيادة الإنتاج الزراعي وتنويعه

خاصة الزراعة وإنتاج الألبان واللحوم للاستهلاك والتصدير.

أمّا في جنوب الإقليم فتوجد التربة السوداء التي تسود بها الزراعة غير المتخصصة وإن كان القمح هو المحصول السائد بها، وتتميز التربة هنا بغناها ووفرة الموارد المائية لها، ويعد نبات عباد الشمس والبنجر المحصولين الرئيسيين، وقد شهدت المنطقة تطوراً واضحاً من جانب الحكومة السوفييتية للتوسع في إنتاج البنجر وإنشاء مصانع للأسمدة الكيماوية وكذلك التوسع في إنتاج الألبان واللحوم اعتماداً على الأعلاف المزروعة.

ومع كل ذلك فإنَّ الزراعة لم تحظ باهتمام مماثل لذلك الذي حظيت به الصناعة في هذا الإقليم.

٢ ـ الإقليم الشمالي الغربي:

ويمثل امتداداً هامشياً لمنطقة القلب الصناعي نحو الشمال والشمال الغربي وقد لعب دوراً هاماً في تاريخ الاتحاد السوفييتي قبل الثورة، ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان الإقليم الشمالي والشمالي الغربي نطاقاً انتقالياً بين روسيا القيصرية وأوروبا الغربية، وقد شهد مبكراً مظاهر التقدم الأوروبية ومنه انتشرت إلى باقي أقاليم روسيا، وكانت عاصمته وميناؤه الرئيسية مدينة سان بيترسبورج (لينتجراد) ومركزاً هاماً للصناعة والتكنولوجيا الأوروبية.

وفي العقود الأولى من العهد الشيوعي لم يحظ هذا الإقليم بالاهتمام الأكبر في التنمية الذي حظيت به أقاليم الفولجا ـ الأورال، وأوكرانيا وسيبيريا وآسيا السوفييتية الوسطى والتي ركُزت الدولة فيها جهودها للتطوير الشامل. ولكن في العقود الأخيرة بدأ الإقليم يستعيد دوره وأهميته كمنطقة متوسطة الموقع بين أوروبا الغربية والاتحاد السوفييتي، فقد تمتع الإقليم بالتطور الصناعي الذي شهده إقليم القلب المركزي، وبدأت الصناعات السوفييتية البحرية وأساطيل للصيد وتجارة الصادرات تجد لها مكان الصدارة في الإقليم الشمالي الغربي، وساعد على ذلك تزايد النفوذ السوفييتي واتصالاته العالمية وعلاقاته المتزايدة مع

الأسواق الأوروبية والعالم الثالث، وتحول الإقليم من منطقة هامشية إلى منطقة اتصال حضاري.

وتوصف عاصمة الإقليم لينتجراد وسكانها نحو ٤ مليون نسمة بأنّها أكثر المدن السوفييتية المتأثرة بالثقافة الأوروبية الغربية، وهي بالفعل مركز ثقافي ضخم يأتي في الأهمية بعد موسكو. وتقع لينتجراد في أقصى الطرف الشمالي لنطاق الزراعة التجارية ومن ثمّ تعتمد على استيراد الغذاء من باقي الأقاليم السوفييتية المجاورة وقد أدّى هذا الموقع المتطرف إلى مشكلات أبرزها أنّ ميناءها يتجمد ثلاثة أو أربعة شهور سنوياً، كما تعاني من بعدها عن مصادر الوقود والغذاء والمواد الأولية التي لا تتوفر بالقدر المناسب في ظهيرها المجاور.

وقد اشتهرت لينتجراد بالتخصص الصناعي المبكر منذ عهد القياصرة حيث برعت بها صناعة المنسوجات الراقية والسلع الكمالية والأدوات اللازمة للأجهزة وبناء السفن والصناعات الهندسية (معدنية وكهربائية) وقد ظلّت هذه الشهرة قائمة في العهد الشيوعي وتسهم المدينة الآن بحوالي ٥٪ من قيمة الناتج الصناعي السوفييتي.

وتشغل المدينة موضعاً منخفضاً من الجزر المستنقعية عند مصب نهر نيفا وهي كما يصفها بعض الكتّاب مدينة جميلة ذات مناخ سيء تحوي مجموعة من الأبنية العريقة التي ترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتفخر بأعظم مجموعة من المقتنيات الفنية في متحفها الشهير «الهرمتاج Herimtage Museum».

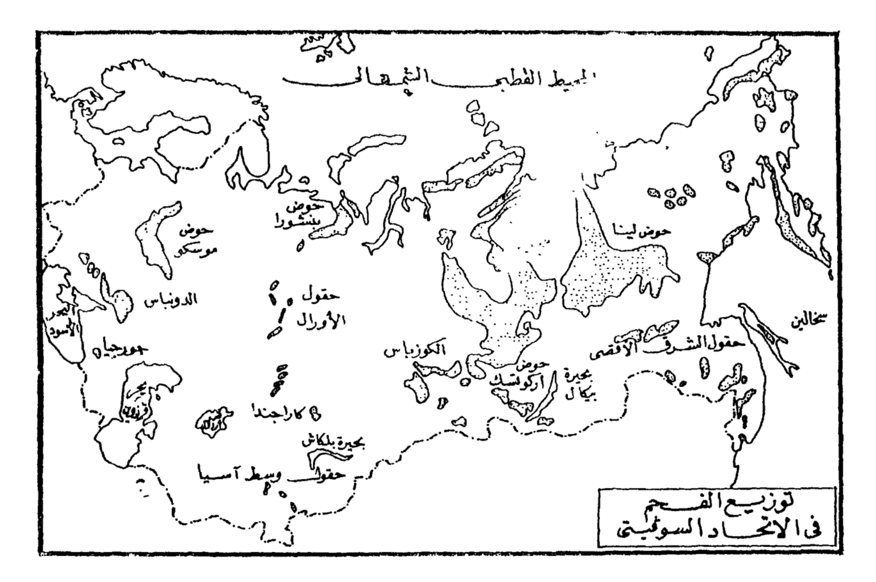
وتستهلك لينتجراد حوالي عشر إنتاج الصلب السوفييتي الذي ينتج في مراكز صناعية بعيدة عنها، وذلك بالإضافة إلى إنتاج الحديد محلياً في إقليم المدينة والذي يعتمد على حديد منطقة كاريليا وشبه جزيرة كولا وعلى الفحم المستورد من حوض بتشورا البعيد الواقع على مسافة تصل ١١٠٠ كيلومتراً، ومن هنا فتكاليف الإنتاج عالية ولكن الطلب المتزايد في سوق لينتجراد يبرر الإنتاج بهذه التكاليف.

وإلى الشمال والشمال الشرقي من لينجراد يمتد نطاق واسع من التاييجا الذي تتخلله مساحات زراعية قليلة، وقد أزيلت الغابات بالقرب من المدينة، ولكن تزداد كثافتها بالابتعاد عنها وساعد ذلك على قيام مراكز صناعية صغيرة تعتمد على هذه الغابات في قطع الأشجار والصناعات الخشبية والأثاث والورق ولب الورق والصناعات المرتبطة بذلك.

وتعد مدينة أركانجل Archangel ـ ميناء هاماً على ساحل المحيط القطبي، وكانت الميناء الرئيسي قبل تنمية ساحل البحر البلطي وتعاظم دور لينجراد وغيرها، وتعد الصناعات الخشبية وتجهيز الأسماك أهم الأنشطة السائدة بها، ورغم أنَّ ميناءها يغلق بسبب الثلوج قرابة خمسة شهور في السنة فما زالت تسهم بدور غير قليل في الصادرات والواردات لهذا الإقليم. أمَّا مورمانسك Murmansk ـ فهي المدينة الكبرى الثانية في الشمال، تتمتع بميناء مفتوح طوال السنة بسبب دفء المياه الناجم عن تيار الخليج الدافي في شمال المحيط الأطلسي، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٥٠,٠٠٠ نسمة وتسهم بدور كبير في التجارة خاصة في فترة إغلاق مينائي لينجراد وأركانجل، وقد أنشئت بها صناعة السفن وأصبحت قاعدة هامة للأسطول الروسي. وقد بدأت تنمية موارد الثروة المعدنية في المناطق المجاورة في شبه جزيرة كولا الغنية بالنحاس والنيكل وخام الحديد.

وفي الشمال الشرقي من الإقليم الشمالي يقع حوض بتشورا الذي يشهد تنمية بخطى واسعة لاستغلال موارد الفحم به حيث أنشيء به خط حديدي لنقل هذا المصدر إلى المناطق الصناعية الأخرى (شكل رقم ٣٦)، ويتمتع هذا الحوض باحتياطي ضخم من الفحم الجيد وإن كانت تكاليف التعدين مرتفعة ويزيد من ذلك بعد الإقليم عن مناطق استهلاك الفحم، وقد بدأ استغلال البترول والغاز الطبيعي به حتى يقدره البعض بواحد من أغنى أحواض البترول والغاز الطبيعي في العالم.

ويختلف الوضع الاقتصادي في ساحل البحر البلطي عنه في ساحل



توزيع الفحم
فى الاتحاد السوفيتى
المحيط القطبى الشمالى
حوض بتشورا
حوض موسكو
الدونباس
حقول الأورال
البحر الأسود
جورجيا
بحر قزوين
كاراجندا
بحيرة بلكاش
حقول وسط آسيا
الكوزباس
حوض اركوتسك
بحيرة بيكال
حوض لينا
حقول الشرق الأقصى
سخالين

شكل رقم (٣٦)

المحيط المتجمد الشمالي، فرغم قلّة الموارد في ساحل البلطي إلّا أنّ قيمته كبيرة في موقعه الاستراتيجي وموانيه الممتازة وقد حبته الطبيعة بشواطىء ممتازة جعلته منطقة سياحية رئيسية يرتادها السوفييت.

ويتكون ساحل البلطي من ثلاث جمهوريات هي بالترتيب ليتوانيا ولاتفيا وأستونيا، وإضافة إلى جزء ضمَّه السوفييت من بروسيا الشرقية سنة ١٩٤٦ وأدمج في جمهورية روسيا السوفييتية الاشتراكية. وكانت هذه الجمهوريات الثلاث مستقلة تماماً في الفترة من ١٩١٩ ـ ١٩٤٠، وتتمتع بوعي قومي مرتفع، وقد طوَّر الأستونيون من زراعتهم التجارية رغم أنَّ الأرض ليست عالية الخصوبة، أما الليتوانيون فيشغلون أرضاً كانت دوماً مطمعاً للروس والبولنديين والتيوتون، وعاصمة ليتوانيا مدينة ريجا التي ظلَّت طويلاً ميناء هاماً وكانت يوماً مدينة تجارية للهانسا. ويتكلَّم الشعب الليتواني واللاتفي لغة بلطيقية ـ سلافونية. وكانت لهم إمبراطورية كبيرة ممتدة من البحر البلطي إلى البحر الأسود.

وعموماً يتميز سكان ساحل البلطي في الاتحاد السوفييتي بارتفاع مستواهم الحضاري والثقافي.

وعلى عكس الشمال والشمال الغربي فإنَّ الزراعة هنا متقدمة لها دور كبير في اقتصاديات الإقليم وذلك رغم أنَّ ٤٠٪ فقط من الأرض هو الصالح للزراعة، وتعد الأعلاف أهم المحاصيل المزروعة، وقامت عليها اقتصاديات إنتاج الألبان والحيوانات حيث اشتهر الإقليم بصناعة الألبان والجبن والزبد للسوفييت وللتصدير للخارج، وقد بذلت الحكومة جهداً كبيراً في تنمية الإقليم زراعياً خاصة في مجال تحسين الصرف وتنمية المراعي.

ورغم عدم توفر المواد الخام للصناعة خاصة موارد الطاقة فإنَّ إقليم ساحل البلطي يعتمد على الأقاليم السوفييتية الأخرى في إمداده بالبترول والغاز الطبيعي، كذلك فقد ساعد وجود المواني على استيراد المواد الخام الأخرى وأدَّى

ذلك إلى قيام صناعة متطورة به، وأهم صناعاته المنسوجات والملابس والورق والأثاث وصناعات البناء والتشييد وقد استحدثت به صناعات أخرى أبرزها الصناعات الألكترونية والأجهزة المعقدة.

وقد شهد الساحل البلطي هجرة وافدة بأعداد كبيرة قام بها الروس حتى أصبحوا يكونون ١٠٪ من سكان ليتوانيا و ٣٠٪ من سكان لاتفيا وحوالي ربع سكان أستونيا، وقد لعب تقدم الإقليم وارتفاع مستوى المعيشة به دوراً هاماً في جذب المهاجرين وإن كان ذلك قد تمَّ بتشجيع من الحكومة المركزية التي تهدف إلى زيادة نسبة الروس بهذه الجمهوريات حتى تضمن استمرار ولائها القومي.

وتعدُّ ريجا مدينة مليونية، وهي من أكبر مدن ساحل البلطي كما أنها ميناء رئيسي ومدينة صناعية هامة، ويليها مدينة Vilnius عاصمة ليتوانيا وسكانها حوالي نصف مليون نسمة ومدينة Kaunas المتخصصة في صناعة الألكترونيات والمنسوجات وأدوات الآلات، كما أنَّها مركز سوفييتي رئيسي في البحوث الطبية والزراعية. أمَّا Tallinn ـ فهي عاصمة وميناء أستونيا، وتمارس دورها كضاحية صناعية لمدينة لينن‍جراد.

أمَّا روسيا البيضاء ـ أو بلوروسيا ـ Byelorussia فكانت مهملة اقتصادياً حتى العقدين الأخيرين، وهي ـ كموطن أصلي للعناصر السلافية ـ لم تكن بها قومية واضحة ولم تكن وحدة مستقلة من قبل ولكن تبدو أهميتها في علاقاتها التاريخية الطويلة مع بولنده وليتوانيا وعزلتها الطويلة عن منطقة موسكو. وليس للتعبير «روسيا البيضاء» أي دلالة سياسية حيث ترجع هذه التسمية إلى دولة Kievan Rus القديمة والتي انقسمت إلى ثلاثة أجزاء بيضاء وحمراء ـ وسوداء ـ كدلالة على لون التربة السائد بكل منها، وهذه الجمهورية الحديثة هي روسيا البيضاء ـ ذات التربة الرمضائية البيضاء البودزولية غير الخصبة.

وأراضي روسيا البيضاء خليط من الركامات الجليدية والمستنقعات،

---

(١) P. 287.

ولعبت دوراً كبيراً في الوقوف في وجه الغزاة خاصة نابليون ومن بعده الألمان (مرتين) والذين عانوا خسائر جسيمة أثناء انسحاب جيوشهم عبر هذه الأراضي. والواقع أنَّ أراضي روسيا البيضاء كانت دائماً في التاريخ العسكري الروسي مجالاً يدفع إليه الغزاة أثناء انسحابهم لإحداث أكبر خسائر ممكنة بهم.

وقد أدَّت الظروف المناخية السيئة والتربة الفقيرة وتبعثر الأراضي الزراعية إلى بذل جهود كبيرة في تنمية روسيا البيضاء اقتصادياً، خاصة في الثروة الحيوانية، وقد ساعد على ذلك توفر مورد غني من البوتاس الذي يستخدم كسماد لتحسين خواص التربة. وتعد البطاطس من المحاصيل الرئيسية وتستخدم في تغذية الحيوانات خاصة الخنازير وتتخصص المنطقة في إنتاج لحوم الخنازير وتسويقها. كذلك يزرع الكتان (٢٥٪ من الإنتاج السوفييتي) وذلك رغم أنَّ المراعي الخضراء تشغل أكبر مساحة من أراضي الإقليم.

وتفوق الصناعة النشاط الزراعي في روسيا البيضاء، وانعكس التطور الصناعي على نمط الحياة، فزاد سكان المدن من ١٠٪ سنة ١٩١٨ إلى أكثر من ٥٠٪ في الثمانينات، وتعد منسك Minsk العاصمة وسكانها ١,٤ مليون نسمة، وتأتي في الترتيب التاسع بين المدن السوفييتية من حيث الحجم، ونمت بمعدل يفوق غيرها من المدن الكبرى .وذلك نتيجة للتصنيع الضخم الذي شهدته المدينة. وتتصل بسهولة بالسكك الحديدية وطرق السيارات المتجهة إلى بولندة وفينا وبرلين، وشهدت نشأة بنايات عالية (أكثر من ٢٠ طابقاً) حتى أصبحت ذات سمات حضرية غربية.

وبالإضافة إلى مدينة منسك هناك حوالي اثنتي عشرة مدينة رئيسية أخرى في روسيا البيضاء توجد بها صناعات هامة أبرزها صناعة الخيوط الصناعية من البوليستر حيث يحصل السوفيت على ١/٥ احتياجاتهم منه من مصانع روسيا البيضاء ويلي ذلك الصناعات الخشبية ولب الورق والصناعات الألكترونية والكيماوية الأخرى.

٣ - إقليم موالدافيا - أوكرانيا:

يعدُّ هذا الإقليم أغنى أقاليم الاتحاد السوفييت في ثروته الزراعية، كما يلي إقليم القلب الصناعي في أهميته الصناعية، وقد توفرت فيه مقومات الإنتاج الزراعي والصناعي، ولعلَّ أهم موارده المعدنية تتمثل في الفحم والبترول والغاز الطبيعي والحديد الخام والمنجنيز والزئبق والبوتاس والكبريت واليورانيوم وغير ذلك، . ويعد هذا الإقليم دون مبالغة أكثر أقاليم الاتحاد السوفييتي إنتاجاً، ويشغل معظم أراضي أوكرانيا ومولدافيا. ويعني تعبير أوكرانيا - أرض الحافة Land At The Edge وكانت هذه المنطقة تمثل الدولة الروسية الأصلية من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر، ثمَّ أصبحت بعد ذلك جزءاً من ليتوانيا (ثمَّ بولنده) من القرن الرابع عشر حتى الخامس عشر حتى عهد بطرس الأكبر وكاترين الكبرى حيث بدأ استيعابها في الإمبراطورية الروسية. وقد عاشت شعوب هذا الإقليم على الزراعة وقاموا بدور كبير في الدفاع ضدَّ غزوات القبائل الآسيوية. وللاوكرانيين لغتهم القومية كما تتميز بثقافة وأدب قومي، وقد تعامل معهم الروس باستمرار على قدم المساواة خشية أية نزعة انفصالية منهم، فقد سبق أن أعلنت أوكرانيا استقلالها في الفترة من سنة ١٩١٩ حتى ١٩٢١[1].

وليست هناك فواصل طبيعية بين أوكرانيا ومولدافيا، ويمثل الإقليم في الواقع ومنذ القديم «سلة الخبز» للدولة الروسية، كذلك يتمتع بمناخ دافىء نسبياً - وسيادة نمط زراعي متقدم يختلف عن بقية البلاد. ويتميز الإقليم بالصيف الطويل وطول فصل النمو الذي يصل إلى حوالي ستة شهور أو أكثر، كما أنَّ حرارة الشتاء دافئة بالمقاييس السوفييتية حيث تصل إلى حوالي - ٢٠° ف (- ٥° م) وتزيد على درجة التجمد في الأماكن المحمية. وتتناقص الأمطار من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، رغم أنَّ بعض المناطق المحدودة في

(١) Stansfield, C. A And ZimolZak, C. E. World Regions, Charles E. Merrill Publishing Company Columbus, Ohio, 1982, P, 288.

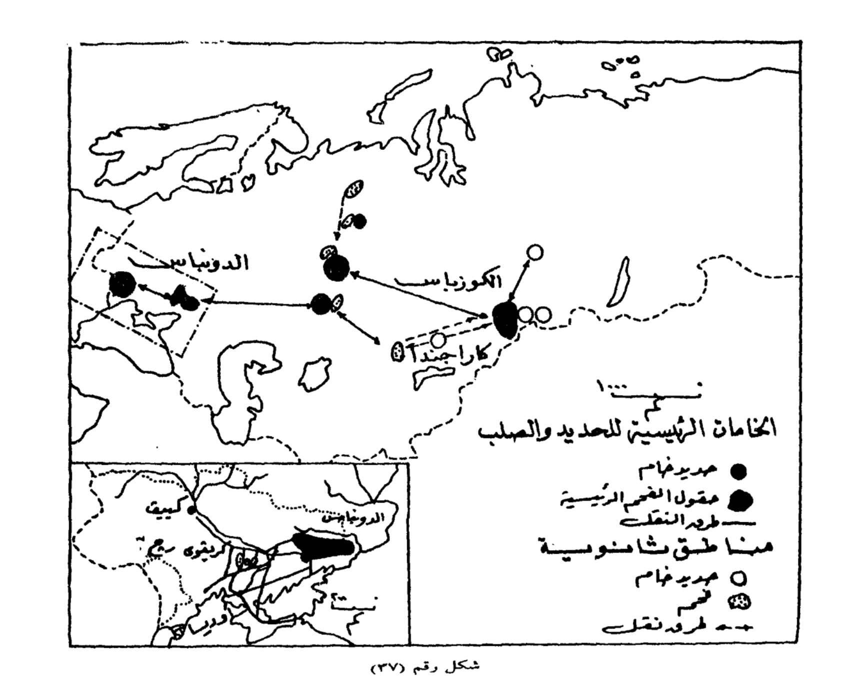
سواحل البحر الأسود غزيرة الأمطار.

وتتميز التربة بخصوبتها الطبيعية الشديدة فهي تربة سوداء مشهورة (تربة التشرنوزم)، ويساعد على ذلك ملاءمة الأرض، فالنصف الغربي للإقليم عبارة عن هضاب مقطعة، وتبدو الأرض سهول مموَّجة شرق الدنيبر، حتى تنتهي إلى أرض مستوية نسبياً في الشرق عند بيدمونت جبال القوقاز.

والزراعة هنا تمتاز بالتنوع الشديد، ويعدُّ القمح هو المحصول التقليدي بالإقليم، وكذلك الذرة، وقد امتدَّت بهذا الإقليم سلسلة من القنوات التي تأخذ من خزانات المياه العملاقة على نهر الدنيبر لري الأراضي الزراعية في جنوب أوكرانيا والتي كثيراً ما عانت من الجفاف.

وتعتمد الزراعة على استخدام الآلات بدرجة كبيرة، وقد أدَّى التباين في الاستغلال واختلاف الظروف المناخية والتربة إلى وجود أقاليم زراعية أصغر، فالمناطق الشمالية من الإقليم ذات تربة بودزولية وتتخصص في إنتاج الألبان وتربية الخنازير، وتزرع البطاطس كعلف للحيوان، بينما يزرع القنب والكتان والتبغ كمحاصيل نقدية. أمَّا وسط أوكرانيا فيتخصص في زراعة القمح والبنجر والشعير وكذلك إنتاج اللحوم من الماشية والخنازير. أمَّا المنطقة الجنوبية فتزرع الذرة في الأراضي المروية وإن كان القمح تزداد زراعته في الشرق والجنوب. وفي المنطقة الواقعة وراء نهر الدن تسود زراعة القمح وعباد الشمس. وبالإضافة إلى ذلك تزرع الكروم في مولدافيا والقرم والكربات الأوكرانية كما تنتشر بساتين الفاكهة على المنحدرات الجبلية المرتفعة والباردة نوعاً كذلك الخضروات للاستهلاك المحلي.

وترتفع كثافة السكان في هذا الإقليم ـ وقد ارتبط ذلك بالإنتاج الزراعي والصناعي الكثيف. وقد ارتبط التطور الصناعي المبكر بحقل الفحم في إقليم الدونباس والحديد الخام في كريفوي رج على بعد ٢٤٠ كيلومتر غرباً، (شكل رقم ٣٧) وكذلك الحجر الجيري والمنجنيز على بعد حوالي ٢٠٠ كيلومتراً، ومن


الدونباس
الكوزباس
كاراجندا
١٠٠٠ كم
الخامات الرئيسية للحديد والصلب
حديد خام
حقول الفحم الرئيسية
طرق النقل
مناطق ثانوية
حديد خام
فحم
طرق نقل
كييف
الدونباس

شكل رقم (٣٧)

ثمّ توفرت المقومات الضرورية لإنتاج الحديد والصلب في مواقع متقاربة. ويعد حوض الفحم ذاته مجمعاً لمصانع الصناعات الثقيلة التي تنتج الحديد الخام والصلب والكيماويات والمنتجات المعدنية والسبائك والآلات ويشبه العمران فيه إقليم الروهر الألماني إلى حد كبير، وكذلك يتجه الفحم والكيماويات الخام والألواح المعدنية والمنتجات غير كاملة التصنيع إلى أقاليم صناعية أخرى أهمها مجمع ثنية الدنيبر ومجمع بحر آزوف ومدن خاركوف وروستوف Rostov وتعد المدينتان الأخيرتان مركزين رئيسين للصناعات الهندسية والمعدنية وتربطهما شرايين النقل بالمناطق الصناعية الأخرى.

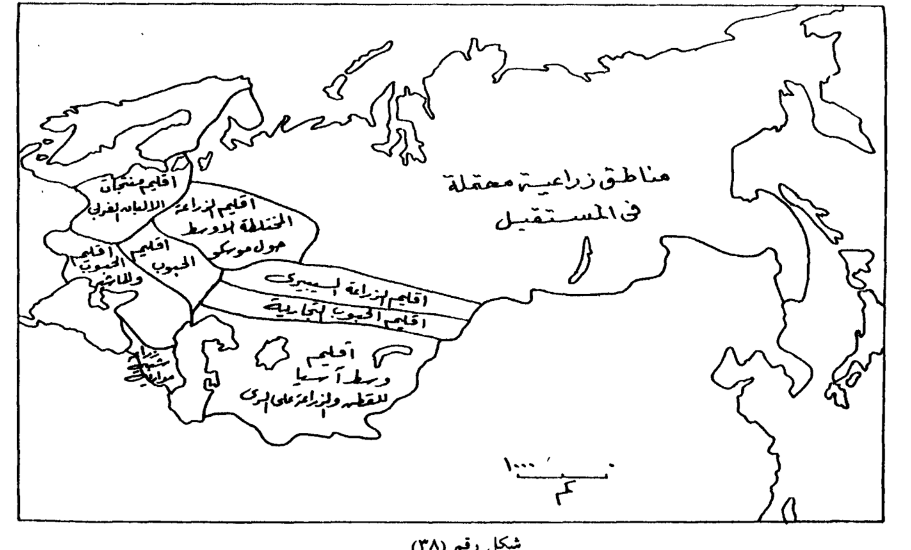
والواقع أنّ خامات الحديد في كريفوي رج هي التي أسهمت بالدور الكبير في نشأة الإقليم الصناعي في وسط أوكرانيا، وأصبحت كريفوي رج ذاتها مركزاً لصناعة الحديد والصلب وتتصدر قائمة المدن الصناعية السوفييتية، وقد استفادت من الطاقة المولدة من السدود التي أنشئت على نهر الدنيبر، وتشبهها في الأهمية الصناعية عدّة مدن أخرى أبرزها دنبرو بتروفسك Dnepro Petrovsk (١,١ مليون نسمة) وزابورازاي Zaporazhye (٨٠٠,٠٠٠) وكريفوي رج (٧٠٠,٠٠٠) ومجموعة أخرى من المدن التي تكون في مجموعها مجمعاً صناعياً ضخماً. وتعد زابورازاي المركز الرئيسي لإنتاج الألمنيوم والآلات المحركة. وبقية المدن تعد مراكز هامة للهندسة المعدنية ويتزايد دورها جميعاً في إنتاج السلع الاستهلاكية.

وتتشابه مدينتا خاركوف وروستوف في بعض الوجوه مع مدينتي كليفلاند وشيكاغو الأمريكيتين، وتقع خاركوف على طريق السكك الحديدية الرئيسي بين الدونباس وموسكو بينما تقع روستوف على نهر الدن الملاحي الذي يتصل بنهر الفولجا وكذلك على طرق حديدية من الشمال إلى الجنوب. وتتمتع المدينتان بموقع ملائم للحصول على موارد القوى والوقود وكذلك بالقرب من الأسواق خارج إقليم أوكرانيا وكذلك توفر الموارد المعدنية القريبة، ولذلك

يحتلان مكانة كبيرة كمدن صناعية سوفييتية على نطاق كبير. فتتخصص خاركوف (١,٥ مليون نسمة) في إنتاج الآلات الصناعية الإنتاجية والآلات الزراعية ووسائل النقل، وتتخصص روستوف في صناعة الجرارات والآلات الصناعية الأخرى. وقد ساعدها موقعها كميناء هام على النمو والتوسع وإنشاء صناعات السفن وتعبئة وتجهيز المواد الغذائية المستوردة من الخارج أو المنتجة محلياً من ظهيرها الغني.

أما كييف - عاصمة أوكرانيا فتقع على نهر الدنيبر بين نطاق التربة السوداء من ناحية والأراضي الزراعية الغابية المختلطة من ناحية أخرى. وقد أنشئت في القرن الثامن وقامت بدور دفاعي هام على الطريق البري الموصل بين شرق أوروبا وغربها والتقائه مع طريق نهر الدنيبر من الشمال إلى الجنوب، وقد أدّى هذا الدور الاستراتيجي المبكر إلى نموها بدرجة كبيرة حتى أنّها كانت في وقت من الأوقات مدينة هامة عندما كانت باريس ولندن مجرد قرى متواضعة. ولكن المغول دمروها في القرن الثالث عشر، ولم تدمج في روسيا إلاّ في القرن الثامن عشر، وفيما بين هذين التاريخين كانت مركزاً إدارياً وتجارياً هاماً تحت حكم إمبراطوريات ليتوانيا وبولنده. وعندما ضمت للإمبراطورية الروسية أصبحت مركزاً عمرانياً هاماً في الإقليم الزراعي. وهي الآن ثالث مدينة في الاتحاد السوفييتي، وتتصف بتنوع نشاطها الصناعي، وأهم صناعاتها الآلات والملابس والمنسوجات والكيماويات والسلع الاستهلاكية. كما أنها تحظى بأهمية سياحية على المستوى القومي والدولي.

وإلى الشرق من نهر الدن الأدنى تتزايد الأمطار كلما اقتربنا من مرتفعات القوقاز، ويحل الذرة محل القمح كمحصول رئيسي. وكذلك بساتين الكروم التي تكون أساساً لصناعة النبيذ. وقد أصبح الأرز محصولاً هاما في أودية الأنهار اعتماداً على الري، وكذلك عباد الشمس، وتعتمد الزراعة هنا على تربة خصبة وموارد مائية وفيرة (شكل رقم ٣٨).



شكل رقم (٣٨)
الأقاليم الزراعية في الاتحاد السوفيتي

وبالإضافة إلى ثرائها الزراعي تتوفر بهذه المنطقة مواد خام أهمها فحم الدونتز الذي يمتد فيما وراء نهر الدن رغم أنَّ استخراج الفحم يمتد حتى روستوف. كذلك فإنَّ مقومات جبال القوقاز غنية بمواردها البترولية والغاز الطبيعي، وتتركز معظم الصناعات في مدينة كراسنودار Krasnodar (٦٠٠,٠٠٠) وهي العاصمة الإقليمية وتعد مركزاً رئيسياً للصناعات الكيماوية وتعبئة المواد الغذائية وتجهيزها.

وعلى ساحل البحر الأسود في هذا الإقليم توجد عدّة مدن كمنتجعات سياحية ممتدة على مقدمات تلال شبه جزيرة القرم وساحل البحر الأسود، وهاتان المنطقتان تحميهما مرتفعات جبلية تقلل من تأثير رياح الشتاء الباردة وأشهر هذه المدن يالتا في القرم وسوكي Sochi على البحر الأسود، ويرتادها السياح طوال السنة وإن كان موسم السياحة بهما يبلغ قمته من مايو إلى أكتوبر، ويعدان أولى مراكز الاصطياف في الاتحاد السوفييتي.

٤ - إقليم الفولجا - الأورال:

يمثل وادي نهر الفولجا وجبال الأورال إقليماً متكاملاً من حيث الموارد والوظائف، ولا جدال في أنَّ ظهورهما كإقليم اقتصادي هام جاء نتيجة العهد الشيوعي وخطط التنمية الحديثة التي اتُّبعها في هذا الإقليم، ومن ثمَّ فلم ترث أساساً اقتصادياً قيصرياً كما هي الحال في الأقاليم السابقة، وقد شهد الإقليم استثمارات اقتصادية ضخمة خاصة في الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٧٠، واختارت الحكومة السوفييتية هذا الإقليم لنقل الصناعات الهامة إليه من مواقعها الأوروبية السوفييتية خلال الحرب العالمية الثانية.

ويتميز هذا الإقليم بتباين مناخي ونباتي من الشمال إلى الجنوب حيث يمثل طرفه الشمالي جزءًا من المناخ البارد القطبي وينتهي جنوباً إلى المناطق الجافة وتقليدياً تبدأ سيبيريا شرق حدود هذا الإقليم مباشرة ويعد ملتقى الثقافات الأوروبية والآسيوية.

وقد تأخر استغلال موارد هذا الإقليم حتى الثلاثينيات من هذا القرن

عندما بدأت الزراعة تغزو وادي الفولجا الأدنى والمناطق الملائمة جنوب مرتفعات الأورال. وقد اعتمدت أراضي الفولجا على الري وإدخال محاصيل جديدة، وأصبحت من أراضي الحبوب الهامة التي تعتمد على الآلات في استغلالها. وقد اتجهت الحكومة السوفييتية على اختيار منطقة الأورال لتكون القاعدة المعدنية الثانية Second Metallurgical Base بعد القاعدة المعدنية في أوكرانيا.

وتتميز هذه المنطقة بثراء معدني ضخم أبرزه خامات الحديد الجيدة، وكثير من المعادن الفلزية الأخرى، وتعتمد صناعة الحديد هنا على جلب الفحم من حوض كوزنتسك (الكوزباس) في غرب سيبيريا ولمسافة طويلة تزيد على ١٦٠٠ كيلومتراً، وقد طوّرت الحكومة من حقل فحم كاراجندا لتقليل نفقات النقل وإن كانت نوعية الفحم المنخفضة به لا تغني عن استغلال فحم الكوزباس.

ويتكون القلب الصناعي المعدني في الأورال من مجموعة من المراكز الصناعية أبرزها عدّة مجمعات ضخمة لصناعة الحديد والصلب، وأكبرها مدن سفردلوفسك Sverdlovsk وشليابنسك Chelyabinsk (لأكثر من مليون نسمة لكل منهما) ثمّ مجنيتوجورسك Magnitogorsk (جبل المغناطيس) التي تنتج الصلب لاستهلاكه في الإقليم وإرساله لآسيا السوفييتية الوسطى وغرب سيبيريا.

وتعتمد مدينة شليابنسك في صناعاتها على جلب المواد الخام من الجنوب (الغاز الطبيعي من سمرقند، والفحم من كاراجندا، والحديد من كوستاناي Kustanay) وتعتمد في تسويق منتجاتها على آسيا السوفييتية الوسطى وجنوب أوروبا السوفييتية. وتعد هذه المدينة مركزاً رئيسياً لإنتاج الأسلحة والطائرات وآلات المصانع. أمّا مدينة سفردولوفسك فهي أكبر مدن شمال الأورال، وتشبه تماماً مدينة شليابنسك في اعتمادها على مناطق بعيدة في جلب المواد الخام وتسويق الإنتاج الصناعي، فتستورد الغاز من حقوله في غرب سيبيريا والفحم من حقل الكوزباس وكذلك من حقل فحم بتشورا في الشمال. وتعتمد في

تسويق إنتاجها الصناعي الضخم على النصف الشمالي من أوروبا السوفييتية وغرب سيبيريا.

أمّا مدن وادي الفولجا فتتعدد وظائفها بشكل كبير وإن كانت كلها مراكز للصناعات المعدنية وفي معظمها معامل لتكرير البترول والصناعات البتروكيماوية. وتستهلك هذه المدن قدراً كبيراً من الطاقة الكهرومائية المولدة من مجموعة السدود التي أنشئت على نهر الفولجا. كما أنَّ كل منها يعد مركزاً هاماً للمواصلات البرية والنهرية والأنابيب.

وتعد مدينة كويبشف Kuibyshev أكبر مدن وادي الفولجا حيث بلغ عدد سكانها ١,٦ مليون نسمة، وتقع عند تقاطع نهر الفولجا بالطرق العابرة لسيبيريا كذلك تعد منطقة هامة لإنتاج البترول في إقليم الفولجا الأورال (شكل رقم ٣٩)، وقد نوعت من صناعاتها بشكل كبير في العقود الأخيرة، وأحدث صناعاتها إنشاء مصنع كبير للسيارات السوفييتية الإيطالية (الفيات) وتنتج سنوياً نحو ٧٥٠,٠٠٠ سيارة. وجدير بالذكر أنَّ هذه المدينة كانت البديل كعاصمة للاتحاد السوفييتي إذا سقطت موسكو في الحرب العالمية الثانية. وقد أدَّى توفر الطاقة الكهرومائية الضخمة المولدة من الفولجا إلى قيام صناعات كهروكيماوية وكهرومعدنية كبيرة، وتقوم مدينة كويبشيف بدور رئيسي كهمزة وصل بين الأجزاء الأوروبية والآسيوية في الاتحاد السوفييتي.

ومن أهم المدن الصناعية الأخرى في وادي الفولجا مدينة كازان Kazan وساراتوف Saratov وتشتهر المدينة الأولى بصناعاتها الخشبية والجلود والفراء والتي ورثتها عن الثقافة التتارية السابقة. أمّا ساراتوف فتقع على خط السكك الحديدية المتجه على بحر قزوين وآسيا الوسطى وهي من مراكز الصناعات البتروكيماوية المعتمدة على البترول والغاز الطبيعي بها. أمّا مدينة فولجوجراد (ستالينجراد سابقاً) والتي طبقت شهرتها الآفاق لمعركتها البطولية أثناء الحرب العالمية الثانية حيث كانت أقصى نقطة في الشرق وصلت إليها القوات الألمانية في هذه الحرب، فقد تحولت إلى مدينة صناعية متخصصة في إنتاج ألواح


مناطق البترول والغاز الطبيعى
فى الإتحاد السوفيتى
موسكو
حقول
الأورال - الفولجا
كييف
خاركوف
ساراتوف
أوديسا
إمبا
جروزنى
منجشلاك
طشقند
فرغانه
باكو
تركمن

شكل رقم (٣٩)

الصلب اللازم للصناعات الهندسية في المدن الأخرى بوادي الفولجا، وتعد مركزاً هاماً لإنتاج الجرارات وتكرير الألمنيوم وتكرير البترول والصناعات البتروكيماوية. وقد ساعد التطور الكبير الذي شهده إقليم القوقاز وآسيا السوفيتية على نمو هذه المدينة بسرعة حيث اعتمدت عليها الصناعات المستحدثة بهذا الإقليم.

ويعدُّ إقليم الفولجا ـ الأورال من أقاليم الفائض الغذائي ومنطقة رئيسية لإنتاج المواد الخام الزراعية وكذلك الوقود والمعادن والآلات، وبعد أن كان هذا الإقليم منطقة رواد منذ خمسين أو ستين سنة، أصبح الآن مجمعاً صناعياً ـ زراعياً يتكامل تماماً مع المراكز الصناعية في الاتحاد السوفييتي الأوروبي. كما أنه يربط بين مناطق التنمية القديمة والمناطق التي يتعاظم دورها بسرعة في إقليم القوقاز وغرب سيبيريا ووسط آسيا السوفييتية. ويعد هذا الإقليم مصدراً تموينياً هاماً لتنمية أقاليم آسيا الوسطى السوفييتية وسوقاً رئيسية للمواد الخام الذي تنتجه هذه الأقاليم. كذلك فإنَّ صناعاته تسهم بدور كبير في تجارة الاتحاد السوفييتي مع دول العالم الثالث.

٥ ـ إقليم آسيا الوسطى والقوقاز:

ومعظم هذا الإقليم صحراوي، تتباين فيه العناصر المناخية خاصة درجات الحرارة والأمطار، فأودية القوقاز وبعض الواحات في أقصى جنوب آسيا السوفييتية الوسطى تتمتع بمناخ شبه مداري، ولكن باقي هذا الإقليم الضخم يشهد فصول شتاء قاسية. ومعظم السكان من المسلمين مع وجود مجموعات قومية عديدة أخرى، وعموماً يعدُّ هذا الإقليم متنوعاً في التركيب العرقي للسكان وحضارتهم رغم أنَّ نسبة كبيرة من الروس والسلاف تعيش في معظم مدنه، وأبرز سماته الزراعة الكثيفة المتخصصة والتي تعتمد على الأساليب العلمية اعتماداً كبيراً.

وهذا الإقليم شاسع المساحة ويشمل البيدمونت الشمالية لجبال القوقاز وأودية ما يعرف بعبر القوقاز وأربع جمهوريات سوفييتية آسيوية وجزء من

كازاخستان والفولجا الأدنى ومنطقة ساحل بحر قزوين. ويبلغ عدد سكانه نحو ٥٠ مليون نسمة، يتزايدون بمعدل يصل إلى ضعف مثيله على المستوى القومي.

وقد كان هذا الإقليم مجالاً واسعاً لخطط التنمية السوفييتية وذلك لفتح روسيا الآسيوية واستغلال مواردها الضخمة من الثروة المعدنية والغابات والأراضي الصالحة للزراعة.

ويعدُّ القطاع الشمالي من إقليم آسيا الوسطى والقوقاز، واحداً من أكثر أقاليم العالم تعقيداً في بنائه السكاني والثقافي، فيعيش المسيحيون القدامى من سكان جورجيا وأرمينيا جنباً إلى جنب مع الكالموك البوذيين والمسلمين الناطقين باللغتين التركية والإيرانية والروس وغيرهم من السلاف وبقايا القبائل الآسيوية. ويشغل هذا الإقليم برزخاً بين البحر الأسود وبحر قزوين، ويتفاوت ارتفاع السطح من تحت سطح البحر إلى حوالي ٦٠٠٠ متر، وتعد السفوح الجبلية الغربية المواجهة للرياح أكثر مطراً وذات مناخ شبه مداري، بينما السفوح الشرقية جافة تنتهي إلى صحاري يسود بها الإستبس وتشهد شتاء بارداً وصيفاً حاراً.

ويفصل بحر قزوين بين جناحي هذا الإقليم، وهو أكبر بحيرة في العالم، وقد تقلصت مساحته بشكل واضح حتى أصبح أقل في مستواه بنحو عشرة أقدام عما كان عليه في منتصف العشرينات من هذا القرن، ويرجع ذلك إلى أسباب منها سحب المياه من نهر الفولجا للري وإنشاء السدود على هذا النهر وربما إلى تغيرات مناخية طرأت على هذا الإقليم.

أمَّا الجزء الشرقي من هذا الإقليم فهو صحراء شاسعة تحيطها المرتفعات الجبلية والهضاب، وتمارس فيها حرفة رعي الأغنام، وتقوم الزراعة الجافة في بعض النقاط المحدودة وتزداد كثافة الزراعة في أودية الأنهار والنهيرات التي تنبع من المرتفعات الجبلية الجنوبية (شكل رقم ٤٠).

ويعدُّ القطن والفاكهة والخضر والمحاصيل الصناعية، هي المحاصيل

موسكو
جبال الأورال
نهر الفولجا
البحر الأسود
بحيرة بلكاش
مدن رئيسية
مناطق زراعية

شكل رقم (٤٠)
المناطق الجافة في الاتحاد السوفيتي

الرئيسية في هذا الإقليم، وتعتمد في زراعتها على الري. وتعد مصدراً هاماً من مصادر المواد الخام اللازمة لروسيا الأوروبية. ويبدو الإقليم منعزلاً عن منطقة القلب السوفييتي الأوروبي وقد كان في معظمه تاريخياً جزءاً من إمبراطوريات شرقية كإمبراطورية المغول والفرس والأتراك ومن هنا يرتبط في أصوله الحضارية بالشرق والعالم القديم، ويمثل في الواقع جزءاً مميزاً حضارياً في الاتحاد السوفييتي، ولذا تتمتع جمهورياته بحكم ذاتي في إطار شخصيتها القومية، فهناك ثلاث جمهوريات (أرمينيا وجورجيا وأذربيجان، وثمان جمهوريات اشتراكية ذات حكم ذاتي، وعدد كبير من الوحدات الإدارية ذات الحكم الذاتي أيضاً) ويسكن هذا الإقليم حوالي ٢٠ مليون نسمة أو أقل قليلاً من ١٠٪ من سكان الاتحاد السوفييتي.

وتعد جبال القوقاز القلب الطبيعي للإقليم، ويتجمع السكان في شريطين متوازيين على كلا جانبي هذه المرتفعات، وتزداد الكثافة في الجنوب وبالتحديد في الأودية الممتدة بين بحر قزوين إلى البحر الأسود. حيث يصبح المناخ شبه مداري ممطراً في الغرب وشبه جاف وجاف في الشرق.

ويتنوع الإنتاج الزراعي في هذا الإقليم الغربي، فتتخصص جورجيا في زراعة الشاي والموالح والتانج (نبات تستخرج من ثماره زيوت طيارة)، وتشغل مزارع الكروم والبساتين مساحات كبيرة في النصف الشرقي من الجمهورية وكذلك التبغ. وفي الأودية المحمية يزرع الأرز والذرة وبعض المحاصيل شبه المدارية كما تربى قطعان الماشية على السفوح العليا خلال الصيف. ويزرع القطن في أذربيجان وكذلك نبات الألفالفا (نوع من البرسيم) والذرة في وادي نهر كورا Kura وذلك على الري في مساحة تبلغ ٣٢٠,٠٠٠ هكتاراً (٨٠٠,٠٠٠ فدان)، كذلك تسود زراعة القطن في هضبة أرمينيا. وفي شمال مرتفعات القوقاز تسود الظروف المناخية القارية، وتسود زراعة القمح وعباد الشمس والذرة والبنجر، كما تقوم حرفة الرعي في السفوح الغربية الممطرة.

وتقل الزراعة والعمران في كثافتها فيما وراء نهر كوما، وتحل الذرة الرفيعة

محل القمح، ولكن معظم الأرض هنا تستغل في رعي الأغنام والماعز والإبل وذلك كله بالإضافة إلى شريط من الأرض الزراعية على امتداد نهر الفولجا من فولجوجراد Volgograd إلى استراخان Astrakhan وفيما عدا ذلك فالأراضي الرعوية قليلة القيمة.

وتبعثر الثروة المعدنية في هذا الإقليم بشكل واضح، إلاَّ أنَّ أبرزها إنتاج النفط في شمال القوقاز الذي يبلغ أقصاه في حقل باكو الضخم وقد ظل هذا الحقل طويلاً أهم حقول الاتحاد السوفييتي ولكن تناقصت أهميته حتى أصبح ينتج نحو ١٠٪ فقط من الإنتاج السوفييتي. وكذلك فإنَّ إنتاج الغاز الطبيعي من حقول Stravropol يعد من أكثر مناطق الإنتاج في الاتحاد السوفييتي، كذلك يتوفر الفحم في جمهورية جورجيا، والطاقة الكهرومائية من المحطات التي أنشئت لذلك الغرض على نهري كورا وريوني Rioni، وتتوفر المعادن الفلزية مثل المنجنيز والزنك والرصاص والنحاس والحديد والبوكسيت.

وتعد عواصم الجمهوريات الثلاث هي المدن الرئيسية ومراكز الصناعات الكبرى وكذلك ميناء استراخان، وتعد باكو أكبر هذه المراكز على الإطلاق، وارتبط تطورها بإنتاج البترول بها وتعكس صناعاتها هذه العلاقة حيث تتخصص في إنتاج معدَّات الحفر والأرصفة العائمة والأنابيب والمضخات، كذلك بدأت في التوسع في الصناعات البتروكيماوية.

أما مدينة تبليسي Tbilisi عاصمة جورجيا التي تقع على خانق نهري وتحوي ثروة من الأماكن التاريخية والعمارة الدينية فتعد واحدة من أكبر المدن السياحية في الاتحاد السوفييتي، وليست بها صناعات ثقيلة ولكن صناعات استهلاكية ضخمة مثل الحرير والمنسوجات الراقية ومعدات تعبئة الأغذية والأنبذة. أمَّا يرفان Yerevan عاصمة أرمينيا فتتخصص في الصناعات الكيماوية والألمنيوم اعتماداً على طاقة كهرومائية متوفرة. وتنتشر على سواحل البحر الأسود مدن اصطياف ومشاتي أصبحت تكون في الواقع ريفييرا سوفييتية، وقد بدأت تنمية مناطق مماثلة على امتداد بحر قزوين جنوب باكو.

ولا يوجد إلاّ مركز صناعي واحد يتمثل في مدينة استراخان Astrakhan وهي مدينة لها تاريخ طويل وذات موقع هام على بحر قزوين، ولكنها تعاني من وقوعها عند مصب نهر الفولجا حيث تعاني من الأطماء مما يسبب مشكلات كبيرة لوظيفتها كميناء داخلي. ويبلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة، وتتركز بها صناعات متخصصة أبرزها الجلود والأسماك (خاصة الكافيار).

ولا يقل وسط آسيا السوفييتية تنوعاً عن إقليم القوقاز، ويتحدَّث معظم سكانه اللغة التركية وإن كانت هناك مجموعات سكانية أخرى تتحدَّث بلغات متباينة مثل التاجيك الذين يتكلمون الإيرانية، وقد عمدت الحكومة المركزية على تشجيع وفود العناصر السلافية والروسية حتى أصبح السلاف يكوِّنون أغلبية السكان في جمهورية القزاخ ويكوِّن الروس من ١٠ ـ ٣٠٪ من سكان باقي جمهوريات الإقليم.

ونظراً لأنَّ هذا الإقليم صحراوي لذا يقل السكان به ويتركزون في شكل هلال على امتداد الحافة الجنوبية والشرقية فيما بين الجبال والصحراء، كما يتوزع السكان في شريطين آخرين على امتداد نهري سرداريا وأموداريا.

وتعتمد الزراعة في وسط آسيا السوفييتية على الري مستفيدة من كل المجاري المائية في هذا الإقليم، وهنا نجد نطاق القطن السوفييتي حيث يزرع القطن والألفالفا في دورات متعاقبة للمحافظة على خصوبة التربة. كما تزرع الحبوب عند مقدمات المرتفعات الجبلية المحيطة بالإقليم. وتتخصص المناطق القريبة من المدن في إنتاج الفاكهة والخضر. وتسود بالإقليم حرفة الرعي اعتماداً على المراعي الطبيعية والمزروعة.

وقد أصبح وسط آسيا السوفييتية منطقة تعدين رئيسية في الاتحاد السوفييتي، ويعد الغاز الطبيعي المورد الرئيسي به حيث يأتي حوالي ثلث الغاز الطبيعي السوفييتي من هذا الإقليم، وتتركز أهم حقوله بالقرب من بخاري وفي جمهورية تركمانستان، كما توجد سلسلة من حقول البترول الصغيرة على ساحل

بحر قزوين ممتدة من مصب نهر إمبا جنوباً وحتى تلال تركمانستان، وفي وادي فرغانة وقرب الحدود الأفغانستانية، وعموماً لا تنتج آسيا السوفييتية حالياً سوى ٥٪ فقط من البترول السوفييتي وإن كان الاحتياطي ضخماً بها.

أمّا الثروة المعدنية الفلزية في الإقليم فأبرزها النحاس والرصاص والزنك في مرتفعات أوزبكستان وفي شرق كازاخستان وبالقرب من بحيرة بلكاش وأعالي نهر ارتيسن حيث احتياطيات ضخمة من الرصاص. ولم تبدأ الصناعة في وسط آسيا إلاّ حديثاً، وقد اعتمدت في البداية على تصنيع القطن، وتعد طشقند المدينة الصناعية الكبرى في هذا الإقليم ويبلغ عدد سكانها نحو مليوني نسمة وتأتي بذلك في المرتبة الرابعة بين مدن الاتحاد السوفييتي. وتعد صناعة المنسوجات والآلات ومعدات البناء والآلات الزراعية والصناعات الغذائية من أبرز الأنشطة الصناعية بها.

٦ ـ سيبيريا:

تمتد سيبيريا امتداداً شاسعاً شرق الأورال وحتى ساحل المحيط الهادي حيث الشرق الأقصى السوفييتي، وتمثل رغم بيئتها القاسية ـ مجالاً هاماً للتوسع الاقتصادي في المستقبل، وقد وجهت لها الحكومة السوفييتية اهتماماً كبيراً في العقود الأخيرة بعد أن ظلّت قبل ذلك منفى للمغضوب عليهم من السياسيين وغيرهم، ورغم التباين البيئي الكبير بينها وبين أقاليم الاتحاد السوفييتي الأخرى طبيعياً وحضارياً، فعلى امتداد أطرافها الجنوبية يوجد نطاق من الإستبس والأراضي الجافة والذي يمتد بلا انقطاع تقريباً حتى سواحل المحيط الهادي، ويقع شمال هذا النطاق شريط ضيّق يلائم الزراعة والعمران. ويليه شمالاً نطاق الغابات الصنوبرية ثمّ التندرا بعد ذلك حتى سواحل المحيط المجمد الشمالي. وتمثل هذه الغابات حوالي خمس احتياطي العالم من الغابات، وهي عامة تنقسم إلى أربعة أقسام داخلية هي السهول المستنقعية في الغرب، وهضبة شرق سيبيريا، وحوض نهر لينا ثمّ مرتفعات المحيط الهادي.

وسيبيريا تمثل احتياطياً ضخماً للاتحاد السوفييتي في موارد الثروة بها، فهي

تحوي ٩٠٪ من احتياطي الفحم السوفييتي وحوالي ثلثي احتياطيه من الغاز الطبيعي و ٨٠٪ من الطاقة الكهرومائية. كذلك تحوي أكبر نطاق من الغابات في العالم، وأكبر حقل فحم وثاني أكبر منجم للذهب والماس. كما يتوفر بها احتياطي ضخم من الحديد الخام والقصدير والرصاص والزنك وكثير من المعادن النادرة. كذلك اكتشف بها البترول بكميات كبيرة، ويستغل بها الألمنيوم حديثاً. وكل هذه الموارد باحت بها سيبيريا في ضوء الإمكانيات العلمية الحالية، ولا شكَّ أنَّ مواردها الكامنة أكبر من ذلك بكثير.

وقد أدَّت ضخامة مساحة سيبيريا إلى طول طرق النقل بها حيث يشحن الإنتاج بواسطة أطول خط حديدي في العالم أو عبر أطول خط أنابيب في العالم، كما تنقل الكهرباء المولدة بها إلى أكبر مسافات ممكنة من محطة التوليد إلى مناطق الاستهلاك، كما تحوي سيبيريا أبرد مراكز العمران الدائم.

وسكان سيبيريا معظمهم من المهاجرين الوافدين إليها وإن كان السكان الأصليين من الجماعات القبلية قليلة العدد، ويتمشى توزيع السكان وتركزهم مع المناطق الزراعية في الجنوب خاصة على جانبي خط حديد سيبيريا، وقد قامت مراكز العمران عند تقاطع هذا الخط مع أي نهر رئيسي يقطعه، ولا شك أنَّ النقل هو العامل الحاسم في التركز السكاني في سيبيريا. فالشمال السيبيري يكاد يكون خالياً تماماً من السكان باستثناء بعض المراكز الصغيرة عند مناطق التعدين، وتتبعثر القبائل الرعوية فيها بين المناطق الغابية والرعوية.

ويكوِّن الروس أغلبية السكان في كل المدن والمناطق الزراعية التجارية، ولا يزيد عدد السكان الأصليين عن نحو مليون نسمة من جملة سكان سيبيريا البالغ عددهم ٣٤ مليون نسمة. ويعيش الأوكرانيون في مستوطنات مبعثرة خاصة في كازاخستان والشرق الأقصى. ويأتون عددياً في المرتبة الثانية كمجموعة عرقية في سيبيريا، ويليهم في الأهمية جماعات المغول والشعوب التركية وقبائل الفن Fin. وقد اتَّجهت الحكومة السوفييتية منذ ثورة ١٩١٧ إلى تبني سياسة إعادة توزيع السكان في سيبيريا وتشجيع الهجرة إليها، ويقدر أنَّه

فيما بين سنتي ١٩٢٦ - ١٩٣٩ انتقل إلى سيبيريا حوالي ٤ مليون مهاجر اتجه معظمهم إلى المراكز الحضرية ومناطق التعدين ومشروعات الإنشاء والصناعات الجديدة.

وقد أدت الحرب العالمية الثانية إلى تهجير الملايين من سكان أوكرانيا وروسيا البيضاء وغرب روسيا إلى سيبيريا، بل إنَّ كثيراً من المصانع نقلت إليها أثناء الحرب، ورغم تركز الهجرة والمصانع في منطقة الفولجا - الأورال، فإنَّ عدداً يقدر برقم يتراوح بين ٥ - ٧ مليون نسمة اتجهوا إلى سيبيريا (ويمثل ذلك حوالي ٣٠٪ من جملة الهجرة في ذلك الوقت). ورغم أنَّ عدداً كبيراً منهم عاد إلى مناطقه الأصلية بعد ذلك فإنَّ حوالي من ١٠ - ٢٠٪ من هؤلاء المهاجرين فضَّل البقاء في كثير من مناطق سيبيريا.

وكانت آخر موجة من المهاجرين إلى هذه الأراضي الجديدة في الفترة من ١٩٥٨ - ١٩٦٠ فيما عرف بمشروع الأرض البكر Virgin Lands Campaign والذي قام على استصلاح وزراعة ١٠٠ مليون فدان في إقليم الإستبس في غرب سيبيريا وكازاخستان، وقد أدَّى ذلك إلى زيادة سكان هذه المناطق زيادة كبيرة.

وقد استمرت بالهجرة إلى سيبيريا بعد ذلك وإن كانت بمعدلات أقل، كذلك ظهرت تيارات هجرة عكسية من شرق الأورال - والكوزباس في خلال العشرين سنة الأخيرة، واتَّجهت معظم الحركة الخارجية إلى مناطق ذات مناخ دافىء في آسيا السوفييتية الوسطى وأوكرانيا وبعض مدن الغرب السوفييتي، وقد قدَّرت إحدى الدراسات الحديثة أنَّ غرب سيبيريا فقد نحو نصف مليون نسمة من خلال الهجرة الخارجة منه فيما بين سنتي ١٩٥٩ - ١٩٧٩.

وتعدُّ الزراعة من الحرف الهامة في سيبيريا خاصة في منطقة الإستبس غرب إقليم الكوزباس حيث زراعة القمح الربيعي والذرة وعباد الشمس المقاوم للجفاف وكذلك الألفا لفا كمحصول للعلف لتربية الحيوان. كذلك

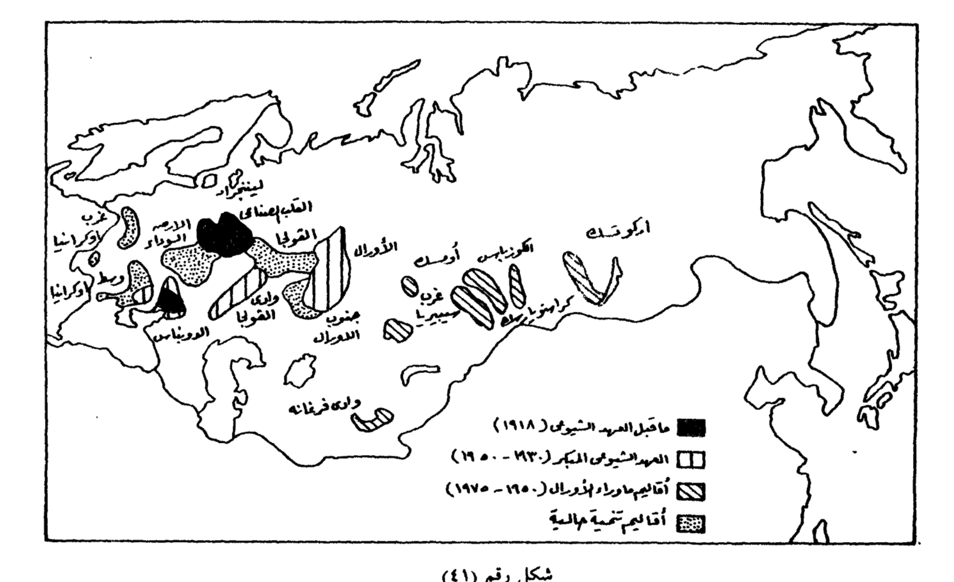
تتركز الزراعة في غرب سيبيريا، وتعتمد على زراعة الحبوب بالدرجة الأولى ويليها الأعلاف. وكذلك فإنَّ إنتاج الألبان يعد من الأنشطة الرئيسية في هذا النطاق، ويشبه النمط السائد في الاتحاد السوفييتي الأوروبي حيث تزرع البطاطس لتغذية الحيوانات بها، وتعد الزبد أهم سلعة تصديرية وقد أنشئت شبكة من قنوات الري لزيادة الإنتاج وتكثيفه.

وتتعرض الزراعة في سيبيريا لمخاطر عديدة مرتبطة بالتغيرات المناخية وضعف التربة ومن ثمَّ تناقص الإنتاج الزراعي في بعض السنوات.

وفي وادي نهر ينسي توجد جيوب زراعية تعتمد على زراعة الحبوب والأعلاف، وتمد هذه المناطق مراكز التعدين باحتياجاتها من الغذاء وذلك رغم ارتفاع تكاليف الإنتاج والتي تظل أقل من تكاليف استيراد الغذاء من مناطق أبعد، وتسود حرفة رعي الأغنام في مناطق الإستبس ورعي الرنة في المناطق الغابية. وتتوفر في الجزء الجنوبي من الشرق السوفييتي الأقصى إمكانيات ضخمة للزراعة، وهناك مشروعات لاستغلال وادي الإمور والمناطق المتاخمة لمنشوريا الصينية. وتتخصَّص هذه المناطق في زراعة فول الصويا والبنجر والقنب والفاكهة بل وحتى الأرز حيثما سمحت الظروف المناخية بذلك. ويزرع القمح والشعير والشيلم في القطاع الأوسط من نهر الآمور.

وبالإضافة إلى هذه المناطق تعدُّ منطقة وادي نهر لينا من مناطق الإنتاج الزراعي في المستقبل وتتركز مدينة ياكوتسك حيث تربة البراري الخصبة ويزرع هنا القمح والشعير التي تنمو حتى تحصد في فصل قصير (من ستين إلى ثمانين يوماً فقط) وهي الفترة الخالية من الصقيع في هذا الإقليم.

وقد شهدت بعض مناطق سيبيريا تطوراً صناعياً كبيراً معتمدة في ذلك على توفر المواد الخام وخاصة موارد الطاقة كالفحم، وتتركز الصناعة في النطاق الجنوبي من غرب سيبيريا (شكل رقم ٤١). وتتركز هنا صناعة تكرير البترول والصناعة البتروكيماوية والصناعات الخشبية وأهم المراكز الصناعية مدن تومن Tyumen وتوبولسك Tobolsk وأومسك Omsk.



شكل رقم (٤١)
أقاليم التنمية وتطورها الزمني في الاتحاد السوفييتي

أمّا الصناعة في شرق سيبيريا فتعتمد على حقل فحم الكوزباس ثاني أكبر الحقول السوفييتية، كمصدر للوقود، وتحف هذا الحقل عدّة مدن صناعية لعلّ أهمها نوفوكوزنتسك Novokuznetsk (٥٥٠,٠٠٠ نسمة) وهي المركز الرئيسي لصناعة الحديد والصلب، وتومسك Tomsk مركز لتكرير البترول ومقر لجامعة رئيسية ومركز للبحوث.

أما مدينة نوفوسيبيرسك Novosibirsk (أي سيبيريا الجديدة) فهي أكبر مدن سيبيريا ويبلغ عدد سكانها ١,٤ مليون نسمة، وتأتي ثامنة المدن السوفييتية من حيث الحجم السكاني. وتقع عند تقاطع سكة حديد سيبيريا بأعالي نهر أوب الصالح للملاحة لمسافات طويلة، وعند منطقة تلاقي حقل الفحم والأراضي الزراعية ومجمعات صناعات معدنية هامة. وتتركز الصناعة هنا على إنتاج شبه المصنع والذي يتم إرساله لاستكمال صناعاته في المناطق الأخرى.

وفي أقصى شرق سيبيريا تقل أهمية الصناعة عن الإنتاج الزراعي وتبدو الصناعات القائمة أقل تطوراً عن مثيلاتها في غرب وجنوب سيبيريا. وذلك رغم وجود أكبر احتياطي للفحم في الاتحاد السوفييتي في هذا الإقليم ممثلاً في حوض تونجسكا Tunguska.

ويحظى نهر ينسي بطاقة كهرومائية هائلة ورغم ذلك لم يشهد إلاّ استغلالاً متواضعاً في خلال الثلاثين سنة الأخيرة حيث أنشىء عليه ستة سدود تنتج عشرات الملايين من الكيلووات الكهرباء. وقد استفاد السوفييت من هذه الطاقة الرخيصة في صناعات الورق ولب الورق والصناعات الكيماوية كالأسمدة والألمنيوم، ولا شكّ أنّ نطاق الغابات الصنوبرية الشاسع يكون احتياطياً ضخماً للمواد الخام التي تعتمد عليها الصناعات الخشبية مستفيدة من هذه الطاقة.

وتعد مدينتا كرازنويارسك Krasnoyarsk واركوتسك Erkutsk أهم مدن شرق سيبيريا، وتتخصصان في صناعة التشييد ومواد البناء وتقعان على خط

حديد سيبيريا، ويقوم في كرازنويارسك معمل ضخم لتكرير الألمنيوم وفي أركوتسك قاعدة صناعية هامة من الكيماويات والإسمنت والأخشاب.

أمّا مدينة فلاديفوستك (٥٠٠,٠٠٠ نسمة) على ساحل المحيط الهادي فهي الميناء الرئيسي ومركز صناعي هام وتقوم بها صناعات بناء السفن وتعد قاعدة رئيسية للأسطول. كذلك فإنّ مدينة خاباروفسك Khabarovsk ميناء نهري هام على نهر الآمور عندما يقطعه خط حديد سيبيريا متجهاً إلى فلاديفوستك.

البَابُ الرَّابِع

أمريكا الشماليَة

الفصل التاسع

أمريكا الشمالية

تصل مساحة قارة أمريكا الشمالية إلى ٢١,٥ مليون كيلومتراً مربعاً وبنسبة تصل إلى ١٦٪ من مساحة يابس الأرض - ويسكنها نحو ٢٦٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٤ أي قرابة ٥,٥٪ من سكان العالم. (تشبه هذه النسب مثيلتها للاتحاد السوفييتي فهو يشغل حوالي ١٦٪ من مساحة اليابس ويسكنه ٥,٨٪ من سكان العالم). وتعد قارة أمريكا الشمالية من قارات العالم الجديد التي استمدّت شخصيتها الحضارية من غرب أوروبا وذلك عبر قرنين ونصف من الزمن ومنذ أن تدفقت عليها موجات المهاجرين الأوروبيين وعمروا أقاليمها الشرقية ومنها اتّجهوا غرباً حتى ساحل المحيط الهادي.

وتنقسم أمريكا الشمالية إلى دولتين اثنتين فقط هما الولايات المتحدة الأمريكية وكندا[1]. وتتشابه الدولتان في كثير من النواحي الاقتصادية والثقافية

(١) بالإضافة إلى ذلك هناك بعض الجزر في المحيط الأطلسي تتبع دولاً أوروبية وأكبرها جزيرة جرينلند (٥٣,١٠٠ نسمة) وتتبع الدانمرك، وجزيرتا سان بيير وميكيلون (٦٤٠٠ نسمة) وتتبعان فرنسا، وجزيرة برموده (٥٨,٠٠٠ نسمة) وتتبع بريطانيا.

والسياسية، بل إنَّهما في الواقع يكونان إقليماً حضارياً واحداً له جذور تاريخية متشابهة حيث اعتمد تعميره على أكتاف المهاجرين الأوروبيين الوافدين والذين انضمَّ إليهم مهاجرون من قارات أخرى ليسهموا في تطوير هذه الأقاليم، وإن كانت الهجرة القسرية لزنوج إفريقيا قد اتجهت في معظمها إلى الولايات المتحدة التي استوعبت عدداً كبيراً منهم وهذا الأمر لم تشهده كندا. ورغم أنَّ الزنوج في الولايات المتحدة يكوِّنون نسبة لا بأس بها من جملة سكانها (حوالي العشر) ويعانون من مشكلة الحاجز اللوني بها فإنَّ كندا قد شهدت مشكلة من نوع آخر هي مشكلة سكان إقليم كويبك الناطق بالفرنسية والذي يجنح باستمرار نحو الاستقلال عن بقية الدولة الناطقة باللغة الانجليزية. كذلك فإن عدد السكان الأصليين من الهنود الأمريكيين كان أقل بكثير من أعدادهم في أمريكا الوسطى والجنوبية وتركز وجودهم في السهول الوسطى وإقليم الغرب الأمريكي.

ويتشابه الاقتصاد الأمريكي مع الاقتصاد الكندي في أنَّه متقدم إلى حد كبير، وترتبط الدولتان معاً بروابط اقتصادية قوية حيث تستورد كندا قرابة ٢٠٪ من صادرات الولايات المتحدة كما تستورد الولايات المتحدة ثلثي الصادرات الكندية (يكون ذلك ٢٣٪ من جملة واردات الولايات المتحدة)، ولا تمثل الحدود بين الدولتين عائقاً أمام الحركة البشرية بينهما، فبالإضافة إلى تبادل السلع والصناعات عبر شرايين النقل بين الدولتين فيقدَّر أنَّ أكثر من ٣٠ مليون سائح أمريكي يزورون كندا سنوياً. وتصدر كندا إلى الأسواق الأمريكية السيارات وأجزاءها والأخشاب وورق الصحف ولب الورق والغاز الطبيعي والسياحة، وتعدُّ الصناعة اليوم في مقدمة القطاعات الاقتصادية في كندا وتفوق في قيمة منتجاتها قيمة الإنتاج الزراعي والغابي والمعادن والأسماك مجتمعة، ولا شكَّ أنَّ التطور الاقتصادي الكبير لكندا قد ارتبط بعلاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

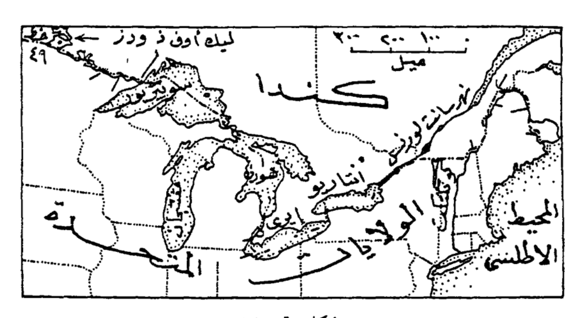
وتتميز قارة أمريكا الشمالية ببساطة تركيبها السياسي حيث تتكون من وحدتين سياسيتين فقط هما كندا والولايات المتحدة الأمريكية وقد تميزت

حدودهما السياسية بالثبات والاستقرار، كما استفادت من الظاهرات الطبيعية في تخطيط هذه الحدود استفادة كبيرة سواء بين الولايات بعضها وبعض أو بين الدولتين المتجاورتين خيث تسير تلك الحدود مع الأنهار أو المستنقعات أو في خطوط مستقيمة وخاصة غرب نهر المسيسبي وهي هنا تعد مثالاً للحدود السياسية السالفة، أي التي وضعت قبل الاستيطان البشري في مناطق الحدود وهي تشبه في ذلك قارتي أمريكا اللاتينية وإفريقيا إلى حد كبير.

وبالرغم من قلّة عدد الدول في أمريكا الشمالية فإنَّ حدودها مفرطة في الطول إذ تصل حدود الولايات المتحدة (باستثناء حدود الاسكا) إلى ٩٤٠٠ كيلومتر منها ٦٤٠٠ كيلومتر بينها وبين كندا و٣٠٠٠ كيلومتر بينها وبين المكسيك وتسير أكثر من نص الحدود الأمريكية ـ الكندية مع مجاري مائية بما فيها نهر سانت لورنس والبحيرات العظمى وبحيرة وودز ومضايق جورجيا وجوان دي فوكا بين ولايتي واشنطن وكولومبيا البريطانية. وإلى الغرب من بحيرة سوبيريور تتجه الحدود نحو الشمال الغربي حتى الطرف الشمالي الغربي لبحيرة وودز ومن هنا تتجه جنوباً قرابة ٤٠ كيلومتراً حتى تلتقي بدائرة عرض ٤٩ درجة شمالاً وتصنع بذلك شبه جزيرة تمتد في البحيرة من الجانب الغربي وتحدها مياه البحيرة من ثلاث جهات وولاية ماليتوبا من الجهة الرابعة وهي تعد في الواقع نتوءاً سياسياً خارجياً تابعاً للولايات المتحدة في كندا وبعد وصول الحدود إلى دائرة عرض ٤٩ درجة شمالاً إلى الجنوب قليلاً من شبه الجزيرة المذكورة فإنّها تسير غرباً متتبعة إياه لمسافة ٢٠٠٠ كيلومتر حتى تصل إلى ساحل المحيط الهادي وهنا تمتد نحو عشرين كيلومتراً من بلين في ولاية واشنطن حتى منتصف مضيق جورجيا صانعة بذلك نتوءاً سياسياً أمريكياً آخر في كندا يعرف باسم بوينت روبرتس وهو الطرف الجنوبي لشبة جزيرة كندية تمتد قرابة ثلاثة كيلومترات جنوب دائرة عرض ٤٩° درجة شمالاً (شكل ٤٢ وشكل ٤٣).

أمّا الحدود المكسيكية فتبدأ من خليج المكسيك متتبعة نهر ريوجراند لمسافة ١٩٠٠ كيلومتر حتى مدينة الباصو في ولاية تكساس ومن هنا تسير الحدود في

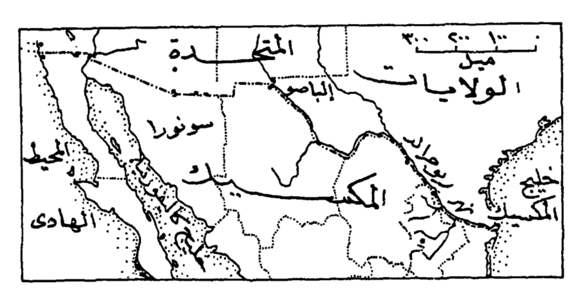
مجموعة من الخطوط المستقيمة ـ فيما عدا ٥٠ كيلومتراً في الغرب حيث يفصل نهر الكلورادو بين الدولتين. (شكل رقم ٤٤).



شكل رقم (٤٢)
الحدود الأمريكية الكندية في منطقة البحيرات



شكل رقم (٤٣)
الطرف الغربي للحدود الأمريكية الكندية



شكل رقم (٤٤)
الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك

وقد نشأت بعض المشكلات بين الولايات المتحدة وجارتيها في الشمال وفي الجنوب ارتبط معظمها بالمجاري المائية وخاصة ما يتعلّق بالملاحة كما حدث بينها وبين كندا عند إنشاء قناة ملاحية عند شيكاغو من بحيرة متشجان وتتجه بعدها نحو الغرب حتى نهر الينوي حيث احتجت الحكومة الكندية بدعوى إنَّ إنشاء هذه القناة سيؤدي إلى خفض منسوب المياه في البحيرات العظمى ونهر سانت لورنس وما يسببه ذلك من عوائق للملاحة بها كذلك فقد تطلب استغلال مساقط نياجارا ونهر سانت لورنس اتفاقاً بين البلدين على ذلك.

وقد أدى استغلال مياه نهري كلورادو وريوجراند في الري إلى إثارة بعض المشكلات بين الولايات المتحدة والمكسيك فبالرغم من أنَّ نصف مياه نهر ريوجراند تأتي من روافد مكسيكية فإنَّ الولايات المتحدة تستغل قرابة ٨٠٪ من مياهه في الري ومن ناحية أخرى فإنَّ كل مياه نهر كلورادو تأتي من منابع تقع في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الذي يعتمد عليه الوادي الإمبراطوري المكسيكي في الري وقد ترتب على ذلك عقد معاهدات مشتركة بين الدولتين لتنظيم استغلال مياه هذين النهرين بينهما.

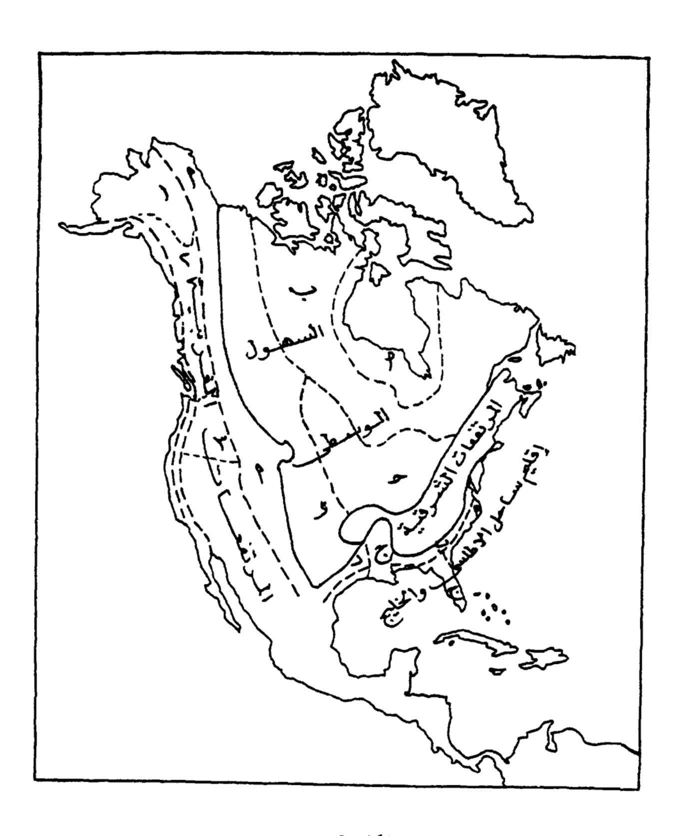
ومن المشكلات المرتبطة بالحدود المكسيكية الأمريكية مشكلة تغير موضع مجرى نهر ريوجراند وذلك لأنَّ هذا النهر فيما بعد مدينة الباصو يسير في سهل فيضي فسيح بتعرجات نهرية واضحة وغالباً ما يغير مجراه في هذا القطاع الطولي ولا تؤدي هذه التعرجات إلى إطالة خط الحدود فقد بل إنَّ استمرار تغير المجرى في قطاعه المتعرج هذا يؤدي إلى تغير تبعية الأراضي بين الدولتين فتصبح بعض الأراضي التابعة لدولة ضمن أراضي الدولة الأخرى. وقد وضع برنامج في سنة ١٩٣٣ لضبط الفيضان وجعل مجرى النهر مستقيماً على أن تسير الحدود السياسية في منتصف المجرى وفي أعمق أجزائه.

البيئة الطبيعية:

تتميز البيئة الطبيعية في أمريكا الشمالية بالبساطة، ومن ثمَّ يمكن تقسيمها بسهولة إلى إقاليم مميزة. فهناك أقليمان جبليان موازيان للساحل الشرقي والساحل الغربي ويحصران فيما بينهما نطاق السهول العظمى الذي يمتد ليتصل بالسهول الساحلية على امتداد حافاته الجنوبية والجنوبية الشرقية، ومناخياً يتمتع ثلاثة أرباع القارة بأمطار جيدة، ويبقى حوالي الربع الجنوبي الغربي كإقليم صحراوي جاف، وتمتد الأقاليم المناخية في المنطقة الممطرة من الشرق إلى الغرب وإن كان شتاؤها يطول ويزداد برودة كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال. أمَّا في النطاق الجاف فتسير الأقاليم من الشمال إلى الجنوب. وتتمشى الأقاليم النباتية مع الأقاليم المناخية إلى حد كبير.

مظاهر السطح:

يبدو من خريطة سطح أمريكا الشمالية أنَّ الظاهرات التضاريسية بها تميل إلى الاتجاه من الشمال إلى الجنوب بصفة عامة، وهي في ذلك تتعارض مع اتجاه خطوط الحركة البشرية، حيث تتجه حركة السكان وطرق النقل الرئيسية من الشرق إلى الغرب ويمكن تقسيم القارة إلى عدَّة أقاليم تضاريسية على النحو التالي: (شكل رقم ٤٥):



شكل رقم (٤٥)
الأقاليم التضاريسية الرئيسية في أمريكا الشمالية

١ ـ السهل الساحلي الشرقي وساحل الخليج:

وهو سهل ساحلي يتصف باستواء السطح وانخفاضه النسبي، ويمتد من الحدود الأمريكية المكسيكية وموازياً لساحل خليج المكسيك والمحيط الأطلسي حتى نوفاسكوشيا ونيوفولاند في كندا، ويقطعه عدد كبير من الأنهار القصيرة التي تنبع من مرتفعات الأبلاش وتنصرف إلى المحيط الأطلسي وأهمها نهر بوتوماك وديلاوير والهدسن، وفي ساحل الخليج تنبع أنهاره من مرتفعات الروكي أو من مرتفعات حوض المسيسبي الأدنى.

وقد درج الجغرافيون الأمريكيون على تقسيم السهل الساحلي إلى قسمين أحدهما خارجي والآخر داخلي، فالسهل الخارجي عبارة عن منطقة رملية مبسطة سيئة الصرف يتميز بوجود بحيرات ساحلية وكثبان رملية ممتدة على الشواطىء كما هي الحال في رود أيلند ونيوجرسي. أمَّا السهل الداخلي فيتكون من صخور تعرضت للتعرية طويلاً كما يتميز سطحه بالتموج الواضح.

وأبرز ظاهرات السهل الساحلي الشرقي وساحل الخليج - هي دلتا نهر المسيسبي الضخمة التي تمتد بمحاريها المتعرجة وبحيراتها العديدة ومستنقعاتها إلى أكثر من ١٦٠ كيلومتراً. كما يتميز الساحل بقوس شبه جزيرة فلوريدا وحيث تكثر به المستنقعات والجزر الساحلية، ثمَّ منطقة الساحل الشمالي الشرقي التي تأثرت بالتعرية الجليدية في العصر الجليدي بوضوح مما انعكس على شكل الساحل وتعرجاته الشديدة خاصة فيما بين نيويورك وشمالاً حتى كيب كود Cape Cod.

ويميل السهل الساحلي إلى الارتفاع التدريجي بالاتجاه غرباً حتى مقدمات جبال الأبلاش حيث سلسلة من المساقط المائية فيما بين صخور السهل الساحلي اللينة وصخور الأبلاش الصلبة، وقد لعبت هذه المساقط دوراً كبيراً في تعمير الإقليم حيث وفرت مبكراً طاقة مائية وحددت نهاية المناطق الصالحة للملاحة النهرية في الأنهار الساحلية، وقد ساعدت هذه العوامل على نمو المراكز العمرانية على امتداد ما يعرف بخط المساقط Fall Line وأبرزها فيلادلفيا وبلتيمور

ورتشموند. والواقع أنَّ خط المساقط هذا يمثل الحد الداخلي للسهل الساحلي الشرقي.

٢ - إقليم المرتفعات الشرقية:

ويتكون هذا الإقليم من ثلاث مناطق رئيسية: المرتفعات الشمالية الشرقية، وجبال الأبلاش، ثمَّ مرتفعات أوزارك - واشيتا Ozark - Ouachita التي تعدُّ امتداداً للمرتفعات الشرقية نحو المسيسبي الأدنى حيث تفصلها عن مرتفعات الأبلاش - دلتا المسيسبي.

وتتمثل المرتفعات الشمالية الشرقية في إقليم نيوانجلند ويتكوَّن من صخور متحولة تتخللها صخور نارية، قطعتها الأنهار في اتجاهات من الشمال إلى الجنوب ويبدو من مظاهر السطح في هذا الإقليم أنَّ المنطقة قد تعرَّضت لعمليات الضغط عدَّة مرات خلال تاريخها الجيولوجي وقد أدَّى ذلك إلى وجود نطاقين من المرتفعات أحدهما إلى الغرب من وادي كونكتيكت ويبدو هذا النطاق واضحاً في جبال جرين Green والنطاق المرتفع يوجد إلى الشرق من النهر وفيما بين هذين النطاقين المرتفعين توجد أحواض منخفضة، وعلى العموم ينخفض السطح ويتحول الشكل الهضبي إلى تلال منخفضة في الشرق خاصة في نيوبرونزويك ونوفاسكوشيا.

أمَّا مرتفعات الأبلاش فتعد أكبر الظاهرات التضاريسية شرق أمريكا الشمالية، وتمتد من ولاية نيويورك حتى ألباما، ومن السهل الساحلي على طول المحيط الأطلسي في الشرق حتى سهول وسط الولايات المتحدة في الغرب. وتتكون هذه الجبال من ثلاث مناطق مميزة هي المرتفعات الشرقية أو البيدمونت Piedmont والتي تتكون من صخور قديمة ويحدُّها شرقاً خط المساقط الذي أشرنا إليه، وإلى الغرب منها تمتد جبال تعرف بالجبال الزرقاء Blue Ridge لتفصل بين البيدمونت والحافة الغربية التي تنتهي في هضبة اليجني - كمبرلاند Allegheny - Cumberland الغنية برواسب الفحم وحقول البترول والغاز الطبيعي خاصة في بنسلفانيا الغربية وغرب فرجينيا وشرق أوهايو وجنوب غرب

فرجينيا وشرق كنتكي.

أما مرتفعات أوزارك ـ وأشيتا، فرغم أنَّه يفصلها دلتا نهر المسيسبي عن جبال الأبلاش فإنَّها تنتمي لنفس العصور الجيولوجية لجبال الأبلاش. وتتميز بأنُّها أقل ارتفاعاً ويميل سطحها إلى الشكل الهضبي الذي تعرَّض طـويلاً لعمليات التعرية. وتحظى بقيمة كبرى في حركة السياحة لجنوب الولايات المتحدة حيث تتمتع بظروف مناخية معتدلة في فصل الصيف.

٣ ـ السهول الداخلية:

وهو أكبر الأقاليم التضاريسية في أمريكا الشمالية ويمتد من سواحلها الشمالية وحتى الحوض الأدنى لنهر المسيسبي، ويبدو الإقليم كسهول شاسعة مستوية السطح تتخللها هضاب منخفضة وبعض السطوح الصخريـة التي تعرَّضت للتعرية، وتنقسم هذه السهول العظمى إلى أربعة أقسام أصغر هي: سهول خليج هدسون ثمَّ الدرع الكندي والسهول الوسطى شرق المسيسبي ثمَّ السهول العظمى إلى الغرب منه.

وتتمثل سهول خليج هدسون في تلك الأراضي التي تحيط بهذا الخليج والتي يندر بها السكان. ويمثل هذا الإقليم مركز الغطاءات الجليـدية التي تعرضت لها أمريكا الشمالية خلال عصر البلايوستوسين وتنتشر المستنقعات في هذه السهول حيث تتصف بسوء الصرف وتتمتع بإمكانيات كبيرة لتوليد الطاقة الكهرومائية وإن كانت مواردها الأخرى قليلة.

ويحيط إقليم الدرع الكندي بسهول خليج هدسون، ويتكون من صخور بللورية قديمة تعرضت للتعرية الشديدة خلال العصر الجليدي، وتنتهي جنوباً بإقليم البحيرات العظمى بين الولايات المتحدة وكندا. ويتميز هذا النطاق بوجود بحيرات ضخمة أخرى داخل الأراضي الكندية أهمها بحيرة وينبج ومانيتوبا وأتاباسكا Athabaska وجريت سليف وجريت بير. ويمتد في هذا الإقليم نطاق ضخم من الغابات الصنوبرية الذي يشبه مثيله في شمال الاتحاد

السوفييتي، كذلك يتميز بغناه بالثروة المعدنية وبإمكانيات ضخمة للطاقة الكهرومائية.

أمّا السهول الوسطى شرق نهر المسيسبي فتقع جنوب الدرع الكندي، ويتراوح ارتفاعها من ٥٠٠ ـ ٦٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر وتنحدر بصفة عامة نحو نهر المسيسبي ونهر أوهايو، وقد تعرضت للتعرية النهرية بشكل واضح وإن كانت المناطق المنخفضة في شمال غرب كندا قد تعرضت للتعرية الجليدية بصورة تركت آثارها واضحة. ويتميز هذا النطاق الواسع بغناه بالثروة المعدنية التي تنتشر في بعض أحواضه الداخلية ومن أهم هذه الموارد الفحم والغاز الطبيعي والبترول.

أمّا إقليم السهول العظمى فتبدو غرب نهر المسيسبي على شكل سطح هضبي متسع يصل ارتفاعه إلى نحو ١٥٠٠ ـ ١٨٠٠ متر. وتغطيها الصخور الرسوبية على شكل طبقات أفقية تمتد إلى الشرق من مرتفعات الروكي. وقد حفرت الأنهار هنا ودياناً عميقة وخاصة نهر الميسوري وبلات Platte. وعلى العموم فقد جرت العادة على استخدام تعبير السهول العظمى للدلالة على المنطقة الواسعة من الأراضي متوسطة الارتفاع في وسط أمريكا الشمالية، وحتى مقدمات الهضاب الغربية في الشرق وقد ارتبط اسم السهول العظمى في الأذهان بأنّه منطقة متجانسة من ناحية السطح وتغطيها الحشائش القصيرة.

٤ ـ المرتفعات الغربية:

وتمتد هذه المرتفعات في غرب القارة من الشمال إلى الجنوب وتبدو كحاجز جبلي عظيم يشمل أساساً سلسلتين جبليتين هما الكورديلليرا الشرقية والغربية ويفصلها هضبة وعرة شمال نهر كولومبيا في ولاية واشنطن وتتميز السلسلة الغربية بمجموعة من المنخفضات الموازية لها أهمها بجت سوند Puget Sound ووادي كاليفورنيا الأوسط، وهذه السلسلة توازي خط الساحل ولا يفصلها عنه إلاّ سهل ساحلي ضيّق. أمّا الكورد يلليرا الشرقية فتتميز بأنّها أكثر اتساعاً من الغربية وتتكون من ثلاثة أجزاء هي: سلسلة بروكس Brooks

Range في ألاسكا، وجبال ماكنزي Mackenzie في يوكن Yukon ثمَّ جبال الروكي التي تمتد من هنا وحتى أقصى الجنوب.

وتبدو جبال الروكي كحاجز جبلي عظيم يفصل بين السهول العظمى في الشرق وهضبة كلوراد والحوض العظيم وهضبة كولومبيا في الغرب، ولا تكون هذه الجبال إقليماً واحداً متصلاً في كل أجزائه بل تنقسم إلى سلاسل جبلية أصغر والتواءات محدبة تصل بين قسم وآخر من أقسامها المختلفة، وينقطع امتدادها بوجود مظاهر تضاريسية أخرى أهمها حوض يومينج Wyoming بين جبال روكي الجنوبية والوسطى، وهو منطقة هضبية تتدرج حتى تتصل بالسهول العظمى عن طريق عدد من الممرات في الشرق وهضبة كلورادو في الجنوب، ويقع هذا الحوض جنوب يلوستون ناشيونال بارك (حديقة يلوستون القومية) ويتميز هذا الحوض بغناه برواسب الوقود كالفحم والبترول والغاز الطبيعي.

أمَّا الأحواض الجبلية والهضاب الأخرى فتعدُّ سمة بارزة في هذا النطاق الجبلي الغربي. فالجزء القطبي من الهضاب في ألاسكا وشمال يوكن يبدو منخفضاً وذي سطح تعرض بشدة لعوامل التعرية، ويتميز بنظم نهرية كبيرة أبرزها نهر يوكن وروافده. وفي حوض كولومبيا Columbia Basin جنوب الحدود الكندية الأمريكية تسود ظاهرة الطفوح البركانية بشكل حاد وتستمر ناحية الشرق عبر وادي نهر سنيك وشمال كاليفورنيا ونيفادا.

ويعرف الجزء الجنوبي من الأحواض الجبلية في غرب أمريكا بالحوض العظيم Great Basin ـ وهو إقليم صحراوي يتكون من جبال منعزلة تمتد من الشمال إلى الجنوب فاصلة بين أحواض صحراوية مستوية في غالب الأحيان. ويتميز بالتصريف المائي الداخلي وانتشار البحيرات المالحة خاصة في ولايتي يوتاه ونيفادا ومن أهمها بحيرة سولت ليك، وينتهي الحوض العظيم جنوب كاليفورنيا وأريزونا ونيومكسيكو. وأبرز الظاهرات هنا وادي الموت Death Valley والذي ينخفض منسوبه إلى ٩٠ متراً تحت مستوى سطح البحر وهي أدنى نقطة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وإلى الجنوب الغربي من هذه المجموعة الحوضية والهضبية توجد هضبة كلورادو وتتميز بعدَّة ظاهرات أبرزها أفقية طبقاتها الصخرية ووجود النشاط البركاني وكذلك ارتفاع منسوب الهضبة حيث يزيد مستواها على ١٥٠٠ متراً فوق مستوى البحر وتطل على المناطق المجاورة بحافات عالية، كذلك فإنَّ أبرز مظاهر السطح هنا - وجود الخوانق الكبرى وأشهرها الخانق العظيم Grand Canyon.

أمَّا جبال كورد يلليرا الغربية فتتكون من سلسلة من القمم البركانية مثل جبل سانت هيلين St. Helens. وتبدو السلاسل الساحلية على هيئة أشباه جزر وجزر بجوار الساحل. وإلى الجنوب من فانكوفر تظهر سهول فيضية تفصل بين جبال كورد يلليرا الغربية والسلاسل الساحلية المنخفضة مثل منخفض باجت ساوند Puget Sound وجريت فالي (الوادي العظيم) في كاليفورنيا. وتعرف هذه الجبال في شمال غرب ساحل المحيط الهادي باسم جبال كاسكيد Cascades، كما تعرف سلاسل الجبال شرق كاليفورنيا باسم سييرانيفادا التي تكون كتلة متصلة من الصخور الصلبة ذات الأودية العميقة.

الظروف المناخية:

كان لموقع أمريكا الشمالية وظروف السطح بها الأثر الأكبر في ظروفها المناخية، فهي تقع بأكملها شمال مدار السرطان وتمتد حتى القطب الشمالي، ومن ثمَّ لا يتمثل بها المناخ المداري بمعناه الحقيقي إلَّا باستثناءات طفيفة تتمثل في أقصى طرف شبه جزيرة فلوريدا، كما أنَّها تتمتع بالمناخ المعتدل والبارد ويسقط على معظمها قدر وافر من الأمطار.

ويسود في جنوب شرق الولايات المتحدة مناخ شبه مداري يتميز بسقوط الأمطار به طوال السنة ويطول الفصل الخالي من الصقيع، ويتعرض هذا الإقليم للرياح الأعصارية التي تسقط أمطاراً شديدة. وبالابتعاد عن المحيط تبدأ المؤثرات البحرية في التناقص ويحل محلها المؤثرات القارية المعروفة والتي تتمثل في زيادة المدى الحراري اليومي والفصلي خاصة في المناطق الداخلية.

كذلك يسود في شمال شرق الولايات المتحدة ووادي سانت لورنس مناخ بارد يتميز بشتائه الغزير، وصيفه المعتدل خاصة في الساحل الشرقي والولايات البحرية. ولكن يقصر فصل الصيف بالاتجاه شمالاً من الدرع الكندي وشمال كندا بصفة عامة حتى ألاسكا، وهنا يطول فصل الشتاء ويزداد برودة، وكذلك يقل الفصل الخالي من الصقيع حتى يختفي تماماً في الحافات القطبية للقارة وهي التي يسود بها مناخ التندرا المعروف.

وإلى الغرب من خط طول ١٠٠ غرباً وجنوب دائرة عرض ٥٠° شمالاً يوجد نطاق شاسع من الإستبس شبه الجاف الذي يمتد شرق مرتفعات الروكي، ويشهد هذا النطاق تبايناً في طول فصل الصيف بين شماله وجنوبه ولكنه على العموم يتميز بارتفاع درجة الحرارة في الصيف وانخفاضها الشديد في فصل الشتاء (تصل حرارة يوليه في مدينة دنفر إلى ٢٤°م وفي يناير إلى حوالي صفر).

وتتحول الأراضي إلى صحراء في غرب جبال الروكي جنوب دائرة العرض ٤٠° شمالاً، وفي هذا الإقليم تقل الأمطار بدرجة كبيرة وإن كانت كمياتها القليلة (أقل من ١٠ بوصات سنوياً) تسهم في نمو غطاء مبعثر من النباتات. وتتمتع كاليفورنيا بمناخ البحر المتوسط بصيفه الجاف وشتائه الممطر، وقد تأثرت المناطق الساحلية غرب أمريكا الشمالية بالمحيط الهادي تأثراً واضحاً ويبدو ذلك في الساحل الشمالي الغربي حيث الأمطار السنوية والتي تربو على ٣٠ بوصة (سياتل مثلاً تستقبل ٣٤ بوصة سنوياً) وما تلبث أن تتناقص بالاتجاه نحو الداخل حتى تصل إلى نحو ١٤ بوصة في دنفر Denever.

وعلى العموم يتمتع ثلاثة أرباع مساحة الولايات المتحدة بكميات كافية من الأمطار تسمح بقيام الزراعة، كما تتمتع بدرجات حرارة مناسبة لزراعة كثير من المحاصيل ويستثنى من ذلك الأراضي الجبلية المرتفعة ومعظم ألاسكا. وتبدو كندا على العكس حيث أنها أقل حظاً في ظروفها المناخية، فحوالي ثلثي مساحة البلاد لا تساعد ظروفه المناخية على قيام الزراعة وذلك بسبب قصر

فصل النمو، ولكن كندا تتمتع في المناطق الجنوبية الشرقية قرب وادي سانت لورنس بظروف مناخية ملائمة للإنتاج الزراعي بدرجة كبيرة.

النظم النهرية:

تتمتع أمريكا الشمالية بمجموعة كبيرة من الأنهار التي تنبع من المرتفعات الشرقية والغربية وتتجه نحو المحيطات المجاورة أو نحو بعض الأحواض الداخلية في الغرب. وأهم هذه النظم النهرية مجموعة المسيسبي - المسوري - الأوهايو والتي تنتشر في وسط الولايات المتحدة لتصرف مياه كل الأراضي الواقعة بين الروكي غرباً والأبلاش شرقاً. ويليها حوض نهر سانت لورنس والبحيرات العظمى ثمَّ نهرا يوكن وماكنزي Mackenzie في الشمال وكذلك مجموعة نهر كولومبيا - ونهر سنيك في الشمال الغربي، وتتولى هذه الأنهار صرف مياه غرب القارة إلى المحيط. وبالإضافة إلى ذلك يعدُّ نهر كولورادو من الأنهار الهامة في جنوب غرب القارة رغم أنَّه يحمل كمية أقل من المياه إلاَّ أنَّها ضرورية للري في واديه الأدنى.

وترتبط أكبر مجموعتين نهريتين في قلب أمريكا الشمالية ببعضهما عن طريق قناة تمتد من شيكاغو حتى نهر إلينوي، ويعدُّ المسيسبي ورافداه المسوري وأوهايو من أكبر الطرق الملاحية النهرية في العالم، كما أنَّها تشق طريقها وسط أغنى أراضي الولايات المتحدة وكذلك في النصف الغربي للنطاق الصناعي العظيم بها. وقد استغلَّت روافده الشرقية خاصة أنهار تنسي وكمبرلاند في مشروعات مائية ضخمة لتوليد الطاقة الكهرومائية، وقد اكتسبت هيئة وادي نهر تنسي T. V. A شهرة عالمية كبرى في هذا المجال.

أما نهر سانت لورنس فيخدم الإقليم الصناعي الكندي والمدن الصناعية الأمريكية الواقعة على البحيرات العظمى، ولا يقلل من أهمية هذا النهر في الملاحة النهرية أنَّه يغلق في فصل الشتاء أمام الملاحة بسبب تجمد مياهه لمدَّة تتراوح بين ٣ - ٥ شهور في السنة. إضافة إلى ذلك تقوم البحيرات العظمى بدور كبير في النقل الداخلي لربط حقول فحم الأبلاش وتلال حديد مسابي

Mesabi ونطاق الذرة الأمريكي.

أما أنهار الشمال الغربي خاصة يوكن وماكنزي فلم تستغل إلَّا بدرجة ضئيلة للغاية، ولعلَّ مرجع ذلك أنَّهما يخترقان مناطق خالية تقريباً من السكان وفي بيئة باردة ومع ذلك فهما يمثلان موردان للطاقة الكهرومائية الضخمة التي يمكن استغلالها في المستقبل. أمَّا نهرا كولومبيا ـ وسنيك فقد استغلا في توليد طاقة كهرومائية ضخمة كما أنَّهما موردان رئيسيان لمياه الري في شرق ولاية واشنطن وأوريجون ومساحة كبيرة من ولاية إيداهو. ويعد نهر كولورادو من أهم أنهار جنوب غرب أمريكا الشمالية ويبلغ طوله ٢٢٠٠ كيلومتراً، وتعتمد عليه الزراعة اعتماداً كلياً في الوادي الأدنى ثمَّ يتجه بعد ذلك ليصب في خليج كاليفورنيا. ومن الأنهار الهامة هنا ـ نهرا ساكرامنتو وسان جواكين San Juaquin اللذين يجريان في الأجزاء الشمالية والجنوبية لوادي كاليفورنيا العظيم ولهما أهمية كبرى في هذه الولاية، ونهر ريو جراند الذي يمثل جزءاً من الحدود السياسية بين الولايات المتحدة والمكسيك.

الحياة النباتية والتربة:

تعرض الغطاء النباتي الطبيعي لأمريكا الشمالية إلى تغييرات جذرية أحدثها السكان منذ بدء تعميرهم للقارة، ومن ثمَّ فإنَّ الصورة الحالية بين الغطاءات النباتية الممكنة أو الكامنة Potential أكثر منها غطاءات نباتية فعلية. وتتوزع الغابات في القارة في ثلاث مناطق واسعة هي نطاق المرتفعات الغربية (خاصة الكوردييلليرا الغربية)، والدرع الكندي ثمَّ معظم الثلث الشرقي للولايات المتحدة. وتعد أشجار الصنوبر والشربين هي الشائعة في إقليم الدرع الكندي والحافات الجنوبية لكندا والأجزاء الشمالية في الولايات المتحدة شرق نهر المسيسبي. أمَّا غابات بقية شرق الولايات المتحدة فتتميز بأنَّها غابات مختلطة وصلبة معظمها من أشجار البلوط. وفي نطاق الغابات الغربية توجد أشجار شربين دوجلاس المشهورة بأنَّها أشجار عملاقة. وقد تعرَّضت الغابات في شمال الولايات المتحدة إلى تغيير كبير بسبب قطع الكثير من أشجارها وذلك أثناء

حركة التعمير الضخمة في القرن التاسع عشر، وقد حلّت محلها أشجار من الأشجار الصلبة.

وقد تعرَّض نطاق البراري في الغرب الأوسط هو الآخر لتعديل كبير بسبب التوسع الزراعي والرعي، أمَّا صحاري الولايات المتحدة فهي رغم جفافها تعدُّ غنية في حياتها النباتية ولم تشهد هذه الصحاري حرفة الرعي إلاَّ في القرن العشرين عكس العالم القديم الذي شهـده منذ القدم.

التربة:

نتج التباين الكبير في أنواع التربة على رقعة أمريكا الشمالية عن التباين في الظروف المناخية وكذلك اختلاف الغطاء النباتي وظروف التصريف النهري ومدى تأثُّر الأقاليم بعوامل التعرية. وقد تعرضت التربة في بعض الأقاليم إلى تغيير واضح في خصائصها بسبب الاستغلال الكثيف بها وما أدخله الإنسان من تعديلات أصابتها.

ويمكن أن نحدد خمسة أقاليم للتربة هي: النطاق الشمالي، والأقاليم الجافة، والنطاق شبه المداري ثمَّ النطاق الانتقالي وأخيراً منطقة التـربات المختلطة في الغرب.

ويعدُّ النطاق الشمالي في الواقع منطقة إنتاج زراعي هامشي، فتربة التندرا الفقيرة والمناخ القاسي السائد لا يساعدان على الزراعة، وقد تعرضت الأجزاء الجنوبية من هذا النطاق لعملية غسيل التربة الحادة كما تقل بها العناصر اللازمة لنمو النبات مثل الكالسيوم والفوسفور والنتروجين أو البوتاسيوم.

أما الأقاليم الجافة ـ فرغم أنَّ تربتها غنية بالكالسيوم فإنَّها تحوي معادن أخرى سامة، ولا تتركز الزراعة بها إلاَّ في أودية الأنهار حيث التربة المنقولة الخصبة وإن كانت تعاني هي الأخرى من تركز الأملاح في المناطق التي تعتمد على الري والتي تظهر على هيئة قشرة كلسية من كربونات الكلسيوم التي تتشكل على التربة في المناطق الجافة، أما تربة الإستبس فتتباين من تربة التشرنوزم

الثقيلة السوداء إلى التربة القسطلية، وهي تربات غنية في المادة العضوية Humus والكالسيوم.

وتعد التربة شبه المدارية تربة سميكة وعميقة وإن كانت تتعرض لعملية غسل التربة بشدة، وغالباً ما تكون تربة حمراء أو صفراء تقل بها نسبة المواد العضوية وتخلو من الكالسيوم، ومع ذلك يشجع طول فصل النمو على زراعتها بالمحاصيل التي تتطلب فصلاً طويلاً وتتمثل هذه التربة في جنوب شرق الولايات المتحدة.

أمَّا التربات في المنطقة الانتقالية فهي أكثر تعقيداً، حيث نتجت في معظمها عن الإرساب الجليدي. وتتميز بأنَّها تربات حصوية ورملية ومن هنا فهي قليلة الخصوبة للغاية، ولكن تزداد خصوبتها بوجود الصلصال والغرين بها وكذلك الجير وتستخدم فيها المخصبات بدرجة كبيرة، وقد ساعد على استغلالها قربها من مراكز العمران الحضري.

وتتباين المنطقة الغربية بشدَّة في مدى خصوبة التربات بها ذلك لأنَّ معظم التربة هنا رقيقة خاصة في المناطق المنحدرة وتزداد نسبة المكونات البركانية في بعض مناطقها خاصة في كاليفورنيا، كما تزداد نسبة الطمى بها في أودية الأنهار كما في الوادي العظيم في كاليفورنيا أيضاً ومن ثمَّ تصبح تربة فيضية خصبة، وتعتمد على الري في هذه المناطق.

وعلى العموم فإنَّ نسبة كبيرة من تربة الولايات المتحدة صالحة للزراعة وتستغل بكفاءة كبيرة، أمَّا في كندا غرب بحيرة سوبيريور فقد استغلت التربات الجيدة فقط، ورغم أنَّ نسبة التربات الصالحة للزراعة في كندا ليست قليلة إلَّا أنَّ مساحات واسعة منها لم تستغل بعد. وتعد التربة مفتاح فهم التقدم الاقتصادي بأمريكا الشمالية ذلك أنَّها كمورد طبيعي تعد في الواقع أكبر منطقة في العالم لإنتاج فائض الغذاء.

---

(١) Stansfield, C. A. And Zimolzak, C.E. Op. Cit, p. 15.

توزيع السكان في أمريكا الشمالية:

تعدُّ الولايات المتحدة امتداداً أوروبياً في أمريكا الشمالية، وقد شهدت زيادة سكانية كبيرة في القرن ونصف القرن الأخيرين: حيث تزايد سكانها من نحو ٥ مليون نسمة سنة ١٨٠٠ إلى ٧٦ مليون نسمة سنة ١٩٠٠ ثمَّ إلى ١٥٠ مليون سنة ١٩٥ وقدِّر عددهم سنة ١٩٨٣ بنحو ٢٣٤ مليون نسمة.

وتتميز الولايات المتحدة الأمريكية - مثل أوروبا - بالمناخ المعتدل الذي ساعد على تركز السكان وكذلك الثقافة الأوروبية في بيئة ملائمة طبيعياً دون حاجة لجهد ضخم لتغيير ظروفها، ويتركز ثلاثة أرباع سكانها فيما بين خطي حرارة ٤٥° ف (٧° مئوية) و ٦٠°ف (١٦° مئوية) حيث تتراوح كمية الأمطار من ٣٠ إلى ٥٠ بوصة، وكما في أوروبا فإنَّ تربة السهول من رواسب غرينية خصبة في معظم الأحوال أو تكون نتاجاً لركام جليدي خصب أيضاً وقد تحوَّلت أقاليم الغابات الواسعة إلى مناطق عظيمة من المزارع كذلك فقد ساعدت الثروة المعدنية وموارد القوى والوقود بعد ذلك على التركز والاستقرار اعتماداً على توفر مقومات الصناعة التي تطورت تطوراً كبيراً في خلال عدَّة أجيال فقط اعتماداً على الخبرة الأوروبية.

وبالرغم من تشابه البيئتين الأوروبية والأمريكية الشمالية إلَّا أنَّ الأخيرة تتمتع بمميزات تفوق أوروبا حيث توجد بها أراض واسعة يمكن أن تستوعب أعداداً إضافية من السكان، كذلك فإنَّ أوروبا التي تقطعها هضاب قديمة وسلاسل ألبية تختلف عن أمريكا الشمالية التي لا تميزها عوائق طبيعية في التضاريس ولذا فإنَّ المناخ البارد في كندا يتحول تدريجياً إلى مناخ شبه مداري في لويزيانا حيث نطاق شاسع من زراعة القمح والذرة والقطن، فإنَّ هناك امتداداً للمؤثرات المدارية التي تحمل الهواء الدافىء الرطب نحو الشمال في الصيف وتجعل زراعة الذرة ممكنة حتى نطاق البحيرات العظمى.

وقد كانت أمريكا الشمالية شبه خالية من السكان قبل وفود أفواج المهاجرين الشبان إليها وبخلاف أوروبا التي نما سكانها نمواً طبيعياً أي بسبب

الزيادة الطبيعية فقط، فإنَّ سكان الولايات المتحدة تزايدوا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة فقد بلغ نصيب هذه الزيادة فيها بين سنتي ١٨٢٠، ١٩٢٠ - ٧٣٪ من جملة الزيادة الكلية(١). وقد توزع السكان على رقعة الولايات المتحدة ولكن توزيعهم كان غير متساو بين ولاياتها ففي الغرب مثلاً يوجد نطاق واسع من الأراضي الجافة والجبلية والتي تنخفض فيها الكثافة السكانية إلى ثلاثة أشخاص في الميل المربع وتزيد إلى ١٨ شخص على ساحل المحيط الهادي. وهناك أربع مناطق ذات كثافة سكانية متوسطة وهي بجت سوند (Puget Sound) ووادي كلومبيا الأدنى وإقليم سان فرنسيسكو وإقليم لوس أنجلوس والمناطق المزروعة على الري حول دنفر (Denever) أمَّا في الشرق فباستثناء ولايتي مين وفلوريدا - لا يقل متوسط الكثافة عن ٢٥ شخص في الميل المربع.

وبصفة عامة فإنَّ هناك نطاقاً من الكثافة العالية التي تصل إلى ١٣٠ نسمة في الميل المربع يمتد من بوسطن على امتداد ساحل نيوانجلند حتى المصبات الخليجية الكبرى جنوباً حيث توجد فيلادلفيا وبلتيمور وواشنطن، ثمَّ يتفرع عبر بنسلفانيا إلى البحيرات العظمى حيث شيكاغو وملووكي وهذا التركز السكاني غير العادي يرتبط - كما في أوروبا - بنشاط تجاري ضخم وقد تتابعت موجات من المهاجرين من هذا الجزء الشرقي عبر المسيسبي نحو الغرب والجنوب الغربي والباسفيكي.

---

(١) Perpillou, A. V. Human Gegraphy, Longman Group Ltd, London, 1971, P. 352.

الفصل العاشر

الولايات المتحدة الأمريكية

تعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية إحدى أقوى دولتين في العالم المعاصر، وهي بمساحتها التي تربو على أكثر من تسعة ملايين من الكيلومترات المربعة وسكانها الذين زاد عددهم على المائتي مليون نسمة ـ أي حوالي ٥٪ من سكان العالم ـ وبمواردها الاقتصادية العظيمة وتقدمها التكنولوجي الملموس قد تبوأت مركزاً ذا ثقل سياسي كبير ومؤثر في المجال العالمي في ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد تضافرت مجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية المتشابكة في خلق هذه القوَّة الأمريكية العظمى، فالولايات المتحدة تشغل مساحة مندمجة تمتد عبرة قارة أمريكا الشمالية، بين المحيطين الأطلسي شرقاً والهادي (الباسفيكي) غرباً، وتتنوع في هذه المساحة الواسعة بيئات جغرافية متعاقبة تسمح في معظمها بنمو سكاني كبير في هذا المجال الأرضي، كذلك توفرت بها موارد غير محدودة من الأرض الزراعية التي تمد السكان بالغذاء وتسمح بفائض كبير للتصدير، ومن الثروة المعدنية التي كونت قاعدة صلبة ومبكرة للتقدم الصناعي بها معتمدة على موارد الطاقة الكامنة في البلاد، وعلى شبكات متطورة من طرق النقل التي

تربط الولايات بعضها ببعض سواء كانت طرقاً برية أو مائية أو جوية، وبالإضافة إلى ذلك كله توفر العنصر الديموغرافي الفعَّال والحيوي والذي يتميز بتطوره وتقدمه الحضاري وبارتفاع مستوى معيشته ومهاراته المختلفة.

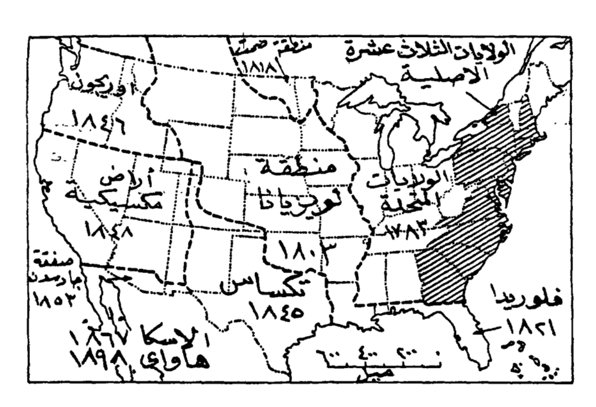
وبالإضافة إلى ذلك كله تتميز الولايات المتحدة بالاندماج في شكلها السياسي حيث أكسبها الموقع الجغرافي قدراً كبيراً من المنعة والحماية من وجهة النظر الاستراتيجية، وتكلَّفت المسطحات المائية الشاسعة ممثلة في مياه المحيطين الأطلسي والهادي بفصل الولايات المتحدة عن العالم القديم وما يزخر به من مشكلات سياسية لم تنغمس فيها إلَّا بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ الحدود السياسية بينها وبين جيرانها حدود واضحة، حيث يفصلها نهر ريو جراند عن المكسيك، وهو بذلك يفصل بين واقعين بشريين مختلفين لغوياً وثقافياً واقتصادياً وحضارياً، أما حدودها مع كندا فهي متناسقة تسهم في خلق مصالح مشتركة بينها سواء في منطقة البحيرات العظمى أو نحو الغرب مع دائرة عرض ٤٩ شمالاً حيث يتخلخل السكان بدرجة كبيرة، ولم تؤد هذه الحدود الواضحة إلى خلق أية مشكلات سياسية بين الدولتين حتى الوقت الحاضر.

ولقد مرَّ تكوين الولايات المتحدة السياسي بعدَّة مراحل متعاقبة بدأت بوفود المهاجرين الأوروبيين إليها في بداية القرن السابع عشر يحملون معهم المهارات والخبرات والمعارف المختلفة من وطنهم الأصلي في شمال غرب أوروبا، وكان الإنجليز يمثلون العنصر الغالب من المهاجرين الأوائل، وقد ظلُّوا لأكثر من مائة عام يتمركزون في مساحة ضيِّقة على ساحل الأطلسي تمتد نحو الداخل لمسافة تصل إلى نحو ١٦٠ كيلومتراً فقط، وذلك في الوقت الذي انتشر فيه الفرنسيون بشكل أوسع في شمال شرق القارة، وقد أدَّى التركز الإنجليزي إلى نتائج هامة قوت من عزائم المستوطنين الجدد، وأسهم في الاستغلال المبكر لمنطقة الساحل الشرقي الذي شهد أولى مراكز العمران الرئيسية التي أنشأها الوافدون، وقد استمر الإنجليز حتى سنة ١٧٧٤ دون أن يكون لهم أية مراكز

عمرانية للاستيطان الدائم غرب جبال الأبلاش، ثمَّ جاءت معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ فأزاحت الفرنسيين كمنافس قوي لهم في أمريكا الشمالية وأقرَّت نهر الميسيسبي كحد غربي للمستعمرات الإنجليزية، وفي سنة ١٧٧٥ انفصلت هذه المستعمرات عن انجلترا وأصبحت جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية حقيقة واقعة بإصدار دستور سنة ١٧٨٧.

وبعد هذا التكوين المبكر للولايات المتحدة بدأ التوسع نحو الغرب وراء تخوم الولايات الثلاث عشرة الأصلية التي تكوَّنت منها الجمهورية مبكراً، وكانت الأراضي الواقعة نحو الغرب خاضعة لنفوذ كل من فرنسا وإسبانيا والمكسيك، ومنها ما كانت تحتفظ به إنجلترا في أقصى الشمال الغربي، وقد بدأت الولايات المتحدة بشراء منطقة لويزيانا من فرنسا سنة ١٨٠٣ مقابل ١٥ مليون دولار مما أدَّى إلى توسع حدود الولايات المتحدة غرباً لكي تضم منطقة التصريف النهري للمسيسيبي ومضاعفة حجم الدولة الناشئة. ومنها اتَّجهت حركة السكان نحو الغرب وكذلك نحو الجنوب، وفي سنة ١٨١٩ اشترت الولايات المتحدة ولاية فلوريدا من إسبانيا، وفي سنة ١٨٤٥ ضمَّت إليها تكساس، وفي سنة ١٨٤٦ تخلَّت بريطانيا عن منطقة أوريجون وفي سنة ١٨٥٣ دفعت الولايات المتحدة عشرة ملايين دولار للمكسيك مقابل ما يسمى بصفقة جادسدن، وبهذه الصفة أتمَّت الولايات المتحدة حدودها الحالية، ثمَّ ما لبثت أن أضافت إليها ألاسكا التي اشترتها سنة ١٨٦٧ من روسيا بمبلغ ٨,٢ ملايين دولار وتحوَّلت إلى الولاية التاسعة والأربعين في سنة ١٩٥٨ (راجع شكل رقم ٤٦).

وقد اتَّجهت الولايات المتحدة بعد ذلك إلى تأمين حدودها السياسية ونفوذها البحري حيث تمكنت من السيطرة على كثير من جزر البحر الكاريبي ودوله ومضايقه بعد أن تمَّ لها حفر قناة في برزخ بنما لوصل سواحلها الشرقية بالغربية، كذلك سيطرت على مجموعة جزر هاواي وساموا وجوام والفلبين وذلك لتأمين خطوطها الدفاعية في المحيط الهادي، وقد تحولت هاواي إلى الولاية الخمسين في سنة ١٩٥٩.



شكل رقم (٤٦)
النمو الأرضي للولايات المتحدة الأمريكية

وبالإضافة إلى ما سبق من نمو أرضي للولايات المتحدة في أمريكا الشمالية وامتداد سيطرتها على جزر من البحر الكاريبي، فقد اتجهت إلى بسط نفوذها على بعض الجزر في المحيط الهادي، وقد اتخذت من معظمها قواعد بحرية لها وتعرف هذه الجزر بالمناطق أو الأراضي الخارجية. وتنقسم إلى المناطق التالية:

١ ـ كمنولث بورتوريكو ويضم جزر بورتوريكو وفرجن وجوام.
٢ ـ ساموا الأمريكية.
٣ ـ جزر المحيط الهادي تحت الوصاية.

١ ـ كمونلث بورتوريكو:

وهو يضم جزر بورتوريكو وجوام وجزر فرجن، ولهذه الجزر وضع يماثل الكمنولث حيث أن لكل منها مجلس تشريعي محلي تعرض تشريعاته على

الكونغرس، ويقوم رئيس الجمهورية الأمريكية بتعيين الحاكم والقضاة الفيدراليين بكل من جوام وجزر فرجين، أمَّا بورتوريكو فحصلت في سنة ١٩٥٢ على حكم ذاتي يتضمن انتخاب حاكمها، إلَّا أنَّ شؤونها الخارجية والدفاع من اختصاص الولايات المتحدة الأمريكية، وللسكان الحق في الهجرة إلى الولايات المتحدة حيث تستقبل آلافاً منهم كل عام يستقر معظمهم في مدينة نيويورك، وليس هناك اتجاه نحو استقلال بورتوريكو للمزايا العديدة التي تتمتع بها بارتباطها بالولايات المتحدة.

٢ ـ ساموا الأمريكية:

وهي من جزر المحيط الهادي، ذات مساحة ضئيلة (١٩٧ كيلومتراً مربعاً فقط) وسكان قليلين (٢٩٠٠٠)، ورغم أنَّها ليست ضمن الولايات الأمريكية ـ إلَّا أنَّ سكانها من الرعايا الأمريكيين، وكانت حتى سنة ١٩٥١ تديرها البحرية الأمريكية ثمَّ تحولت إلى الحكم المدني بعد ذلك.

٣ ـ جزر المحيط الهادي تحت الوصاية الأمريكية:

وهي الجزر التي كانت ضمن الممتلكات الألمانية ثمَّ عينت اليابان منتدبة عليها بمقتضى معاهدة فرساي سنة ١٩١٩، وهي تقع في المحيط الهادي شمال خط الاستواء، وفي سنة ١٩٤٦ وافقت الولايات المتحدة على إدارة تلك الجزر بعد انتزاعها من اليابان المهزومة، كمناطق تحت الوصاية من قبل الأمم المتحدة، وهي جزر كارولين ومارشال، وماريانا (باستثناء جوام)، وتمتد منطقة الوصاية هذه بين دائرتي عرض ١° إلى ٢٢° شمالاً، وبين خطي طول ١٣٠° ـ ١٧٢° شرقاً، وتعرف بوجه عام باسم مجموعة ميكرونيزيا حيث يزيد عددها على ٢٠٠٠ جزيرة المسكون منها ٩٦ جزيرة فقط، كما أنَّ جملة مساحتها لا تزيد على ١٨٠٠ كيلومتر مربع وسكانها لا يزيدون على ١١٥,٠٠٠ نسمة.

ويبين (الجدول رقم ١٤) التوزيع المساحي والسكاني للأراضي الخارجية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية.

جدول رقم (١٤) توزيع الأراضي التابعة
للولايات المتحدة الأمريكية

المنطقة	المساحة (كم٢)	عدد السكان
١ ـ كمنولث بورتوريكو:		
بورتوريكو	٨٨٩١	٣,١١٢,٥٠٠
جزر فرجين	٣٤٤	٦٢,٨٠٠
جوام	٤٥٠	١١٠,٠٠٠
٢ ـ ساموا الأمريكية	١٩٧	٢٩,٠٠٠
٣ ـ جزر المحيط الهادي تحت الوصاية	١٨١٣	١١٤,٧٧٠

المقومات الجغرافية للولايات المتحدة

أسهمت مجموعة من العوامل الجغرافية في ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كظاهرة جغرافية فريدة بسبب موقعها ومواردها الكامنة، فهي دولة لم تشهد غزواً عسكرياً لأراضيها في خلال المائة وثمانين عاماً الماضية، كما أنَّها تبوأت مركز الصدارة في الشؤون العالمية بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لإمكانياتها الاقتصادية والعسكرية الهائلة، ونقد مضى الوقت الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية منعزلة فيه عن مشكلات العالم وأخذت تسهم بطريق أو بآخر في كثير من مشكلاته المعاصرة.

الموقع والموارد الكامنة:

يعدُّ الموقع أحد المؤثرات الجغرافية الهامة في تقدم الولايات المتحدة، فالحماية التي منحها المحيط الأطلسي شرقاً والهادي غرباً، ومناخات العروض الوسطى السائدة، والاتصال الأرضي بدول نصف الكرة الغربي، كل ذلك أسهم بطرق شتى في قوّة الولايات المتحدة كما أنَّ الموقع البحري على المحيطين

أدّى إلى وجود جبهة بحرية واسعة ساعدت على سهولة ربطها بباقي أجزاء العالم الأخرى.

وقد أدّى موقع الولايات المتحدة في العروض الوسطى إلى عدم وجود مناخ قطبي بها (فيما عدا ألاسكا وبعض المناطق الجبلية)، كما يوجد بها المناخ المداري في أقصى طرف شبه جزيرة فلوريدا، وقد عملت ظروف المناخ المعتدل على جذب الأوروبيين للاستقرار بها مبكراً منذ بداية القرن السابع عشر، كما أدّى التنوع المناخي داخل الولايات المتحدة إلى تنوع إنتاجي في المحاصيل الزراعية، وتلك ميزة مناخية هامة، ومع ذلك فهناك أنواع مناخية غير ملائمة للإنتاج الزراعي والاستقرار البشري متمثلاً في النطاق الصحراوي الجاف وشبه الجاف في معظم غرب الولايات المتحدة.

وبالإضافة إلى ما سبق فإنَّ هناك ميزة أخرى ترتبط بموقع الولايات المتحدة، وتتمثل في أنَّ جارتيها كندا في الشمال والمكسيك في الجنوب، لا تمثلان في الوقت الحاضر ولا في المستقبل القريب قوّة منافسة للولايات المتحدة، وكذلك الحال بالنسبة لدول نصف الكرة الغربي، ومعنى ذلك أنَّ الولايات المتحدة ستظل في مركز الصدارة بالنسبة لنصف الكرة الغربي لمدة طويلة، وذلك بسبب حجم سكانها وتقدمهم الصناعي والزراعي وإمكانياتها الكبيرة من الموارد المعدنية ثمَّ التكوين الحضاري والسياسي لها، وقد يقال إن كندا والبرازيل تتمتعان بحجم مساحي كبير، إلاَّ أنَّ ظروف المناخ في كليهما وما تعانيان من نقص في كثير من الموارد الاقتصادية، قد حد بدوره من تقدمها الاقتصادي والحضاري بدرجة تقل عمَّا نراه في الولايات المتحدة وكذلك الحال بالنسبة للوحدات السياسية الأخرى في أمريكا اللاتينية التي تقل مساحة وسكاناً واقتصاداً عن الولايات المتحدة بدرجة لا تنبىء بقدرة أية دولة منها على منافسة الولايات المتحدة في الحاضر أو المستقبل.

وتبلغ مساحة الولايات المتحدة ٩,٤ ملايين كيلومتر مربع، وهي في ذلك

تأتي في الترتيب الرابع بين دول العالم من حيث المساحة بعد الاتحاد السوفييتي والصين وكندا، ولقد ساعدت هذه المساحة الضخمة على التوسع السكاني بدرجة كبيرة، كما ساهمت في توفر كثير من الموارد الطبيعية داخل حدودها، واستطاع سكانها عن طريق شبكات من النقل المتقدم أن يصلوا أجزاء البلاد بعضها ببعض ما أضفى صفة الاندماج عليها إذا ما قورنت بباقي الدول الكبرى في المساحة.

وللملامح السطح في الولايات المتحدة دور بارز في اقتصادها وتوزيع مناطق التركز السكاني، فمناطق المرتفعات ذات أهمية كبرى لتوليد القوى الكهرومائية وفي توفر ثروة عظيمة من الأخشاب، كما أنَّ بعض التلال والجبال غنية في مواردها المعدنية والوقود، ولا تساعد المناطق الجبلية المرتفعة على التوسع الزراعي بطبيعة الحال وذلك لانحداراتها المختلفة وما تؤثر به على التربة وتعرضها للتعرية، ثمَّ لما ينتج عن عامل الارتفاع ذاته من مؤثرات في درجة الحرارة والتساقط.

ويبدو أثر السطح جلياً في توزيع السكان جغرافياً على رقعة البلاد مما أثَّر بدوره على التوجيه السياسي داخلياً، ولكن تأثيره على الوحدة القومية كان ضئيلاً وازداد ضآلة بتقدم طرق المواصلات الحديثة، وربطها بالولايات المتحدة. كذلك فإنَّ ظاهرات السطح كان لها تأثير قليل على تركيب ووظائف الحدود السياسية الدولية، فعلى امتداد ٢٨٠ كيلومتراً فقط بين ولاية مين وكويبك تتبع الحدود منطقة مرتفعة تعدُّ امتداداً شمالياً لجبال هوايت. أمَّا في داخل الولايات المتحدة فقد اتَّخذت الجبال حدوداً بين بعض الولايات كما هي الحال بين إيداهو ومونتانا ونورث كارولينا وتنسى.

وكذلك فقد أسهمت التربة بأنواعها العديدة والغطاء النباتي في تقوية الموارد الاقتصادية للولايات المتحدة بالرغم من أنَّ هذين الموردين التربة والنبات الطبيعي قد تعرضا لسوء استغلال من قبل الإنسان مما قلَّل من قيمتها عن ذي

قبل، فقد اختفت معظم الغابات البكر في البلاد حتى أنَّ الولايات المتحدة تعتمد على كندا في الحصول على معظم حاجاتها من الأخشاب، وقد نتج عن إزالة الغابات تعرض التربة للتعرية بدرجة خطيرة حتى أنَّ الكميات الهائلة من الطمي التي يحملها نهر الميسيسيبي وفروعه في كل عام قد نتجت عن إزالة الغابات في حوض الميسيسيبي الأعلى كذلك فقد أدَّى حرث مناطق الحشائش الطبيعية في المناطق شبه الجافة إلى زيادة تأثير العواصف الترابية في هذه الأقاليم، مما أدى بدوره إلى استنزاف هذا المورد الطبيعي، وعلى ذلك فإنَّ القدرة الإنتاجية لهذين العنصرين: التربات والغطاء النباتي الطبيعي قد قلَّت إلى حد كبير خلال العقود الأربعة الماضية.

أما بالنسبة لموارد الثروة المعدنية فإنَّ الولايات المتحدة تتمتع باكتفاء ذاتي في معظم عناصرها كالفحم والنحاس والبترول وخام الحديد والمولبدنم وغيرها وذلك برغم أنَّ الاستنزاف التدريجي للموارد المحلية من البترول وخام الحديد قد أجبر الأمريكيين على استيراد كميات منها من الخارج.

وتعتمد الولايات المتحدة كلية على المصادر الأجنبية لبعض الموارد المعدنية مثل الكروم والنيكل والقصدير والمنجنيز والإسبستوس والماس الصناعي، كما تعتمد جزئياً على الأسواق الخارجية للحصول على نحو اثني عشر عنصراً آخر منها الكوبالت والرصاص والزنك والتنجستن كذلك فإنَّ الولايات المتحدة تتوفر بها مصادر للطاقة المائية لم تستغل كلها بعد، وهناك بعض المشروعات على بعض الأنهار مثل نياجرا وكلورادو وكولومبياو لا شك أن استغلالها سيزيد من كمية الطاقة الكهرومائية في المستقبل.

ويعدُّ التصريف النهري بشبكاته العديدة واحداً من المظاهر الطبيعية الهامة في الولايات المتحدة، ويعدُّ نهر الميسيسيبي وروافده (وخاصة نهر الأوهايو وتنسى والمسوري) والبحيرات العظمى من أعظم الطرق المائية الداخلية في العالم وقد ساعد على ذلك ربطها بالقنوات الاصطناعية وتعميقها والاهتمام

بطريق سانت لورنس الذي يربط البحيرات العظمى بالمحيط الأطلسي، كذلك قامت بعض الأنهار الأخرى بدور هام كمصادر الري خاصة في المناطق شبه الجافة، وقام البعض الآخر بتلبية احتياجات المناطق الصناعية من المياه اللازمة.

سكان الولايات المتحدة:

يعدُّ سكان الولايات المتحدة من عناصر قوَّتها السياسية في الوقت الحاضر، ورغم أنَّهم يمثلون خليطاً معقداً من أصول حضارية مختلفة إلَّا أنَّ ذلك لم يضعف من العامل الديموغرافي المؤثر في القدرة السياسية والتماسك القومي في الدولة.

والمتتبع للتاريخ السكاني للولايات المتحدة يلاحظ أنَّها امتداد حضاري لأوروبا الشمالية الغربية، فقد كان عدد سكانها ٢,٣١٢,٠٠٠ نسمة فقط سنة ١٧٧٠ ـ وهذا العدد هو جملة سكان المستعمرات الإنجليزية الثلاث عشرة آنذاك على ساحل المحيط الأطلسي والتي كان يفصلها عن الداخل حاجز الأبلاش.

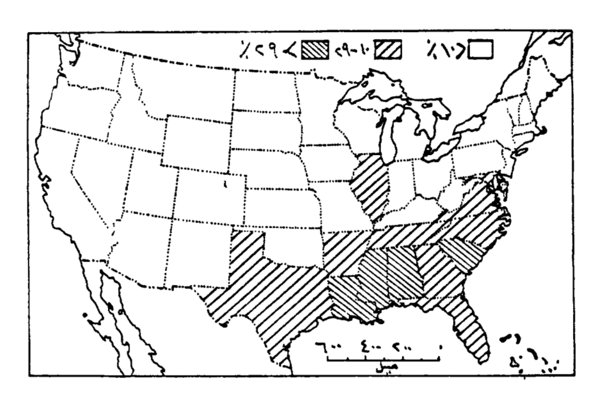
وقد أدَّت الهجرة البريطانية إلى زيادة عدد سكان هذه المستعمرات وتقوية الرغبة في الاتجاه عبر هذا الحاجز الفاصل ـ نحو الغرب. وفيما بين سنتي ١٨٢٠ و ١٨٧٠ كان أكثر من نصف عدد المهاجرين وافدين من بريطانيا، أمَّا فيما بين ١٨٧٠ ـ ١٩٠٠ فقد كان أكثر من ثلث الوافدين الجدد إلى الولايات المتحدة من الجزر البريطانية كذلك، وبعد ذلك بدأ العنصر الأنجلوساكسوني يفقد نقاءه الخالص نتيجة هجرة عناصر أخرى من جنوب وشرق أوروبا، ومع ذلك فقد ظلَّ هذا العنصر هو السائد حتى استطاعت الأمة الأمريكية استيعاب العناصر الأخرى بسهولة بفضل المقومات البشرية للعناصر الأنجلوساكسوني وسيادة اللغة الإنجليزية كلغة قومية للبلاد.

وتوضح الأرقام التالية تطور حجم سكان الولايات المتحدة:

السنة	عدد السكان بالمليون
١٨٠٠	٥,٣
١٨٥٠	٢٣,٢
١٩٠٠	٧٦,٠
١٩٥٠	١٥٠,٧
١٩٦٠	١٧٩,٣
١٩٧٠	٢٠٣,٢
١٩٨٠	٢٢٠,٦

ويتصف السكان في الولايات المتحدة بوجود تباين عرقي واضح وإن كان يبدو أكثر وضوحاً في الوجود الزنجي بها، وقد كانت الهجرة الوافدة هي السبب وراء هذا التباين المعقد، أما السكان الأصليون من الهنود الأمريكيين فلا يزيد عددهم على ٨٠٠,٠٠٠ نسمة (سنة ١٩٧٠) ويمكن القول بصفة عامة بأنَّ السكان البيض ذوي الأصول المختلفة قد تأقلموا تماماً مع ظروف البيئة الأمريكية، بينما نشأت المشكلات العرقية بسبب الحاجز اللوني الذي يعد سمة بارزة في المجتمع الأمريكي، وأحد الأسباب الأساسية للتفرقة العنصرية ضدَّ الجماعات غير البيضاء في الولايات المتحدة هو الخوف من تأثيرهم على خفض المستوى الاقتصادي والاجتماعي لكثير من الأمريكيين البيض، وتبدو هذه المشكلات بوضوح شديد في الولايات الجنوبية بسبب وجود أعداد كبيرة من الملونين والزنوج بل والمكسيكيين ومهاجري بورتوريكو.

والمتأمل في النسيج البشري للولايات المتحدة الأمريكية يلمس مدى ما تسببه الأقليات البشرية من أضعاف للتركيب البشري والتماسك السياسي ويصل عدد الزنوج إلى حوالي ٢٣ مليون نسمة أو نحو ١٠٪ من جملة السكان سنة ١٩٧٠ - (جدول رقم ١٥)، وتتباين هذه النسبة تبايناً كبيراً في الولايات المختلفة (شكل رقم ٤٧) ففي بعض الولايات الجنوبية تقترب نسبة الزنوج من نسبة البيض، ففي ولاية الميسيسيبي تصل نسبة الزنوج إلى ٤٢٪ وفي لويزيانا



شكل رقم (٤٧)
التوزيع النسبي للزنوج في الولايات المتحدة

إلى ٣٢٪ والباما إلى ٢٨,٥٪ من جملة سكان هذه الولايات، كذلك فإنَّ حوالي ٢٠٪ من سكان ألاسكا يتكونون من الهنود الأمريكيين والأسكيمو بينما تصل نسبة البيض في هاواي إلى ٢٢٪ فقط من جملة السكان والباقي يابانيون أو من الفلبين أو من الصين أو غيرهم.

وقد تزايـد عدد سكان الولايات المتحدة من حوالي ثلاثة ملايين نسمة في وقت الاستقلال إلى ١٧٩ مليون نسمة في سنة ١٩٦٠ ثمَّ وصل عددهم إلى أكثر من ٢٢٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٠ ولم ينتج هذا النمو الكبير في حجم السكان عن الزيادة الطبيعية فقط، بل أنَّ نسبة كبيرة من هذا النمو ترجع إلى الهجرة على نطاق واسع وخاصة من قارة أوروبا، فيقدر أنَّه في الفترة من ١٨٦٠ إلى ١٩٢٤ هاجر أكثر من ٣٣ مليون نسمة إلى الولايات المتحدة، ولا شك أن تدفق المهاجرين في سنوات التوسع الزراعي والنمو الصناعي قد أدَّى إلى توفر

الأيدي العاملة الرخيصة، ومنذ بداية القرن العشرين وصل التوسع الزراعي ـ إلى نهايته، كذلك أصاب النهضة الصناعية بعض مظاهر البطء الناتج عن كساد الأسواق الخارجية والمحلية.

جدول رقم (١٥) التطور العددي والنسبي لسكان الولايات المتحدة

السنة	عدد البيض	عدد الزنوج	أجناس أخرى	الجملة
١٨٠٠	٤,٣	١,٠	-	٥,٣
١٨٥٠	١٩,٦	٣,٦	-	٢٣,٢
١٩٠٠	٦١,٨	٨,٨	٠,٤	٧١,٠
١٩٥٠	١٣٤,٩	١٥,٠	٠,٧	١٥٠,٧
١٩٦٠	١٥٨,٨	١٨,٩	١,٦	١٧٩,٣
١٩٧٠	١٧٧,٧	٢٢,٦	٢,٩	٢٠٣,٢

وفي مواجهة البطالة التي سادت عقب الحرب العالمية الأولى أصدرت الحكومة الأمريكية قانون الهجرة سنة ١٩٢١ والذي حدد الهجرة الوافدة من أوروبا وبعض المناطق الأخرى بنسبة ٣٪ من جملة سكان كل دولة المقيمين في الولايات المتحدة في وقت تعداد سنة ١٩١٠ كذلك حددت الهجرة من معظم الدول الآسيوية باتفاقات منفصلة بينما لم تقيد عدد المهاجرين الوافدين من باقي أجزاء نصف الكرة الغربي، وفي سنة ١٩٢٤ قللت الولايات المتحدة من نسبة الحصة المسموح بها من ٣٪ إلى ٢٪ واستمرت على هذا النحو بعد ذلك كما عقدت بعض الاتفاقات للسماح لبعض اللاجئين بالهجرة إلى الولايات المتحدة أكثر من الحصة المقررة لدولهم كما حدث بالنسبة للمجر بعد أحداث ١٩٥٦، أو من الصين الشعبية. والواقع أنَّ تحديد الهجرة الوافدة بالنسبة السابقة أدَّى إلى تقليل حجم المهاجرين بشكل واضح حتى أصبحت ـ بالنسبة لحجم سكان الولايات المتحدة ـ ضئيلة للغاية كما يبدو من أرقام الجدول رقم (١٦) تطور دور

الهجرة في زيادة سكان الولايات المتحدة.

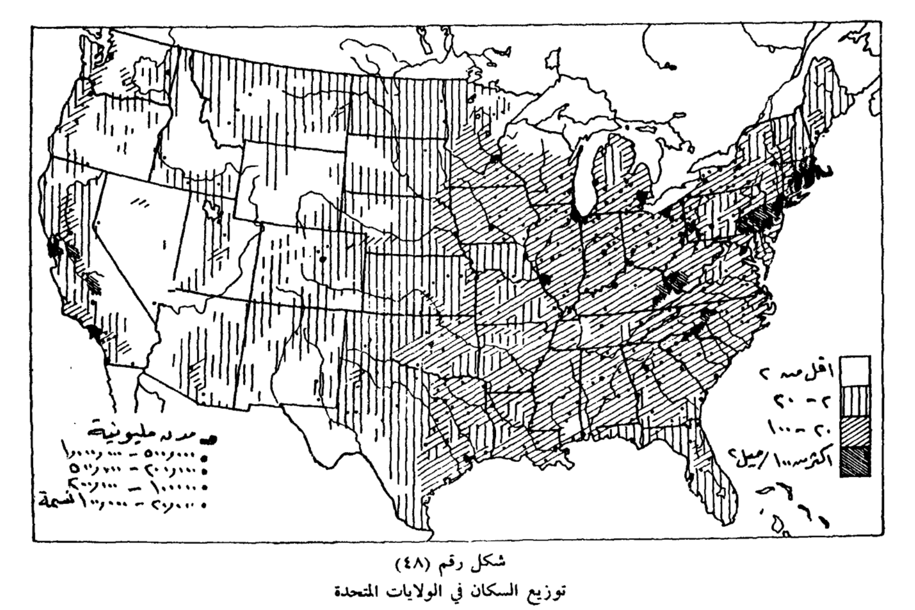
جدول رقم (١٦) دور الهجرة في نمو سكان الولايات المتحدة

حتى سنة ١٩٥٠

الفترة	نسبة النمو الطبيعي ٪	نسبة الهجرة الوافدة ٪
١٨٧٠ - ١٨٨٠	٧١,٥	٢٨,٥
١٨٨٠ - ١٨٩٠	٥٧,٥	٤٢,٩
١٩٠٠ - ١٩١٠	٥٨,٢	٤١,٨
١٩١٠ - ١٩٣٠	٧٧,٦	٢٢,٤
١٩٣٠ - ١٩٤٠	٩٠,٠	٩,٥
١٩٤٠ - ١٩٥٠	٩٤,٦	٥,٤

وتعد خصائص السكان في الولايات المتحدة - المتمثلة في ضخامة الحجم وارتفاع المستوى التعليمي والتدريب بينهم من أهم المؤثرات في القوَّة السياسية للدولة، وقد بلغ معدَّل النمو الطبيعي السنوي للسكان ٠,٧٪ سنة ١٩٨١ أو حوالي ١,٦ مليون نسمة سنوياً، وقد وصل معدَّل المواليد بها إلى ١٦ في الألف والوفيات إلى ٩ في الألف سنوياً وهي بذلك من الدول ذات المستوى المنخفض في الخصوبة والوفيات تشبه في ذلك دول شمال غرب أوروبا إلى حد كبير.

وتتميز الولايات المتحدة الأمريكية - مثل أوروبا - بالمناخ المعتدل الذي ساعد على تركز السكان وكذلك الثقافة الأوروبية في بيئة ملائمة طبيعياً دون حاجة لجهد ضخم لتغيير ظروفها، ويتركز ثلاثة أرباع سكانها فيما بين خطى حرارة ٤٥° ف (٧° مئوية) و ٦٠° ف (١٦° مئوية) حيث تتراوح كمية الأمطار من ٣٠ - ٥٠ بوصة سنوياً، وكما في أوروبا فقد تأثر توزيع السكان بعاملي المناخ والتصنيع، فبالرغم من أنَّ معظم السكان تركزوا في الماضي شرق نهر المسيسيبي، فإنَّ المركز الديموغرافي للسكان قد تحرَّك بثبات نحو الغرب حتى أنَّه في سنة ١٩٦٠ كان في جنوب غرب الينوي (شكل رقم ٤٨).



شكل رقم (٤٨)
توزيع السكان في الولايات المتحدة

وقد صاحب حركة السكان في شمال شرق الولايات المتحدة اتجاههم إلى المناطق الحضرية حتى أنّه في سنة ١٩٦٠ كان ثلاثة أرباع السكان من قاطني المدن، ويؤدي ذلك التغير في حركة السكان الجغرافية إلى التأثير في القوى السياسية بطبيعة الحال، حيث تتعرض بعض الولايات للزيادة السكانية نتيجة عوامل النمو الطبيعي والهجرة، ففي الفترة منْ ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ زاد السكان في بعض ولايات الغرب الأمريكي بنسبة ٧٠٪ وهي ولايات نيفادا وأريزونا وآلاسكا، بينما بلغت الزيادة في كاليفورينا نحو ٤٠٪ ـ كل ذلك مقابل نسبة زيادة قدرها ١٨٪ فقط على المستوى القومي في خلال تلك الفترة.

وينتج عن هذه التغيرات السكانية زيادة في عدد أعضاء الإقليم الغربي في مجلس النواب وبالتالي نقص في عضوية الولايات الشمالية الشرقية، ففي سنة ١٩٦٠ كسبت كاليفورنيا ثمانية مقاعد في مجلس الشيوخ بالإضافة إلى حصتها سنة ١٩٥٠ وكسبت فلوريدا أربعة بينما خسرت بنسلفانيا ثلاثة وماساشوستس وكاليفورنيا اثنين لكل منهما[١].

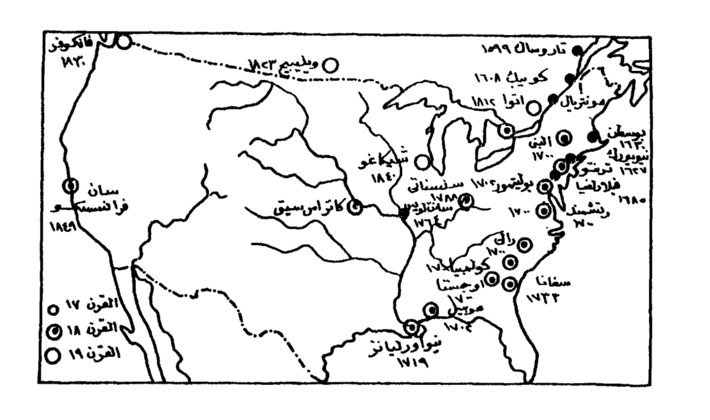
النمو السياسي والاقتصادي:

تميز الإستيطان الأوروبي الأصلي فيما يسمى بالولايات المتحدة بأنّه كان عبارة عن عدد من المجتمعات الساحلية المنعزلة على طول ساحل الأطلنطي (شكل رقم ٤٩) ففي الشمال أنشأ الفرنسيون شريطاً من المراكز العمرانية على امتداد نهر سانت لورنس، وفي الجنوب احتلّ الأسبان أجزاء من فلوريدا وسواحل الخليج. وانتشرت مناطق الإستيطان المنعزلة تدريجياً من ولاية مين وجنوباً نحو الداخل، ونحو بعضها البعض، حتى شملت في البداية ثلاث عشرة مستعمرة كونت أساس الولايات المتحدة كما سبق أن ذكرنا.

وقد استقلت الولايات المتحدة في سنة ١٧٨٣، وفي هذا الوقت كانت

---

(١) يتكون مجلس النواب الأمريكي من ٤٣٥ عضواً يتم انتخابهم كل عامين، ويتحدد عدد نواب كل ولاية بعدد سكانها وفق كل تعداد ـ أي يتغير كل عشر سنوات موعد أخذ التعداد.



شكل رقم (٤٩)
تاريخ إنشاء المدن الرئيسية في الولايات المتحدة

مساحتها أكثر قليلاً من ٢,٠٧٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، ولكن ما لبثت أن توسعت نحو الغرب وواجهت مقاومة قليلة من بعض القوى السائدة آنذاك. ولم تكن هناك وحدة سياسية في الغرب ذات قوّة كافية تعوق التوسع الأمريكي خلال السهول العظمى، وتتحدى بذلك سيادة الولايات الشرقية، فقد كان مركز القوّة في المكسيك يقع على بعد حوالي ١٦٠٠ كيلومتر إلى جنوب محور الاتجاه الغربي للولايات المتحدة، بينما في الشمال فإنّ كندا بذلت معظم الجهد في مشكلات التنمية للأقاليم الشرقية بها أكثر من اهتمامها في التدخل أمام اتجاه الولايات المتحدة نحو التوسع غرباً، وبالرغم من أنّ بعض المشكلات المرتبطة بالحدود قد ظهرت بين الولايات المتحدة وبين المكسيك وكندا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلاّ أنّها استقرّت بعد ذلك دون أن تترتب عليها نتائج خطيرة، وفي سنة ١٨٥٣ وصلت الولايات المتحدة إلى شكلها وحجمها الحالي باستثناء ألاسكا وهاواي اللتين أضيفتا فيها بعد.

وتعتبر ألاسكا من أكبر الولايات خارج حدود الولايات المتحدة حيث تبلغ مساحتها ١,٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها ٣٣٠,٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٧٣، ولقد اشترتها الولايات المتحدة من روسيا بعد الحرب الأهلية ثمّ أصبحت الولاية التاسعة والأربعين في سنة ١٩٥٩، ويتبعثر السكان على رقعة ألاسكا وتوجد بعض مناطق تركزهم القليلة متباعدة عن بعضها البعض وتشمل ثلاث مناطق رئيسية هي جنوب شرق ألاسكا بما في ذلك منطقة جينو سكاجواي والثانية إقليم سيوارد انكوراج إلى الغرب على امتداد الساحل الجنوبي والثالثة منطقة فيربانكس في منخفض يوكن إلى الشمال من انكوراج بثلاثمائة كيلومتر تقريباً.

ويعتمد اقتصاد ألاسكا على ثلاثة موارد رئيسية: الأسماك والفراء والمعادن، وتمثل الأسماك «وبخاصة السلمون» نحو ٧٠٪ من إجمالي الدخل. ويعدّ الذهب أهم المعادن المستغلة كما وأنّ الولاية تملك رصيداً كبيراً من رواسب الفحم وبها إمكانيات كبيرة لموارد بترولية على نطاق واسع وتتمتع بموارد

قوى مائية جيدة وخاصة في جنوبها.

وإذا كانت هذه الولاية تمثل منطقة مفتوحة للاستقرار البشري إلاَّ أنَّ النشاط بها ما زال قليلاً نسبياً، كما أنَّ نسبة الصالح منها للعمران والاستقرار تصل إلى ١١٪ فقط من جملة مساحتها، ولذلك فإنَّ العمران البشري المبكر بها تركز في وادي مانتانوسكا شمال أنكوراج حيث استقرَّ به عدَّة آلاف قدموا من الولايات المتحدة وزرعوا معظم أراضيه منذ عام ١٩٣٥.

وتقع ألاسكا بالقرب من الاتحاد السوفييتي، حيث لا تبعد جزيرة آتو عند الطرف الغربي لمجموعة جزر الوشيان بأكثر من ثلاثمائة كيلومتر من جزر كوماندورسكي السوفييتية وبحوالي ألف كيلومتر من شبه جزيرة كمتشكا، بينما إلى الشمال لا تبعد الأرض السوفييتية عن الأمريكية إلاَّ بمقدار ٩٠ كيلومتراً فقط هي عرض مضيق برنج.

ولقد شهدت ألاسكا تقدماً عسكرياً كبيراً في السنوات الأخيرة، حيث يقع طريق الدائرة العظمى بين الولايات المتحدة والجزر اليابانية عبر جنوب ألاسكا، وأثناء الحرب العالمية الثانية أنشىء عديد من المنشآت العسكرية في شبه الجزيرة. وقد احتلَّ اليابانيون في سنة ١٩٤٢ عدَّة جزر في غرب الوشيان ومنها هاجموا ألاسكا. ولقد أعقب الحرب العالمية الثانية تغيرات سياسية هامة أبرزها تحقيق السلام مع اليابان، في الوقت الذي بدأ فيه النزاع مع الاتحاد السوفييتي ومن ثمَّ تزايدت الأهمية العسكرية لألاسكا، وقد أنشئت بعض قواعد عسكرية أهما قاعدتان جويتان كبيرتان إحداهما بالقرب من فيربانكس والأخرى بجوار انكوراج (تسمى قاعدة Elmendorf Field) وكذلك أقيمت بعض القواعد على جزر الوشيان. كما تبدو الأهمية الكبرى لهذه القواعد في نظر الأمريكيين وذلك لعامل الموقع الإستراتيجي حيث تقع فيربانكس مثلاً على مسافة ٤٦٠٠ كيلومتر من حدود منشوريا، ٢٤٠٠ كيلومتر من سياتل و ٥١٠٠ كيلومتر من نيويورك.

أمّا جزر هاواي، فهي الولاية الخمسين من الولايات المتحدة، والتي تتصف بموقعها المحيطي، وهي ذات قيمة اقتصادية وعسكرية بدرجة كبيرة، وتبلغ مساحة هذه الجزر نحو ١٦٧٠٠ كيلومتر مربع ويعتمد اقتصادها على زراعة تجارية كثيفة (السكر والأناناس)، والسياحة، وعلى وجود القوات العسكرية فيها والتي أهمها بيرل هاربور وسكوفيلد باراك Schofield Barracks.

ولقد كان التركيب العنصري لسكان هاواي أحد أسباب المعارضة في ضمها للولايات المتحدة لتكون الولاية الخمسين، ذلك لأنَّ حوالي ٣٥٪ من جملة سكانها تقريباً يابانيون في الأصل، ١٢٪ من أصول فلبينية، وحوالي ٦٪ صينيين، إلَّا أنَّ الأغلبية بطبيعة الحال هم الأمريكيون؛ وهذه العناصر المختلفة تسهم بدور كبير في مجال الخدمات بهذه الجزر، التي أصبحت الولاية رقم ٥٠ ضمن الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس سنة ١٩٥٩.

الحدود الداخلية والخارجية للولايات المتحدة:

كانت الحدود الداخلية بين الولايات من الأمور الجغرافية السياسية المعقدة عند تخطيطها في بعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية والتي تعكس ظروف السطح وطبيعته من ناحية والاتجاهات السياسية بين بعض الولايات من ناحية أخرى عند تعيين الحدود. وتتمشى الحدود بين الولايات مع بعض الأنهار والمرتفعات الجبلية، كما تسير في خطوط مستقيمة أحياناً، وذلك في غرب نهر الميسيسيبي، ويعكس ذلك حقيقة هامة وهي أنَّه هنا، كما في أمريكا اللاتينية وإفريقيا، تتصف الحدود السياسية في معظمها بالنمط السالف والذي يعني بأنَّ الحدود قد خططت قبل مجيء السكان في مناطق تلك الحدود، ولذلك تتصف بالاستقرار والثبات بعكس الحال في دول أخرى حيث تتغير الحدود الداخلية بها تغيراً كبيراً كما هي الحال في الاتحاد السوفييتي والهند والصين.

وبالرغم من أنَّ حدود الولايات المتحدة تمس دولتين اثنتين فقط فإنَّ

امتداد هذه الحدود، باستثناء ألاسكا، يربو على ٩٤٠٠ كيلومتر في مجموعها، منها ٦٤٠٠ كيلو متر بينها وبين كندا، ٣٠٠٠ كيلومتر بينها وبين المكسيك. ويتمشى أكثر من نصف الحدود الأمريكية ـ الكندية مع مجاري مائية، تشمل نهر سانت لورنس والبحيرات العظمى وبحيرة وودز ومضايق جورجيا وجوان دي فوكا بين واشنطن وكولومبيا البريطانية. وإلى الغرب من بحيرة سوبيريور فإن الحدود تسير في اتجاه شمالي غربي حتى الطرف الشمالي الغربي لبحيرة وودز ـ ومن هنا خط الحدود يتّجه قليلاً نحو الجنوب لمسافة ٤ كيلومترات حتى يقابل خط عرض ٤٩ قاطعاً من كندا شبه جزيرة صغيرة تمتد في البحيرة من شاطئها الغربي، وتحيط بها المياه من ثلاثة جوانب وولاية مانيتوبا من الجانب الرابع، وتعتبر في الواقع جيباً سياسياً تابعاً للولايات المتحدة داخل كندا، وبعد أن يصل خط الحدود إلى خط عرض ٤٩ جنوب شبه الجزيرة المذكورة، فإنّه يتجه نحو الغرب متمشياً معه لمسافة تبلغ حوالي ٢٠٨٠ كيلومتراً حتى الباسفيكي في منطقة بلين بولاية واشنطن، حيث يصنع جيباً آخر في كندا في Point - Roberts وهي الطرف الجنوبي لشبه جزيرة كندية أخرى والتي تمتد لحوالي ثلاثة كيلومترات جنوب خط عرض ٤٩.

أمّا الحدود المكسيكية والتي تبدأ من خليج المكسيك فإنها تتبع نهر ريوجوراند لمسافة ١٩٥٠ كيلومتراً، حتى الباسو في ولاية تكساس حيث تسير بعد ذلك في شكل خطوط مستقيمة باستثناء حوالي ٣٠ كيلو في الغرب حيث يفصل نهر الكولورادو بين الدولتين.

وتعتبر الحدود بين الولايات المتحدة وجارتيها فريدة في نوعها، وذلك لأنّها ليست حدوداً معقدة بالرغم من امتدادها لمسافة تربو على ٩٥٠٠ كيلومتراً كما لا تعد حدوداً بشرية فاصلة تماماً، حيث يعبرها ملايين السكان في كل عام من الدول المجاورة سواء للعمل أو للسياحة أو للاستقرار المؤقت. كما أنّه لا توجد بالنسبة لكندا والمكسيك حصص للمهاجرين منها إلى الولايات المتحدة وذلك

بالرغم من أنَّ هناك بعض القيود على القادمين من المكسيك للعمل المؤقت في الولايات المتحدة، كذلك فإنَّ هناك لجنة دولية للحدود بين هذه الدول تضم ممثلين عن كل دولتين متجاورتين، وتعمل على النظر فيما قد يطرأ على الحدود من إجراءات إحلال أو تعديل وخاصة إذا ما نشبت منازعات في أي وقت. وبالإضافة إلى هذه الواجبات فإنَّ لجنة الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة تتناول المشاكل المتعلقة بالمياه بين البلدين، والتي كثيراً ما أدَّت إلى منازعات بينهما من ناحية وكذلك الحال بين كندا والولايات المتحدة حيث ينظم استغلال المجاري والمسطحات المائية في الملاحة وتوليد الطاقة الكهربائية.

ولقد خلق تقسيم المياه للري في نهر ريوجراند ونهر الكلورادو بعض المشكلات بين الولايات المتحدة والمكسيك، فبالرغم من أنَّ حوالي نصف مياه نهر ريوجراند تأتي من روافد مكسيكية إلَّا أنَّ الولايات المتحدة تأخذ حوالي ٨٠٪ من مياهه المتسخدمة في الري. ومن ناحية أخرى فإنَّ كل مياه نهر الكلورادو تأتي من منابع في الولايات المتحدة، وعلى هذه المياه تعتمد الزراعة في وادي إمبريال المكسيكي. ولقد نظمت المعاهدات بين الدولتين نصيب كل منهما في مياه هذين النهرين ريوجراند والكلورادو.

كذلك فإنَّ هناك مشكلتين آخريين ترتبطان بالحدود المكسيكية ـ الأمريكية تتعلَّق إحداهما بنهر ريوجراند والأخرى بالهجرة غير المشروعة من المكسيك أمَّا المشكلة الأولى، فتبدو في أنَّ نهر ريوجراند فيما بين الباسو وحتى مصبه، يفيض في بعض أجزائه في سهله الفيضي الواسع حيث يتميز بتعرجات واضحة وغالباً ما يغير مجراه، ولا تطول الحدود بهذه الانحناءات فقط، بل تؤدي إلى تحويل مساحات في المجرى الأصلي كانت تابعة لدولة لتصبح بعد تغير المجرى تابعة لدولة أخرى، لذلك فإنَّه في سنة ١٩٣٣ وضع برنامج لضبط الفيضان وجعل مجرى النهر مستقيماً على أن تسير الحدود السياسية في منتصف المجرى وفي أعمق أجزائه.

أمَّا مشلكة الهجرة غير المشروعة من المكسيك[1] فإنَّها كانت مثاراً لنزاعات متعددة بين الولايات المتحدة وجارتها المكسيك، ففي كل عام تتعاقد الولايات المتحدة، رسمياً لتشغيل عدد معيَّن من المكسيكيين في أعمال الخدمات المؤقتة كعمال زراعيين، خاصة في الولايات الجنوبية الوسطى والجنوبية الغربية منها، وبواسطة هذا العقد يمكن مراقبة المهربين وتجار المخدرات وانتشار الأمراض، وحماية العمال من استغلال المزارعين الأمريكيين بمساواة أجورهم بالعامل الأمريكي، لذلك فإنَّ كثيراً من الوافدين بطريق غير شرعي يعملون بأجور أقل كثيراً مما يعمل بها العامل المتعاقد أو الأمريكي، ولا شك أنَّ ارتفاع الأجور في الولايات المتحدة عامل هام في جذب كثير من المكسيكيين حتى أنَّ مئات الآلاف يعبرون الحدود بطرق غير مشروعة. وبالرغم من جهود سلطات الحدود فإنَّه يقدَّر أن نصف العابرين غير الشرعيين ينجحون في العبور والبقاء في الولايات المتحدة لفترات غير محدودة.

وأمَّا عن الحدود بين كندا وألاسكا فقد نشأ نزاع في سنة ١٨٩٨ بين بريطانيا والولايات المتحدة على تحديد الحدود بين كندا وألاسكا في قطاع «بانهاندل» جنوب شرق جبل سانت الياس. ذلك لأنَّ معاهدة ١٨٣٥ بين روسيا وبريطانيا قد حددت «بانهاندل» على أن تتمشى مع قمم الجبال الموازية للساحل. وبعد شراء الولايات المتحدة لألاسكا بعد ذلك تمَّ الاتفاق في سنة ١٩٠٣ وحسم النزاع وخططت الحدود الحالية.

الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة:

تعدُّ القوَّة الاقتصادية الحالية للولايات المتحدة عاملاً هاماً في الشؤون الدولية المعاصرة وتعتمد هذه القوَّة على امتلاك موارد هائلة تمثلت في الغذاء

(١) تعرف هذه المشكلة بمشكلة Mexican Wetbacks أي المكسيكيين الذين يدخلون الولايات المتحدة بصورة غير شرعية وذلك لأنَّ معظم المهاجرين غير الشرعيين من المكسيك يعبرون نهر ريوجراند سباحة حتى يصلوا الولايات المتحدة.

والبترول والصلب ووضعها كسوق كبرى وتحكمها في السوق المالية لكثير من دول العالم الأقل ثراء.

ومن جملة المساحة البالغة حوالي ثمانية ملايين كيلومتر مربع (باستثناء الاسكا وهاواي) فإنَّ الصالح للزراعة في الولايات المتحدة يبلغ ربع هذه المساحة ويزرع من جملة الأراضي الصالحة للزراعة حوالي ثلاثة أرباعها بالمحاصيل المختلفة وفي الظروف العادية فإنَّ البلاد تنتج فائضاً من معظم المحاصيل مثل القمح والذرة والحبوب الأخرى والقطن والتبغ كما أنَّها تتمتع باكتفاء ذاتي في الصوف واللحوم والفاكهة والخضر.

وعلى المستوى العالمي تسهم الولايات المتحدة بدور متعاظم وبنسب متفاوتة في مجالات الإنتاج الاقتصادي المختلفة، ويعكس ذلك مدى قوتها الاقتصادية كما تبين أرقام الجدول (١٧).

جدول رقم (١٧) نسبة إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية من الإنتاج العالمي ١٩٨٢(١)

الزراعة	المركز العالمي	٪	الثروة المعدنية	المركز العالمي	٪
القمح	الثاني	١٦	الفحم	الأول	٢٦
فول الصويا	الأول	٦٥	البترول	الثاني	١٨
الشعير	الثالث	٧	الغاز الطبيعي	الثاني	٣٣
الذرة	الأول	٤٧	الطاقة الكهربائية	الأول	٢٩
الكروم	السادس	٥	الطاقة الذرية	الأول	٣٥
القطن	الثالث	١٨	الألمنيوم	الأول	٢٤
الماشية	الثالث	٩	الحديد الخام	الثالث	٩
البطاطا (البطاطس)	الثالث	٦	النحاس	الثالث	١٤

(١) Beaujeu - Garnier, J. et al. Images Economiques Du Monde, 1983.

وبالنسبة للإنتاج الصناعي فإنَّ طاقة إنتاج الصلب في الولايات المتحدة تساوي أكثر من ثلث إجمالي العالم، ولقد نتجت هذه القوَّة الصناعية عن توفر أسواق واسعة للمنتجات الأمريكية، وتندمج الولايات الخمسين في وحدة اقتصادية لا تفصل بينها حواجز تجارية من أي نوع، ومن ثمَّ فإنَّ الإنتاج الضخم يمكن أن يتحقق بسهولة معتمداً على سوق محلية ضخمة. ولقد نتج عن مرونة الإنتاج الصناعي بها قدرة الولايات المتحدة على الوفاء بالاحتياجات العسكرية والمدنية.

استراتيجية الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية:

اتَّجهت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية إلى استراتيجية عسكرية على نطاق عالمي بقصد حماية أراضيها من ناحية وأراضي الدول التي تدور في فلكها من ناحية أخرى، ويعني ذلك أنَّها لجأت إلى سياسة دفاع مباشر وغير مباشر عن طريق الدخول في أحلاف عسكرية مع كثير من دول العالم ابتداء من كوريا الجنوبية إلى باكستان. ومن جرينلند إلى تركيا، ويتمثل ذلك فيما تقدمه من دعم عسكري مباشر لهذه الدول والاشتراك معها في أحلاف عسكرية مثل حلف الأطلنطي أو بالاتفاق على إقامة قواعد عسكرية في أراضي هذه الدول كما هي الحال في إيسلند وإسبانيا.

وبدعوى التهديد السوفييتي لغرب أوروبا فيما بعد الحرب العظمى الثانية كونت الولايات المتحدة الأمريكية حلف شمال الأطلنطي في سنة ١٩٤٩ والذي ربط الولايات المتحدة وكندا بثلاث عشرة دولة أوروبية أخرى هي بلجيكا والدنمرك وفرنسا وبريطانيا واليونان وإيسلند وإيطاليا ولكسمبرج وهولندة والنرويج والبرتغال وتركيا وألمانيا الغربية[١] وكان الهدف الأساسي من معاهدة الحلف هو أن تقدم الولايات المتحدة العون العسكري للحلفاء الأوروبيين ضدَّ

(١) كذلك كونت الحلف المركزي وحلف جنوب شرق آسيا ـ لهذا الغرض.

أي غزو محتمل من شرق أوروبا من ناحية ولحفظ السيطرة الجوية في المحيط الأطلسي الشمالي من ناحية أخرى.

ولقد استدعى ذلك إقامة عديد من القواعد العسكرية في أراضي معظم دول المحيط الأطلسي الشمالي. والتي يمكن أن تواجه أي عِدوان يقع على هذه الدول. كما يمكن أن تتولى الدفاع عن أمريكا نفسها، وأول مجموعة من القواعد توجد في أوروبا والمغرب، والمجموعة الثانية تمتد من جرينلند خلال الأطلنطي الأوسط، أمَّا المجموعة الثالثة فهي في كندا وبرمودة وفي بعض جزر الكاريبي.

وتتعرض بعض القواعد العسكرية الأمريكية لمشكلات سياسية ترتبط بسيادة الدول على أراضيها وخاصة إذا ما تغير الوضع السياسي في هذه الدول كما حدث في المغرب بعد حصوله بعد حصوله على الاستقلال في ١٩٥٦ مما أثَّر في الاتفاقية التي كانت معقودة بين فرنسا والولايات المتحدة لإنشاء بعض القواعد الأمريكية في المغرب وكذلك الحال بالنسبة للقواعد الأمريكية في ليبيا التي اضطرت الولايات المتحدة للتخلي عنها بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا، وفي إيران بعد قيام الثورة الإسلامية بها، كذلك تواجه الولايات المتحدة مناهضة في إقامة واستمرار قواعدها كما هي الحال في بنما وجوانتامو بجزيرة كوبا.

أما الحلف المركزي، فهو حلف الدفاع المشترك وقعت معاهدته في بغداد سنة ١٩٥٥ واشتركت فيه تركيا والعراق وانضمت إليهما بريطانيا وباكستان وإيران في نفس السنة، والولايات المتحدة الأمريكية في السنة التالية، ولكن العراق انسحبت من هذا الحلف (الذي كان يعرف بحلف بغداد) بعد قيام الثورة العراقية سنة ١٩٥٨، وتبع ذلك نقل مقر هذا الحلف من بغداد إلى أنقرة وتغير اسمه سنة ١٩٥٩ إلى الحلف المركزي.

أما حلف جنوب شرق آسيا فقد تكون في سنة ١٩٥٤ واشتركت فيه

الولايات المتحدة مع استراليا وفرنسا ونيوزيلند وباكستان والفلبين وتايلاند وبريطانيا، وقد وقعت معاهدته في مانيلا، وقد انسحبت باكستان من هذا الحلف سنة ١٩٧٣، وجمدت فرنسا نشاطها في أجهزة الحلف وإن لم تعلن انسحابها منه.

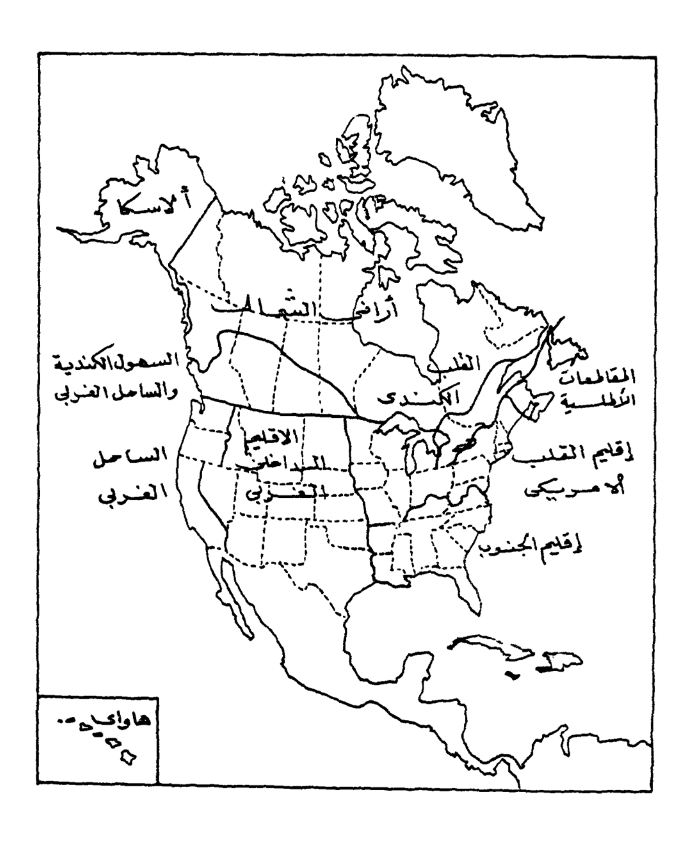
الفصل الحادي عشر

الأقاليم الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية

يمكن تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية إلى ستة أقاليم رئيسية، وأبرزها إقليم شمال شرق الولايات المتحدة الذي يتفق مع النطاق الصناعي العظيم، وهو أقدم هارتلاند صناعي في أمريكا الشمالية، وما زال هذا الإقليم هو القلب الاقتصادي الأمريكي رغم النمو الكبير الذي شهده الإقليم الجنوبي وإقليم الساحل الغربي. وقد ساعد فائض الطاقة الضخم على توفير قاعدة صناعية هامة في الجنوب، وفيما يلي نتحدَّث عن الأقاليم الجغرافية الرئيسية في الولايات المتحدة وهو إقليم القلب الأمريكي وإقليم الجنوب وإقليم الغرب الداخلي وإقليم الساحل الغربي ثمَّ ألاسكا وأخيراً جزر هاواي (شكل رقم ٥٠).

أولاً: إقليم القلب الأمريكي:

وهو يمثل النواة الأصلية القديمة للولايات المتحدة الأمريكية، ويقع في الشمال الشرقي ممتداً من خليج شيسابيك Chesapeake على الساحل وغرباً حتى كانساس سيتي وشمالاً حتى الحدود الكندية، وهو يعد القلب الاقتصادي للولايات المتحدة ونطاق التركز السكاني بها. ويشمل هذا الإقليم أربعة مناطق



شكل رقم (٥٠)
الأقاليم الجغرافية لأمريكا الشمالية

جغرافية مميزة هي نيوانجلند والمجمعة الحضرية الكبرى في الشمال الشرقي (الميجالوبوليس) وشمال الأبلاش ومنطقة قلب الغرب الأوسط، وتتفاعل هذه الأقاليم الأربعة مع بعضها البعض اقتصادياً حتى تبدو في النهاية إقليماً متكاملاً واحداً. وقد ساهم توفر الموارد الطبيعية في هذا الإقليم في تطوره الاقتصادي مساهمة فعَّالة، ورغم أنَّ إقليم نيو انجلند ـ وهو من أقدم مناطق الاستيطان الأوروبي المبكر ـ لا تتوفر به إلاَّ موارد محدودة، فقد لعب دوراً كبيراً في تصنيع الولايات المتحدة، حيث نشأت فيه صناعات مبكرة اعتماداً على الموارد المتاحة به، فقد استغلَّ المستوطنون غاباته في صناعة السفن، كما استغلت في صناعة الورق ولب الورق، بالإضافة إلى ذلك فقد اعتمدت الصناعات المبكرة على الأخشاب كوقود حيث لا تتوفر بالإقليم موارد وقود ـ كالفحم أو البترول أو الغاز الطبيعي كذلك لا تتوفر به موارد ثروة معدنية فلزية، واعتمد الإقليم في ذلك على استيرادها من خارجه.

ولا شكَّ أنَّ موقع منطقة نيوانجلند ومقدمات الأبلاش الشرقية بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي قد لعب دوراً كبيراً في عملية السبق الجغرافي الذي تمتَّعت به مبكراً وساعد على ذلك قربها من موارد الفحم في شمال الأبلاش فقد اعتمدت الصناعة المبكرة في هذا الإقليم على فحم بنسلفانيا، وغرب فرجينيا وأوهايو والينوي. كذلك فقد شهد الإقليم حفر أوَّل بئر بترولية في الولايات المتحدة في غرب بنسلفانيا (سنة ١٨٥٩) واستمر إنتاجها مع المناطق المجاورة متعاظماً وإن كان يمثل حالياً نسبة قليلة في استهلاك الوقود. ورغم أنَّ الصناعة اعتمدت مبكراً على الحديد الخام في منطقة Adirondacks في ولاية نيويورك، وشرق بنسلفانيا فإنَّها تعتمد في الوقت الحاضر على الحديد الخام الوارد من أعالي البحيرات العظمى.

ويحظى هذا الإقليم بدور كبير في توزيع السكان بالولايات المتحدة، فتتركز به أولى المجمعات الحضرية (نيويورك) وثالث هذه المجمعات (شيكاغو) ثمَّ مدن كبرى وأخرى أهمها فيلادلفيا وبوسطن وبلتيمور ودترويت وبتسبرج

وميلووكي وسانت لويس وكانساس سيتي ومينا بوليس وسان بول وكليفلند وكولومبس وسنسناتي وبفلو، وهو بذلك يحوي أكبر عدد من المدن يفوق أي إقليم آخر في القارة، مما يعكس مدى قوّته الصناعية التي تتركز في هذه المدن وغيرها.

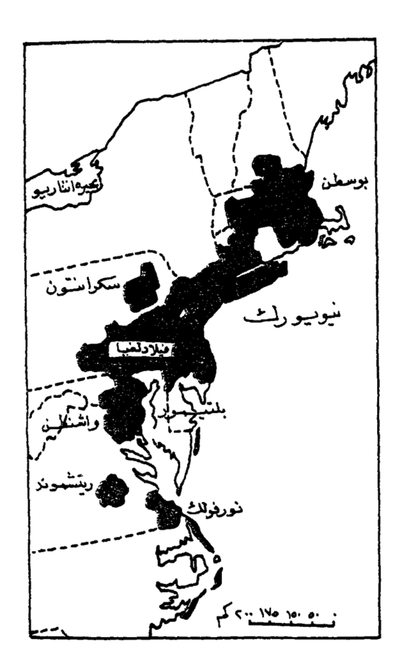
وقد شهد هذا الإقليم نمواً حضرياً ضخماً تمثل في ظهور مدن عملاقة أو ما أطلق عليه بعض الجغرافيين (الميجالوبوليس Megalopolis)[1] وهي تعني ببساطة امتداد مدينة كبرى في اتجاهات معينة لتتصل بالمدن الأخرى المحيطة بها في إقليمها الجغرافي لتبدو جميعاً على هيئة مجمعة حضرية عملاقة، وتعد مجمعة شمال شرق الولايات المتحدة أوضح الأمثلة على ذلك حيث تمتد من مدينة بوسطن شمالاً حتى مدينة رتشموند جنوباً وعلى امتداد يصل إلى حوالي ٥٠٠ كيلومتراً (شكل رقم ٥١) وساعد على هذا الاتصال الحضري شرايين النقل التي تربط هذه المدن على امتداد الساحل الشرقي. ويبلغ عدد سكان هذه المجمعة العملاقة قرابة ٤٣ مليون نسمة. وتتكرر نفس الظاهرة في وادي نهر سانت لورنس ومنطقة البحيرات ـ مجمعة شيكاغو وفي أقصى الساحل الغربي (مجمعة سان فرنسيسكو). (شكل رقم ٥٢).

وتتنوع الزراعة في هذا الإقليم تنوعاً كبيراً، وساعد على ذلك تنوع في ظروف البيئة الطبيعية التي لا تساعد عموماً على زراعة الحبوب كالسهول الوسطى، بل اتّجه الإقليم إلى الزراعة لإنتاج الألبان، وتتخصص في زراعة محاصيل الأعلاف الخضراء وبعض المحاصيل الأخرى كالخضر والفاكهة. وقد اعتمد على وجود مناطق الاستهلاك ممثلة في الميجالوبوليس الكبرى حيث يتم تسويق منتجات الألبان بسهولة.

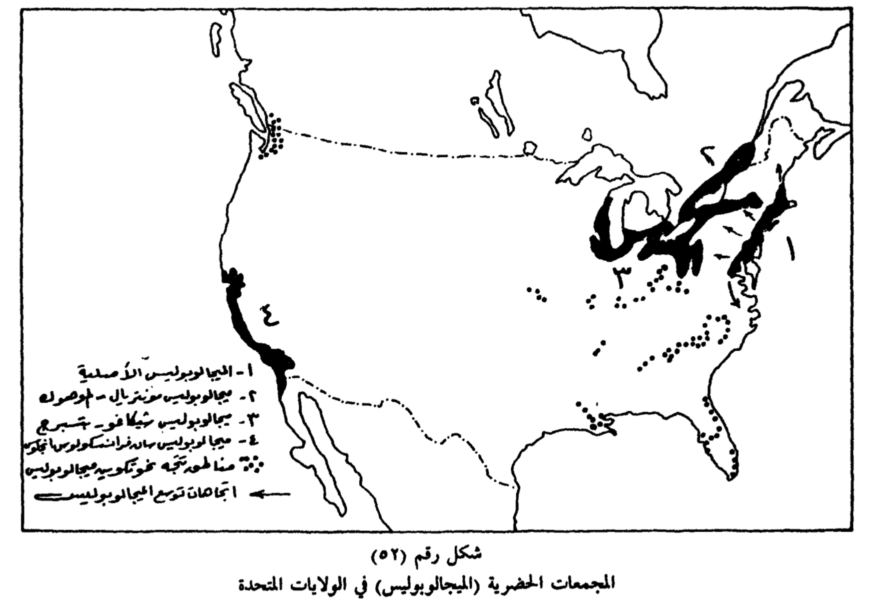
---

(١) أطلق جان جوتمان J. Gottmann هذا المصطلح في كتابه الذي يحمل هذا الإسم سنة ١٩٦١ (راجع:

Jean Gottmann, Megalopolis The Urbanized Northeasten Seaboard Of The United States, N.Y.1961



شكل رقم (٥١)
مجمعة نيويورك الحضرية (الميجالوبوليس الأصلية)



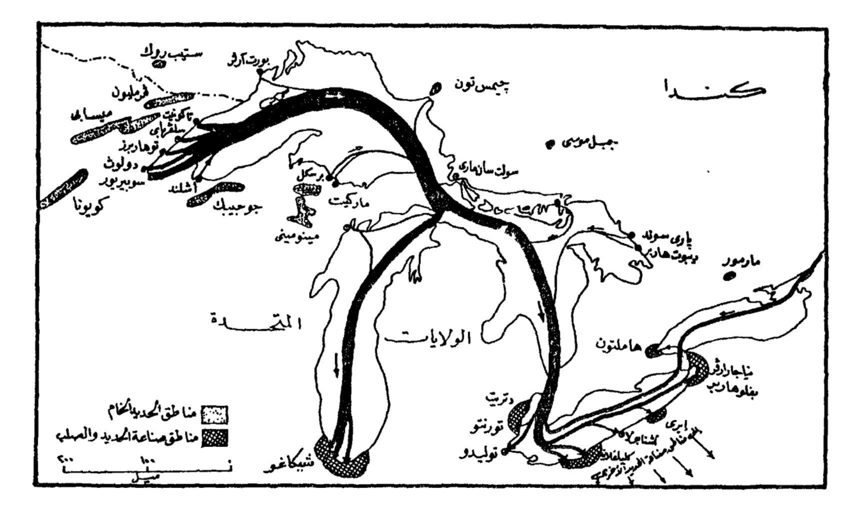
شكل رقم (٥٢)

المجمعات الحضرية (الميجالوبوليس) في الولايات المتحدة

ويعدُّ إقليم الغرب الأوسط Midwest أوّل الأقاليم الزراعية في نطاق القلب الاقتصادي الأمريكي حيث تتميز التربة به بخصوبة عالية وتتوفر مقومات الزراعة الحديثة، ويتخصص في زراعة الذرة والقمح وفول الصويا كما تربى الماشية والخنازير، وذلك كله لاستهلاك المدن المجاورة أو المدن الأخرى، ومن هذا الإقليم في الواقع يخرج القمح الأمريكي والذرة واللحوم إلى أسواق العالم الأخرى. ورغم أنَّ هناك مناطق زراعية هامة أخرى في الولايات المتحدة إلاَّ أنَّ هذا النطاق في إقليم القلب الأمريكي هو أكبر منطقة إنتاجية في العالم تعتمد على الآلات الزراعية والمخصبات الكيماوية والأساليب العلمية في الري ومقاومة الآفات.

المراكز الصناعية بإقليم القلب الأمريكي:

يتمشى إقليم القلب الأمريكي مع النطاق الصناعي الأمريكي العظيم، ورغم أنَّ هناك مناطق صناعية أخرى في الولايات المتحدة، فإنَّ أهمها على الإطلاق هو هذا النطاق الذي يعرف بالنطاق الصناعي في أمريكا الشمالية North American Manufacturing Belt (N. A. M. B) (ويضم أجزاء من مقاطعتي أنتاريو وكويبك في كندا) وللوقوف على قيمة هذا النطاق يكفي أن نذكر أنَّه ينتج ٦٠٪ من الصناعات الأمريكية، وبه نصف المراكز الصناعية الكبرى العشرين، وتسود الصناعة فيه في المدن الكبرى والصغرى على السواء، وتعد دترويت وشيكاغو أمثلة على هذه المراكز الصناعية الكبرى. (شكل رقم ٥٣). وتتعد الصناعات في هذا النطاق تعدداً لا حصر له ولكنها تعتمد على الأساليب العلمية المتقدمة وعلى مستوى عالٍ من المهارات لدى العاملين بها، والواقع أنَّ المقومات المختلفة للصناعة تتوفر في هذا الإقليم الذي يصعب القول بتخصصه في صناعة معينة، وإن كانت الصناعات الاستهلاكية به تحظى بأهمية كبيرة. وقد شهد تطوراً كبيراً في مجال الصناعات الألكترونية والآلات الحديثة والتي تتركز في مناطقه العديدة خاصة في نيويورك وشمال شرق نيوجرسي وفي وادي ديلاوير. وتتميز منطقة وادي ديلاوير بتوفر قاعدة هامة للصناعات العديدة التي لا حصر



شكل رقم (٥٣)

مناطق الحديد الخام ومراكز صناعة الحديد والصلب بإقليم البحيرات العظمى بأمريكا الشمالية

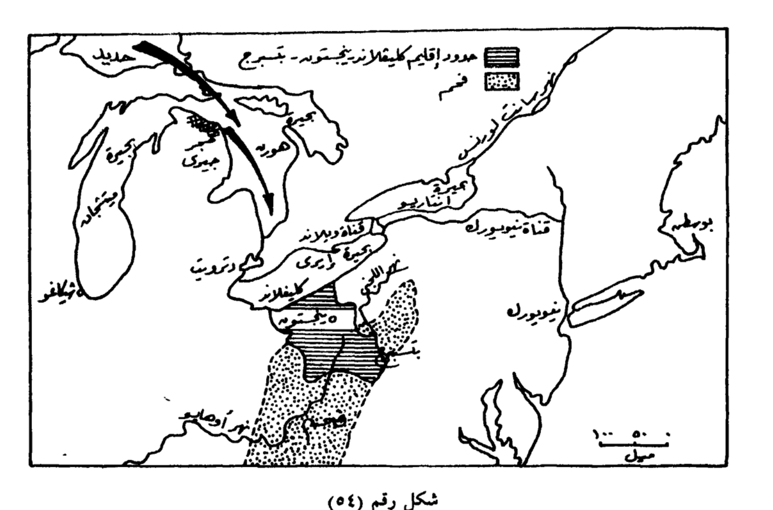
لها ابتداء من صناعة مكونات الصواريخ والمفرقعات إلى صناعة الأدوية والسيارات ومعامل تكرير البترول والحديد والصلب ومصانع الأغذية المحفوظة والسفن والآلات والورق والمنسوجات الصناعية وغيرها.

ومن المراكز الصناعية الكبرى الأخرى بلتيمور وواشنطن (صناعة الصلب والسفن والآلات) ومنطقة وادي الموهوك والهدسن وبحيرة أنتاريو (المنسوجات والآلات والأجهزة الكهربائية والصناعات الكيماوية) وقد ساعد توفر الطاقة بهذه المنطقة على قيام صناعات تستهلك كمية كبيرة من الطاقة وهي تكرير الألمنيوم.

أما منطقة البحيرات العظمى فتعدُّ هي الأخرى من المناطق الرئسية للإنتاج الصناعي في النطاق الصناعي الأمريكي. وقد اعتمدت على توفر المواد الخام وطرق النقل وارتفاع المستوى التقني، وأبرز مراكزها الصناعية: بتسبرج كليفلاند (الآلات والسيارات) ومنطقة نياجرا (طحن الغلات وصناعة الحديد والصلب والكيماويات وتكرير السبائك المعدنية وصناعة الأسمدة) وشرق البحيرات ودترويت (السيارات ولوازمها) ومنطقة غرب البحيرات وتتركز حول مجمعة شيكاغو- جاري - ميلووكي. (شكل رقم ٥٤). وقد استفادت من موقعها استفادة قصوى حيث تقع في منطقة التقاء الغرب الأمريكي مع الشرق الأمريكي وقامت الصناعة بها في البداية على المنتجات الزراعية والنقل عبر البحيرات العظمى، وقد اتصلت بطريق مائي بأنهار الميسيسبي - المسوري - أوهايو- تنسي - أركانساس، وتعد شيكاغو في الواقع أكبر عقدة لطرق النقل الأمريكية (شكل رقم ٥٥)، وتتركز بها صناعات عديدة أهمها الحديد والصلب والأجهزة والآلات الزراعية وآلات النقل والأثاث والمنسوجات وغيرها.

ثانياً: إقليم الجنوب الأمريكي:

يعدُّ الإقليم الجنوبي الشرقي من الأقاليم المميزة في الولايات المتحدة، فله شخصية جغرافية مميزة استمدها من ظروفه المناخية وموارده الاقتصادية. وتركيبه السكاني، فقد قامت الصناعة فيه مبكراً - خاصة صناعات الغزل والنسيج



شكل رقم (٥٤)

منطقة وسط الإقليم الصناعي في شرق الولايات المتحدة

(منطقة كليفلاند - ينجستون - بتسبرج)

اعتماداً على المناخ المعتدل والأيدي العاملة الرخيصة (حيث تزداد نسبة الزنوج بالاتجاه جنوباً) وتوفر العديد من الموارد مثل الحديد الخام والفوسفات والبترول والغاز الطبيعي، والفحم، كما ساعد توفر الغابات النفضية والمختلطة على قيام صناعة الورق ولب الخشب كما أسهمت مناجم الفوسفات في فلوريدا على توفر مادة خام لصناعات الأسمدة والكيماويات الأخرى.

ويغلب على سكان الجنوب السمات الريفية وسكنى المدن الصغيرة ويعكس سيادة الزراعة في الإقليم وبطء التطور الصناعي إذا قورن بإقليم القلب الأمريكي، ولذلك تتجه تيارات الهجرة الخارجة من الجنوب نحو المجمعات المدنية الكبرى في الساحل الشرقي وإن كانت مشكلات الحياة في المدن الكبرى قد حدت من هذه التيارات في السنوات الأخيرة سواء هجرة الزنوج أو البيض.

وقد نمت المدن في الجنوب بمعدلات تقل عن مثيلتها في إقليم القلب الأمريكي، واستفادت المدن الهامشية في ساحله الجنوبي أو في منطقة الانتقال بينه وبين إقليم القلب الأمريكي من موقعها كهمزة ربط بين الإقليمين أو كموان رئيسية على ساحل الخليج، وأبرز أمثلتها مدينة نيوا ورليانز ـ وهي الميناء الرئيسي والمركز الصناعي الهام في هذا الإقليم.

ويمتد إقليم الجنوب الأمريكي ليشمل ما يعرف بنطاق القطن في وادي نهر الميسيسبي وجنوب الينوي وكذلك مرتفعات الأبلاش الجنوبية ثمَّ سواحل الخليج شبه المدارية وفلوريدا، وقد كانت زراعة القطن في هذا الإقليم أحد الأسباب الرئيسية لجلب الزنوج من إفريقيا للعمل في هذا الإقليم.

وقد استفادت الصناعة في المنطقة المرتفعة في شرق الجنوب الأمريكي من توفر موارد الفحم في ولايات كنتكي وألباما وتنسي. وقد أدَّى استخراج الفحم هنا إلى تدمير التربة في كثير من المناطق لدرجة تدخلت الحكومة بتشريعات لحماية الأراضي (في تعدين الفحم بطريقة التعدين السطحي).

شكل رقم (٥٥)
الطرق السريعة الرئيسية في الولايات المتحدة (طرق السيارات)

وقد شهد الجنوب الجبلي The Upland South مشروعات تنمية اقتصادية هامة تعدُّ نموذجاً على استغلال الأنهار، ويبدو ذلك في مشروعات هيئة وادي نهر تنسي Tennessee Valley Authority (T. V. A.) وهو مشروع بدأ سنة ١٩٣٣ لضبط مياه نهر تنسي والمحافظة على التربة بواديه، واستغلاله في توليد الطاقة الكهرومائية وضبط الفيضان واستغلاله في الملاحة النهرية. وقد تمَّ ذلك كله من خلال إنشاء نحو أربعين سداً على امتداد النهر أنشأتها هذه الهيئة. وقد جذبت الكهرباء المولدة صناعات عديدة لعلَّ أبرزها مثلاً مركز الطاقة النووية في أوك ردج Oak Ridge، وكذلك صناعة الأسمدة الكيماوية، وكذلك تحول هذا المشروع إلى إقليم سياحي متقدم للغاية.

أما إقليم الجنوب الأدنى Lower South فقد شهد تنوعاً زراعياً كبيراً خاصة في زراعة المحاصيل الشجرية والخضروات وفول الصويا، وكذلك تربية الحيوان كذلك توسع في صناعات الأخشاب ولب الورق وانعكس ذلك على نمو المدن كما يبدو في كارولينا التي تشهد تحولاً نحو المجمعات الحضرية العملاقة مستفيدة في ذلك من طرق النقل المتقدمة.

أمَّا ساحل الخليج وفلوريدا فتحظى بأهمية كبرى كهمزة وصل بين أمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبي من ناحية وبقية الأقاليم الشرقية في الولايات المتحدة من ناحية أخرى، فقد أدَّى تدفق المواد الخام من الكاريبي مثل الثروة المعدنية (البترول والبوكسيت) والمنتجات الزراعية (الموز والسكر إلى نمو المواني الساحلية بدرجة كبيرة، وأهم هذه المواني هوستون ـ جالفستون ونيـواورليانز وميامي وموبيل، بل أنَّ هذا الإقليم بموانيه يلعب دوراً كبيراً في تجارة الولايات المتحدة مع شمال إفريقيا وجنوب غرب آسيا وإفريقيا المدارية، بل إنَّ ميناء ميامي يعدُّ نقطة اتصال حضاري هامة بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية.

ثالثاً: إقليم الغرب الداخلي:

ويشمل هذا الإقليم مرتفعات الروكي وأحواضها الجبلية ومعظم السهول العظمى المجاورة. ويعدُّ أقل أقاليم الولايات المتحدة في عدد السكان والعمران

إذا قورن بإقليم القلب الأمريكي وإقليم الجنوب وإقليم الساحل الغربي. وقد تزايدت أهميته للاقتصاد الأمريكي بدرجة ملحوظة بعد استغلال موارده الاقتصادية والتي أهمها الفحم في مناطق السهول والبترول والغاز الطبيعي في أحواض الروكي، وبالإضافة إلى ذلك ينتج هذا الإقليم فائضاً ضخماً من الإنتاج الزراعي خاصة القمح، للتصدير حتى يمكن إحداث تعادل مع واردات الولايات المتحدة من بترول (الأوبك) ومن صناعات اليابان، ولا جدال إن إنتاج أقليم الغرب الأوسط يلعب دوراً كبيراً في حياة الولايات المتحدة بل ودول العالم المستوردة للغذاء منها.

وقد كان الذهب سيد الموارد الاقتصادية في بدء تعمير هذا الإقليم الغربي خاصة في الروكي والكلورادو وشهد ما يعرف بحركة الاندفاع غرباً بحثاً عن الذهب Gold Rush. وقد ظلّت ولاية سوث داكوتا على سبيل المثال تنتج الذهب من منجمها الشهير هومستيك Homestake Mine، على امتداد قرن كامل حتى طغت موارد الوقود بعد ذلك عليه وأصبح إنتاجها أكثر أهمية. وقد تزايد إنتاج البترول والغاز الطبيعي زيادة كبيرة بهذا الإقليم خاصة في ولاية يومنج Wyoming وبعض الولايات الأخرى مثل كانساس وتكساس. كذلك فقد اكتشفت كميات ضخمة من الفحم في شمال السهول الوسطى وبدأ استغلالها منذ أوائل السبعينات، ورغم انخفاض قيمة هذا الفحم فإنّه يحظى بأهمية كبرى في احتياطي الطاقة الأمريكية ويبدو ذلك إذا أدركنا أنّ ٧٠٪ من احتياطي الأمريكي يقع غرب نهر الميسيسبي، ولا جدال أنّ هذه الأهمية تعاظمت بعد أزمة البترول العالمية منذ سنة **١٩٧٣** وارتفاع أسعاره حيث بدأ الاعتماد على موارد طاقة بديلة ومنها الفحم، واستخدامه في توليد الطاقة الكهربائية.

ويتوفر في هذا الإقليم احتياطيات ضخمة من البترول الطفلي Shale Oil خاصة في ولايات كلورادو ويومنج ويوتاه يمكن أن تحرر الولايات المتحدة من الاعتماد على استيراد البترول، إلاّ أنّ ارتفاع تكلفة إنتاج البترول هنا وتأثيره

على البيئة يعوق من استغلاله في الوقت الحاضر، وذلك لأنَّ البترول الذي يمكن استغلاله هنا يوجد في طبقات طفلية Oil Shales[(1)] وتحتاج إلى عمليات معقَّدة لاستخراج البترول منها، فهي تعتمد على استهلاك كميات ضخمة من المياه في مناطق تعاني من قلَّة المياه بسبب ظروفها المناخية (على سبيل المثال فإنَّ هذا الطفل البترولي الذي يوجد في طبقات سمكها عشرة أقدام ـ يمكن أن يستخرج من الطن الواحد من هذا الطفل ٢٥ جالوناً أمريكياً من البترول باستخدام التقنية الحالية)، وقد قدِّر أنَّ الطفل البترولي هنا يمكن أن يعطي نحو ٦٠٠ مليون برميلاً من البترول من الطبقات السميكة المتاحة، ويتزايد الاحتياطي باستغلال الطبقات الأدنى.

وتعزف كثير من شركات البترول على استغلال هذه المناطق الحاملة للطفل البترولي وذلك للتكاليف الضخمة التي تتحملها في سبيل ذلك إذا قورنت باستيراد البترول الرخيص نسبياً من الخارج، ورغم أنَّ استغلال الطفل البترولي في بعض المناطق قد بدأ هنا منذ العشرينات إلَّا أنَّ ذلك لم يصمد أمام استغلال البترول من حقول تكساس الشهيرة التي اكتشفت سنة ١٩٣٠.

كذلك فإنَّ تأخر استغلال البترول الحجري على نطاق تجاري واسع رغم اكتشافه ومعرفة تكوينه يرجع إلى كثرة الفضلات الناتجة عن استخلاصه والتي تتمثل في الرواسب الصخرية والأتربة، فقد وجد أن مصنعاً طاقته اليومية ٥٠

---

(١) البترول الطفلي (أو الحجري) أحد مصادر استخراج البترول ـ عبارة عن مادة تعرف باسم الكيروجين Kerogen ـ وهي مادة هلامية تمثل البترول غير تام التكوين ـ ويبدأ تكون البترول منها بتحويل الكيروجين إلى إسفلت (أردأ أنواع البترول) ثمَّ يتحول بدوره إلى الزيت الثقيل ثمُّ الزيت الخفيف البرافيني (الشمعي) ويتخلل الكيروجين التكوينات الرسوبية المختلفة التي يمكن عن طريق تسخينها إلى درجة حرارة مرتفعة تصل أحياناً إلى ٩٠٠° فهرنهيت استخلاص نوع من البترول الثقيل يعرف بالبترول الطفلي أو الحجري. ويشبه في خصائصه إلى حد كبير البترول الثقيل المستخرج من باطن الأرض. وقد أثبتت التجارب العلمية إن كمية البترول التي يمكن استخلاصها من الطن المتري الواحد من هذه التكوينات الهلامية (الكيروجين) تتراوح بين ١٠ ـ ١٠٠ جالون أمريكي. (راجع: محمد خميس الزوكه: جغرافية المعادن والصناعة، دار الجامعات المصرية ـ الإسكندرية ١٩٨١، ص ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

ألف برميل من البترول الطفلي يحتاج إلى ٣٠ مليون طن متري تقريباً من التكوينات الرسوبية سنوياً ويمكننا تصور ضخامة المخلفات التي تتراكم حول هذا المصنع، كل ذلك بالإضافة إلى ضخامة كمية المياه التي تحتاج إليها عمليات غسل وتجهيز التكوينات تمهيداً لاستخلاص البترول منها (ثبت أنَّ مصنعاً طاقته اليومية ١٠٠ ألف برميل يحتاج إلى كمية من المياه تقدَّر بنحو ٧٢٠ مليون قدم مكعب كل عام على الأقل). ولا شك أنَّ تقدم الأساليب العلمية سيسهم في التغلب على هذه المشكلات في المستقبل مما يضاعف من أهمية نطاق الغرب الأمريكي في إنتاج البترول، وقد ثبت أنَّه في ضوء الأساليب الحالية يمكن استخراج نحو ٦٠٠ بليون (مليار) برميل من البترول لولا العوامل السابقة التي تؤدي إلى تدمير ضخم للبيئة Environmental Degradation .

وقد سبق القول بأنَّ البيئة الطبيعية للسهول الداخلية في الغرب الأمريكي تتميز باستواء السطح والتربة العميقة الخصبة وتوفر موارد المياه والحشائش الطبيعية جعل هذه السهول واحدة من أكبر مراعي العالم (أو ما عرفت باسم مملكة الماشية Cattle Kingdom) وساعد على ذلك مد طرق النقل خاصة السكك الحديدية مبكراً، والواقع أن رعاة البقر استمدوا شهرة كبيرة في هذا الإقليم حدَّدت معالم الشخصية الأمريكية منذ وقت طويل.

ويزرع القمح على نطاق واسع في هذه السهول العظمى في الغرب الأمريكي، وكذلك بعض المحاصيل الأخرى مثل البنجر والخضر، والقطن في تكساس، وذلك في بعض أودية الأنهار معتمداً على الري، وهنا يعتمد القمح في معظم زراعته على الأمطار، ونسبة قليلة فقط هي التي تعتمد على الري.

وبالإضافة إلى كل ذلك يحظى إقليم الغرب الأمريكي بأهمية كبرى في السياحة الداخلية الأمريكية خاصة في مقدمات جبال الروكي حيث قامت كثير من المراكز العمرانية كمصايف وأماكن سياحية أبرزها مثلاً لاس فيجاس (مدينة القمار العالمية) في نيفادا.

رابعاً: إقليم الساحل الغربي:

يُعَد إقليم الساحل الغربي الذي يشمل ولاية كاليفورنيا وأوريجون وواشنطن إقليماً ذا شخصية مميزة، نابعة من موقعه الساحلي وظروفه المناخية بل ونسيجه البشري، فيتميز المناخ في ولايتي واشنطن وأوريجون بميله للبرودة بالاتجاه شمالاً ووفرة الأمطار (مناخ غرب القارات الممطر طول العام) وفي ولاية كاليفورنيا يسود مناخ البحر المتوسط بخصائصه المعروفة.

وتتميز الزراعة في ولايتي واشنطن وأوريجون بأنها مقسَّمة تقريباً بين زراعة القمح والأعلاف في المناطق الجافة في الشرق، بينما في المناطق الساحلية الغزيرة الأمطار (أكثر من ٤٠ بوصة سنوياً) بالزراعة لإنتاج الألبان والفاكهة والخضر لسد احتياجات الاستهلاك المحلي والتصدير إلى الولايات الكندية المجاورة، وتسود في هاتين الولايتين أيضاً صناعات مختلفة قائمة على قطع الأشجار وإنتاج الألمنيوم.

وهذا النطاق الغربي ذو توجيه نحو المحيط الهادي حيث يسهم في التجارة مع اليابان والصين ودول شرق آسيا، وقد أصبحت كاليفورنيا مركزاً للابتكارات والثقافة وكعبة للمهاجرين من خارجها، وبدأت كل من واشنطن وأوريجون تشتركان في هذه الظاهرة حيث استوعبت عدداً كبيراً من السكان والصناعات والوظائف المختلفة (شكل رقم ٥٦).

ولاية كاليفورنيا: نموذج ومثال:

تعدُّ ولاية كاليفورنيا من الولايات الأمريكية ذات الشخصيات الفريدة في بيئتها الطبيعية والحضارية، وتلعب دوراً كبيراً في الحياة الأمريكية والعالمية من خلال أنشطتها الثقافية المتعددة (ربما كانت السينما في مقدمتها)، وقد جذبت إليها آلاف المهاجرين من داخل الولايات المتحدة وخارجها وانعكس ذلك على تضخم المدن بها خاصة مجمعة لوس انجلوس ـ سان دييجو، في جنوب الولاية وسان فرنسسكو في الشمال، فتتجمع كل من مدينة ساكرامنتو (عاصمة الولاية) وأكبر المدن بها (سان فرنسسكو) وجامعة الولاية (بيركلي) في منطقة

ڤانكوڤر
سبوكين
الشمال الغربي
اناكوندا
سان فرنسسكو
سالت ليك سيتي
دنڤر
مينابوليس
اوماها
كانساس سيتي
سانت لويس
واشنطن
لوس انجلوس
ڤينكس
تكسون
أوكلاهوما
دالاس
سان انتونيو
البيدمونت
ساحل الخليج

النطاق الصناعي العظيم
مناطق المرتبة الثانية
مناطق المرتبة الثالثة
نويات صناعية

شكل رقم (٥٦)
المناطق الصناعية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية

خليج سان فرنسسكو في وسط كاليفورنيا التي ازدهرت بشكل مثير عقب حركة الاندفاع بحثاً عن الذهب. كذلك فقد بدأ ازدهـار لوس انجلوس بعـد الثمانينات في القرن الماضي عقب استكمال خطوط السكك الحديدية العابرة للقارة ووصولها إلى الساحل الغربي، كما شهدت دفعة قوية في نموها الحضري والسكاني منذ العشرينيات بعد استغلال البترول وبدء عصر السينما بها وتلا ذلك صناعة الطائرات وازدهارها في الحرب العالمية الثانية، وقد جذبت كل هذه الأنشطة ـ وما زالت ـ عدداً كبيراً من المهاجرين.

الزراعة في كاليفورنيا:

ليس هناك محصول تزرعه الولايات المتحدة إلّا ونجد لـه مثيلاً في كاليفورنيا (باستثناءات طفيفة جداً مثل البن وقصب السكر)، وقد جاء ذلك انعكاساً للظروف المناخية وأنواع التربة التي تسمح بنمو عدد كبير من نباتات المنطقة المعتدلة وشبه المدارية. وتحظى كاليفورنيا بالمرتبة الأولى في إجمالي قيمة الإنتاج الزراعي، بل إنّها أولى الولايات الأمريكية في إنتاج ثلاثين محصولاً وتنفرد دون سواها بإنتاج بعض المحاصيل، ومن هنا ليس من قبيل المبالغة أن يطلق الأمريكيون عليها الولاية الذهبية The Golden State.

وقد أدّى إلى ازدهار هذه الولاية عوامل عدّة إضـافة إلى الـظروف الطبيعية ـ ومن هذه العوامل مد طرق النقل العابرة للقارة إليها، وابتكار وسائل حفظ الأغذية خاصة في الشاحنات المبردة الضخمة وانتشار مصانع تجميد الأغذية وتقدم وسائل النقل التي تربطها ببقية الولايات وعبـر المحيط إلى الأسواق الأخرى.

وقد ساعد مناخ البحر المتوسط ـ بشتائه الدافىء نسبياً ـ على زراعة أنواع عدّة من الفاكهة والخضر الشتوية والتي تسوق طازجة محلياً وتشحن إلى ولايات الشمال الشرقي والغرب الأوسط عندما تكون مزارع هذه الولايات مغطاة بالثلوج.

بالإضافة إلى ما سبق تأتي كاليفورنيا في مقدمة الولايات الأمريكية في

الاعتماد على الري في الزراعة، وذلك في المزارع الواسعة التي أصبحت من السمات المميزة لاقتصادها، وقد ورثت هذا النظام منذ عهد السيطرة الإسبانية والمكسيكية (انتهت هذه السيطرة بمعاهدة انتهاء الحرب مع المكسيك سنة ١٨٤٨).

وتعد مشروعات الري في كاليفورنيا من أكبر المشروعات في الولايات المتحدة، وقد أدّت إلى توفير المياه وإعادة توزيعها وفق نظم هندسية متقدمة قامت بها الحكومة الفيدرالية، فتحول المياه الزائدة عن حاجة الري في وادي ساكرامنتو Sacramento إلى المناطق الجنوبية لري الأراضي شبه الجافة في وادي سان جواكين San Joaquin.

ومن المشروعات الكبرى الأخرى في كاليفورنيا ـ مشروع وادي إمبريال ـ كاوتشولا Imperial Valley - Coachella شرق سان دييجو حيث يتغذى بمياه نهر الكلورادو قبل أن يعبر الحدود السياسية مع المكسيك.

وتشترك ولايتا أوريجون وواشنطن مع ولاية كاليفورنيا في زراعة الفاكهة والخضروات، وتتمتع أيضاً بمشروعات ضخمة للري في مناطق ظل المطر شرق مرتفعات كاسكيد، وتتخصص هذه الأراضي في زراعة التفاح والكمثري والفراولة بينما يتخصص وادي نهر سنيك في زراعة البطاطس (١/٤ إنتاج الولايات المتحدة)، بينما يتخصص حوض كولومبيا في زراعة القمح.

وعموماً تعدُّ ولايتا أوريجون وواشنطن أقل من ولاية كاليفورنيا في مستوى العمران الحضري، وإن كانت ذات شهرة فائقة في الصناعات الخشبية وصناعات أجهزة الدفاع الحربية والطائرات (خاصة شركة بوينج للطائرات في سيتل).

الصناعة في الساحل الغربي:

رغم الأهمية الكبرى لإقليم الساحل الغربي في الزراعة فإنَّه يحظى بأهمية متزايدة في الإنتاج الصناعي على مستوى الولايات المتحدة بأكملها، وقد استمدَّ

الإقليم شهرة كبيرة في الصناعات الغذائية، ثمَّ أضيفت إليها صناعات أخرى أبرزها صناعة الطائرات والأجهزة الفضائية ومعدَّات الطيران والصناعات الكيماوية والمنسوجات والملابس. وقد توفرت مقومات الصناعة في هذا الإقليم، أبرزها توفر الطاقة الرخيصة المحلية، وازدياد العلاقات التجارية مع الشرق الأقصى الآسيوي، والتنمية التي شهدتها ألاسكا حيث اعتمدت في ذلك على هذا الإقليم وتوفر الأسواق الواسعة لصناعات الإقليم في غرب الولايات المتحدة وملاءمة الظروف المناخية كعامل جذب هام لصناعات متخصصة، وذلك كله بالإضافة إلى توفر القوى العاملة المدربة تدريباً عالياً اعتماداً على الأساليب التقنية والبحوث العلمية المستمرة. ويعدُّ الإقليم في الواقع مركزاً هاماً للابتكارات الحديثة والمخترعات والثقافة والتي تنعكس على نشاطه الصناعي.

وتعدُّ مجمعة لوس أنجلوس أكبر المراكز الصناعية في إقليم الساحل الغربي على الإطلاق وقد شهدت الصناعة بها قوَّة دافعة بعد اكتشاف البترول وأصبحت لوس أنجلوس بذلك أحد أكبر مراكز تكرير البترول في الولايات المتحدة، وارتبط بذلك قيام صناعات بتروكيماوية وصناعات الأسمدة وصناعة الخيوط الصناعية وغير ذلك من المنتجات التي تعتمد على البلاستيك كمادة أولية.

أمَّا صناعة «السينما» فقد أعطت كاليفورنيا شهرة عالمية كبرى حيث أصبحت «هوليوود» عاصمة الإنتاج السينمائي العالمي، وقد أدَّى ذلك إلى قيام صناعات مرتبطة بهذا النشاط أبرزها مثلاً تخصص لوس أنجلوس مبكراً في صناعة الطائرات التي اعتمدت عليها الأفلام وساعد على ذلك ملاءمة ظروف الطقس للطيران طوال العام وأصبحت مكاناً مثالياً لإجراء التجارب على الطائرات، وتداعت بعد ذلك صناعات عديدة ارتبطت بفكرة السبق الجغرافي لجنوب كاليفورنيا عندما كانت صناعة الطائرات في إرهاصاتها المبكرة، ثمَّ جاءت الحرب العالمية الثانية لتعطي أكبر دفعة لهذه الصناعات الجوية وذلك

لدور القوات الجوية الذي أخذ يتصاعد في معارك المحيط الهادي بين الولايات المتحدة واليابان، وأصبح إنتاج الطائرات المدنية بعد الحرب أحد أهم الملامح المميزة للصناعات في كاليفورنيا التي اكتسبت العمالة بها مهارة فائقة في هذا المجال. كذلك أسهمت صناعة السينما بطريق غير مباشر في قيام صناعة الملابس حتى أصبحت ملابس نجوم هوليوود هي النموذج في الولايات المتحدة بل وخارجها، وقد أضيفت إلى صناعة السينما في كاليفورنيا كوظيفة ترفيهية وظيفة أخرى ارتبطت بها وهي نشأة عدد من شركات التلفزيون في لوس أنجلوس وأصبحت هذه المنطقة بالتدريج من أكبر مراكز العالم في إنتاج أجهزة التلفزيون ومعداته وآلات التصوير وإنتاج الأفلام، وقد صحب ذلك تقدم مذهل في الصناعات الألكترونية حتى أصبحت من أكبر مراكز صناعة الألكترونات في الولايات المتحدة والعالم. والواقع أنَّ التعاون الأمريكي الياباني قد أسهم بدور كبير في هذا التقدم حيث قامت مشروعات مشتركة ضخمة في هذه المجالات مع اليابان معتمدة على صناعات يابانية مساعدة. وأصبحت لوس أنجلوس بذلك مركزاً صناعياً عالمياً يتخصص في إنتاج عدد لا حصر له من الصناعات الألكترونية وصناعة الطائرات والملابس والبتروكيماويات والصناعات الغذائية والاستهلاكية.

أمَّا سان فرنسسكو فتعد الميناء الرئيسي ومقراً لمكاتب الشركات الكبرى ولكنها تقل عن لوس انجلوس في أنشطتها الصناعية ومع ذلك تتخصَّص في صناعات هامة أبرزها الصناعات الغذائية وارتبط ذلك بموقعها كمخرج للإنتاج الزراعي من منطقة جريت فالي Great Valley في كاليفورنيا، كذلك اكتسبت سان فرنسسكو شهرة في مجال التعليم العالي والبحوث خاصة في مجال الأدوية والألكترونيات، وبالإضافة إلى ذلك فقد ساعدت الوظيفة التجارية لسان فرنسسكو كميناء رئيسي إلى قيام عدد من الصناعات المرتبطة بالنشاط البحري وكذلك تكرير النفط وبعض الصناعات المترتبة عليه، وتميل هذه الأنشطة إلى التوطن في Oakland في جنوب سان فرنسسكو.

ومن المراكز الصناعية الهامة الأخرى في إقليم الساحل الغربي بورتلاند Portland (صناعة الأخشاب والورق والأغذية المحفوظة) وسياتل Seatle (إنتاج الألمنيوم اعتماداً على الطاقة الرخيصة وترتب عليها صناعة الطائرات ومعداتها «طائرات البوينج والصناعات الخشبية والصناعات الغذائية»، وقد ساعد على نمو الصناعة هنا عوامل عدَّة أبرزها توفر طاقة كهرومائية محلية رخيصة والقرب من أسواق الغرب الأمريكي وكولومبيا البريطانية في كندا والعلاقات المتزايدة مع اليابان.

ألاسكا:

كانت ألاسكا تابعة لروسيا عندما باعتها إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٧ لأسباب سياسية استراتيجية واقتصادية، فقد تخوَّف الروس من امتداد النفوذ البريطاني في أمريكا الشمالية إلى ألاسكا وعجزهم عن الدفاع عنها، وقد عزز هذه المخاوف قوَّة الأسطول البريطاني وتطرف موقع ألاسكا من منطقة القلب الروسي، كذلك فقد اعتقد الروس أنَّ موارد الفراء في ألاسكا قد تناقصت بشدَّة ومن ثمَّ فقدت أهميتها الاقتصادية. وعلى الجانب الآخر كانت الولايات المتحدة مترددة في شراء ألاسكا لهذا السبب وهو قلَّة قيمتها الاقتصادية وتناقص الفراء، موردها الرئيسي. حتى شبهها البعض آنذاك «بالبرتقالة المعتصرة Suck-ed Orange» ولكن رغم ذلك فقد اشترتها الولايات المتحدة بمبلغ ٨,٢ مليون دولار ولم تمض إلاَّ سنوات قليلة حتى بدأت مواردها الحقيقية في الظهور حيث بدأ استخراج الذهب منها سنة ١٨٩٠ ووصل قمَّته سنة ١٩٠٠ وما زال مستمراً حتى الآن. ثمَّ تلا ذلك موارد أخرى أهمها البترول والأخشاب ومصايد الأسماك وموارد الثروة المعدنية، وترتب على ذلك نمو اقتصادي وعمراني كبير بهذه الولاية المتطرفة. رغم أنَّ بعض الأمريكيين ينادي بإبقائها «كمخزن متجمد عملاق يحفظ الثروة المعدنية لاحتياجات المستقبل».

وتوجد أحسن الأراضي الزراعية في ألاسكا في الساحل المطل على المحيط الهادي في وادي ماتانوسكا Matanuska قرب مدينة وميناء انكوراج

Anchorage، ولكن قصر فصل النمو وانخفاض درجة حرارة التربة وضعفها يحدد كثيراً من الإنتاج الزراعي هنا. وتعدُّ مدينة انكوراج مركز الجاذبية السكانية في الولاية والنشاط الاقتصادي بها، وهناك مراكز عمرانية صغيرة على الساحل منها Juneau العاصمة منذ سنة ١٩٥٩، وهي مركز هام لتجميع الفراء والأخشاب وموارد الأسماك.

أما مدينة انكوراج فقد شهدت نمواً عمرانياً كبيراً عقب الحرب العالمية الثانية، كما ساعد على ذلك اكتشاف البترول بالقرب منها في الخمسينيات، (تعرضت لزلزال مدمر سنة ١٩٦٤ أحدث خسائر قدِّرت بمائتي مليون دولار في خمس دقائق فقط)، والواقع أن كل ساحل ألاسكا حتى جزر الوشيان - يعد منطقة زلازل (يعرف بحلقة النيران Ring of Fire) نظراً لعدم استقرار القشرة الأرضية ويرتبط بذلك نشاط بركاني كذلك. وتعد انكوراج اليوم الميناء الرئيسي في ألاسكا ومحطة طيران رئيسية وكذلك مركزاً هاماً للبنوك والشركات.

هاواي:

وهي الولاية الأمريكية الخمسون وتقع في المحيط الهادي وعلى بعد ٣٢٠٠ كيلومتراً غرب سان فرنسسكو، وتشغل سلسلة من الجزر البركانية الضخمة التي انبثقت من قاع المحيط من أعماق تصل إلى ٥٥٠٠ متراً، وتكوَّنت حولها شعاب مرجانية ضخمة، وتعزي نشأتها فوق قاع المحيط إلى حدوث ثورانات بركانية ضخمة تعرض لها القاع خلال أزمنة جيولوجية عديدة وتجمعت المصهورات واللافا على شكل أكوام ومخروطات مرتفعة كوَّنت قممها العالية فوق سطح الماء جزراً بركانية، وقد يبقى بعضها مغموراً تحت سطح الماء على شكل جبال محيطية مغمورة.

وقد اكتشفت جزر هاواي سنة ١٧٧٨ على يد الكابتن جيمس كوك، ولكن قبل ذلك عرفتها وعاشت فيها جماعات البولينيزيين التي قدمت من جنوب المحيط الهادي فيما بين سنتي ٦٠٠ و ٨٠٠ ميلادية وقد كان عددهم عند اكتشاف هذه الجزر في العصر الحديث حوالي ٣٠٠٠٠ نسمة، ولكن تناقص

عددهم بعد ذلك حتى أصبح ١٢٠٠٠ نسمة فقط، وكان اتصالهم بالحضارة الأحدث مدمراً لهم شأنهم في ذلك شأن الجماعات البدائية في بيئات أخرى، فقد انتشرت بينهم أمراض حديثة لم تتوفر لهم مناعة طبيعية لمقاومتها، كذلك فقد أدخل الأوروبيون بحسن نية الماشية والماعز كحيوانات للرعي ولكنها قضت تقريباً على النبات الطبيعي بها، كذلك فإنَّ المناطق الزراعية المحدودة بالجزر عانت بشدَّة من تعرية التربة وترتب على ذلك نقص الموارد الغذائية لهم.

وقد أدَّى التوسع الكبير في زراعة قصب السكر في أواخر القرن التاسع عشر إلى استيراد أعداد كبيرة من الأيدي العاملة من الصين واليابان واختلطوا بالسكان الأصليين ونتج عن ذلك مخلطون يكوِّنون الأغلبية من السكان، وقد بسطت عليها الولايات المتحدة نفوذها سنة ١٨٩٨.

وقد شهدت جزر هاواي تقدماً كبيراً في العقود الأخيرة وتزايد عدد سكانها خاصة في منطقة هونولولو التي تعد مركز جذب لسكان باقي الجزر، وقامت بها صناعات معظمها للخدمات السياحية. والواقع أنَّ هذه الجزر تعتمد على السياحة اعتماداً كبيراً ساعد عليها طرق النقل السهلة والسريعة خاصة الخطوط الجوية بين الولايات المتحدة وبينها، كذلك تحظى هذه الجزر بأهمية عسكرية كبرى للولايات المتحدة في وسط المحيط الهادي.

الفصل الثاني عشر

كندا

تعدُّ كندا بمساحتها التي تبلغ حوالي ١٠ مليون كيلومتر مربع ثاني أكبر دول العالم في المساحة، ومع هذه المساحة الشاسعة يتركز سكانها البالغ عددهم ٢٤ مليون نسمة جنوباً على امتداد الحدود الكندية الأمريكية بينما معظم الأراضي في الوسط والشمال خالية تقريباً من السكان. فعلى سبيل المثال تصل نسبة مساحة المقاطعات الشمالية الغربية Northwest Territories ويوكن Yukon نحو ٤٠٪ من المساحة الكلية لكندا ومع ذلك لا يقطنها سوى ٠,٢ في المائة من جملة السكان. وحتى التركز السكاني في الجنوب لا يبدو في شريط متصل بل متقطع في أربعة أقاليم رئيسية: هي أقصى الغرب المطل على المحيط الهادي قرب الحدود الأمريكية حول فانكوفر، ثمَّ إقليم البراري الأمريكية وإقليم نهر سانت لورنس وإقليم نوفا سكوشيا في أقصى الشرق المطل على المحيط الأطلسي أو ما يعرف بكندا البحرية الشرقية.

وتبدو كندا دولة ضخمة مترامية الأطراف ذات حواجز طبيعية كبرى، وتفصل الأقاليم السكانية الأربعة بها أراض شاسعة غير منزرعة. فسكان

الساحل الشرقي للمقاطعات الأطلسية تنفصل عن منطقة وادي سانت لورنس وشبه جزيرة انتاريو بنطاق من الغابات الكثيفة التي يتبعثر العمران بها، أمّا نحو الغرب من منطقة القلب الكندي (سانت لورنس وانتاريو) فيقع حاجز عظيم آخر يتمثل فيما يعرف بالدرع الكندي العظيم والذي تبدو أرضه وعرة مقطعة وتأثرت بالتعرية الجليدية بشدّة تبدو على هيئة هلال ضخم يحيط بالساحل الجنوبي لخليج هدسون، وممتداً نحو الجنوب حتى شمال شبه جزيرة متشجان في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا تسمح طبيعة الأرض الصخرية به بقيام الزراعة إلاّ في بقع محدودة من التربات الصلصالية ترسبت في الأصل فوق قيعان البحيرات من قبل، وقد كانت وعورة هذه الأراضي سبباً في تأخر التكامل في التنمية بين شرق كندا وغربها، وعلى سبيل المثال فحتى إنشاء الطريق العابر لكندا (طريق السيارات) عبر هذا الدرع سنة ١٩٦٠، كان الاتصال بين شرق كندا وغربها يتم عبر طريق طويل يلتف حول هذا الدرع جنوباً في أراضي الولايات المتحدة، كذلك فإنّ جبال الروكي الكندية تفصل منطقة التركز السكاني في الساحل الكندي الغربي عن مناطق التركز في السهول الكندية في الشرق.

التطور السياسي لكندا:

ليست كندا ثانية دول العالم مساحة فقط بل تعدُّ إحدى الدول الغنية في مواردها الطبيعية وتتميز بقلّة عدد سكانها وارتفاع مستواهم الحضاري ارتفاعاً يعكسه متوسط نصيب الفرد منهم من الدخل القومي بالمقارنة مع باقي الدول. وقد ارتبطت بالولايات المتحدة ارتباطاً اقتصادياً وثيقاً ساعد عليه استثمارات أمريكية ضخمة بها كما أنّ موقعها ذو أهمية كبيرة على الطريق المباشر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حيث تقترب أراضيها من الأراضي السوفييتية وتشترك معه في مشكلات استغلال وتنمية الأراضي القطبية.

وتقل كثافة السكان في معظم أراضي كندا عن شخص واحد فقط في الكيلومتر المربع كما يعيش أكثر من نصف السكان على امتداد ١٦٠ كيلومتراً

فقط من حدود الولايات المتحدة ومعظم الباقي على امتداد ٣٢٠ كيلومتر منها. وتلعب المسافات والاختلافات في المظاهر الطبيعية في كندا وفي الولايات المتحدة دوراً هاماً في الجغرافيا السياسية فيصل اتساع كندا من الشمال إلى الجنوب ٤٥٠٠ كيلومتر ومن الشرق إلى الغرب أكثر من ٥٣٠٠ كيلومتر وتتكوّن من عدّة أقاليم فيزيوغرافية أهمها الجبال الشرقية ومنخفض سانت لورنس والسهول الوسطى والمرتفعات الغربية والجزر القطبية ولا تبدو أهمية هذه الأقاليم في تنوع الإنتاج الاقتصادي فقط بل في توزيع السكان كذلك.

مراحل التطور السياسي:

عرف الأوروبيون سواحل أمريكا الشمالية مبكراً قبل أن يستوطنوا تلك القارة فقد استخدموا مصايد الأسماك في نيوفوندلاند ونزلوا بسواحلها منذ أوائل القرن السادس عشر وكان «جون كابوت» John Cabot أوّل من دعا في سنة ١٤٩٨ بسيادة انجلترا على الساحل الشرقي وجنوباً حتى دائرة عرض ٣٤° شمالاً. وقد وصل «جاك كارتييه» J. Cartier إلى شبه جزيرة جاسبيه Gaspè في سنة ١٥٣٤ وادّعى بالسيادة الفرنسية عليها ثمّ اتّجه بعد ذلك نحو أعالي نهر سانت لورنس وزار مواضع ما يعرف حالياً بمنتريال وكويبك ومن ثمّ بدأت بريطانيا من ناحية وفرنسا من ناحية أخرى في التنافس على كندا.

وقد بدأ استيطان المهاجرين الفرنسيين والبريطانيين في كندا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وتركز البريطانيون أساساً في نيوفوندلاند وأنشأوا بعض المراكز العمرانية في منطقة خليج هدسون بينما استقرّ الفرنسيون في نوفاسكوشيا ووادي نهر سانت لورنس الأدنى. وقد انعكست المنازعات والحروب بين بريطانيا وفرنسا في قارة أوروبا على علاقتهما في العالم الجديد حيث استمرّت المنازعات بينهما كذلك في أمريكا الشمالية. إلّا أنّ فرنسا اعترفت في سنة ١٧١٣ بسيادة بريطانيا على خليج هدسون ونيوفوندلاند ونوفاسكوشيا وبعد ذلك بخمسين عاماً وبعد انتصار بريطانيا في الحرب الهندية والفرنسية أصبحت كل كندا تابعة لبريطانيا باستثناء جزيرتين هما سان بيير St. Pierre وميكلون

Miquelon جنوب نيوفوندلاند مباشرة واللتين بقيتا في حوزة فرنسا حتى الوقت الحاضر.

وقد واجهت كندا ـ منذ نشأتها المبكرة كمستعمرة بريطانية مشكلة استيعاب ثلاث مجموعات متباينة من السكان وهم الفرنسيون والإسكتلنديون والأمريكيون. وقد حافظت المجموعة الفرنسية الكاثوليكية وعددها ٦٥٠٠٠ نسمة على لغتها ودينها وعاداتها وشخصيتها الحضارية في الوحدة السياسية الجديدة، أمّا الإسكتلنديون فقد هاجروا إلى كندا في بداية القرن الثامن عشر نتيجة سياسة الاضطهاد التي لقيتها اسكتلندة من حكومة لندن آنذاك. أمّا المجموعة الثالثة فقد كان عدد أفرادها ٤٠٠٠ أمريكي غادروا الولايات المتحدة الأمريكية (خاصة من إقليم نيو انجلند) وذلك في أعقاب الثورة الأمريكية واستقروا في كندا وخاصة في إقليم نوفاسكوشيا فيما يعرف الآن بمقاطعة نيوبرونزويك وكذا شمال نهر سانت لورنس ـ البحيرات العظمى بين دوترويت ومنتريال. وقد انقسمت مقاطعة كويبك إلى مقاطعتين جديدتين في سنة ١٨٩١ هما كندا السفلى والعليا وقد تطورت المقاطعة الأخيرة حتى أصبحت مقاطعة انتاريو البريطانية بينما استمرّت المقاطعة الأولى والتي أعيدت إلى اسمها الأول (كويبك) فرنسية اللغة والحضارة.

ولم تتحقّق الوحدة السياسية لكندا إلاّ متأخراً فلم تضم انتاريو وكويبك ونوفاسكوشيا ونيوبرونزويك وجزيرة برنس ادوارد إلاّ في سنة ١٨٦٧. وبعد ذلك بعامين تخلّت شركة خليج هدسون عن مقاطعات البراري لحكومة المستعمرة. وفي سنة ١٨٧١ انضمّت كولومبيا البريطانية على ساحل الباسفيكي إلى الاتحاد. وقد ظلّت نيوفوندلاند مع لبرادور طوال عملية التطور السياسي لكندا منفصلة عن الاتحاد الكندي ولكن في سنة ١٩٢٦ منحت نيوفوندلاند صفة الدومنيون وبعد ذلك بثمان سنوات وافقت على الانضمام إلى الإمبراطورية البريطانية كمستعمرة ذات وضع خاص. وأعقب ذلك في سنة ١٩٤٨ إجراء استفتاء عام بين السكان في نيوفوندلاند لتقرير أحد أمور ثلاثة إمّا

استمرار الوضع كمستعمرة خمس سنوات أخرى وإمّا الانضمام إلى كندا وإمّا العودة إلى وضع الدومنيون السابق كما كان الحال قبل سنة ١٩٣٤، وقد تمخض الاستفتاء عن الانضمام لكندا في اتحاد كونفدرالي. وفي سنة ١٩٤٩ أصبحت نيوفوندلاند ولبرادور الولاية الكندية العاشرة.

وقد اشتركت كندا مع الولايات المتحدة في نظام دفاعي قوي بعد الحرب العالمية الثانية وذلك للوقاية من أي هجوم محتمل من نصف الكرة الشرقي وكذلك لمقاومة النفوذ الشيوعي وأصبحت عضواً معها في حلف شمال الأطلنطي وكذلك في قيادة أمريكا الشمالية للدفاع الجوي وهي قيادة مشتركة للدفاع الجوي بين الدولتين.

وتنقسم كندا سياسياً إلى قسمين: الأراضي الشمالية، والولايات العشر وتتكون معظم الأقاليم الواقعة شمال دائرة عرض ٦٠ من إقليمين فيدراليين يوكن والأراضي الشمالية الغربية ولا يعيش بهذا الإقليم إلّا عدّة آلاف من الأشخاص، وتبلغ مساحته ٤١٪ من مساحة كندا. وفي يناير ١٩٦٢ تقرر إنشاء مقاطعة جديدة في هذا الإقليم باسم مقاطعة ماكينزي - وهي تشغل حوالي ٤٥٪ من الولاية الشمالية الغربية وتقع إلى الشرق من يوكن وتشمل معظم وادي نهر ماكينزي والذي يعد أكثر مناطق الشمال الكندي تقدماً اقتصادياً وعمرانياً. ولا يعيش في باقي المناطق في الأراضي الشمالية الغربية سوى ٧٠٠٠ نسمة منهم ٥٠٠ من الأسكيمو.

أما إلى الجنوب من دائرة عرض ٦ درجات شمالاً فتوجد الولايات التي تتركز فيها الغالبية العظمى من سكان كندا في أربع مناطق رئيسية هي القطاع البحري على امتداد الأطلنطي والوادي الأعلى لنهر سانت لورنس وإقليم شرق البحيرات العظمى والأجزاء الجنوبية والوسطى ومن مقاطعات البراري ثمّ ساحل الباسفيكي. وتُعد المنطقة الثانية التي تشمل جنوب مقاطعات كوبيك وانتاريو قلب الدولة السياسي والاقتصادي حيث تستحوز على قرابة نصف عدد السكان وتمثل أوتاوا الواقعة في منطقة القلب عاصمة متوسطة بين النطاق

المتحدث بالإنجليزية والآخر المتحدث باللغة الفرنسية حيث تقع على الحد اللغوي بين هذين الإقليمين (شكل رقم ٥٧).

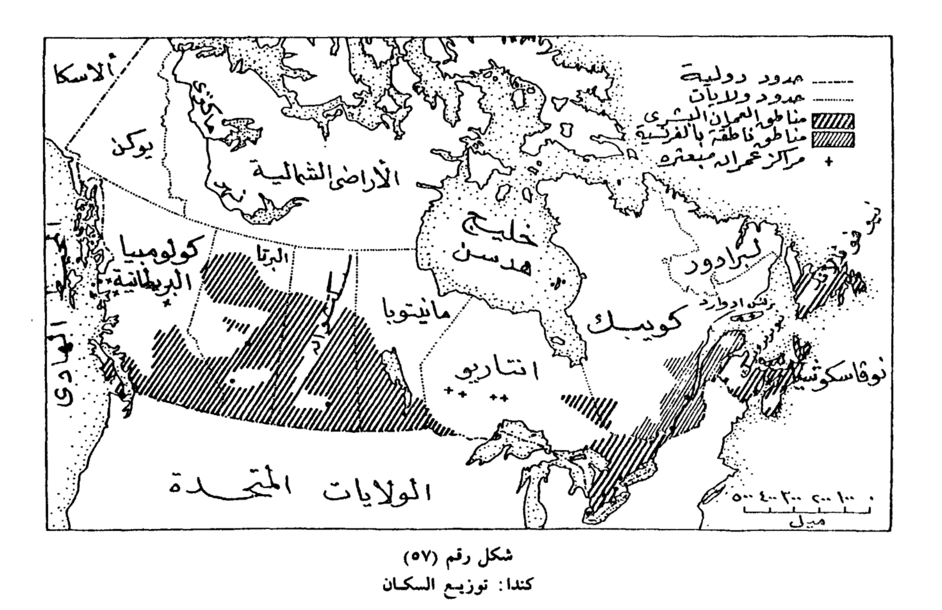
وقد تزايد عدد السكان في كندا نتيجة الهجرة الوافدة والزيادة الطبيعية فقد ارتفع عدد السكان بها من ٥ ملايين نسمة في سنة ١٨٩٠ إلى ١٠ ملايين نسمة سنة ١٩٢٠ ثمَّ إلى ٢٤ مليون نسمة سنة ١٩٨١ ويتميز التوزيع السكاني بالتركز الواضح في منطقة سانت لورنس حيث يعيش حوالي ثلثي عدد السكان في ولايتين هما أونتاريو وكويبك ويرجع السكان إلى أصل أوروبي فيما عدا القليل ذو الأصل الهندي الأحمر ويتكلم ثلاثة أرباع السكان الإنجليزية وحوالي الربع بالفرنسية في منطقة كويبك حيث أحفاد الفرنسيين الذين وفدوا منذ القرن السابع عشر.

الأقاليم الجغرافية لكندا:

يمكن تقسيم كندا إلى عدَّة أقسام جغرافية هي: إقليم الولايات الأطلسية وإقليم القلب الكندي ثمَّ إقليم السهول الكندية والساحل الغربي وأخيراً إقليم الشمال الكندي.

١ - **إقليم الولايات الأطلسية**: يضم هذا الإقليم أربعة ولايات تطل على المحيط الأطلسي وهي نيو برونزويك ونيو فوندلاند ونوفا سكوشيا وجزيرة برنس ادوارد. وقد عرفت هذه الولايات الأربعة بالولايات الأطلسية The Atlantic Provinces منذ أن انضمت نيوفوندلاند إلى كندا سنة ١٩٤٩، وتعد من أقل الولايات الكندية في المستوى الاقتصادي ومتوسط دخل الفرد السنوي حيث يقل هذا المتوسط بنسبة ٤٠٪ عن مثيله في انتاريو و ٦٠٪ عن البرتا، وقد أدَّى الركود الاقتصادي بها إلى قلَّة تدفق المهاجرين واتجاه معظمهم إلى ولاية انتاريو والتي تمثل بؤرة القلب الاقتصادي الكندي.

ويرجع هذا التخلف الاقتصادي للولايات الأطلسية الأربع إلى سببين جغرافيين رئيسين، فموقع هذه الولايات على طرق النقل التي تحمل المهاجرين



شكل رقم (٥٧)
كندا: توزيع السكان

إلى داخل كندا الغني بموارده جعلها في ظل منطقة القلب حول نهر سانت لورنس وقد استمر ذلك منذ مراحل التعمير المبكرة. ويشبه هذا الإقليم ولايتي نيوانجلند وفرجينيا في تطور تعمير الولايات المتحدة حيث كانتا بداية خطى التعمير الذي اتجه بعد ذلك للوسط ولكن الخلاف بين الإقليمين أنَّ الولايات الكندية لم تتحكم في بداية الطرق نحو الداخل ومن ثمَّ لم تكن همزة وصل بين الطرق البحرية والطرق البرية نحو داخل كندا وبالتالي لم تستفد من التقاء هذه الطرق مبكراً، وقد نتج ذلك عن الدور الذي لعبه نهر سانت لورنس كطريق مائي من المحيط الأطلسي إلى الداخل مباشرة.

أمَّا السبب الثاني فهو عدم توفر التربة الصالحة للزراعة في هذه الولايات الأطلسية ـ باستثناءات قليلة في جزيرة برنس ادوارد ـ ومن هنا اتجه السكان إلى البحر والغابات والمناجم لاستغلال مواردها، ورغم أن هاليفاكس Halifax على الساحل الشرقي لشبه جزيرة نوفاسكوشيا هي أكبر مواني كندا التي تظل مفتوحة طوال العام فإنها لا تلعب دوراً كبيراً في تجارة كندا بشكل يتناسب مع أهميتها كميناء عميق. والواقع أنَّ المواني الكندية الشرقية لا تسهم بدور كبير في جذب التجارة إليها. ورغم تجمد نهر سانت لورنس الملاحي في الشتاء فإنَّ ذلك يعني أنَّ محطة الملاحة الرئيسية في كندا قد تقدمت نحو الداخل من مونتريال إلى ثندر باي Thunder Bay ـ على بحيرة سوبيريور.

ولا تزيد مساحة الأراضي المنزرعة في المقاطعات الأطلسية عن ١٠٪ في المتوسط وحوالي ثلاثة أرباع الأرض ما زات تغطية الغابات رغم مرور نحو أربعة قرون من الاستيطان البشري بها، وقد كانت الأخشاب ولب الورق والورق هي المنتجات الاقتصادية الرئيسية في هذه المقاطعات باستثناء جزيرة برنس ادوارد التي تبلغ مساحة المنزرع بها نحو ٦٠٪ من مساحتها، وتنتج البطاطس والأعلاف، وتلعب الثروة الحيوانية دوراً هاماً في اقتصادياتها حيث تنتج اللحوم ويتزايد إنتاجها باستمرار، وتعتمد الحيوانات شتاء على الأعلاف التي تمَّ حفظها في المخازن.

وقد جذبت مصايد الأسماك الغنية العمران مبكراً على طول سواحل هذه الولايات، ورغم أنَّها قد شهدت تناقصاً في إنتاج الأسماك في السنوات الأخيرة فإنَّ كندا استطاعت أن تطور أسطول الصيد بها وبدأت في إنعاش حرفة الصيد خاصة بعد أن مدَّت منطقة الصيد التابعة لها إلى ٣٢٠ كيلومتراً نحو داخل البحر مما سيؤدي إلى زيادة إنتاج الأسماك.

وتتوفر بهذا الإقليم بعض موارد الثروة المعدنية أبرزها الفحم في نيوفوندلاند وكذلك البترول الذي عثر عليه في المياه الإقليمية تجاه الساحل الشرقي وقد اكتشف في سنة ١٩٧٩ تحت الشطوط العظمى Grand Banks وقد أدَّى ذلك إلى انتعاش اقتصاديات الإقليم. كذلك تتوفر بالإقليم موارد الثروة الكهرومائية التي يحصل عليها من أكبر محطة توليد طاقة كهرومائية في العالم، وقد أقيمت على شلالات تشرشل Churchill Falls على نهر تشرشل في منطقة لبرادور التابعة لنيوفوندلاند وتصدر الكهرباء الناتجة إلى الداخل، كذلك يتوفر في هذا الإقليم الحديد الخام بكميات ضخمة.

٢ ـ منطقة القلب الكندي: يمتد إقليم القلب الكندي الاقتصادي والثقافي والسياسي في وادي نهر سانت لورنس الأعلى غرب مدينة كويبك Quebec وعبر شبه جزيرة أنتاريو حتى الحدود الأمريكية عند دترويت وبورت هورون Port Huron. وتعدُّ مقاطعة كويبك أكبر المقاطعات الكندية وتقع بها مدينة مونتريال ـ إحدى أكبر مدينتين في كندا. أمَّا مقاطعة انتاريو فيعيش بها قرابة ثلث عدد السكان ويتركز بها أكثر من ثلث الأنشطة الاقتصادية في كندا حيث تقوم بها أهم الصناعات الرئيسية بطريقة لا تتكرر في أية مقاطعة أخرى حتى أنَّ حوالي نصف الدخل الصناعي يأتي من هذه المقاطعة، ومعنى ذلك أنَّ هاتين المقاطعتين يتجان نحو ثلثي الإنتاج الصناعي الكندي من حيث القيمة (كويبك ٢٤٪ وانتاريو ٣٩٪) مما يعكس مدى هيمنتها على اقتصاديات البلاد. ويزيد من هذا الدور أن أكبر مدينتين في كندا تقعان بهذا القلب وهما تورنتو ومونتريال، وكذلك العاصمة القومية أوتاوا Ottawa التي تأتي في الترتيب الرابع بين المدن الكندية.

وبالإضافة إلى هذه الأهمية الاقتصادية الكبيرة تعدُّ مقاطعة انتاريو مركز جذب هام للمهاجرين الجدد الوافدين إلى كندا حتى أنَّ حوالي نصف المهاجرين الجدد يفضلونها مستقراً لهم مقابل نحو ١٥٪ يفضلون كويبك. وتتأثر حركة الهجرة الوافدة هنا بموطن المهاجرين الأصلي، فالمهاجرون من فرنسا وإيطاليا يفضلون كويبك بينما تجذب انتاريو القادمين من شرق أوروبا وجنوب شرق آسيا والسود من البحر الكاريبي والصينيين.

على أنَّ أبرز مشكلات كندا السياسية تتمثل في إقليم القلب الاقتصادي الذي يحوي المجموعة الناطقة باللغة الفرنسية في مقاطعة كويبك والتي تنزع نحو الاستقلال عن كندا أو على الأقل تتجه إلى نوع من الاستقلال الذاتي داخل الاتحاد الكندي. والواقع أنَّ الأقلية القومية في مقاطعة كويبك تعدُّ المثل الوحيد في أمريكا الشمالية التي تمارس ضغطاً سياسياً على الحكومة المركزية. ويرجع ذلك إلى تاريخ الاستيطان الفرنسي في أمريكا الشمالية الذي بدأ في القرن التاسع عشر وتأسست مدينة كويبك في سنة ١٦٠٨ ثمَّ وفد مهاجرون فرنسيون بعد ذلك كوَّنوا في النهاية مجموعة فرنسية كندية مميزة بلغ عددها نحو ٦٥٠٠٠ نسمة عند انتهاء الحكم الفرنسي، ثمَّ تحولت كندا إلى السيطرة البريطانية منذ منتصف القرن الثامن عشر. وقد استمر الفرنسيون محافظين على لغتهم وثقافتهم رغم ذلك.

وقد أدَّى التعاون الاقتصادي بين مقاطعة كويبك وبقية المقاطعات الكندية وتغلغل المؤسسات الأمريكية في مجال الصناعة والتجارة والخدمات إلى تفضيل اللغة الإنجليزية في التجارة، ويتجه المهاجرون الجدد في معظمهم والقادمين من شرق أوروبا وإيطاليا والصين والكاريبي إلى المقاطعات الناطقة بالإنجليزية. وقد أثَّرت الثقافة الأمريكية من خلال وسائل الأعلام في تفضيل التحدث باللغة الإنجليزية Anglophones عن التحدث باللغة الفرنسية Francophones، وقد اتَّجهت كويبك إلى ازدواجية اللغة نتيجة كل هذه المؤثرات الحضارية.

موارد الثروة المعدنية في كويبك وانتاريو:

تعدُّ الطاقة الكهرومائية مورداً رئيسياً من موارد مقاطعة كويبك ويتم توليد هذه الطاقة من أنهار المقاطعة التي تنصرف نحو نهر سانت لورنس أو تلك التي تتجه شمال المقاطعة لتصب في خليج جيمس James Bay وتقوم الحكومة الكندية بتشييد أكبر محطة لتوليد الطاقة الكهرومائية في العالم على نهر جراند ريفير La Grande Riviere، وتعدُّ هذه الطاقة أساسية للتقدم الاقتصادي في إقليم القلب حيث لا يتوفر به محلياً بترول أو فحم. كذلك تزيد أهمية الطاقة المائية في ولاية انتاريو رغم أنَّها لم تستغل الإمكانيات بها استغلالاً كاملاً. ويتوفر في مقاطعة كويبك موارد ضخمة من الحديد الخام خاصة قرب حدودها مع نيوفوندلاند. كما تتوفر موارد أقل في مقاطعة انتاريو ولكنها أكثر استغلالاً. وتنتج كويبك الإستبستوس الذي يصدر في معظمه إلى الولايات المتحدة، وكذلك بعض الموارد المعدنية الأخرى مثل النيكل والنحاس والرصاص والزنك والفضة والذهب. وإن كان استغلال بعضها يتكلّف كثيراً ويتطلب إنشاء مجموعة من الطرق الحديثة. وتملك انتاريو أكبر موارد النيكل في العالم في منجم سدبري Sudbury والذي ينتج كذلك النحاس والرصاص والزنك والذهب والفضة كمنتجات عرضية.

وتعدُّ الأخشاب من الموارد الرئيسية الأخرى في كل من أنتاريو وكويبك معتمدة في ذلك على الثروة الغابية من الغابات المخروطية الكثيفة. وقد قامت عليها صناعة الورق والأخشاب، وتعاني الغابات الشمالية من بطء النمو حتى أنَّ الأشجار في شمال كويبك وانتاريو قد تستغرق حوالي نصف قرن لكي تنمو بما فيه الكفاية حتى يمكن قطعها واستخلاص لب الورق منها. أمَّا في الأطراف الجنوبية فتقطع الأشجار بعد أن يبلغ عمرها حوالي ١٠ أو ١٢ سنة فقط.

وتتميز انتاريو بتقدمها في الزراعة إذا قورنت بالمقاطعات الأطلسية، أمَّا كويبك فتتصف بمميزات هامة لمنتجات الألبان والفاكهة والخضروات. وترجد

في انتاريو أخصب الأراضي الزراعية الكندية خارج نطاق البراري الذي يحوي نحو أربعة أخماس الأرض الزراعية في كندا. وتنتشر المزارع في جنوب شبه جزيرة انتاريو التي تحيطها البحيرات العظمى من الجنوب، وتتميز هذه المناطق باعتدال مناخها النسبي وطول فصل النمو بها إذا قورنت بالمناطق المجاورة، وأبرز حاصلاتها الذرة وفول الصويا والفاكهة والتبغ والأعلاف. وتعدُّ الأراضي المطلَّة على حافة نياجرا من أجود الأراضي لزراعة الفاكهة، وتتعرض هذه الأراضي للتوسع العمراني لمجمعة تورنتو.

وتعدُّ الأطراف الجنوبية لانتاريو والتي تأخذ شكل حدوة الحصان القلب الصناعي الكندي ولذا تعرف بحدوة الحصان الذهبية Golden Horse Shoe، وتعد في الواقع امتداداً للنطاق الصناعي العظيم في الولايات المتحدة الأمريكية، وتتركز الصناعات الكندية الثقيلة في هذه المنطقة خاصة في تورنتو ووندسور وكذلك في مونتريال، ويخدم هذا الإقليم شبكة ممتازة من الطرق البرية والمائية والتي تصله بطريق سانت لورنس المائي.

٣ ـ إقليم السهول الكندية والساحل الغربي:

شهدت السهول الكندية موجات من المهاجرين عمرتها واستغلَّت مواردها الزراعية وجاءت هذه الموجات من إقليم القلب الكندي في شبه جزيرة انتاريو وكويبك، وكما سبق القول كانت ظاهرات السطح الوعرة في جنوب الدرع الكندي عاملاً أعاق الاتصال المباشر بين منطقة القلب وهذه السهول بل كانت الطرق بينها تلتف حول الدرع جنوباً وعبر أراضي الولايات المتحدة حتى أنَّ طريقاً حديدياً امتدَّ من سهول الولايات المتحدة إلى وينبج في سنة ١٨٧٨ وقبل اتصال الأخيرة بانتاريو بالسكك الحديدية.

وتعدُّ هذه السهول الكندية غنية في مواردها المعدنية أبرزها الاحتياطي الكبير من الفحم والبترول والغاز الطبيعي التي يجري استغلالها في الوقت الحاضر كما تزايد الاحتياطي بالكشوف الأخيرة التي تحققت.

وتشبه السهول الكندية في كثير من ملامحها الطبيعية إقليم الشمال الغربي الأمريكي ولكنها حضارياً تشبه كاليفورنيا إلى حد كبير. فمقاطعة كولومبيا البريطانية موفورة الثراء جذبت كثيراً من المهاجرين من باقي أقاليم كندا. وتشبه مدينة فانكوفر بها مدينة لوس انجلوس في كاليفورنيا في أنّها نمت بشكل واضح في عصر الآلة وقد تأسست في سنة ١٨٨٦.

وتعدُّ الطاقة الكهرومائية من الموارد الهامة سواء المستغل منها أو الكامن Potential، وقد أدَّت وفرتها إلى استغلالها في صناعة الألمنيوم. وبالإضافة إلى ذلك تتوفر في كولومبيا البريطانية موارد الثروة الغابية التي قامت عليها حرفة قطع الأشجار وصناعة الأخشاب، ويقدَّر أنَّ أكثر من نصف احتياطي كندا من الأخشاب اللينة يوجد في هذه الولاية.

٤ ـ الشمال الكندي المتطرف:

يقع الشمال الكندي Northlands شمال إقليم القلب الكندي والسهول الكندية والساحل الغربي ويضم باقي قارة أمريكا الشمالية في الواقع بما في ذلك الأرخبيل الكندي الذي يشمل الجزر القطبية الشمالية. وقد درج بعض الكتاب على تقسيم الشمال الكندي إلى ثلاثة أقسام حسب موقعها هي الشمال الأدنى Near North الذي يجاور المعمور الكندي ويضم الأجزاء الشمالية من نيوفوندلاند وكويبك حتى كولومبيا البريطانية وتنتشر في بعض أجزاء الشمال الأدنى مراكز عمرانية منذ مرحلة التعمير المبكرة تعتمد على الأنشطة الزراعية. ثمَّ إقليم الشمال الأوسط Middle North وهو إقليم يقل به العمران الذي يتمثل في مدن التعدين، وأخيراً إقليم الشمال الأقصى Extreme North وهو غير معمور تقريباً تتبعثر به بعض الجماعات المنعزلة من الهنود الحمر، وعدد قليل للغاية من العسكريين العاملين في القواعد العسكرية. وهذا الإقليم قليل الأهمية الاقتصادية في الواقع وإن كانت موارده الكامنة تنبيء بأهمية كبرى في المستقبل خاصة موارد البترول والغاز الطبيعي.

ولا جدال في أنَّ استغلال الشمال الكندي يواجه عوائق بيئية ضخمة

أبرزها فصل النمو القصير وتجمد التربة وقلّة حارة الصيف به وتعرُّضه للجفاف في فصل الصيف. وتقل الأمطار للغاية في معظم الشمال الكندي ويصبح الحصول على المياه مشكلة رئيسية في فصل النمو (الصيف)، وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف التربة في الدرع الكندي لأدركنا أنَّ الزراعة في هذا الإقليم ليس لها قيمة اقتصادية كبيرة، وتكاد تقتصر على الحافات الشمالية لإقليم الشمال الأدنى في أطراف السهول في وادي نهر بيس Peace River. ومما ساعد على تقدم الزراعة هنا جهود كبيرة في مد طرق النقل خاصة السكك الحديدية.

ويعدُّ التعدين أهم الأنشطة الاقتصادية في الشمال الكندي الأوسط بينما موارده الحيوية قليلة، فالتندرا به هشة وحيواناته مبعثرة وانعكس ذلك على قلّة المراكز العمرانية حيث يعيش الهنود الحمر والمخلطون (أنصاف الهنود) Metis.

أمَّا الشمال الأقصى فيحوي إمكانيات كبيرة من موارد البترول والغاز الطبيعي رغم قسوة ظروف البيئة التي تحول دون قيام مراكز عمرانية دائمة مما سيجعل استغلال هذه الموارد معتمداً على انتقال العاملين إليها والإقامة المؤقتة ثمَّ يعودون إلى مدنهم في الجنوب بالطائرات Long - Distance Commuters.

ويعاني السكان الأصليون من مشكلات عدَّة تواجه الحكومتين الأمريكية والكندية فقد أدَّى استخدام الأسلحة النارية إلى تناقص الموارد الحيوانية سواء الثدييات البحرية أو البرية، ويرفض السكان مغادرة بيئاتهم وربما سيؤدي استغلال موارد البترول إلى إتاحة الفرصة لتغيير أنماط حياتهم في المستقبل.

الباب الخامس

افريقيا المدارية

(جنوب الصحراء الكبرى)

الفصل الثالث عشر

التطوّر السّياسي

يعدُّ إقليم إفريقيا المدارية من الأقاليم الكبرى في العالم التي شهدت تغيرات سياسية ضخمة بعد الحرب العالمية الثانية، كما يشهد حالياً تحولاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً. وهو في ذلك يختلف عن أقاليم أوروبا التي مرَّت بثورة صناعية ثمَّ أعقبتها ثورات اجتماعية واقتصادية على مدى قرنين من الزمان. بينما دخلت إفريقيا المدارية كل تلك الثورات مجتمعة، حيث تمر الآن بثورات صناعية وزراعية واجتماعية وسياسية. كل ذلك في آن واحد.

وحتى نهاية الستينيات كان من الصعب التنبوء بالدور الذي يمكن أن تلعبه إفريقيا المدارية في الشؤون العالمية، وذلك لأنَّها قد شهدت لتوها أفول الاستعمار الأوروبي متمثلاً في انحساره عن كثير من دولها التي حصلت على الاستقلال وبخاصة تلك التي كانت تخضع للنفوذ البريطاني أو الفرنسي أو البرتغالي.

ورغم أنَّ مساحة إفريقيا المدارية تزيد قليلاً عن سدس مساحة يابس الأرض ويسكنها أقل من عشر سكان العالم، إلاَّ أنَّها تشمل نحو ربع أقطار

العالم المستقلة حيث يبلغ عدد الدول بها ٤٢ دولة مستقلة. وفي ذلك أهمية كبرى في تمثيلها في المنظمات الدولية وخاصة في هيئة الأمم المتحدة.

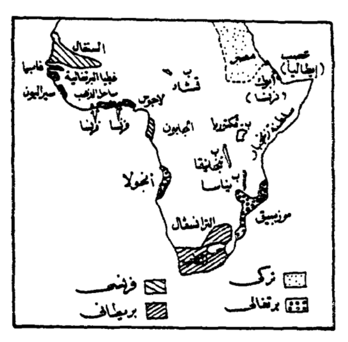
تطور استعمار إفريقيا المدارية:

ارتبط استعمار إفريقيا المدارية وتقسيمها السياسي بتطور الكشوف الجغرافية بها. فقد أسس الأوروبيون بعض المراكز التجارية على امتداد سواحلها منذ القرن الخامس عشر فصاعداً. وكانت هذه المراكز في بداية الأمر نوعين: أولهما مراكز خدمة السفن الملاحية على طول الخطوط التجارية مع الهند والشرق الأقصى وأبرزها تلك التي أنشأها البرتغاليون في جنوب إفريقيا ثمّ الهولنديون من بعدهم، أمّا النوع الثاني فهو المراكز التجارية الساحلية للتعامل في منتجات القارة الإفريقية. ولما كان الجزء الشرقي من إفريقيا بعيداً عن أوروبا من ناحية ولأنه كان مجالاً للنشاط العربي من ناحية أخرى فقد تأسست تلك المراكز على طول الساحل الغربي للقارة وخاصة على ساحل خليج غينيا، وكانت أهم السلع في البداية تلك التي يمكن الحصول عليها بسهولة من النطاق الساحلي دون توغل كبير نحو الداخل، وأهم هذه السلع العاج والذهب والتوابل التي كان الطلب عليها شديداً في أوروبا، وقد أطلقت أسماؤها على بعض قطاعات الساحل (مثل ساحل العاج وساحل الذهب) ولكن تجارة الرقيق كانت أكثر أنواع التجارة رواجاً واتساعاً في هذا النطاق، فقد كان العبيد الذين يتم اصطيادهم يساقون من الداخل نحو الساحل ويوضعون في قلاع شيِّدت لهذا الغرض تمهيداً لتصديرهم إلى الأمريكتين وكانت تلك التجارة سبباً في عداء الإفريقيين وشكوكهم المبكرة تجاه الأوروبيين، وكان هذا السبب بدوره من الأسباب التي أخّرت من كشف داخل القارة كما سبق القول.

وفيما عدا هذا النشاط الأوروبي في النطاق الساحلي لإفريقيا فقد ظلّت القارة بعيدة عن السيطرة الأوروبية الكاملة حتى سنة ١٨٧٠، ولكن في خلال الأربعين عاماً التالية وحتى سنة ١٩١٠ أصبحت القارة بأكملها مقسمة بين القوى الأوروبية الكبرى آنذاك وأهمها بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا وهي

الدول الرائدة في الوصول للقارة، وقد انضمت لها بعد ذلك دول أخرى مثل ألمانيا وبلجيكا وإيطاليا.

ولا توضح الخريطة السياسية لإفريقيا سنة ١٨٨٠ (شكل رقم ٥٨) سوى مستعمرات أو مراكز أوروبية قليلة فيما عدا جنوب القارة حيث أنشأ الهولنديون هناك مستعمرات منذ سنة ١٦٥٢ وتبعهم بعد ذلك البريطانيون منذ سنة ١٨٠٦، أمّا في إفريقيا المدارية فقد تركز الإستيطان الأوروبي في المنطقة الساحلية الوحيدة في غرب القارة التي لم تخضع لسيطرة أوروبية، ذلك لأنّها أنشئت لتكون موطناً للعبيد المحررين في أوائل القرن التاسع عشر وكان ذلك في الواقع نتيجة جهود أمريكية بهدف إنشاء مستعمرة للعبيد المحررين منها وتمّ ذلك في سنة ١٨٢٢ وبالتحديد في جزيرة بروفيدنس Providence (منروفيا) ثمّ تأسست دولة ليبريا بعد ذلك بربع قرن (١٨٤٧)، وجدير بالذكر أنّ البريطانيين بذلوا محاولة مشابهة لإعادة توطين العبيد المحررين في أجزاء من سيراليون - ومن هنا سميت العاصمة الحالية فريتون Freetown باسمها سنة ١٧٩٢.



شكل رقم (٥٨)
مناطق النفوذ الأجنبي في أفريقيا المدارية سنة ١٨٨٠

وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كان الجزء الأكبر من إفريقيا مقسماً بين ست دول أوروبية هي بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا وألمانيا وبلجيكا، وقد كان صراع هذه الدول لبسط نفوذها على القارة نتاجاً لعدَّة عوامل أبرزها التسابق في السيطرة على مواردها المدارية وشبه المدارية مثل زيت النخيل والمطاط والأخشاب خاصة في غرب إفريقيا. كذلك إمكان القيام بإنتاج زراعي لبعض المحاصيل مثل القطن والبن والكاكاو وقصب السكر. وقد ارتبط ذلك بتطور الثورة الصناعية في أوروبا التي جعلت الطلب ملحُاً على هذه المنتجات، ومن هنا بدأ سباق محموم بين الدول الأوروبية بغية الحصول عليها والسيطرة على مناطق إنتاجها.

ورغم أنَّ هذه الدوافع الاقتصادية كانت السبب الرئيسي وراء فتح إفريقيا، فقد كانت هناك أسباب أخرى تتمثل في الدوافع السياسية والتي أبرزها الدور الكبير الذي كانت تلعبه مستعمرات ما وراء البحار في الهيبة القومية للدولة المسيطرة وإعلاء شأنها بين الدول الأوروبية الأخرى، وتعدُّ فرنسا مثلاً واضحاً على ذلك فقد بدأت في استعمار غرب إفريقيا منذ الثلاثينيات من القرن الماضي وكذلك بريطانيا التي استعمرت منطقة الكاب مبكراً في أوائل القرن الماضي أيضاً، وقد أسهم المستكشفون من الجنسيات المختلفة في كشف غموض القارة المظلمة في القرن التاسع عشر وأماطوا اللثام عن كثير من أسرارها اقتصادية مما كان حافزاً لبسط السيطرة والنفوذ عليها.

وقد ارتبط بذلك حدث آخر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يجدر ذكره وهو فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩، وقد أدَّى ذلك إلى خلق طريق مباشر من غرب أوروبا إلى شرق إفريقيا والهند ومن ثمَّ هبطت أهمية طريق رأس الرجاء الصالح هبوطاً كبيراً، وأصبحت الأراضي الإفريقية المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة جذبت إليها بعض الدول الأوروبية للسيطرة عليها خاصة بريطانيا وفرنسا ثمَّ إيطاليا بعد ذلك.

ومن الواضح أنه ما أن بدأت بعض الدول الأوروبية في غزو مناطق من إفريقيا حتى سرت عدوى الغزو بين الدول الأخرى وخاصة تلك التي كانت متفوقة عسكرياً، في محاولة للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي، وسعت كل دولة لها مراكز على الساحل إلى التوغل نحو داخل القارة، وكانت المنافسة قوية في ذلك بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا والبرتغال حيث سعت كل منها إلى تكوين مستعمرات متصلة عبر القارة، وقد تعارضت مصالح هذه الدول في السعي لبسط نفوذها على المناطق الداخلية بالقارة مما جعل بسمارك زعيم ألمانيا يدعو إلى عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ بقصد العمل على فض المنازعات بين المتنافسين الأوروبيين وتنظيم السيطرة السياسية على إفريقيا ومنع تجارة الرقيق، وقد ترتب على هذا المؤتمر أن أي دعاوى للسيطرة على أية منطقة بالقارة ينبغي أن تكون مقترنة باحتلال فعلي لها.

وقد أدَّت نتائج مؤتمر برلين إلى سباق محموم بين القوى الأوروبية الست لمد سيطرتها على الأراضي الداخلية بإفريقيا متخذة من المراكز الساحلية الأصلية نقاط ارتكاز للتغلغل نحو الداخل، ولكن ذلك لم يكن عملاً سهلاً حيث اصطدم الأوروبيون في تقدمهم بسيطرة القبائل الإفريقية القوية في الداخل وخاضوا حروباً ضارية لمنع السيطرة الأوروبية، ففي «ساحل الذهب» مثلاً دخلت بريطانيا في حروب مع قبائل الأشانتي القوية في عامي ١٨٦٢ و ١٨٦٤، مما أدى إلى شلل تام للنشاط التجاري للبريطانيين في هذا الجزء من غرب إفريقيا ودعا مجلس العموم البريطاني أن يوصى بانسحاب بريطانيا من كل قواعدها في غرب القارة باستثناء «سيراليون» ورغم ذلك فقد استمر التدخل البريطاني بأصرار عنيد وخاصة بعد هجوم الأشانتي سنة ١٨٧٣ وتهديدهم للقواعد البريطانية القائمة، ولكن رغم ذلك كله نجحت بريطانيا في مد نفوذها على المنطقة الساحلية سنة ١٨٧٤ كما جعلت ساحل الذهب مستعمرة خاضعة للتاج البريطاني، وعموماً فقد عقدت بريطانيا وغيرها من الدول المستعمرة اتفاقيات متعددة بينها وبين رؤساء القبائل الإفريقية لإبقاء هذه المناطق تحت سيطرتها الفعلية وبسط حمايتها على الكثير من رؤساء القبائل، ولم يأت عام

١٩١٤ حتى كانت إفريقيا قد خضعت تماماً للنفوذ الأوروبي ورسمت معظم الحدود السياسية الحالية بين مناطق النفوذ في عملية تقسيم القارة بين الدول الأوروبية (شكل رقم ٥٩).

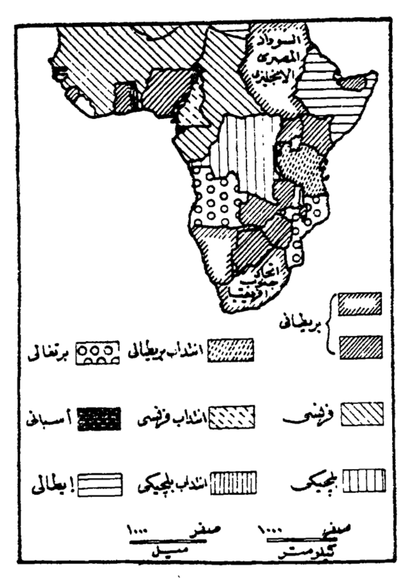
التغيرات السياسية الحديثة في إفريقيا المدارية:

شهدت خريطة إفريقيا السياسية تطورات كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تميزت القارة بنمو وظهور قوميات محلية ناضلت في سبيل الحصول على استقلالها من الدول الأوروبية، ولم يكن بالقارة سنة ١٩٥٠ سوى أربع دول مستقلة فقط هي اتحاد جنوب إفريقيا ومصر والحبشة وليبريا، ولكن لم يأت عام ١٩٦٧ حتى استقلَّت ٢٩ دولة من دولها واستمر بعضها على علاقاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية القوية مع دول الاستعمار السابقة.

ولنبدأ بالدول التي كانت خاضعة لبريطانيا، فاتحاد جنوب إفريقيا الذي استقلَّ منذ سنة ١٩١٠ أصبح جمهورية في سنة ١٩٦١، والروديسيتان (الشمالية والجنوبية) ونياسالاند ارتبطت في اتحاد فدرالي استمرَّ عشر سنوات (١٩٥٣ - ١٩٦٣) ثمَّ استقلَّت نياسالاند وغيِّرت اسمها إلى ملاوي، وكذلك فعلت روديسيا الشمالية التي غيِّرت اسمها إلى زامبيا، أما روديسيا الجنوبية، أو روديسيا فقط - فقد استمرَّ نضال السكان الوطنيين بها وهم الأغلبية الساحقة حتى حصلوا على الاستقلال التام في إبريل سنة ١٩٨٠ وغيروا اسم دولتهم إلى زيمبابوي والعاصمة إلى هراري Harare. أمَّا المستعمرات الثلاث في جنوب القارة فقد حصلت اثنتان منهم على الاستقلال سنة ١٩٦٦ وهما باسوتولاند (تغير اسمها إلى ليسوتو) وبتشوانا لاند (سميت بتسوانا)، أما سوازيلاند فقد حصلت على استقلالها في سنة ١٩٦٨.

أمَّا في غرب القارة فقد حصلت مستعمرة ساحل الذهب على الاستقلال سنة ١٩٥٧ وتغير اسمها إلى غانا، واستقلَّت نيجيريا سنة ١٩٦٠ وسيراليون سنة ١٩٦١ وغامبيا سنة ١٩٦٥، وفي شرق إفريقيا كانت كينيا آخر المستعمرات الثلاث التي حصلت على استقلالها في سنة ١٩٦٣، وقد شهد عام ١٩٦٤ قيام

اتحاد بين تنجانيقا وزنجبار تحت اسم تنزانيا.



شكل رقم (٥٩)
أفريقيا المدارية بعد الحرب العالمية الأولى

أما المستعمرات الفرنسية في القارة فقد أعيد تنظيمها بعد دستور الجمهورية الخامسة في فرنسا في أكتوبر عام ١٩٥٨ وبقيت الجزائر والصحراء أقساماً Departments داخل الجمهورية الفرنسية تحت السيطرة المباشرة لرئيس الوزراء الفرنسي، وبقي الصومال الفرنسي مستعمرة، أمّا باقي المستعمرات الفرنسية ـ باستثناء ثلاث فقط ـ فقد أصبحت مستقلة داخل المجموعة الفرنسية

وهي جمهوريات ساحل العاج وداهومي وفولتا العليا والنيجر وإفريقيا الوسطى والجابون والكونغو (برازفيل) والسنغال ومالي وموريتانيا ومدغشقر (مالاجاش). واتّحدت السنغال ومالي سنة ١٩٥٩ في اتحاد مالي ولكنه انفصل بعد ذلك، كذلك اتّحدت جمهوريات تشاد وإفريقيا الوسطى والجابون والكونغو (برازفيل) في اتحاد اقتصادي، وقد بقيت غينيا خارج الاتحاد الفرنسي، ثمّ استقلّت المناطق الواقعة تحت وصاية فرنسا سابقاً وهي الكاميرون وتوجو وأصبحتا جمهوريتين في سنة ١٩٦٠، وفي الجزائر أشعل الجزائريون حرب تحرير شاملة عام ١٩٥٤ للحصول على الاستقلال من فرنسا التي كانت تعتبرها جزء من الوطن الفرنسي، وقد استمرت حرب التحرير هذه حتى سنة ١٩٦٢ عندما توج ذلك الكفاح باستقلال الجزائر ثمّ حصل الصومال الفرنسي على الاستقلال سنة ١٩٧٧ تحت اسم جمهورية جيبوتي.

وفي وسط القارة انتهت إدارة بلجيكا للكونغو في يونيه ١٩٦٠ وتعرّضت الدولة لاضطرابات خطيرة من أبرزها محاولة انفصال كاتنجا وفشل هذه المحاولة وظهور الكونغو كدولة كبيرة المساحة في وسط إفريقيا وغيّرت اسمها لتصبح جمهورية زائير.

ورغم أنّ الاستعمار البرتغالي كان من أوائل النفوذ الأوروبي في إفريقيا إلّا أنّ المستعمرات البرتغالية كانت آخر المستعمرات التي حصلت على استقلالها. فقد كافحت هذه المستعمرات للحصول على استقلالها حتى توّج هذا الكفاح بالنجاح وأعلن استقلال غينيا بيساو في أغسطس سنة ١٩٧٤ وانضمت إلى الأمم المتحدة، كذلك استقلّت موزمبيق في يونيه ١٩٧٥ وتبعتها أنجولا بعد ذلك.

ولم يبق بالقارة حالياً سوى بعض البقايا الاستعمارية تسيطر عليها أقليات أوروبية تحاول التمسك بالبقاء فيها وحكمها ويتمثل ذلك في سيطرة جمهورية جنوب إفريقيا على منطقة ناميبيا التي تناضل في سبيل الحصول على استقلالها وبالإضافة إلى ذلك فهناك بعض الجزر الصغيرة المواجهة للساحل الإفريقي التي

ما زالت في قبضة دول أوروبية مثل جزر ماديرا البرتغالية وكناري الإسبانية وجزر ريونيون الفرنسية شرق جزيرة مدغشقر.

بعض السمات الجغرافية لخريطة إفريقيا السياسية:

تتميز الخريطة السياسية لإفريقيا ببعض السمات الهامة أبرزها:

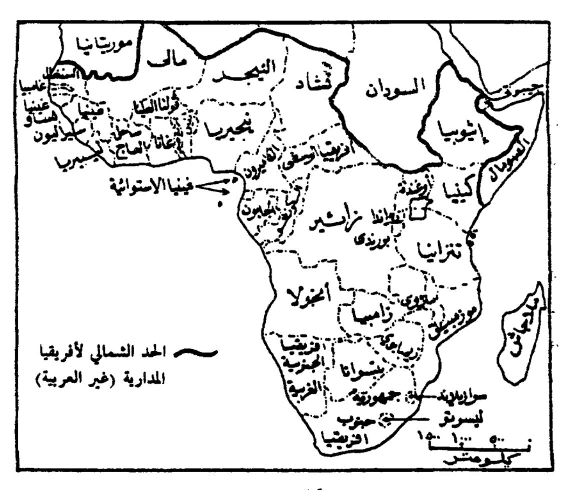
١ ـ تعدد الوحدات السياسية بالقارة وتباينها من حيث الحجم والشكل (شكل رقم ٦٠)، والسكان والموارد وتعد زائير (٢,٣ مليون نسمة) أكبر دول القارة مساحة، نحو ١٠٠٠ مرة قدر مساحة دولة مورشيوس مثلاً (٢٠٠٠ كم٢ فقط) وكذلك الحال في السكان حيث تعد نيجيريا أكبر الدول سكاناً (٨٤ مليون نسمة) قدر حجم سكان غامبيا مثلاً ١٤٠ مرة، وتعاني دول عديدة في القارة من قلّة الاندماج في الشكل مثل توجو وبنين ومالاوي.

٢ ـ تتميز معظم عواصم القارة بهامشية موقعها بالنسبة لدولها وفي كثير من الأقطار تتركز الوظائف الاقتصادية والإدارية في العاصمة فقط والتي يكون عدد السكان بها أضعاف عدد السكان في المدن الكبرى التالية لها وتجذب العاصمة كثيراً من السكان يعملون على سرعة نموها وهي التي تتحكم في طرق النقل المختلفة، كما تعد نقط ارتكاز ساحلية نحو الداخل رابطة بين المناطق الإنتاجية الرئيسية والموانى الساحلية.

٣ ـ تعدُّ الدول الإفريقية المستقلة حديثاً أسيرة الحدود الساسية التي رسمت لها في فترة التنافس الأوروبي للسيطرة على القارة وبذلت بعض الدول مثل غانا وغينيا ومالي محاولات للتخلص من الحدود القديمة، ونجح الصومال البريطاني والإيطالي في التوحيد وكذلك الكاميرون بشقيه وتنجانيقا وزنجبار اتحدا في دولة واحدة (تنزانيا) كل ذلك دون النظر إلى حدود التقسيمات الاستعمارية السابقة.

٤ ـ كان للتغلغل من الساحل نحو الداخل أثره في شكل الوحدات السياسية في غرب القارة التي تأخذ شكلاً طولياً من الشمال إلى الجنوب ـ دون ألن

تتمشى مع الظاهرات البشرية أو الطبيعية والتي تتجه من الشرق إلى الغرب، وقد ارتبطت الحدود في وسط وجنوب القارة ببعض الأهداف الاقتصادية كما حدث في تنجانيقا التي حددت جنوب زائير لغناها في الثروة المعدنية وأعطى نطاق النحاس في شابا إلى زائير بالرغم من أنَّ الحدود لم تستقر نهائياً به إلاَّ في سنة ١٩٣٠. وكذلك الحال في ناميبيا التي تفصل بتسوانا عن أنجولا، ويتميز شكلها بقطاع كابريفي Caprivi Projection والذي سمي باسم المفاوض الألماني في المفاوضات التي أدَّت إلى المعاهدة البريطانية الألمانية في سنة ١٨٩٠، وقد أصر جنرال فون كابريفي هذا على ضرورة وصول النفوذ الألماني إلى نهر الزمبيزي من الساحل الغربي ووافقت بريطانيا على ذلك بمنح جنوب غرب إفريقيا ممراً عرضه ٣٢ كيلومتراً.



شكل رقم (٦٠)
الخريطة السياسية لأفريقيا المدارية ١٩٨٤

٥ ـ هناك من الحدود السياسية في إفريقيا ما يعد عائقاً في سبيل التقدم السياسي والاقتصادي ولعلّ في غامبيا التي تتغلغل في السنغال دليلاً على ذلك فهي ذات شكل ملتو طولي داخل السنغال يبلغ طوله ٤٨٠ كيلومتراً وعرضه في بعض الأماكن ٢٠ كيلومتراً فقط، وسكان يزيدون قليلاً على نصف مليون نسمة، وتقع على جانبي الجزء الصالح للملاحة من نهر غامبيا ـ أحد الأنهار الملاحية الهامة في إفريقيا ـ حيث تستطيع السفن المحيطية أن تبحر فيه لمسافة ٢٤٠ كم من مصبه عند بانجول العاصمة، وغامبيا بهذا الموقع تعدُّ منفذاً هاماً لتجارة كل من السنغال ومالي.

٦ ـ تختلف الحدود السياسية في القارة من حيث أنواعها سواء ما كان منها متمشياً مع ظاهرات طبيعية كالأنهار والبحيرات وبعض المرتفعات أو حدوداً هندسية مستقيمة كما في الصحراء الكبرى، إلاَّ أنَّ أبرز سمة من سمات الحدود أنَّها لا تتمشى مع الحدود البشرية مثل حدود القبائل والجماعات الكبرى ولعلَّ أبرز الأمثلة تقسيم الحدود بين غانا وتوجو وما أدَّت إليه من تقسيم لشعب الأيوي Ewe إلى جزئين متساويين تقريباً ويبلغ عدد أفراد هذا الشعب حوالي مليون نسمة يعيش نصفهم في جنوب شرق غانا والباقي في جنوب توجو، وقبل الاستقلال طالب ممثلو هذا الشعب بتوحيده إلاَّ أنَّ هذه المطالبة ذهبت هباء واستقلت غانا وتوجو مع استمرار ذلك الوضع الغريب في تقسيم الإيوي.

الفصل الرابع عشر

البيئة الطبيعية

١ ـ مظاهر السطح والتصريف النهري:

إفريقيا كتلة مندمجة ذات تناقضات واضحة في مظاهر السطح بها، ورغم أنها لا تتميز بوجود التواءات حديثة إلاَّ في أقصى الشمال الغربي والجنوب، فإنَّها لا تخلو من بعض القمم المرتفعة والهضاب العالية، وكان النشاط البركاني في بعض المناطق مسؤولاً عن وجود بعض الكتل العالية، ولعلَّ في جبل الكاميرون (٤٠٧٠ متراً) مثالاً على ذلك حيث يمثل بركاناً ما زال يتميز بالنشاط حتى الوقت الحاضر. كذلك فإنَّ الصخور البركانية في أثيوبيا يزيد ارتفاعها على ٤٦٠٠ متراً.

وإلى الجنوب من خط الاستواء توجد عدَّة كتل جبلية في شرق القارة يعلو كل منها على ٤٠٠٠ متراً، ومعظمها بركاني الأصل ومنها جبل كلمنجارو الذي يعدُّ أعلى قمَّة في إفريقيا حيث يصل إلى ٥٨٩٥ متراً، وكذلك تغطي الطفوح البركانية حافة دراكنزبرج في ليسوتو ويصل أقصى ارتفاع لها إلى ٣٤٨٠ متراً.

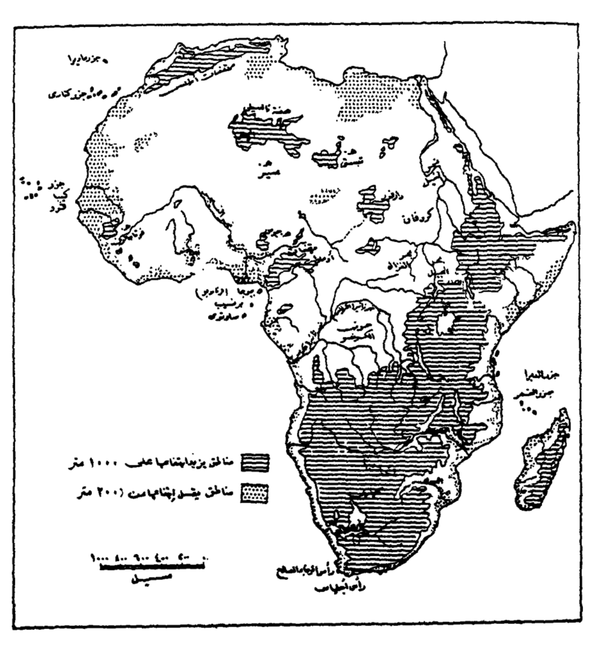
ويبدو أنَّ دور النشاط البركاني في مورفولوجية قارة إفريقيا دور واضح

وذلك في الوقت الذي توجد فيه بعض الجبال المرتفعة غير البركانية خاصة في منطقة الأخدود الإفريقي (رونزوري مثلاً ٥١٠٠ متراً)، وقد أسهمت حركات القشرة الأرضية في رفع بعض أجزاء السطح في القارة إلى مرتفعات أعلى، كذلك فإنَّ المخروطات البركانية أو اللافا في شرق وجنوب القارة ترتكز على أجزاء مرتفعة نسبياً من الدرع الإفريقي القاري مثل جبل كلمنجارو الذي يرتكز على هضبة شرق إفريقيا.

ويتكون الجزء الأكبر من إفريقيا المدارية من مناطق هضبية حيث يقع معظمها على ارتفاع ٤٠٠ متراً (شكل رقم ٦١). وأعلى هضاب القارة توجد في شرق وجنوب إفريقيا على ارتفاع يتراوح بين ١٣٠٠ ـ ٢٠٠٠ متراً وتعلو على ذلك في ليسوتو حتى حافة دراكنز برج كذلك تتراوح بين ١٣٠٠ ـ ٢٠٠٠ متراً وتعلو على ذلك في ليسوتو حتى حافة دراكنز برج كذلك تتراوح بين ١٢٠٠ ـ ١٧٠٠ متراً في زيمبابوي وزامبيا، وفي معظم شرق إفريقيا كذلك حيث يصل ارتفاع الهضبة بالقرب من الأودية الأخدودية إلى ٢٠٠٠ متراً.

ويتناقص ارتفاع الهضاب في شمال خط الاستواء بصفة عامة، فعلى امتداد النطاق المعروف باسم إفريقيا الاستوائية الفرنسية سابقاً ـ ترتفع بعض المناطق المحددة لتصل إلى ارتفاع يتراوح بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متراً فقط. وكذلك الحال في غرب إفريقيا حيث ترتفع بعض المناطق إلى ٧٠٠ متر بمتوسط ارتفاع بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ متراً.

ويتميز سطح إفريقيا المدارية بالأحواض الضخمة والقليل من هذه الأحواض يتميز بوجود مخرج نحو البحر ولذا فإنَّ معظمها ذو تصريف مائي داخلي، ويعدُّ حوض تشاد ـ فيما عدا ركن صغير يصرفه نهر البنوي مثالاً واضحاً على حوض ذي تصريف داخلي رغم أنَّ بحيرة تشاد لا تمثل مركزه الهيدروغرافي ذلك لأنَّه يصرف مياهه جوفياً نحو واحات بوركو Borkou في الشمال الشرقي وفي جنوب القارة توجد بعض الأحواض المغلقة ذات التصريف الداخلي في صحراء كلهاري.



شكل رقم (٦١)

الملامح الرئيسية لسطح أفريقيا

وعلى النقيض من تلك الأحواض الداخلية فإنَّ حوض نهر الكونغو يمثل مجموعة نهرية متكاملة في قلب إفريقيا ويتراوح مستوى قاعه بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ متراً فوق منسوب سطح البحر في الوقت الذي يضيق فيه مخرجه بشدَّة عندما يشق مجراه في حافة الهضبة.

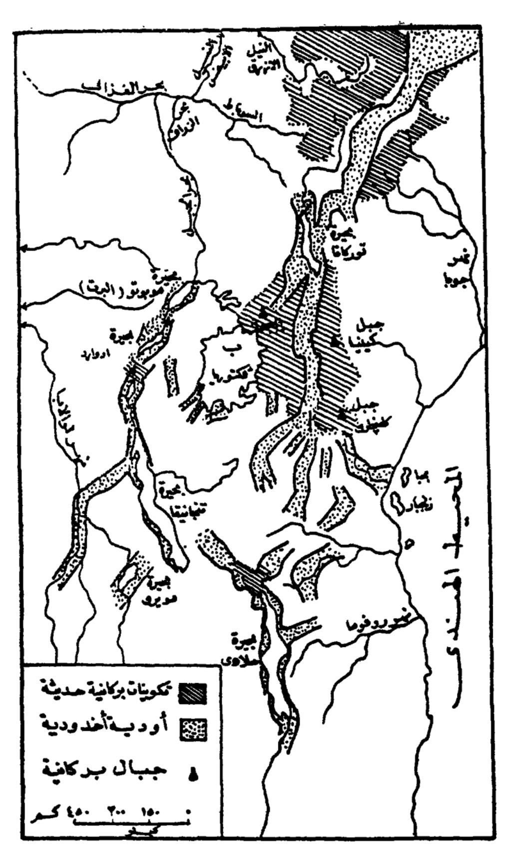
ولما كانت الصفة الهضبية هي السمة المميزة لإفريقيا فإنَّ سهولها الساحلية تبدو ضيِّقة، وقد كونت الأنهار الكبرى سهولاً فيضية عريضة في أجزائها الدنيا، وتعدُّ دلتا النيجر (٣٨,٠٠٠ كيلومتر مربع) أكبر دلتاوات القارة، (دلتا النيل تصل مساحتها إلى حوالي ٢٤,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً) غير أنَّ هناك بعض السهول الساحلية المتسعة وإن كانت محدودة في القارة أبرزها سهل موزمبيق والسهول الساحلية للسنغال.

الأخدود الإفريقي العظيم:

تتمثل الكسور الضخمة التي تعرضت لها الكتلة الإفريقية بشكل واضح في الأودية الأخدودية في شرق القارة، ومن أهمها الأخدود الإفريقي العظيم، ويبدأ هذا الأخدود من جنوب بحيرة ملاوي ويمتد شمالاً ليشمل البحر الأحمر حتى ينتهي في جنوب سوريا، ويتميز بوجود مجموعة من البحيرات الطولية التي تكونت في قاعه مثل بحيرة ملاوي في الجنوب تطل عليها حافتا الوادي على شكل حائطين مرتفعين وإلى الشمال من تلك البحيرة يتفرع الوادي إلى فرعين: الفرع الغربي ويتميز بوجود بحيرات تنجانيقا وكيفو وادوارد وموبوتو[١] ونهر السمليكي الذي يصل بينها، والفرع الشرقي ـ وهو الفرع الرئيسي للوادي الأخدودي ـ ويمتد شمالاً مخترقاً تنزانيا وكينيا ويتميز بالجوانب المرتفعة التي تشرف عليه على شكل حائطين عظيمي الارتفاع، وفي شمال كينيا تظهر بحيرة توركانا في قاعه (شكل رقم ٦٢)، ويواصل الأخدود امتداده شمالاً حتى الجزء الجنوبي الشرقي من هضبة أثيوبيا ثمَّ يمتد نحو الشمال أيضاً ليشمل منخفض

---

(١) بحيرة ألبرت سابقاً.



شكل رقم (٦٢)
الأودية الأخدودية في شرق أفريقيا

البحر الأحمر ثمَّ خليج العقبة والبحر الميت ونهر الأردن حتى ينتهي جنوب غرب سوريا.

ويتراوح عرض الأودية الأخدودية المكونة لهذا الأخدود العظيم ما بين ٤٠ - ٥٠ كيلومتراً - باستثناء البحر الأحمر - وترتفع الحواف في شرق إفريقيا إلى ما يزيد على ٢٠٠٠ متراً بينما ينخفض قاع بحيرة تنجانيقا إلى منسوب ٧٠٠ متراً تحت سطح البحر، ولكن أبرز الظاهرات في الأودية الأخدودية هنا - هي جبل رونزوري - الاندفاعي بين بحيرتي موبوتو وادوارد والذي يرتفع إلى ٥١٠٠ متراً وتغطي قمة الثلوج كذلك فإنّه بالرغم من أنَّ هناك مناطق متعددة تسود بها البراكين (كما في أثيوبيا أو في منطقة جبل كينيا وكلمنجارو وغرب بحيرة فكتوريا) - فإنَّ هناك مناطق أخرى في هذه الأودية الأخدودية لا توجد بها شواهد على نشاط بركاني على الإطلاق.

وهناك آراء ونظريات متعددة قيلت بشأن أصل الأودية الأخدودية ومن أبرز تلك النظريات ما ذكره جريجوري Gregory (١٩٢١) من أن قشرة القارة في هذا النطاق الشرقي تعرضت لضغط جانبي في العصر الكريتاسي رفعها على هيئة ثنية أو قوس ضخم، ثمَّ حدث هبوط في جندوانا كون المحيط الهندي مما أدى إلى فقدان الضغوط الجانبية التي كانت تضغط على ثنية شرق إفريقيا الضخمة وبالتالي انهيار في الأجزاء العليا منها، وتكون بذلك الأخدود على هيئة شريط طويل من الأرض هبط بين كسرين عاديين أو سلسلة متوازية من الانكسارات السلمية، وتبع هذه الحركات الأرضية العنيفة ظهور نشاط بركاني ضخم أحياناً مكوناً لافا غطائية تشمل مساحات واسعة كما هي الحال في هضبة أثيوبيا وأحياناً مكوناً مخاريطاً بركانية كجبل كلمنجارو وجبل كينيا[1].

---

(١) ظهرت آراء حديثة في نشأة الأخدود الأفريقي تختلف على ما ذكره «جريجوري» ولكنها تتفق معه في أن الأخدود نتيجة الحركات الأرضية التي شهدتها أفريقيا في الزمنين الثاني والثالث وإن كان بعضها يذهب إلى أنه أقدم من ذلك.

Church, H.J. Africa and the Islands, Longman, London, 1973, p.p. 19 - 20.

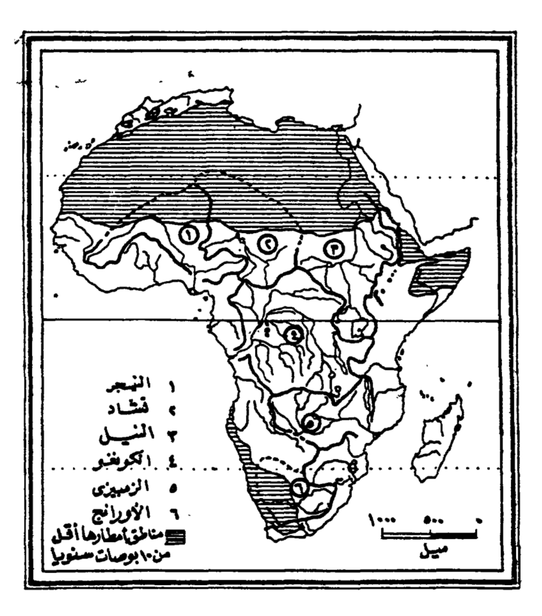
التصريف النهري:

يعدُّ الإقليم الإستوائي في إفريقيا المدارية بأمطاره الغزيرة هو المصدر الرئيسي لمعظم الأنهار الكبرى في القارة (شكل رقم ٦٣). وتتناقص الأمطار بالاتجاه شمال خط الاستواء وجنوبه ومن ثمَّ تتناقص المجاري المائية وتبدو قصيرة وقليلة التصريف المائي حتى تصل إلى الصحاري بسماتها المعروفة ذات التصريف المائي الداخلي والمجاري المائية المؤقتة.

وينبع نهر الكونغو ـ أكبر أنهار القارة في كمية المياه ـ من مرتفعات شرق إفريقيا ولا يتميز بضخامة كمية المياه فقط بل وبثبات التصريف المائي إلى حد كبير وذلك بسبب غزارة الأمطار وكذلك توزيعها المتساوي تقريباً على مدار السنة وثبات البحيرات التي تنبع منها كثير من روافد الكونغو. وتبلغ مساحة حوض الكونغو نحو ٣,٨ مليون كيلومتراً مربعاً ويتسع مجرى النهر في كثير من قطاعاته ليتراوح من ١٣ ـ ١٦ كيلومتراً في بعض المناطق، ويصلح النهر في معظمه للملاحة بالإضافة إلى بعض روافده وذلك باستثناء المناطق التي تعترضها الشلالات خاصة في أعالي النهر أو في أجزائه الدنيا. ويعدُّ نهر الكونغو (زائير) أكبر أنهار العالم في إمكانيات الطاقة الكهرومائية الكامنة التي يمكن الحصول عليها منه وإن كانت نسبة قليلة فقط هي المستغلة حالياً.

وحتى نهر النيل ـ الذي يخترق الصحراء الكبرى لمسافة كبيرة إلاَّ أنَّ منابعه تقع في إفريقيا المدارية، ويبلغ طول النهر ٦٤٠٠ كيلومتراً من منابعه إلى مصبه وتعترض مجراه ستة جنادل في المسافة بين الخرطوم وأسوان، ولا شكَّ أنَّ اختراقه المناطق الصحراوية قلَّل من مائيته، كذلك فإنَّ إمكانيات توليد الطاقة الكهرومائية منه أقل من نهر زائير وإن كان استغلاله في توليد الطاقة يفوق كثيراً نهر زائير حيث أقيمت عليه محطة توليد الكهرباء الكبرى عند سد أسوان العالي.

وينبع نهر النيجر من مرتفعات سيراليون وغينيا حيث تغزر الأمطار ويتجه شمالاً في نطاق الساحل الصحراوي الجاف حيث يكون دلتا مستنقعية ضخمة



شكل رقم (٦٣)
الأحواض النهرية في أفريقيا

ثمّ ما يلبث أن يتجه جنوباً بشرق نحو المناطق الأغزر مطراً في غرب إفريقيا حيث يتصل برافده الرئيسي بينو Benue قبل أن ينتهي إلى البحر في نيجيريا. ويصلح النيجر للملاحة في الـ ٨٠٠ كيلومتراً الدنيا من مجراه وكذلك بالنسبة لرافده بينو الذي يصلح للملاحة في قطاع كبير منه. أمّا نهر الزمبيري في جنوب القارة فهو نهر متعدد المنابع ومتذبذب الجريان وتعترض مجراه شلالات فكتوريا عندما يهبط النهر من الحوض الداخلي عبر مجموعة من الخوانق قبل أن يدخل موزمبيق ثمّ ينتهي إلى البحر، وقد أنشئت محطة ضخمة لتوليد الكهرباء عند خانق كاريبا بين زامبيا وزيمبابوي.

أما باقي القارة جنوب الصحراء فتصرف مياهها بمجموعة من الأنهار الصغيرة ومعظمها غير صالح للملاحة وقليل الأهمية في إمكانيات توليد الطاقة الكهرومائية، وأهمها نهر الفولتا Volta في غرب إفريقيا حيث استغل في غانا في توليد الكهرباء التي قامت عليها صناعة كبرى للألمنيوم. وفي الجنوب يجري نهر اللمبوبو مكوّناً الحدود الشمالية لجمهورية جنوب إفريقيا ثمّ نهر الأورانج الذي يصرف مياه معظم وسط جمهورية جنوب إفريقيا ويعدُّ من الأنهار الهامة، التي قامت عليها مشروعات الري وإن كانت مائيته قليلة تجعله عاجزاً عن الوصول إلى البحر.

ويتمثل استغلال الأنهار الإفريقية في ثلاث مظاهر رئيسية هي الملاحة النهرية والري وتوليد الطاقة الكهربائية، ويعد المظهر الأول أقلُّها في الوقت الحاضر رغم أنَّ الملاحة النهرية لعبت دوراً كبيراً في الماضي في ربط داخل القارة بسواحلها ومن ثمّ أسهمت في استغلال المناطق الداخلية بها. وعلى أية حال كان وجود الشلالات الضخمة بالقرب من السواحل من أنهار القارة جنوب الصحراء الكبرى مسؤولاً إلى حد كبير عن تأخر التوغل نحو أجزاء من وسط القارة في القرن التاسع عشر وبالتالي تأخر كشفها الجغرافي، وما زالت هذه العوائق تؤثر في النقل النهري في تلك الأنهار حتى الوقت الحاضر وتعوق التنمية

الاقتصادية ومن ثمّ تتزايد أهمية النقل البري تزايداً كبيراً سواء بالطرق أو بالسكك الحديدية.

أمّا استغلال مياه الأنهار في توليد الطاقة الكهربائية فقد أصبح من المظاهر الحديثة في إفريقيا والتي بدأت تجعل منها واحدة من أكثر قارات العالم في الموارد الكامنة لتوليد الطاقة المائية بل يتدر أنّ إفريقيا المداريّة تملك ٤٠٪ من إجمالي الطاقة المائية الكامنة في العالم، ولا شك أنّ هذا القدر الضخم من الطاقة يعوِّض ما تعانيه القارة من نقص في موارد الطاقة الأخرى مثل الفحم - فيما عدا إقليمها الجنوبي - والبترول فيما عدا إقليمها الشمالي.

وقد بدأت مشروعات ضخمة لاستغلال بعض الأنهار الإفريقية وأقيمت محطات لتوليد الكهرباء وإن كانت تبعد عن مناطق استهلاكها بمسافات كبيرة ذلك لأنّ مواضع هذه المحطات مرتبط بالتركيب الجيولوجي على امتداد النهر، ويعدُّ سد كاريبا على نهر الزمبيزي أبرز مشروعات توليد الطاقة الكهرومائية في القارة وقد تمَّ تنفيذه في سنة ١٩٥٩ وسد نهر الفولتا في غانا، أمّا حوض الكونغو فبالرغم من أنَّ أكثر من نصف الطاقة المائية الكامنة في القارة يتوفر به - فلم تنشأ به مشروعات استغلالية ضخمة ذات أهمية في مجال الطاقة.

٢ - الظروف المناخية في إفريقيا المدارية:

يتأثر مناخ إفريقيا بموقعها الجغرافي تأثراً كبيراً انعكس على الظروف المدارية وشبه المدارية السائدة بها، وتمتد القارة امتداداً واسعاً فيما بين درجتي عرض ٢١ - ٢٧° شمالاً (الرأس الأبيض في تونس) و ٣٥° جنوب خط الاستواء (عند رأس أجلهاس تقريباً)، وفيما بين هذين الحدين تصل مساحة القارة إلى حوالي ٢٩ مليون كيلومتر مربع (باستثناء الجزر) ويقع ثلثاها تقريباً فيما بين المدارين ويصل أقصى اتساع لها إلى حوالي ٧٨٠٠ كيلومتراً على امتداد دائرة العرض ١٢° شمالاً من غينيا إلى الصومال.

وقد كان لخلو القارة من سلاسل جبلية طولية أثر كبير في اتجاه التيارات الهوائية دون عائق أمامها ولذلك كان التغير المناخي تدريجياً من إقليم لآخر

بصورة كبيرة، بل إنّه في بعض المناطق يكون من السهل تحديد حدود الأنواع المناخية بدقة.

ومن ناحية أخرى، أدّى ارتفاع سطح إفريقيا الجنوبية ـ التي تبدو على هيئة هضبة مرتفعة خاصة في الشرق والجنوب إلى اعتدال درجة الحرارة المحلية وكان ذلك السبب في الواقع وراء تفضيل البيض سكنى هذه المناطق المرتفعة.

ويتأثر مناخ إفريقيا بالتيارات البحرية على السواحل الغربية والشرقية، ففي ساحل غرب القارة يمر تيار كناري البارد الذي تتراوح درجة حرارته بين ١٥°ـ ٢١°، وهو يؤثر على الجزء الساحلي من المغرب حتى الرأس الأخضر، وعلى الساحل الجنوبي الغربي أيضاً يسير تيار بنجويلا البارد الذي تتراوح درجة حرارته بين ١٣°ـ ١٨°م، وليست برودة هذه التيارات ناجمة عن أنّ مصدرها مناطق العروض العليا، بل إنّ انخفاض حرارتها يرجع كذلك إلى ظاهرة تقليب المياه أو التيارات الصاعدة الهابطة Upwelling نتيجة هبوب الرياح المحلية على هذه التيارات مما يؤدي إلى دفع المياه السطحية التي تحل محلها مياه باردة من الأعماق (كما في حالة تيار بيرو مثلاً الذي تدفع الرياح المحلية مياهه السطحية بعيداً عن الساحل).

وفيما بين الرأس الأخضر ورأس لوبز Lepez باستثناء شريط غانا توجو ـ فإنّ ساحل غرب إفريقيا يكون منطقة التقاء لتيارات دافئة (الحرارة حوالي ٢٧°م).

وعلى السواحل الشرقية للقارة ـ فإنّ جزءاً صغيراً من الساحل يتأثر بمياه المحيط الباردة في فصل الصيف الشمالي فقط، ففي هذا الوقت من السنة تؤدي الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب على الصومال إلى دفع المياه السطحية الدافئة في المحيط الهندي نحو الشرق، لتحل محلها مياه باردة من الأعماق وبحرارة تقل عن ٢١°م، أمّا بقية ساحل شرقي إفريقيا من ناتال إلى البحر الأحمر فتسود به تيارات دافئة على مدار السنة تتراوح حرارتها بين ١٨°م في

الجنوب و ٢٩°م قرب عدن بل إنَّ بعض أجزاء البحر الأحمر تصل حرارتها إلى أكثر من ٣٢°م في شهر يوليه.

أما شمال إفريقيا ـ فيكون البحر المتوسط دافئاً نسبياً بالنسبة لموقعه ويؤدي التبخر الزائد مع قلّة الأنهار التي تصب فيه إلى زيادة نسبة الملوحة به، ففي مضيق جبل طارق ـ الذي يعد ضحلاً نسبياً (٤٠٠ متر) تتجه مياه البحر المتوسط المالحة نحو المحيط الأطلسي ـ بينما لا يدخل البحر المتوسط سوى طبقة من المياه الأطلسية الدافئة سمكها ١٣٠ متراً تقريباً حتى تعوض مياه البحر المتوسط، وتصل حرارة هذا البحر إلى حوالي ١٣°م في فبراير وربما تزيد على ٢٥°م في أغسطس.

ويعدّ إقليم إفريقيا المدارية من الأقاليم عالية الحرارة على خريطة العالم، وتتزايد الحرارة في المناطق الصحراوية التي تحفّ به شمالاً وشرقاً، وترتفع بصفة عامة نهاراً في فصل الصيف حيث يبلغ متوسط أعلى الشهور حرارة في داكار (شهر يوليه) ٢٨°م وفي واجادوجو (مايو) ٣٣°م، وتنخفض الحرارة في المناطق المرتفعة بطبيعة الحال.

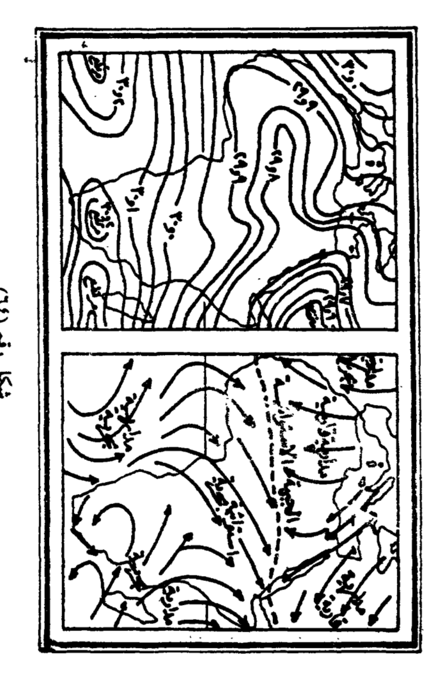
ونظراً لضيق القارة في الجنوب والامتداد الكبير للمسطحات المائية المجاورة لها فإنَّ هذا الجزء من القارة لا يشهد ارتفاعاً مماثلاً في درجات الحرارة مثل الجزء الشمالي منها، وذلك رغم وجود بعض المناطق به مثل الوادي الأدنى لنهر الأورانج أو وسط صحراء كلهاري والتي قد تزيد حرارتها على ٣٠° مئوية في يناير.

وليست الحرارة مرتفعة في الأقاليم الاستوائية في إفريقيا كما هي الحال في المناطق القريبة من المدارين، كذلك فإنَّ هذه الأقاليم لا تشهد تبايناً كبيراً في درجات الحرارة بها على امتداد فصول السنة، فالمدى الحراري الفصلي في الكونغو مثلاً يصل إلى ٥° مئوية أو أقل، وكذلك الحال في ساحل غانا وهضاب شرق إفريقيا.

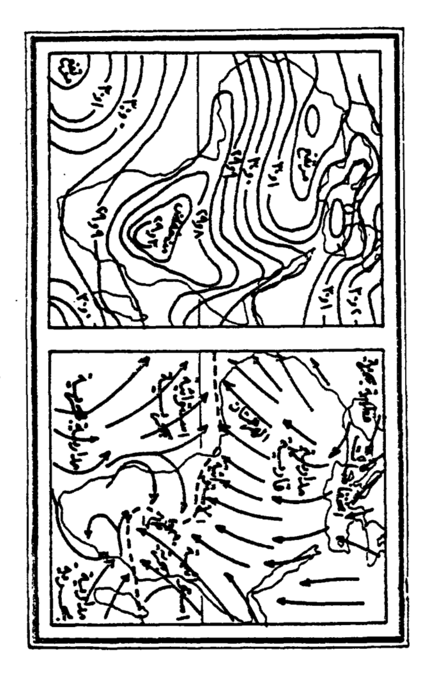
ويتأثر مناخ إفريقيا بحركة الشمس الظاهرية نحو الجنوب في الشتاء ونحو الشمال في الصيف، ويظهر ذلك في توزيع الضغط وفي نظام الرياح، ففي الصيف الشمالي يكون نطاق الصحراء الكبرى وامتداده في شبه جزيرة العرب أكثر أجزاء القارة حرارة ومن ثمَّ ينشأ به نظام للضغط المنخفض، أمَّا في الشتاء ـ فإنَّ هذا النطاق يصبح منطقة ضغط مرتفع، وفي الجنوب يسود ضغط منخفض في الصيف الجنوبي ومرتفع في الشتاء الجنوبي أيضاً. (شكل رقم ٦٤، شكل رقم ٦٥).

ويتأثر مناخ إفريقيا المدارية بثلاث أنواع من الكتل الهوائية هي كتلة الهواء المداري القاري وكتلة الهواء المداري البحري وكتلة الهواء الإستوائي البحري ولا تخلو أجزاء القارة من مؤثرات نوع واحد على الأقل من هذه الكتل الثلاث في بعض أوقات السنة، وتنشأ الكتل الهوائية المدارية القارية في طبقات الجو العليا، فوق الصحراء الكبرى وكلهاري على طول السنة، وتتميز بجفافها الشديد وباستقرارها وهبوطها على الأرض فتصبح أكثر دفئاً وجفافاً، وهي تعد مسؤولة بالدرجة الأولى عن ظروف الجفاف السائدة في هذه المناطق، وتعرف التيارات الهوائية القوية المدارية القارية التي تهب من الصحراء الكبرى على غرب إفريقيا برياح الهرمتان.

وتختلف الكتل الهوائية المدارية البحرية في خصائصها بدرجة كبيرة وتنشأ في عروض مشابهة لنشأة الهواء المداري القاري، وتوجد في مناطق الضغط المرتفع الآزوري وجنوب المحيط الأطلسي وتتميز بأنها دافئة في الطبقات العليا عنها في الطبقات الدنيا وبمعنى آخر فإنَّ تغير درجة الحرارة يوجد غالباً على ارتفاع بين ٧٠٠ ـ ١٠٠٠ متر مع وجود طبقة من السحاب الطبقي المنخفض ويرجع ذلك إلى برودة مياه المحيط في مناطق نشأة هذه الكتل (تيارات كناري وبنجويلا).



شكل رقم (٦٤)
الضغط والرياح في أفريقيا (يوليه)



شكل رقم (٦٥)
الضغط والرياح في أفريقيا (يناير)

الأقاليم المناخية في أفريقيا المدارية:

يمكن تقسيم إفريقيا المدارية على أساس العناصر المناخية خاصة كمية الأمطار (شكل رقم ٦٦) ودرجة الحرارة إلى الأقاليم المناخية الرئيسية التالية: (شكل رقم ٦٧):

أولاً: المناخ الصحراوي ويشمل:
١ ـ إقليم المناخ الجاف.
٢ ـ إقليم المناخ شبه الجاف.

ثانياً: المناخ المعتدل الدفيء ويشمل:
١ ـ مناخ البحر المتوسط.
٢ ـ المناخ البحري الرطب.

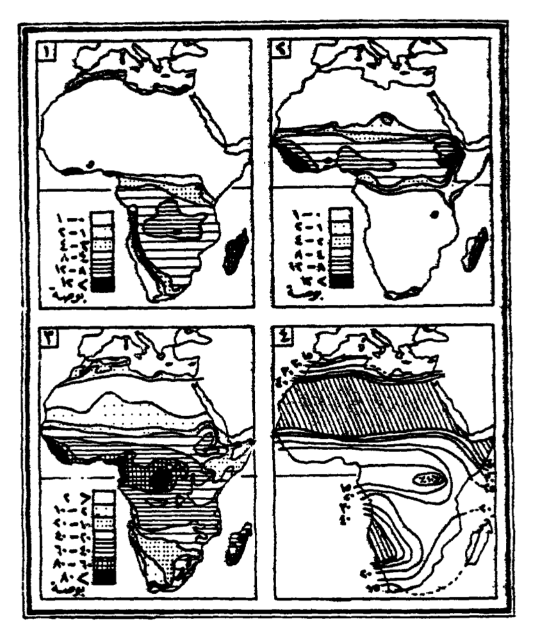
ثالثاً: المناخ المداري المطير ويشمل:
١ ـ المناخ المداري الممطر صيفاً.
٢ ـ المناخ المداري المطير طول العام.

رابعاً: مناخ المرتفعات المعتدل الدفيء الممطر صيفاً.

أولاً: المناخ الصحراوي

١ ـ إقليم المناخ الجاف:

ويشمل الأطراف الشمالية من إفريقيا المدارية وكذلك صحراء ناميب الساحلية وصحراء كلهاري في جنوب إفريقيا كما تشمل النطاق الساحلي من الصومال. وأبرز مميزات الصحراء ارتفاع درجة الحرارة بصفة عامة خاصة أثناء النهار في فصل الصيف حيث تصل إلى ٤٩° مئوية أحياناً كما أنَّ مدى التغير الحراري اليومي والفصلي أعظم منه في أي مناخ آخر.



١ - ٢ - المتوسط الشهري للأمطار في يناير ويوليو.
٣ - المتوسط السنوي للأمطار.
٤ - تذبذب الأمطار السنوي (الأرقام هي النسب المئوية للانحراف المتوقع عن المتوسط السنوي).

شكل رقم (٦٦)
الأمطار في أفريقيا

أمّا الأمطار فهي معدومة أو نادرة إلاّ في بعض الأماكن القليلة التي يرتفع فيها سطح الأرض كما في هضبة الحجار، والرياح السائدة على الصحراء الكبرى هي الرياح التجارية الشمالية الشرقية، وتتميز بشدة الجفاف لمرورها على مساحات واسعة من اليابس ولهبوبها نحو مناطق أشد حرارة بصفة عامة من المناطق التي تهب منها، وتعد السواحل الغربية للصحراء الكبرى أقل حرارة لتأثرها بتيار كناري البارد كما أنَّ صحراء ناميب وكلهاري أقَلّ جفافاً من الصحراء الكبرى وذلك لضيق القارة وارتفاع مستوى سطحها عنه في الشمال.

أما على طول سواحل الصومال وخليج عدن فإنَّ الجفاف يرجع أساساً لعاملين أولهما: أنَّ هذه المناطق تقع في ظل المطر بالنسبة للمرتفعات الأثيوبية في الوقت الذي تتعرض فيه هذه المرتفعات صيفاً لتيارات هوائية بحرية استوائية من الجنوب الغربي. وثانيهما: أنَّها تتعرض في الشتاء لهبوب تيارات هوائية من الصحراء العربية ولا تكون محملة إلاَّ بكميات قليلة من الرطوبة عند عبورها خليج عدن ولذا لا يسقط على بربره على خليج عدن سوى ٢,٥ بوصة فقط سنوياً.

٢ - المناخ شبه الجاف:

وهو يحف بالأقاليم المدارية المطيرة شمالاً وجنوباً ويبدو على هيئة شريط ضيِّق في معظم الحالات، إلاَّ أنَّ هناك ثلاث مناطق كبرى شبه جافة هي الحواف الجنوبية للصحراء الكبرى وأجزاء من الصومال وشرق أثيوبيا وأجزاء محدودة من جنوب غرب إفريقيا وبتسوانا وشرق كلهاري، وتتعرض حواف الصحراء الكبرى لسقوط الأمطار، ففي الخرطوم يصل متوسط الأمطار السنوية إلى ٦,٥ بوصة تسقط منها ٥ بوصات في شهري يوليه وأغسطس فقط، ويشبهها في ذلك جاو Gao على نهر النيجر (على دائرة عرض ١٦°) حيث يسقط بها ٩ بوصات سنوياً منها ٥ ١/٢ بوصة في يوليه وأغسطس، ويتراوح متوسط الحرارة في الخرطوم من ٢٣°م في يناير إلى أكثر من ٣٣°م في مايو ويونيه قبيل سقوط الأمطار.

١	المناخ الجاف
٢	المناخ شبه الجاف
٣	مناخ البحر المتوسط
٤	المناخ البحري الرطب
٥	المناخ المداري الممطر صيفاً
٦	المناخ المداري المطير
٧	المرتفعات الدفيئة الممطرة صيفاً
٨	المرتفعات المعتدلة

أديس أبابا
أكرا
ليوبولدفيل
بيرا
دربان
كيبتاون
ميل

شكل رقم (٦٧)
الأقاليم المناخية في أفريقيا المدارية

وتدخل مساحة كبيرة من جنوب إفريقيا ضمن المناطق شبه الجافة وتخضع هذه المساحة في معظم السنة لتأثير الهواء القاري مثل الصحراء الكبرى، ولكن الظروف الأعصارية الضعيفة في الصيف تسمح بتوغل تيارات هوائية محملة بالرطوبة فتصل كمية الأمطار في أبنجتون Upington على نهر الأورانج إلى ٦ بوصات سنوياً تسقط ثلاثة أرباعها في الفترة من ديسمبر إلى إبريل، وكذلك وندهوك Windhock على ارتفاع ١٨٠٠ متر في جنوب غرب إفريقيا تسقط عليها ١٤,٣ بوصة سنوياً منها ٨ بوصات في الفترة من يناير حتى مارس فقط.

أما المنطقة الثالثة ذات المناخ شبه الجاف فتقع في شرق أثيوبيا وبعض مناطق الصومال المجاورة والعوامل التي تؤثر في جفاف هذه المنطقة هي تلك التي سبق ذكرها في نطاق ساحل الصومال ولكن ارتفاع التضاريس بهذه المنطقة يسهم في سقوط بعض الأمطار. كذلك فإن دفء المياه الساحلية من مقديشو نحو الجنوب يلعب دوره هو الآخر حتى أنَّ هذه المدينة تستقبل ١٧ بوصة سنوياً يسقط معظمها في الفترة من إبريل حتى يوليه.

ثانياً: المناخ المعتدل الدفيء

١ ـ مناخ البحر المتوسط:

وهو مناخ شبه مداري جاف صيفاً، وشتاؤه ممطر وبارد نوعاً، ويسود في منطقة صغيرة نسبياً في القارة هي أقصى جنوب غرب مقاطعة الكاب في جنوب إفريقيا. وتتعرض هذه المنطقة لهواء قطبي بحري معتدل في الشتاء مصحوب بتقلبات واضطرابات في الجو تسقط خلالها الأمطار، ويعد توزيع شجرة الزيتون أبرز مظهر نباتي يرتبط بتوزيع مناخ البحر المتوسط، وذلك لأنها تنمو فقط حيثما توفرت ظروفه المناخية الرطبة شتاء والجافة صيفاً.

٢ ـ المناخ شبه المداري البحري الرطب:

ويتمثل في منطقة واحدة في إفريقيا المدارية وهي منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لجنوب إفريقيا ممتدة تقريباً من خليج موصل حتى شمال ناتال، وكان

للموقع البحري لهذا الإقليم أثر كبير في ظروفه المناخية حيث أنّ المدى الحراري قليل (بورت اليزابيت ٦°م ودربان ٧°م) ولكن الحرارة أقل نسبياً في الأجزاء الجنوبية عنها في الأجزاء الشمالية، ففي بورت اليزابيت هناك ستة شهور تنخفض فيها الحرارة عن ١٧°م بينما في دربان لا يوجد شهر واحد تقل فيه الحرارة عن ١٨°م ويصل متوسط الحرارة إلى ٢٥°م في فبراير.

كذلك فإنَّ هناك تغيراً في توزيع الأمطار الفصلية، ففي الوقت الذي يتميز فيه ساحل ناتال بشتاء جاف نسبياً (حوالي ١٤٪ من كمية الأمطار الساقطة في دربان وقدرها ٤٣ بوصة سنوياً تسقط في أربعة شهور من مايو إلى أغسطس) بينما تتميز المناطق الساحلية الجنوبية بين بورت اليزابيث وخليج موصل بسقوط الأمطار موزعة على شهور السنة تقريباً.

ثالثاً: المناخ المداري

١ - المناخ المداري المطير صيفاً:

يشغل هذا النوع من المناخ المطير صيفاً ما يقرب من خمسي مساحة إفريقيا المدارية، وهو يمثل مناخاً انتقالياً بين المناخ الجاف وشبه الجاف من ناحية، والمناخ المداري المطير طوال العام من ناحية أخرى، ويتأثر هذا الانتقال بزيادة كمية الأمطار ويتناقص الفصل الجاف تدريجياً عند الانتقال من العروض المدارية إلى العروض الإستوائية.

وتوضح بيانات الأمطار في محطة موانزا Mwanza على الساحل الجنوبي الشرقي لبحيرة فكتوريا (تقع على دائرة عرض ٣٠ و٢° جنوباً وعلى ارتفاع ١٣٠٠ متر) نظام الأمطار السنوية على النحو التالي:

الشهر	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونيه	يوليه
الكمية بالبوصة	٢,٥	٣,٢	٦,٥	٨,٧	٣,٣	١,٩	٠,١
	اغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة	
	١,٥	٢,٨	٣,١	٥,١	٤,٩	٤٢,٦	

ويسود هنا الجفاف النسبي مدّة أربعة شهور في السنة، ويتمثل ذلك في الشهور التي تقل كمية الأمطار بكل منها عن بوصتين. أمّا موسم الأمطار فيشمل ثمانية شهور بقمتين واضحتين في إبريل ونوفمبر.

وفي الحواف الشمالية للمناخ المطير صيفاً تبدأ الخصائص في التغير حيث تقل الأمطار ـ كما في كانو في نيجيريا (١٢° شمالاً) حيث بلغ متوسط الأمطار بها ٣٤ بوصة، ويستمر فصل الجفاف قرابة سبعة شهور وتسقط من هذه الكمية ٣٢ بوصة في الفترة من مايو حتى سبتمبر وذلك بفعل الهواء الإستوائي البحري الذي يؤثر في هذا النطاق بين هذين الشهرين.

وينبغي الإشارة هنا إلى تغيرات سقوط الأمطار وتذبذبها مما يؤثر بدرجة كبيرة على الإنتاج الزراعي الذي يعتمد عليها، ونظراً لاتساع المساحة وضخامة المؤثرات المناخية فإنّ من الصعب التنبؤ الجوي في هذا الإقليم كذلك فمن الحقائق الهامة أنّ الأمطار تسقط أساساً في فصل الصيف ومن ثمّ تتعرض للبخر بصورة كبيرة وما يترتب عليه من تناقص كبير في القيمة الفعلية للأمطار التي تسقط في أكثر شهور السنة حرارة، ففي كانوا مثلاً يتراوح متوسط درجة الحرارة الشهرية في موسم الأمطار من ٢٠ ـ ٢٤°م ـ كذلك فإنّ هذه القيمة الفعلية ترتبط بنظام سقوط المطر حيث تسقط الأمطار المدارية في زخات غزيرة يصحبها الرعد في معظم الأحوال. وقد يترتب على ذلك فيضانات عالية وتعرية مائية على نطاق كبير في بعض الأحيان كما قد تمضي بعض السنوات دون سقوط أمطار تكفي الزراعة والرعي مما يؤدي إلى حدوث مجاعات تحصد الآلاف من الأرواح.

٢ ـ المناخ المداري الممطر طول العام:

وهو الذي يعرف بالإقليم الإستوائي حيث تزيد أمطاره السنوية على ٥٠ بوصة وترتفع به درجات الحرارة (لا تقل عن ٢٠°م في أي شهر) ويضم هذا المناخ حوض الكونغو ومعظم مناطق جمهورية الكونغو والجابون وجنوب الكاميرون وأقصى الطرف الجنوبي من غرب إفريقيا فيما بين سيراليون حتى حدود الكاميرون.

وفي كل هذه المناطق السابقة تسقط أمطار غزيرة بفعل الكتل الهوائية الإستوائية البحرية غير المستقرة وتزداد غزارة الأمطار على المناطق المرتفعة التي تعترض اتجاه الرياح كما في مرتفعات الكاميرون وفوتاجالون، ويعد جبل الكاميرون أكثر مناطق القارة أمطاراً حيث تصل أمطاره إلى ٤٠٠ بوصة سنوياً - ويلاحظ أنَّ هذه الكمية تتوزع على شهور السنة وإن كانت هناك بعض الشهور التي تشهد تزايداً أكبر نسبياً، وتصل كمية الأمطار السنوية في كوناكري إلى ١٦٩ بوصة وتقل أمطارها بشدَّة في الفترة من ديسمبر حتى إبريل.

ويتميز شرق مدغشقر بالمناخ المداري المطير رغم وقوعه على بعد ١٢° درجة عرضية من خط الاستواء، ولذلك فالمدى الحراري به أكثر من المناطق السابقة في هذا النوع من المناخ، ففي تاما تاف Tammatave على الساحل يعدُّ شهر يوليه أبرد الشهور (٢٠° م) بينما فبراير أدفأها (٢٧° م) وتصل كمية الأمطار السنوية بها إلى ١٣١ بوصة ولا يقل أي شهر من الشهور عن ثلاث بوصات.

رابعاً: مناخ المرتفعات المعتدل الدفيء الممطر صيفاً

يتراوح ارتفاع هضبة جنوب إفريقيا بين ١٣٠٠ - ٢٠٠٠ متراً فوق سطح البحر، في المنطقة المعروفة باسم الفلد العليا، ويختلف مناخها عن مناخ المناطق المجاورة حيث تنخفض درجة الحرارة بفعل عامل الارتفاع كذلك تسقط الأمطار في الصيف.

ونحو الغرب يقل الارتفاع ويبدأ السطح في الانحدار التدريجي وتوجد هنا منطقة انتقالية تنتهي إلى المناخ شبه الجاف والجاف في صحراء كلهاري، بينما في الشرق توجد مرتفعات ليستو ودراكنزبرج، ويتراوح متوسط الحرارة الشهري في بلومفنتين (على ارتفاع ١٥٠٠ متر) بين ٨°م في يونيه و٢٢°م في يناير وتصل كمية الأمطار السنوية إلى ٢٢ بوصة منها بوصتان فقط تسقطان في الفترة من يونيه إلى سبتمبر وعلى ذلك فإنَّ الشتاء يتميز بظروف جفاف بارد نسبياً مع حدوث صقيع في الفترة من مايو حتى سبتمبر.

وإلى الشمال من خط الاستواء توجد هضبة الحبشة حيث تتميز المناطق القليلة الارتفاع بها بمناخ معتدل دفيء مع سقوط الأمطار صيفاً. وتنخفض الحرارة بالارتفاع حتى أنّ الثلوج قد تتكون في القمم العليا (٥٠٠٠ متر فأكثر) رغم أنّ بعضها لا يبعد عن خط الاستواء إلاّ بحوالي ١٥° عرضية فقط. كذلك فإنّ المدى الحراري قليل، فيتراوح متوسط الحرارة في عمرر (على ارتفاع ٢٠٠٠ متر) بين ١٨°-٢٠°م، وفي أديس أبابا (٢١٠٠ متر) بين ١٢°-١٣°، وتنعكس أمطار الصيف في المرتفعات على فيضان روافد النيل الأثيوبية مثل النيل الأزرق الذي يسهم بنسبة كبيرة من مياه النيل.

وتوضح الأرقام التالية نظام سقوط الأمطار في أديس أبابا:

الشهور		الشهور	
يناير	٠,٥	فبراير	١,٥
مارس	٢,٦	إبريل	٣,٤
مايو	٣,٤	يونيه	٥,٤
يوليه	١١,٠	أغسطس	١١,٨
سبتمبر	٧,٥	أكتوبر	٠,٨
نوفمبر	٠,٦	ديسمبر	٠,٢

السنة: ٤٨,٧ بوصة

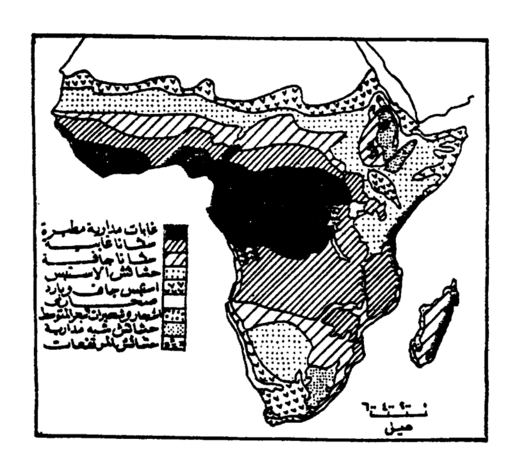
وعلى ذلك فإنّ الأمطار هنا موسمية تجلبها التيارات الهوائية البحرية الإستوائية من الجنوب الغربي فيما بين شهري إبريل وسبتمبر، أما باقي السنة فيسود أثيوبيا مناخ مداري يتأثر بالتيارات الهوائية من شبه الجزيرة العربية.

٣ ـ الحياة النباتية في إفريقيا المدارية

من الجدير بالذكر أنّ الغطاء النباتي الحالي في إفريقيا المدارية ليس ثابتاً أو مستقراً في الزمان أو المكان فمنذ العصر المطير الأخير في الزمن الرابع وخلال القرون الأخيرة تعرض المناخ للتغير البطيء وتناقصت كمية الأمطار في إفريقيا بدرجة ملحوظة، كما أنّ هناك تغيرات مناخية في فترات قصيرة حيث كان

الإنسان في العصر الحجري الحديث قادراً على العيش في الصحراء الكبرى وسكنى بعض مناطقها التي أصبحت قاحلة ومهجورة الآن، كذلك فإنّه ينبغي القول بأنّ الحياة النباتية في معظم القارة خاصة فيما بين الغابات المدارية المطيرة والصحراء ـ تتعرض لتغيرات جوهرية من فصل لآخر فحيث يحرق السكان الحشائش تبدو الأشجار عارية من الأوراق كما تبدو المناطق شبه الصحراوية قاحلة تماماً، ولكنّ الحشائش ما تلبث أن تنمو وتورق بمعدَّل كبير بعد سقوط الأمطار، ويبدو المظهر الطبيعي على هيئة نطاق واسع غني بحشائشه وأشجاره.

ويمكن تقسيم الحياة النباتية في إفريقيا إلى الأنواع التالية: (شكل رقم ٦٨):



شكل رقم (٦٨)
الأقاليم النباتية في أفريقيا المدارية

١ ـ الغابات المدارية المطيرة:

وهي تلك الغابات التي تنمو في الأقاليم المناخية المطيرة وذات خصائص معروفة حيث تتكون الغابة المدارية من أشجار طويلة ودائمة الخضرة وبكثافة عالية من النباتات الصغيرة والمتسلقة وقد تبلغ الأشجار ارتفاعاً كبيراً قد يصل إلى ٥٠ متر بل إنَّ بعض الأنوع قد سجل رقماً قياسياً في الطول وصل إلى ١٠٠ متر.

وتحوي الغابات المدارية أنواعاً عديدة للغاية حتى أنَّه من الشائع أنَّ الشجرة الواحدة تختلف عن الشجرة المجاورة في النوع ويحول تشابك أغصانها دون وصول أشعة الشمس إلى أرض الغابة، ولذا فإنَّ النمو السطحي فيما بين الأشجار ليس كثيفاً إلَّا في البقاع التي أزيلت عنها أجزاء من الغابة أو على ضفاف الأنهار التي تخترقها.

ونتيجة لاستمرار ارتفاع درجات الحرارة وسقوط الأمطار فليست هناك تغيرات فصلية إلَّا في بعض المناطق التي يسود بها فصل جاف بوضوح ولذا فإنَّ التزهير أو الأثمار يستمر على مدار السنة، ولقد عرف عن الغابات المدارية صعوبة اختراقها وذلك مرجعه للتربة الصلصالية الزلقة وكثرة الأشجار والأغصان الساقطة التي تجعل اختراق الغابة أمراً مجهداً وبطيئاً، بالإضافة إلى كثافة الغطاء النباتي.

ويعدُّ تحديد امتداد الغابات المدارية أمراً مثيراً للجدل فحتى على الخريطة المبينة فإنَّ هناك مناطق تتخلل نطاق الغابات المطيرة تظهر بها حشائش السفانا الطويلة المختلطة في مناطق تربة اللاتريت كما توجد بعض البقاع التي أزيل غطائها النباتي وأصبحت مناطق مزروعة.

وعلى حواف الغابات المدارية شمالاً وجنوباً توجد مناطق انتقال تتميز باختلاط هذه الغابات بحشائش السافانا الطويلة وقد تأثرت هذه الحواف بالعامل البشري تأثراً كبيراً حيث يرى بعض الكتاب أنَّ حرق الغابات المطيرة قد أدَّى إلى ظهور السافانا الطويلة المختلطة وما زالت هذه الظاهرة مستمرة حيث تحرق كل عام مساحات كبيرة من السافانا ولا يبقى سوى الأشجار

والشجيرات القادرة على مقاومة الحريق.

٢ ـ السافانا الغابية:

تسود السافانا في الأقاليم المدارية التي تتعرض لفصل جفاف طويل في الشتاء وفصل ممطر في الصيف، وتزداد كثافة السافانا بالقرب من الغابات المطيرة، كما تبدو مختلطة بالغابات وتقل كثافتها وطولها بالابتعاد شمالاً أو جنوباً نحو المدارين، ويحدُّ طول فصل الجفاف في هذين الاتجاهين من نمو الأشجار في مناطق السافانا الجافة وشبه الجافة، ويتفاوت طول الفصل الجاف في السفانا الغابية من ثلاثة إلى سبعة شهور وتتعرض الأشجار والشجيرات والسفانا للحريق من أجل إعداد الأرض للزراعة.

وكما سبق القول فإنَّ الأشجار المتبقية في السفانا في الوقت الحاضر هي تلك التي قاومت الحريق إلى حد كبير، ولذلك فإنَّ كثافة الغطاء النباتي تتوقف على الظروف الطبيعية الملائمة من ناحية ومدى تدخل الإنسان ومن ثمَّ كثافة السكان من ناحية أخرى، ففي غرب إفريقيا تعرض الغطاء النباتي في كثير من المناطق للتغير أكثر من مرة نتيجة لاستمرار إزالته لممارسة الزراعة.

وفي بعض الأقطار التي تقل بها كثافة السكان ـ فإنَّ أشجار السفانا تصبح سمة بارزة للغطاء النباتي يصل طولها إلى ٢٥ متراً، وقد تلاءمت حشائش السفانا مع الدورة المناخية السنوية والتي تنتج صوراً مختلفة على امتداد السنة، فعندما تسقط الأمطار بكمية وفيرة تنمو هذه الحشائش بسرعة إلى ارتفاعات تتراوح بين ٢ ـ ٤ متراً ولكن في فترات الجفاف فإنَّها تتعرض للحريق أو الجفاف تماماً حتى جذورها وتبقى هكذا في طور السبات Dormant Stage حتى سقوط الأمطار في الموسم التالي.

٣ ـ السفانا الجافة:

تعدُّ السفانا الجافة امتداداً للسفانا الغابية بالاقتراب نحو المناطق الجافة وذلك لتزايد فصل الجفاف وارتفاع حرارة الصيف، وهي بذلك تتحوَّل من سفانا طويلة إلى استبس قصير مع وجود بعض الأشجار النفضية المبعثرة

والشجيرات المقاومة للجفاف ويشمل هذا النوع معظم شمال الترنسفال ووادي اللمبوبو فيما يعرف بنطاق البوشفلد، وكذلك المناطق المحيطة بأنجولا وجنوب غرب إفريقيا ومن السنغال حتى السودان الجنوبي.

٤ ـ حشائش الإستبس:

وهي مرحلة أخرى من مراحل الانتقال نحو النطاق شبه الصحراوي وتتميز الحشائش هنا بقصرها ووجود بعض الأشجار الشوكية مثل السنط وتسود في صحراء كلهاري من نهر أوكو فانجو Okovange نحو نهر الأورانج ومن الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى والأجزاء الجافة من كينيا وشرق أثيوبيا، وتلائم كل الأنواع النباتية ظروف الجفاف الطويل، وقد يصل طول الأشجار الشوكية إلى ٣ أو ٧ أمتار، وتتميز الحشائش هنا بتبعثرها وتساعد على قيام الرعي البدوي المتنقل وإن كانت ظروف الرطوبة والبرودة النسبية في الأجزاء العليا من مرتفعات جنوب غرب إفريقيا تسهم في وجود مراع أجود.

٥ ـ حشائش الإستبس الجافة والكارو:

وتظهر حيث يصبح الغطاء النباتي متقطعاً مع ظهور مساحات قاحلة من الأرض، وعندئذ تسود بعض الشجيرات والحشائش القصيرة التي تزدهر لمدّة عدّة أسابيع فقط عقب سقوط الأمطار، ولا تنمو الأشجار أو الشجيرات إلاّ على امتداد المجاري المائية.

٦ ـ الصحاري:

وتتبعثر النباتات بها تبعثراً شديداً حتى أنَّ بها مساحات قاحلة لا تنمو بها نباتات على الإطلاق مثل المناطق الصخرية والكثبان المتحركة وقد تأقلمت الحياة النباتية بالصحراء على ظروف الجفاف ولذا فإنّها تتكون من أنواع تتميز بنموها السريع والتزهير والأثمار ثمّ السبات عند تبخر الرطوبة لتبقى البذور فقط حتى سقوط الأمطار في الفصل التالي، كما ينمو النخيل وتقوم الزراعة في بعض الواحات الصحراوية.

٧ ـ الحشائش شبه المدارية والمعتدلة:

توجد منطقة من الحشائش الكثيفة على ارتفاع من حوالي ١٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ متراً في جنوب إفريقيا ممتدة لمئات من الأميال في الفلد الأعلى، وتختلف حسب المناخ المحلي والتربة ويصل ارتفاعها إلى حوالي متر ولكنها لا تصل في كثافتها ووفرتها إلى ما تصل إليه حشائش السفانا، ولما كانت الأمطار في الصيف تتعرض لفقد كمية كبيرة بالتبخر وارتفاع في درجات الحرارة فإنّ المظهر الأرضي للفلد يتباين حسب هذه الظروف حتى أنّ الأرض لا تبدو خضراء تماماً إلاّ في فصل الربيع وقبل ارتفاع درجات الحرارة، ويحد الصقيع في الشتاء من نمو الأشجار في هذا النطاق، وفي ليسوتو على ارتفاع ٣٠٠٠ متر فأكثر توجد الحشائش التي تشبه المراعي الألبية.

وعلى المرتفعات والهضاب الأثيوبية بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ متراً تنمو أنواع متعددة من الحشائش وتوجد الأشجار بكثرة حتى ارتفاع ٢٧٠٠ متراً في الأجزاء الرطبة ولكنها ما تلبث أن تختفي بسرعة في الارتفاعات الأعلى من ذلك نتيجة انخفاض درجات الحرارة.

الفصل الخامس عشر

المَلامح البَشريّة

١ ـ سكان إفريقيا المدارية

قدِّر عدد سكان إفريقيا المدارية بحوالي ٤٢٠ مليون نسمة في سنة ١٩٨٥ وبنسبة تصل إلى ثلاثة أرباع سكان القارة الإفريقية أو نحو ٨٪ من جملة سكان العالم في تلك السنة. ويعدُّ هذا الإقليم نموذجاً للإقليم النامية في العالم ـ بل هو أقلها تقدماً في الواقع ـ وبأعلى معدلات المواليد والوفيات في العالم، وقد أدَّت العلاقة بين المواليد والوفيات إلى وجود أعلى معدل للنمو السكاني حيث تزايد هذا المعدل من ٢,٢٪ في الفترة من ٥٠ ـ ١٩٥٥ إلى ٣٪ في أوائل الثمانينات (جدول رقم ١٨). وقد أصبحت إفريقيا المدارية منذ السبعينات أعلى أقاليم العالم في معدَّل النمو السكاني، وتتميز الأقاليم الثانوية في إفريقيا المدارية بالتجانس إلى حد كبير ـ ربما باستثناء جنوب القارة حيث تنخفض به المعدلات الحيوية (جدول رقم ١٩). وقد ارتبط ذلك بعوامل عدَّة في البناء الاجتماعي والاقتصادي لإفريقيا المدارية لعلَّ أبرزها انخفاض مستويات العيش وارتفاع معدلات وفيات الأطفال الرضع حيث تربو في معظم دول القارة على ١٠٠ في الألف وما يرتبط بذلك من تدني متوسطات الأعمار في المجتمعات الإفريقية.

كذلك فإنَّ هذه المجتمعات في معظمها ما زالت تقليدية تعتمد على الزراعة والرعي وتنخفض فيها مستويات التعليم وتتدنى نسبة سكان المدن، وقد قدِّر أنَّ أكثر من نصف سكان الدول الإفريقية فيما وراء الصحراء غير قادر على القراءة أو الكتابة وتزيد هذه النسبة بشكل حاد في بعض الدول كما تبين الأرقام التالية لدول مختارة (١٩٨٣):

الدولة	نسبة الأمية (٪)	الدولة	نسبة الأمية (٪)
مالي	٩٧	موزمبيق	٧٥
غامبيا	٩٤	بورندي	٧٥
سيراليون	٩٠	تنزانيا	٦٨
فولتا العليا	٩٠	زامبيا	٤٨
توجو	٨١	جمهورية جنوب إفريقيا	٣٠
ليبيريا	٧٩	(فرنسا للمقارنة)	١

جدول رقم (١٨)
التطور العددي لسكان إفريقيا المدارية (جنوب الصحراء)
(مليون نسمة)

السنة	شرق إفريقيا	وسط إفريقيا	جنوب إفريقيا	غرب إفريقيا	الجملة	معدل النمو السنوي ٪
١٩٥٠	٦٤	٢٧	١٥	٦٤	١٧٠	-
١٩٥٥	٧١	٣٠	١٧	٧٢	١٩٠	٢,٢
١٩٦٠	٨٠	٣٣	٢٠	٨١	٢١٤	٢,٣
١٩٦٥	٩٠	٣٧	٢٢	٩٢	٢٤١	٢,٥
١٩٧٠	١٠٣	٤٢	٢٥	١٠٥	٢٧٥	٢,٦
١٩٧٥	١١٧	٤٧	٢٩	١٢١	٣١٤	٢,٧
١٩٨٠	١٣٥	٥٤	٣٣	١٤١	٣٦٣	٢,٨
١٩٨٥	١٥٦	٦٢	٣٧	١٦٥	٤٢٠	٣,٠

المصدر:

U. S. Sept. Of Commerce, World Population, 1983, P. 47.

جدول رقم (١٩)
بعض المقاييس الديموغرافية لأقاليم إفريقيا المدارية ١٩٨٣

الإقليم	عدد السكان بالمليون	معدل المواليد في الألف	معدل الوفيات في الألف	معدل النمو السكاني (٪)
شرق إفريقيا	١٤٧	٥٠	١٩	٣,٣
وسط إفريقيا	٥٨	٤٧	١٩	٣,١
جنوب إفريقيا	٣٥	٣٧	١١	٢,٦
غرب إفريقيا	١٥٥	٥٠	١٩	٣,٣
جملة إفريقيا المدارية	٣٩٥	٤٨	١٨	٣,٠

المصدر:

U. S. Dept. Of Commerce, World Population, 1983, P. 47.

ويتوزع سكان إفريقيا المدارية الذين يبلغ عددهم ٣٩٥ مليون نسمة على ٤٤ دولة تتفاوت أحجامها السكانية من مائة ألف نسمة (سيشل وساوتومي وبرنسيب) إلى ٨٤ مليون نسمة (نيجيريا) وتقل الكثافة السكانية بشكل حاد باستثناء بعض البؤرات ذات الكثافة العالية في الغرب والشرق، ومن ثمَّ فالسمة الغالبة هي التبعثر السكاني وليس التركز.

وتتباين أحجام السكان بين دول إفريقيا المدارية تبايناً كبيراً، ففي سنة ١٩٨٣ كان هناك دولة واحدة هي نيجيريا يسكنها ٨٤ مليون نسمة أي خمس سكان إفريقيا المدارية وثلاث دول هي إثيوبيا وزائير وجمهورية جنوب إفريقيا ويسكنها ٩٣ مليون نسمة أي قرابة الربع، ثمَّ خمس دول: تنزانيا وكينيا وغانا وموزمبيق وأوغندة ويسكنها ٨٠ مليون نسمة أي الخمس. ومعنى ذلك أنَّ هذه الدول التسع يعيش بها ٢٥٧ مليون نسمة أي نحو ثلثي سكان إفريقيا المدارية سنة ١٩٨٣ ويتوزع الثلث الباقي على ٣٥ دولة أخرى من دول هذا الإقليم كما تبين الأرقام التالية:

نيجيريا	٨٤,٢	مليون	نسمة	بنسبة	٢١,٣٪
أثيوبيا	٣١,٣	=	=	=	٧,٩
زائير	٣١,٣	=	=	=	٧,٩
جمهورية جنوب إفريقيا	٣٠,٧	=	=	=	٧,٨
تنزانيا	٢٠,٥	=	=	=	٥,٢
كينيا	١٨,٦	=	=	=	٤,٧
غانا	١٣,٩	=	=	=	٣,٥
موزمبيق	١٣,١	=	=	=	٣,٣
أوغندة	١٣,٨	=	=	=	٣,٤
باقي الدول (٣٥ دولة)	١٣٧,٦	=	=	=	٣٤,٨
الجملة	٣٩٥				١٠٠,٠

وعلى ذلك فإنَّ هناك عدداً كبيراً من الدول القزمية في حجم السكان ويقل عدد سكانها عن مليون نسمة وهي غامبيا وغينيا بيساو وجزر القمر وسيشل والجابون وغينيا الإستوائية وساوتومي وبرنسيب ورغم تبعثر السكان بشكل واضح في إفريقيا المدارية فإنَّ الكثافة الفيزيولوجية (نسبة السكان إلى الأراضي الزراعية) تتباين بشدَّة هي الأخرى، وهناك علاقة طردية قوية بين ارتفاع الكثافة الفيزيولوجية ومناطق الزراعة بدول القارة كما يبدو ذلك في دول الهوامش الجافة في الشمال أو في الجنوب مثل وادي نهر النيجر وتبين الأرقام التالية أعلى الكثافات وأدناها في دول الإقليم:

	أعلى الكثافات		أدنى الكثافات	
ليبيريا	١٢٢١	نسمة/ كم٢	إفريقيا الوسطى	٣١
غانا	٩٤٠	=	مالي	٤٩
كينيا	٨٤٨	=	تشاد	٥٨
رواندا	٦١٢	=	سيراليون	٧٤

وليس هناك من تفسير واحد لتبعثر السكان في إفريقيا المدارية وإن كانت

بعض العوامل البيئية والبيولوجية والاجتماعية تتشابك في النهاية لتحد من النمو والتوزيع الكثيف للسكان، فمن المؤكد جغرافياً أنَّ إفريقيا المدارية ككل ليست ملائمة تماماً للاستيطان البشري ولعلَّ في موقعها الجغرافي ما يدل على تفشي مشكلات بيئية عديدة حيث ينصفها خط الاستواء ويقع معظمها بين المدارين ولا توجد بها سلاسل جبلية ضخمة يمكن أن تغير من النمط المناخي المداري السائد، ولذا فإنَّ أكثر من نصفها حار ذو مناخ مطير وغابات مدارية مطيرة كثيفة وتسود به الأمراض المتوطنة ويعاني من مشكلات تعرية التربة نتيجة إزالة الغطاء النباتي ومن ثمَّ يتوزع السكان توزيعاً مبعثراً وبكثافة قليلة للغاية.

الأمراض والوفيات:

سبق القول بأنَّ إفريقيا المدارية تحظى بأعلى معدلات للوفيات بين أقاليم العالم حيث يبلغ متوسط معدل الوفيات بها ١٨ في الألف (متوسط العالم ١٣ في الألف سنة ١٩٨٣)، وإذا ما قارنا دول القارة في هذا المجال نجد أنَّ معدل الوفيات الخام يتراوح بين ١١ في الألف في جمهورية جنوب إفريقيا وزيمبابوي إلى ٢٥ في الألف في فولتا العليا و٢٨ في الألف في غمبيا.

ويرتبط بوجود العوائق البيئية الكامنة في إفريقيا وجود كثير من الأمراض التي تصيب الإنسان بل والحيوان أيضاً، وقد تأثر نمو السكان وتوزيعهم بانتشار بعض الحشرات مثل ذباب تسي تسي والبعوض والجراد وبعض الديدان المائية وغيرها، كذلك تنتشر أمراض معدية أخرى مثل التيفوس والطاعون والتراكوما والدرن والأمراض التناسلية، وقد تزايدت هذه الأمراض تزايداً واضحاً في القرن العشرين، كما انتشر الكثير منها من خلال انتقال السكان وهجرتهم، كذلك فقد شهدت القارة بعض أمراض البيئة المعتدلة مثل الأنفلونزا التي انتشرت بسرعة بين السكان.

ويسود بإفريقيا كثير من الأمراض الناجمة عن سوء التغذية حيث يعاني كثير من السكان من نقص البروتين نتيجة قلَّة استهلاكهم للمنتجات الحيوانية ولذا تنتشر بينهم أمراض سوء التغذية مثل البري بري والبلاجرا ومرض يعرف

باسم كواشيوركر Kwashiorkor[1]، ولقد لقي هذا المرض اهتماماً زائداً في السنوات الأخيرة حيث ينجم عن النقص الشديد في البروتين، ويؤثر ذلك بشدّة على الأطفال خاصة بعد الفطام عندما يتكون غذاؤهم من النشويات فقط، ولذلك فإنّ بعض دول القارة تعدُّ أكبر دول العالم في معدلات وفيات الأطفال الرضع حيث يصل هذا المعدل إلى ١٠٥ في الألف في زامبيا و١٠٢ في غينيا و١٤٥ في النيجر، ولا تشذ دول النطاق المداري عن هذه الأرقام كثيراً.

وقد أدّت الأمراض وسوء التغذية إلى ارتفاع معدّل الوفيات الخام بين السكان ارتفاعاً واضحاً، كما أثّرت في تقليل أمد الحياة والذي يتراوح بين ٤٠ سنة فقط في أثيوبيا وتشاد إلى ٦٠ سنة في جمهورية جنوب إفريقيا، وقد شهدت معظم دول القارة جهوداً ضخمة لمقاومة الأمراض والأوبئة ولكن ما زال بعضها خاصة الأمراض المتوطنة يمثل تحدياً لجهود السكان، كذلك فإنّ سوء التغذية السائد يمثل هو الآخر تحدياً لشعوب القارة ويعتمد في مقاومته بالدرجة الأولى على خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية لكل دولة.

وتتباين دول القارة في الأمراض السائدة محلياً بها ولكن بصفة عامة فإنّ هناك خمسة أمراض رئيسية تعاني منها القارة هي مرض النوم ومرض عمى الأنهار River Blindness ومرض البلهارسيا والملاريا والدرن.

ومرض النوم African Trypanosomiasis يسود في إفريقيا جنوب الصحراء خاصة الأقاليم الإستوائية، وهو يؤثر على الإنسان والماشية معاً وينتقل إليها عن طريق ذبابة تسي تسي التي تتغذّى على دم المريض سواء كان إنساناً أو حيواناً، والإصابة بهذا المرض قاتلة ولذلك يقضي على أعداد كبيرة من الماشية

---

(١) تبدأ مظاهر الإصابة بهذا المرض في الظهور مبكراً على الأطفال عند بلوغهم سن الثالثة، وأبرز أعراضه تأخر النمو وبروز البطن بشكل ظاهر ويقدر أنّه يسبب نحو ٣٠٪ من الوفيات للمصابين به، راجع:

Church. Et Al., Africa And The Islands, Longman, London, 1973, P. 72.

في إفريقيا الإستوائية، ورغم أنَّ هناك مصلاً لمقاومته ينبغي أن يتجدد كل ستة أشهر ويتم به تحصين الحيوانات الأليفة والإنسان، فإنَّ أهم وسائل مقاومته هي قطع الشجيرات وإزالة الأحراج وقتل الحيوانات البرية حيث تكون حاملة للجراثيم المسببة للمرض، وتقدر المساحة الموبوءة بذباب تسي تسي بنحو ١٠ ـ ١٢ مليون كيلومتر مربع في إفريقيا المدارية.

أما عمي الأنهار فهو مرض مزمن ينتقل عن طريق أنواع معينة من الذباب من ديدان صغيرة (النيماتودا) قرب الأنهار إلى جلد الإنسان ثمَّ ما تلبث أن تصل إلى العين وتصيبها بالعمى وتنتقل منه العدوى إلى الآخرين بعد ذلك، وهذا المرض من الأمراض المتوطنة Endemic قرب الأنهار في كل نطاق السفانا جنوب الصحراء، من السنغال في الغرب حتى أوغنده وكينيا في الشرق.

أمَّا البلهارسيا فتسببها ديدان معينة تعيش دورتها الحياتية بين قواقع نهرية وبين الإنسان وقد تصيب الأمعاء والجهاز البولي، ويعدُّ المريض بها سبباً لإصابة الآخرين عن طريق البويضات التي تصدر منه في البول أو البراز حيث تبدأ دورة أخرى في القواقع تنمو خلالها الديدان التي يصاب بها الإنسان عندما يرتاد المياه الموبوءة وتؤدي إلى ضعف شديد للجسم وخاصة إذا ارتبط ذلك بسوء التغذية.

والبلهارسيا مرض متوطن في كل وادي النيل خاصة دلتا النيل وفي شرق إفريقيا حتى زمبابوي وحوض الكونغو وفي غرب إفريقيا خاصة شرق وجنوب السنغال، وقد ارتبط انتشارها بمشروعات الري الدائم مثل مشروع الجزيرة في السودان ومشروع الفولتا في غانا وغيرها من المشروعات الأصغر في تنزانيا ونيجيريا وأنجولا وناميبيا.

أما الملاريا فهي بدورها من الأمراض المتوطنة في إفريقيا، وهي مثل الأمراض السابقة لها ارتباط بالمجاري والمسطحات المائية، كما أنها من الأمراض المعدية وتسبب فيها بعوضة الملاريا المعروفة (الأنوفيلس)، وتقوم منظمة الصحة العالمية بحملة كبيرة ضدَّ هذه البعوضة التي تؤدي إصابة الأطفال في سن مبكرة

وتسبب في زيادة نسبة الوفيات الناجمة عن الملاريا.

أمّا الدرن فيسود في كثير من الدول الإفريقية وإن كان معدله يرتفع في جنوبها وغربها وقد قدّر أنّ نسبة المصابين به تصل إلى ٥٪ في نيجيريا وسيراليون و٣٪ في غانا و٢٪ في غامبيا وليبيريا، و٥٪ في جنوب إفريقيا.

العمران الحضري:

تشهد إفريقيا المدارية في الوقت الحاضر تزايداً كبيراً نحو التحضر العمراني وإن كانت نسبة التحضر بها منخفضة حيث تبلغ نسبة سكان المدن بها نحو ٢٥٪ فقط من جملة السكان، وقد تزايدت هذه النسبة في إفريقيا تزايداً كبيراً بعد أن كانت في سنة ١٩٥٠ نحو ١٤٪ فقط مما يجعل معدّل النمو الحضري مرتفعاً بل يفوق مثيله في أي قارة أخرى(١).

ومن الحقائق الهامة إنّ المدن بمعناها المعروف نشأت منذ فترة طويلة في إفريقيا العربية شمالاً، مثل القاهرة والجزائر وتونس ومراكش والخرطوم ـ أم درمان حيث مارست وظائف إدارية وتجارية وتأثرت بالنفوذ الأوروبي تأثراً واضحاً، وفي غرب إفريقيا يسود العمران الحضري أساساً بين جماعة اليوروبا في غرب نيجيريا، حيث يعيش أكثر من ٥٠٪ من السكان في مراكز عمرانية يزيد حجم كل منها على ٥٠٠٠ نسمة أو يزيد وكذلك مراكز الإمارات الإسلامية في شمال نيجيريا (حيث نسبة سكان الحضر ١٠٪) ومن أمثلة ذلك أبدان وايف Ife وكانو Kano وسوكوتوSokoto وكاتسينا Datsina وفيما عدا ذلك ـ باستثناء المدن التي أنشأها الأوروبيون ـ تسود الحياة الريفية في قرى متفاوتة الحجم في أقاليم القارة.

وقد نتج التحضر العمراني الحديث في إفريقيا عن الاحتكاك بالأوروبيين فقد أنشأ البيض المدن في جنوب إفريقيا عند المواني والمناجم والأسواق، ويعيش

---

(١) U. N. Population Division: Uraban And Rual Population: Individual Countries, 1950 - 85, And Regions And Major Areas 1950 - 2000, Esa PMW P. 83M Rev, I. 1970.

٥٢٪ من سكان جمهورية جنوب إفريقيا في المدن وقد تزايدت المدن الإفريقية وأصبحت تجمع بين الخصائص الإفريقية والأوروبية ذلك لأنها تعد بداية الثقافة والحضارة الغربية وتقوم المدن بدور قوي في جذب المهاجرين إليها حيث يتركز بها النشاط الصناعي والتجارة وساعد ذلك بدوره على الاعتناء بتوفير المياه النقية لسكانها وإمدادها بالكهرباء والغاز والمجاري وتوفير الخدمات المتعددة لها مثل الخدمات الصحية والتعليمية وغير ذلك، ولذلك أصبحت المدن ومعدّل نموها من مؤشرات التنمية الاقتصادية ـ كما أنّ العمران الحضري في إفريقيا آخذ في التزايد بمعدلات كبيرة على حساب الأقاليم الريفية وغيرها حيث توفر المدينة العمل بأجور مرتفعة عن الريف كذلك بما تقدمه من خدمات متعددة تساعد على جذب السكان.

وتختلف مستويات التحضر من دولة لأخرى بدرجة كبيرة وتبدو نسبة سكان المدن مرتفعة في جمهورية جنوب إفريقيا حيث يعيش حوالي نصف السكان في المدن بينما تقل درجة التحضر بصورة ملحوظة في باقي دول إفريقيا المدارية سواء في غرب القارة أو وسطها أو شرقها.

وقد تزايد معدّل النمو الحضري في إفريقيا منذ أواخر الثلاثينات تزايداً كبيراً، وأدّى ذلك إلى خلق مشكلات متعددة ارتبطت بتدفق المهاجرين نحو المدن، وأبرزها مشكلات العمالة والإسكان والتعليم والصحة وغيرها، وأصبحت المدن تتميز بوجود ضواح للمهاجرين تمثل في الواقع المناطق السيئة بهذه المدن Slums والتي نشأت عشوائياً دون خطة تحكمها.

وتتميز إفريقيا المدارية بصفة عامة بالمدن الصغيرة الحجم، وقد بلغ عدد المدن التي يزيد حجم كل منها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة في منتصف السبعينات ١٣٧ مدينة تتباين في أحجامها وإن كانت غالبيتها يقل حجمه عن نصف مليون نسمة. ولا يوجد بكل إفريقيا المدارية سوى ست مدن مليونية هي لاجوس (٣ مليون) وكينشاسا (٣) ولواندا (١,٣) وأديس أبابا (١,٣) واكرا (مليون) وهراري (مليون).

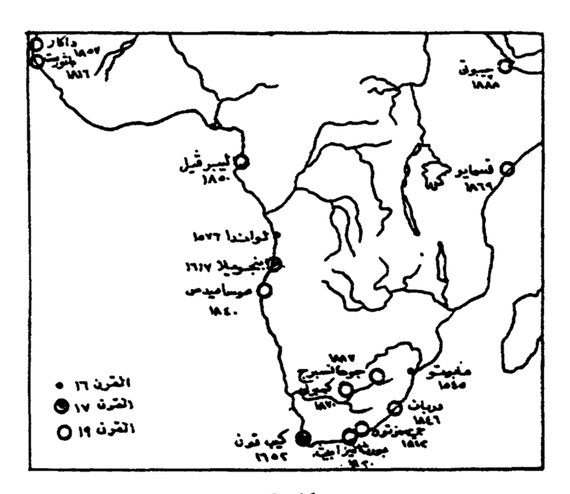
وتقوم معظم المدن الإفريقية بدور كبير في مجال الخدمات التي تؤديها لأقطارها وإن كانت الوظيفة الرئيسية لمعظمها هي الوظيفة السياسية والتي تتجلى في أنَّ أكبر المدن تقريباً هي عواصم لدولها، كذلك تقوم بدور تجاري كبير أما كملتقى لطرق النقل أو كموانى، وقد أدَّى التعدين إلى خلق بعض المدن الكثيرة خاصة في جنوب القارة مثل لومباشي وبريتوريا وغيرها.

على أنَّ أبرز السمات المورفولوجية للمدن الإفريقية الكبرى سواء المدن الساحلية أو بعض المدن الداخلية هو التركيب المزدوج لهذه المدن، وقد نتج ذلك عن التغلغل الأوروبي وتأثر هذه المدن بالنفود الأجنبي فترة طويلة خلال العهد الاستعماري، وقد أدخل الأوروبيون مظاهر عمرانية جديدة إلى المدن الوطنية وأنشأوا مدناً جديدة في مواضع لم تشهد مدناً من قبل (شكل رقم ٦٩) وارتبط نمو هذه المدن المستحدثة بإدخال النظم الاقتصادية الأوروبية وشبكات النقل الحديثة، وتتشابه هذه المدن الجديدة في تركيبها الوظيفي مع المدن الغربية وليس مع المدن الوطنية وإن كانت تتميز بطابع اجتماعي مختلف نتيجة وجودها في بيئة مغايرة تماماً للبيئة الأوروبية. وتبدو هذه المدن بوضوح في جنوب القارة مثل هراري وجوهانسبرج وبريتوريا وايست لندن وكيب تاون.

وينتج عن التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة الوطنية ظهور مدن مختلطة وتلك سمة هامة تميز مدن المستعمرات السابقة حيث تبدو أحياء حديثة على طراز أوروبي ـ مع أحياء وطنية عتيقة في المدينة الواحدة ـ التي تظهر في النهاية مزدوجة الحضارة والطراز، ويتجلى ذلك في غرب إفريقيا بوضوح.

٢ ـ السلالات البشرية في إفريقيا المدارية

ليس سكان إفريقيا المدارية البالغ عددهم نحو ٤٢٠ مليون نسمة متجانسين في تركيبهم السلالي، حيث ينقسمون إلى عدد كبير من المجموعات البشرية ويتحدَّثون قرابة ٧٠٠ لغة مختلفة، وتدل الدلائل الأكيولوجية على أنَّ إفريقيا قد عمِّرت بموجات بشرية متعاقبة وفدت من الشمال الشرقي ومن



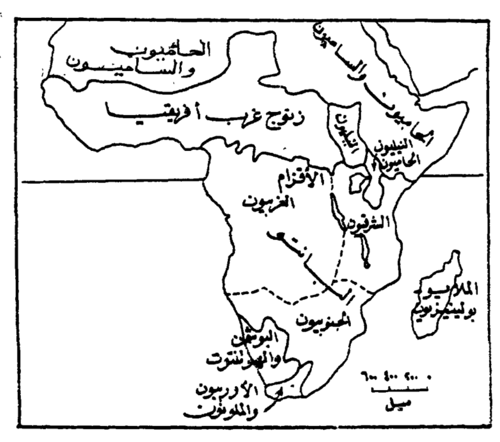
شكل رقم (٦٩)
تاريخ إنشاء المدن الأفريقية المدارية

الشرق خاصة عن طريق القرن الإفريقي وكانت الموجة الجديدة تدفع سابقتها نحو داخل القارة حتى أنَّ هناك اليوم بعض الجماعات الأصلية القديمة دفعتها الجماعات الأقوى والأحدث من نطاق السفانا الجنوبي الرعوي إلى صحراء كلهاري شبه الجافة.

ويمكن تقسيم السلالات الإفريقية إلى الجماعات الآتية: (شكل رقم ٧٠)

١ ـ الأقزام.
٢ ـ البوشمن والهوتنتوت (شعب الخويصان).
٣ ـ الزنوج (السودانيون والبانتو).

٤ ـ أنصاف الحاميين (النيليون الحاميون).
٥ ـ القوقازيون (الحاميون والساميون).



شكل رقم (٧٠)
السلالات البشرية في أفريقيا المدارية

الأقزام Pygmies:

يعيش الأقزام في نطاق الغابات الإستوائية في إفريقيا وهم من أقدم شعوب القارة ولهم خصائص مميزة وأبرزها أنهم قصار القامة جداً لا يتجاوز ارتفاع الواحد منهم ١٣٥ سنتيمتراً ووزنه ٤٠ كيلوجرام والأذرع طويلة جداً بالنسبة للأرجل ولون البشرة يميل إلى الاحمرار الداكن وقد يكون أسمر باصفرار والجسم يغطيه شعر خفيف مثل الزغب.

ويعيش الأقزام في جماعات صغيرة متباعدة ويحترفون الصيد والقنص والجمع، وتقيم كل جماعة أكواخها الصغيرة في مكان منعزل من الغابة. وقد

اختلطوا ببعض جماعات البانتو المجاورة وأصبحوا يتكلمون بلغاتهم ويبادلونهم السلع فيعطونهم من نتاج الصيد ويأخذون منتجات زراعية مثل الموز والذرة.

والأرجح أنَّ أوطان الأقزام كانت أعظم اتساعاً عمّا هي اليوم وكانت في الغالب تشمل منطقة بحر الغزال والبحيرات الكبرى والغابات والأدغال المنتشرة في حوض الكونغو إلى بلاد الكاميرون وسواحل غانا قبل انتشار الزنوج فيها، أمّا اليوم فإنّهم يعتصمون بأشد الغابات كثافة في وسط إفريقيا، ويصل عددهم إلى ١٥٠,٠٠٠ نسمة ويتركزون في مناطق منعزلة في الكاميرون والجابون والكونغو.

٢ ـ البوشمن والهوتنتوت:

يعد البوشمن من أقدم شعوب إفريقيا كذلك، وقد لا يزيد عددهم في الوقت الحاضر على ٥٥,٠٠٠ نسمة، ويعيشون في وسط وشمال صحراء كلهاري في جنوب غرب إفريقيا وانغولا والأقطار المجاورة وهم ـ مثل الأقزام ـ كانوا يعيشون في مساحة كبيرة في الأقاليم المدارية شمال وجنوب خط الاستواء واضطروا تحت ضغط شعوب أقوى وأكثر عدداً إلى التراجع تدريجياً حتى صحراء كلهاري وهي منطقة التجاء وعزلة.

ويمكن بسهولة تمييز الصفات الطبيعية للبوشمن ـ فلا يزيد طول الفرد منهم كثيراً عن الأقزام (نحو ١٥٨ سم) وإن كانوا أكثر طولاً منهم والشعر لولبي جداً (مفلفل) والأطراف نحيلة والأيدي والأرجل صغيرة ولون البشرة يميل إلى الاصفرار والجلد يتجعد بسهولة والعيون ضيِّقة وبروز العجز بشكل واضح خاصة في النساء، وهم يعيشون في جماعات صغيرة قليلة العدد تنتقل باستمرار في الصحراء ولا يعرفون الزراعة ولا تربية الحيوان ومستواهم الحضاري منخفض للغاية.

أما الهوتنتوت ـ فهم مجموعة بشرية يرتبط اسمها باسم البوشمن وهم يشبهونهم شكلاً وثقافة ـ إلاَّ أنَّهم قد تأثروا بعناصر ودماء غريبة خاصة مع البانتو، ويرى «سلجمان» إنَّ الهوتنتوت قد اختلطوا في الوطن الأصلي في منطقة

البحيرات الكبرى في الشرق بعناصر حامية وقد اتَّجه الهوتنتوت نحو الجنوب الغربي من جنوب إفريقيا إلى الجنوب من نهر كونين.

ويختلف الهوتنتوت عن البوشمن ـ في أنَّهم يعملون في رعي الماشية والأغنام ولكن أعدادهم تناقصت عن طريق الاندماج في الشعوب الجنوبية في إفريقيا خاصة مع المهاجرين الأوروبيين وعبيدهم الذين صاحبوهم وجاءوا من جزر الهند الغربية ويعرفون بالمولدين أو ملوني منطقة الكاب، ويعمل الكثير منهم كخدم وعمال وغير ذلك من المهن الدنيا.

وعموماً فقد زاحم الأوروبيون البوشمن والهوتنتوت في أوطانهم وضيَّقوا سبل العيش في وجوههم فلم يتبق منهم إلاَّ عدد يسير لا يتجاوز الستين أو السبعين ألفاً، وعلى كل حال فإنَّ هذا العدد يعدُّ تافهاً بالنسبة لباقي سكان إفريقيا المدارية الذين تعدى عددهم ٤٠٠ مليون نسمة.

٣ ـ الزنوج:

يسود الجنس الزنجي بخصائصه المعروفة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى والقرن الإفريقي ـ ويكون الزنوج ٧٠٪ من جملة سكان القارة وحوالي ثلاثة أرباع الجنس الزنجي في العالم، ويضم هذا الجنس بخصائصه المميزة مجموعة كبيرة من الشعوب ذات فوارق في القامة ولون البشرة وشكل الشعر وملامح الوجه ولذا يمكن تقسيمها إلى الأقسام الرئيسية التالية:

أ ـ الزنوج الحقيقيون (أو الزنوج السودانيون):

وينتشرون في غرب إفريقيا فيما بين نهر السنغال إلى الحدود الشرقية لنيجيريا وعلى امتداد خليج غينيا، وتشمل مناطق انتشارهم الأقاليم الساحلية مثل جمهورية السنغال ومالي وغامبيا وغينيا بيساو وغينيا وسيراليون وليبريا وساحل العاج وغانا وتوجو وبنين ونيجيريا ـ وكذلك الوحدات الداخلية مثل مالي وفولتا العليا.

والسمات الطبيعية التي تميز السلالات الزنجية هي شدَّة السمرة والشعر

المفلفل والقامة الطويلة وبروز الفك وغلظ الشفتين، ويعمل معظمهم بالزراعة، وقد ساعدت هذه الحرفة على تركز السكان وازدياد كثافتهم في بعض المناطق كما أدَّت إلى نوع من التخصص وتقسيم العمل، ولكن يلاحظ أنَّ الماشية نادرة للغاية في الأقاليم الساحلية بسبب انتشار مرض النوم الذي تنقله ذبابة التسي تسي.

وينقسم زنوج غرب إفريقيا إلى الكثير من الشعوب والقبائل التي تعيش في هذا الوطن الزنجي الكبير من نهر السنغال غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً وساحل غينيا جنوباً، وأبرزها قبيلة الولوف المتاخمة لنهر السنغال والسرر Serer والتوكولور Tokolor ثمَّ الماندي أو الماندنجو إلى الشرق منهم وهم منتشرون بين المحيط الأطلسي غرباً وثنية نهر النيجر شرقاً ثمَّ الصنغاي والمصي Mossi واليوروبا والإيبو والهوسا وغيرها.

ويتميز هذا النطاق بالنشاط التجاري الذي يمتد من قبائل الهوسا في شمال نيجيريا إلى قبائل اليوروبا في الجنوب حتى أنَّ هناك طبقة وسطى أساسها التجار الذين يسهمون في تجارة الحاصلات الزراعية وهم أحفاد التجار الذين تعاملوا مع الأوروبيين من قبل في المراحل الأولى للاحتكاك الأوروبي مع غرب إفريقيا.

ب ـ البانتو Bantu:

أدَّت الهجرات الإفريقية على امتداد عدَّة قرون في وسط وشرق إفريقيا من منطقة البحيرات نحو الجنوب الغربي والجنوب إلى اختلاط ضخم للشعوب الزنجية والتي تعرف غالباً باسم الناطقين بالبانتو، أو البانتو فقط. ومعنى ذلك أنَّها مجموعة زنجية لغوية واحدة بعكس زنوج غرب إفريقيا الذين تتعدد لغاتهم بدرجة كبيرة حتى تتجاوز الخمسمائة على أقل تقدير، ولكن ليس معنى ذلك أنَّ المتكلم في الجزء الجنوبي من القارة يستطيع فهم ما يقوله واحد من سكان الجانب الشرقي أو الغربي بل معناه أنَّ اللغات التي يتحدَّث بها السكان في جميع أوطان البانتو متشابهة تشابهاً كبيراً كما تتشابه مثلاً لغات الفرنسيين والإسبان

والطليان بوصفها فروعاً من اللغة اللاتينية[1].

ويبدأ خط البانتو ـ المحدد لأوطانهم شمالاً ـ من خليج بيافرا عند الحدود الشرقية لنيجيريا ـ ويمتد بعد ذلك في اتجاه شرقي مع تعرجات عديدة إلى الشمال ثمَّ إلى الجنوب عبر الكونغو وزائير حتى منطقة البحيرات أعالي النيل ويدور حول شمال بحيرة فكتوريا ويعبر كينيا حتى مصب نهر جوبا على المحيط الهندي وإلى الجنوب من هذا الخط تعيش شعوب البانتو في شكل مثلث ضخم يشغل وسط وجنوب إفريقيا.

وقد درج بعض الكتَّاب على تقسيم البانتو إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ البانتو الشرقيون في أوغنده ورواندا وبورندي وكينيا وتنزانيا ومالاوي وزامبيا.
٢ ـ البانتو الجنوبيون في زيمبابوي وموزمبيق وجنوب إفريقيا وبتسوانا وليسوتو وأجزاء من جنوب غرب إفريقيا.
٣ ـ البانتو الغربيون في الكونغو والكاميرون والجابون وانغولا.

وعموماً فإنَّ جملة سكان البانتو الزنوج في هذه الأقسام الثلاثة تصل إلى ١٥٠ مليون نسمة يعيشون في قرابة ثلث مساحة أفريقيا ويتكلمون لهجات عديدة من لغة واحدة مشتركة، ويعدُّ الاقتصاد الرعوي عماد حياتهم في الجزء الشرقي من القارة جنوب الصحراء الكبرى وفي السهول المرتفعة الجافة فيما عدا المناطق التي تنتشر بها ذبابة تسي تسي.

وتعدُّ الماشية الحيوان الرئيسي للبانتو، بل إنَّه في بعض المناطق خاصة في الشرق تتحدد مكانة القبيلة وهيبتها بعدد ما تملكه من رؤوس الماشية وتقوم هذه الجماعات بزراعة معاشية لسد احتياجات أفرادها، ولذا فإنَّ التبادل التجاري قليل فيما بينها ـ بل إنَّ مفهوم السوق يعدُّ ظاهرة حديثة للغاية في شرق إفريقيا.

---

(١) محمد عوض محمد ـ الشعوب والسلالات الإفريقية ـ القاهرة ١٩٦٦، ص ٠٧١.

وعلى العكس من ذلك - فإنَّ المناطق المزدحمة بالسكان حول بحيرة فكتوريا - خاصة في أوغنده - تتميز بالزراعة والاعتماد على المحاصيل النقدية التي يتزايد الطلب عليها ولذا تسود التجارة وتنتشر الأسواق وتكون جماعات البانتو أكثر تقدماً من غيرها.

وفي أقصى جنوب إفريقيا حيث استوطن البيض في أجود الأراضي وأدخلوا طرقاً حديثة للزراعة - فقد أثَّر ذلك في تدهور النظام القبلي لدى البانتو بشكل واضح، وأهم جماعات البانتو الجنوبيين - جماعات السوتو - تشوانا Suto - Chuana والزولو - اكسوزا Zulu - Xosa.

وقد ساعدت بتسوانا وليسوتو - البريطانيتان سابقاً - على المحافظة على نمط الحياة والشخصية القبلية لجماعات السوتو - تشوانا - وذلك لأنَّ هاتين الدولتين لم تتعرضا لاستيطان البيض بدرجة كبيرة بينما شعب مثل شعب الزولو الذي كان من أعظم شعوب البانتو في جنوب القارة (يعيش إلى الشرق والجنوب من حافة دراكنزبرج الجبلية) قد عانى كثيراً من التفكك الناتج عن تغلغل البيض واستيطانهم في أراضيه مما أثَّر على نمط الحياة الأصلية واستحدثت أنشطة جديدة مثل التعدين والصناعة والزراعة العلمية.

وفي النطاق الغابي الأدنى من سهول الكونغو تزداد غزارة الأمطار وتسود ذبابة تسي تسي وغيرها من الآفات والأمراض مما جعل الزراعة - وليس الرعي - حرفة رئيسية، وتمارس بعض جماعات البانتو الغربيين مثل الفانج Fang الذين يعيشون في إفريقيا الإستوائية - الزراعة المتنقلة في المناطق التي يزيلون غطاءها النباتي، ونادراً ما يستقرون أكثر من عامين أو ثلاثة في المكان الواحد وتمارس جماعات أخرى مثل الباكوبا Bakuba في حوض نهر كاساي الزراعة المستقرة وتلعب التجارة دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية ولذا فإنَّ هناك أسواقاً منتظمة لدى هذه الجماعات.

النيليون الحاميون Nilo - Hamites:

تعيش بعض الجماعات المختلطة بين الحاميين والزنوج في أجزاء من

أعالي حوض النيل وهضبة شرق إفريقيا وتزداد نسبة الدماء الحامية ابتداء من دائرة العرض السادسة جنوب خط الاستواء وشمالاً حتى أعالي النيل وبحر الجبل. وقد جرت العادة على تسمية هذه السلالات بالنيليين الحامين ـ كما كانت تعرف من قبل بأنصاف الحاميين Half - Hamites.

ويشتمل موطن النيليين الحامين على الجزء الجنوبي الشرقي من أوغنده والغربي من كينيا والشمالي من تنزانيا وينقسمون بدورهم إلى ثلاثة أقسام هي[١]:

١ ـ المجموعة الشمالية: وتشمل الجماعات التي تعيش في السودان الجنوبي الشرقي وحدها الجنوبي هو الحد السياسي بين أوغنده والسودان، وأهم قبائلها قبيلة الباري Bari.

٢ ـ المجموعة الوسطى: وتمتد فيما بين بحيرة كيوجا غرباً إلى بحيرة توركانا شرقاً وتشمل الركن الشمالي الشرقي من أوغنده والشمال الغربي من كينيا.

٣ ـ المجموعة الجنوبية: تشمل الجزء الغربي من كينيا وتمتد شمال تنزانيا وهذا هو الجزء الذي يحف به البانتو من الشرق ومن الغرب، وأهم قبائل هذه المجموعة قبيلة الناندي Nandi التي تعيش في المرتفعات الغربية لكينيا وقبيلة الماصاي والتي تنتشر بعد ذلك جنوباً حتى تنزانيا وحتى آخر امتداد للنيليين الحامين عند دائرة عرض ٦° جنوباً.

النيليون Nilotes:

يعيش النيليون ـ وكما تدل تسميتهم ـ في أعالي حوض النيل في السودان وأوغنده وكينيا وغرب أثيوبيا، وأهم مجموعة منهم تلك التي تعيش في السودان الجنوبي وخاصة في الأقاليم الوسطى منه، ويتشابه النيليون في اللغة والتقاليد والثقافة ـ كما أنَّ هناك تشابهاً كبيراً بينهم وبين النيليين الحامين مثل تمجيد

(١) محمد عوض محمد: المرجع السابق، ص ١٠٦.

الماشية وإيثار حرفة الرعي والنظام الاجتماعي ـ ويكمن الاختلاف الرئيسي بينهما في اللغة السائدة.

ويتميز النيليون بصفات طبيعية واضحة فهم طوال القامة جداً (١٨٠ سم) وأجسامهم نحيفة وبشرتهم شديدة السواد وملامحهم الظاهرية أكثر حامية من الزنوج مما يدل على شدَّة تأثرهم بالمؤثرات الحامية.

وأهم القبائل النيلية في أعالي النيل قبائل الليو Luo في كينيا واتشولي Achule في شمال أوغنده ثمَّ القبائل المنتشرة في جنوب السودان وهي الدنكا والنوير في الجزء الأدنى من بحر الجبل والغزال والشلك على الضفة الغربية للنيل الأبيض وشعب الأنواك في حوض نهر بارو ـ أهم روافد السوباط ـ ومعظم أوطانه داخل حدود أثيوبيا.

القوقازيون (الحاميون والساميون):

سبق أن لوحظ أنَّ السلالات الزنجية في إفريقيا ـ على قدم عهدها بالقارة ـ لم تنتشر فيها كلها بل كانت أكثر انتشاراً في الأقاليم الوسطى الجنوبية، أمَّا العناصر القوقازية فقد دخلت إفريقيا من الشمال والشرق ـ وقد اصطلح علماء الأجناس على تقسيم هذه العناصر في إفريقيا إلى قسمين هما: الحاميين والساميين ويبدو أنَّ التقسيم بينهما قائم على أساس لغوي بصفة أساسية، فالحاميون هم الذين يتكلمون لهجات يرى علماء اللغات أنها من أسرة لغوية واحدة أصلها من جنوب آسيا وجاءت في عصر متقدم بحيث لم يبق لها أثر الآن في تلك القارة. أمَّا الساميون فهم الذين يتكلَّمون لغات مشتقة من جزيرة العرب في وقت يوصف بأنَّه متأخر نسبياً، ومع ذلك فهناك بعض الكتاب ممن يجعل اللغات السامية والحامية من أسرة لغوية واحدة[1].

(١) محمد عوض محمد: المرجع السابق، ص ٢٢٢.

الحاميون:

يقسم «سلجمان» الحاميين إلى مجموعتين على النحو التالي:[1]

أ ـ الحاميون الشرقيون: ويحتلون سواحل البحر الأحمر من القصير حتى سواحل المحيط الهندي في الصومال ويحدُّهم النيل والحافة الغربية لهضبة الحبشة في الغرب. وأهم جماعاتها الأثيوبيون برغم اختلاطهم بعناصر سامية وزنجية.

ب ـ الحاميون الشماليون: وهم يشغلون شمال إفريقيا من مرتفعات أطلس شمالاً حتى نهر النيجر جنوباً وأهم جماعاتهم الفولا أو الفولاني في أعالي نهر النيجر حتى السنغال وقد اختلطوا بالزنوج في غرب القارة وعلى الحافة الجنوبية للصحراء.

الساميون:

يمثل الساميون ـ أو العرب ـ آخر هجرة قوقازية وفدت إلى إفريقيا باستثناء هجرات المستوطنين الأوروبيين حديثاً في جنوب القارة ـ وقد وفدت موجات الساميين مع دخول الإسلام في القرن السابع ودخلوا إفريقيا من الشمال الشرقي ومن الشرق ـ وتعاقبت موجاتهم بعد ذلك خاصة فيما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر.

وقد امتزجت العناصر السامية مع الحاميين الشرقيين والشماليين امتزاجاً ثقافياً كبيراً وأعطوهم الدين الإسلامي واللغة العربية، ومع ذلك فإنَّ هناك جماعات عربية قد استقرَّت في أوطان صحراوية محددة مثل قبائل الأبالة، وكذلك هناك جماعات أخرى اختلطت بزنوج السودان وكونوا قبائل البقارة في وسط السودان.

---

(١) س. ج. سلجمان السلالات البشرية في إفريقيا: ترجمة يوسف خليل، القاهرة ١٩٥٩ ص ص ٨٦ ـ ١٣٩.

٣ ـ أنماط النشاط الاقتصادي في إفريقيا المدارية

من الحقائق الهامة في اقتصاديات إفريقيا المدارية أنَّ مواردها الطبيعية والبشرية لم تستغل استغلالاً كاملاً بعد، كذلك فإنَّ سكانها في معظمهم ما زالوا يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الزراعة والرعي ـ وإلى حد ما على الصيد والجمع، وذلك انعكاساً لظروف البيئة والمؤثرات الثقافية المختلفة.

وقد أثَّرت الحضارة الأوروبية في الاقتصاد المحلي في جنوب القارة تأثيراً كبيراً ـ وفيما عدا ذلك فإنَّ تأثيرها في بقية الدول المدارية يعدُّ محلياً وسطحياً ويقتصر على بعض الأقاليم المبعثرة بها، كذلك فقد شهدت هذه الدول تغيراً اجتماعياً واقتصادياً حيث توقفت الحروب القبلية في الوقت الحاضر وتزايدت أعداد الحيوانات وتوسعت المناطق الزراعية ووزعت محاصيل نقدية كثيرة واستحدثت وسائل النقل والمواصلات وشهدت القارة أيضاً استغلالاً حديثاً للمناجم ودخلت الصناعة أقطارها، ونتيجة لتباين أقاليم القارة في الأخذ بأسلوب هذه المظاهر الحديثة فإنَّ الاقتصاد الحديث يميز بعض الجزر أو البقع المتناثرة وسط مناطق واسعة ذات اقتصاد تقليدي وهذا التناقض في الواقع من مظاهر جغرافية الدول النامية.

ولا تعدُّ إفريقيا حتى الآن قارة ذات إنتاج اقتصادي على نطاق كبير، لذا فإنَّها لا تسهم إلاَّ بقدر صغير في التجارة العالمية، ورغم إن الاقتصاد النقدي قد عم كل دول القارة فإنَّ كثيراً من أقطارها الحديثة الاستقلال تتميز باقتصاد محدود، كذلك فإنَّ القليل من هذه الأقطار يسهم بدرجات متفاوتة في التجارة العالمية وإن كان هذا الإسهام يرتبط بالتخصص في تصدير منتجات معينة من أقاليم قليلة خاصة موارد الثروة المعدنية.

وتسهم الثروة المعدنية بدور كبير في الاقتصاد النقدي لبعض دول القارة خاصة جمهورية جنوب إفريقيا وزائير وزامبيا وزيمبابوي، كذلك فقد كان للتعدين أثر كبير في الحياة الاجتماعية بالقارة حتى خارج الحدود السياسية

للمناجم، أمّا الصناعة فهي محلية وتتركز أساساً في المدن الرئيسية ولذا أسهمت بدور كبير في نموها.

القنص والجمع:

تعدُّ حرفة القنص والجمع من أقدم الحرف التي شهدتها إفريقيا الجنوبية والشرقية، وهي تسود اليوم بين بعض الجماعات البدائية التي تعيش في مواطن بعيدة ومنعزلة ولا يزيد مجموع أفرادها على عدَّة مئات من الآلاف، وأبرز هذه الجماعات البوشمن في صحراء كلهاري والأقزام في حوض الكونغو- وبعض الجماعات القليلة جداً في شرق إفريقيا مثل الدوروبو Dorobo والصاني Sanye في كينيا والكنديجا Kindiga والصنداوي Sandawe في تنزانيا.

ورغم وجود بعض الاختلافات المحلية بين هذه الجماعات البدائية فإنَّ هناك نوعاً من التشابه الحضاري فيما بينها، فهم جميعاً يتميزون باستخدام الأقواس والسهام المسممة والمخابىء القبابية، ويعتمدون على القنص والجمع في بيئات تسمح بمزاولة هذه الحرفة.

وبالإضافة إلى ممارسة الجماعات البدائية لحرفة قنص الحيوانات فإنَّ هناك بعض الأفارقة والأوروبيين يمارسون صيد الحيوان أيضاً لأغراض متعددة من بينها الرياضة كهواية والحصول على العاج والقرون والجلود واللحوم أيضاً ويستخدمون في ذلك الأسلحة النارية التي أدَّت إلى تناقص أعداد الحيوانات البرية بدرجة كبيرة مما أدَّى إلى خلل في التوازن الطبيعي بين بعض الأنواع وانعكاس ذلك على ظروف البيئة وعلى إيكولوجية الحياتين الحيوانية والنباتية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنَّ اصطياد التماسيح بكثرة من أعالي النيل للحصول على جلودها أدَّى إلى تزايد أنواع السمك السفاح وهو غذاء مفضل للتماسيح - وترتب على ذلك ازدياد استهلاك هذه الأسماك السفاحة للأسماك الأخرى ومن ثمَّ اختل ميزان التعادل الحيوي وقلَّت أعداد الأسماك التي كان السكان يعيشون من صيدها، ومن الأمثلة الأخرى أنَّ تناقص أعداد الحيوانات البرية بدرجة كبيرة مما أدَّى إلى خلل في التوازن الطبيعي بين بعض الأنواع

وانعكاس ذلك على ظروف البيئة وعلى إيكولوجية الحياتين والنباتية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنَّ اصطياد التماسيح بكثرة من أعالي النيل للحصول على جلودها أدَّى إلى تزايد أنواع السمك السفاح وهو غذاء مفضل للتماسيح ـ وترتب على ذلك ازدياد استهلاك هذه الأسماك السفاحة للأسماك الأخرى ومن ثمَّ اختلَّ ميزان التعادل الحيوي وقلَّت أعداد الأسماك التي كان السكان يعيشون من صيدها، ومن الأمثلة الأخرى أنَّ تناقص أعداد الفهود بسبب كثيرة صيدها أدَّى إلى ازدياد أنواع الحيوانات آلتي كان يعيش عليها الفهد مثل بعض أنواع النسانيس والخنزير البري وقد أصبح تزايد هذه الحيوانات من المشاكل التي يواجهها الزراع لما تسببه من ضرر وتخريب لبعض الحقول.

وقد عملت بعض الحكومات جاهدة على حماية الحيوان الطبيعي بها خوفاً من تناقصه وانقراضه ولذا فقد أنشأت بعض المعازل الطبيعية الواسعة وحدائق الحيوانات البرية التي يحرم صيد الحيوانات بها والتي تشمل مساحة واسعة من الغابات والحشائش كما هي الحال في كينيا وتنزانيا.

الحرف الغابية:

وتتراوح المساحة التي تشغلها الغابات في إفريقيا بين خمس وسدس مساحة القارة وليست هناك نسبة دقيقة يمكن ذكرها للاختلاف في تحديد الغابات في المناطق الانتقالية بين الغابات والسفانا وإن كانت المساحة الغابية تزيد على ٥ مليون كيلومتر مربع. وبالرغم من هذه المساحة الشاسعة فإنَّ عدداً قليلاً جداً من السكان يستمدون معيشتهم كلية من إنتاج الغابات.

وقد تعرض الغطاء النباتي لتناقص مستمر في مساحته في خلال العصور التاريخية ويرجع هذا التناقص إلى أسباب مناخية وإلى استغلال الغابات تجارياً وممارسة الزراعة المتنقلة ثمَّ ما تحدثه الحيوانات البرية والمستأنسة من تدمير للحياة النباتية عموماً، وقد أصبح من الحقائق الهامة في الوقت الحاضر أنَّ الإبقاء على الغطاء الغابي والمحافظة عليه ضروري للغابة ليس فقط لقيمتها الاقتصادية في إنتاج الأخشاب والمنتجات الأخرى (مثل الثمار والصموغ والألياف والزيوت

ومواد الدباغة وشمع العسل ومواد المستحضرات الطبية وغيرها) بل لدورها في حماية موارد المياه والتربة وتأثيرها في الظروف المناخية بصفة عامة.

وقد بذلت جهود كبيرة للمحافظة على الثروة الغابية في كثير من مناطق إفريقيا المدارية وتنظيم استغلالها واستخدام الأساليب العلمية للإبقاء عليها - بل وزراعة أنواع معينة من الأشجار الملائمة لزيادة المساحة الغابية.

ويعد شجر الماهوجني والخشب الأحمر والخشب الأبيض أهم أنواع الأشجار استغلالاً في القارة، والماهوجني أكثرها قيمة لمتانته وتعدد استخداماته وإن كان من الأشجار الصلبة الثقيلة مما يزيد من صعوبة قطعها ولذا تعتبر من الأشجار غالية الثمن ويتركز الإنتاج في غابات غرب إفريقيا خاصة ساحل العاج ونيجيريا والجابون والكونغو.

الزراعة:

تعد الزراعة أهم الحرف في إفريقيا المدارية (شكل رقم ٧١)، فهي تسهم بنحو ٢٦٪ من الناتج القومي على مستوى القارة، وبحوالي ٦٠٪ من جملة الصادرات ويعمل بها نحو ٧٠٪ من جملة القوى العاملة بالقارة، ومع كل ذلك فإنَّ إفريقيا المدارية تستورد مواد زراعية غذائية من الخارج.

ومن الواضح أنَّ متوسط إنتاجية الهكتار ومساحة الأرض الزراعية تتباين في دول إفريقيا المدارية تبايناً واضحاً، (جدول رقم ٢٠)، ومن الملاحظ أنَّ هناك ارتباطاً عكسياً بين مساحة الدولة الكلية ومساحة الأرض الزراعية بها، فتزيد المساحة الزراعية عن ربع مساحة الدولة في موريشيوس وساوتومي وأوغنده وسيراليون وملاوي ورواندا وجزر القمر وبورندي وغامبيا، بينما تقل عن عشر مساحة الدولة في معظم الدول (كينيا ٤٪، الجابون ١٪، ليبيريا ٤٪ زائير ٣٪، مالي ٢٪ أنجولا ١٪).

وكذلك الحال بالنسبة لمتوسط إنتاجية الفدان من الحبوب، حيث ينتج الهكتار الواحد من طن واحد إلى أقل من ٢ طن سنوياً في ١٦ دولة من دول

إفريقيا المدارية ومن نصف طن إلى أقل من طن في ١٧ دولة بينها تقل الإنتاجية عن نصف طن في ست دول. ويعد هذا متوسطاً متدنياً للغاية إذا ما قورن بالدول المتقدمة حيث تبلغ الإنتاجية الزراعية في فرنسا مثلاً حوالي خمسة أطنان من الحبوب[١].

وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ الإنتاجية الزراعية للفرد في إفريقيا المدارية ككل تصل إلى ثلث المتوسط العالمي. ولا شك أنَّ التزايد السكاني والذي يبلغ ٢,٧٪ سنوياً يعد العامل الرئيسي الذي يعوق إمكان تصدير الغذاء من القارة، ليس ذلك فقط، بل إنَّ منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) تقدر أنَّ متوسط إنتاج الغذاء للفرد الواحد في إفريقيا في سنة ١٩٧٦ يقل عمَّا كان عليه في أواخر الخمسينيات رغم تزايد الإنتاج الزراعي تزايداً ملحوظاً[٢].

وقد تغير نمط الزراعة الإفريقية خلال هذا القرن تغيراً كبيراً نتيجة تأثرها بالأوروبيين بعد استعمارهم للقارة واستيطانهم لبعض أقاليمها، ففي معظم المناطق التي كانت الزراعة المعاشية سائدة بها، أنشأ المستوطنون البيض مزارع مستقرة على أسس علمية كما في مرتفعات شرق إفريقيا كما أدخلوا زراعة محاصيل نقدية للتصدير مثل السيل والبن والتبغ ومن ناحية أخرى ـ فقد توسع الزراع الأوروبيون في إنتاج بعض المحاصل المحلية استجابة للطلب العالمي ـ مثل الكاكاو ونخيل الزيت واستحدثوا في القارة أسلوبين هامين في اقتصادياتها هما الملكية الفردية للأراضي الزراعية والاقتصاد النقدي، وقد ساعد على تدعيم هذين الأسلوبين فرض الضرائب مقابل الخدمات الضرورية وإدخال كثير من المنتجات الصناعية في الحياة الاقتصادية الإفريقية.

الزراعة الوطنية:

تشمل الزراعة الوطنية أنماطاً أخرى من الزراعة المتنقلة أو الزراعة

(١) Atlaseco. Atlas Economique Mondial, 1984.

(٢) Macdonald.s: Encyclopedia Of Africa, London, 1976, P. 44.

المعاشية المستقرة والنوع الأول (المتنقل) يعدُّ أقدم أنواع الزراعة وأكثرها انتشاراً في إفريقيا المدارية، ويسود في مناطق الغابات والسفانا على حد سواء ويمثل نوعاً من التكيف البدائي للزراعة مع ظروف التربة وخصائصها.

وتقوم الزراعة المتنقلة على إزالة رقعة من الغابات بقطع أشجارها وإحراقها ثمَّ زراعتها بعد ذلك لمدَّة عامين أو ثلاثة طالما بقيت التربة خصبة ثمَّ ما تلبث الجماعة أن تترك هذه الرقعة بأكملها وتهاجر إلى منطقة جديدة لتبدأ العملية مرة أخرى، وكثيراً ما يعاد استخدام الأرض بعد عدَّة سنوات تكون خلالها قد استردَّت خصوبتها الطبيعية، وهذا النوع من الزراعة هو في الواقع دورة زراعية للأرض وليس دورة زراعية للمحاصيل.

وتتميز التربة المدارية بانخفاض نسبة محتواها العضوي لأسباب منها أنَّ الحشرات والآفات المنتشرة تعوق تربية الماشية وقيام زراعة مختلطة ويعمد الزراع أثناء إزالة الغابة تمهيداً لزراعتها إلى إضافة الفوسفات والبوتاس ولذا يكون المحصول المنزرع في بادىء الأمر من الذرة الرفيعة أو اليام ـ ويعطي عائداً جيداً في البداية ثمَّ ما يلبث أن يتدهور الإنتاج بعد ذلك.

ورغم أنَّ الكثيرين يرون أنَّ الزراعة المتنقلة من أمثلة التلاؤم مع ظروف البيئة فإنَّ الحقيقة الهامة هي أنها نوع من الإسراف في استخدام الأرض، ويؤدي تزايد السكان وضغطهم على الموارد في بعض المناطق (مثل نيجيريا) إلى نمط كثيف من العمران يحد من اتساع المساحة المستغلة في الزراعة المتنقلة من ناحية ويؤدي إلى إعادة زراعة الأرض قبل استرداد خصوبتها من ناحية أخرى.

وتقوم الزراعة المعاشية المستقرة في بعض المناطق التي تتميز بخصوبة التربة نسبياً والتي تتصف بأنَّها أقل تعرضاً للتعرية وتتميز وسائل الزراعة بالبدائية مثل عصا الحفر لعمل حفرات وضع البذور (ومعزقة) لتفكك التربة وسكين أو بلطة. أمَّا المحراث الذي انتشر عبر شمال إفريقيا في فترة مبكرة فلم يدخل إلى إفريقيا المدارية ربما لأسباب منها نقص حيوانات الجر.

وفي كل إفريقيا المدارية ـ تسهم الإناث بدور هام في العمل الزراعي ـ

بل إنَّ البذور والحصاد هما العمل الرئيسي للمرأة في معظم أجزاء إفريقيا المدارية ويقوم الرجل بالأعمال الشاقة مثل إزالة الأشجار أو الصيد أو الرعي طالما كان ذلك ممكناً.

وتعدُّ المحاصيل النشوية ذات القيمة القليلة من البروتين ـ أهم المحاصيل التي تزرع في إفريقيا المدارية مثل الذرة الرفيعة والذرة واليام والمانيوق والموز وغيرها من الحاصلات الأخرى، وتقلُّ إنتاجية الفدان بصفة عامة ـ كما ينخفض مستوى التغذية لدى السكان وعلى امتداد الأقاليم المدارية تبدو مزارع المحاصيل على هيئة حدائق مشتركة أكثر منها حقول بالمعنى التقليدي وتتخللها جذوع الأشجار الضخمة التي لم تتم إزالتها بعد.

وقد تطورت زراعة المحاصيل النقدية في إفريقيا المدارية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وقد ساعد على ذلك تزايد الطلب عليها واتساع السوق العالمية لبعض الحاصلات المدارية وكذلك بتشجيع الحكومات الوطنية خاصة بعد الاستقلال وتحديدها للاستيطان الأوروبي أو الزراعة العلمية في مناطق محددة.

ويختلف المحصول النقدي الرئيسي من دولة لأخرى ـ فهناك الكاكاو (غانا ونيجيريا والكاميرون وساحل العاج) والفول السوداني (نيجيريا وغرب إفريقيا الفرنسية سابقاً) ومنتجات النخيل (نيجيريا وسيراليون وغرب إفريقيا الفرنسية سابقاً) والقطن (زائير وأوغنده وبعض دول غرب إفريقيا) والبن (انجولا وأوغنده والكونغو ومالاجاش والكاميرون وكينيا).

وتنتشر الأسواق الحديثة في كثير من المدن الإفريقية ـ وذلك للتجارة في كثير من المواد الغذائية الرئيسية مثل الذرة والذرة الرفيعة وقصب السكر والتبغ ويعدُّ نمو وازدياد زراعة الحاصلات النقدية انعكاساً للاقتصاد النقدي وذلك لمزايا التعامل في هذه المحاصيل على أسس معروفة.

الزراعة العلمية:

كان اهتمام الأوروبيين بالزراعة في إفريقيا المدارية قاصراً في معظمه على

الأقاليم المدارية وذلك على امتداد فترة طويلة وقد تجلى ذلك في إنشاء المزارع العلمية التي نجح القليل منها في أوَّل الأمر - ثمَّ باستمرار إجراء التجارب في المراحل التالية على أساس علمي - تزايدت هذه المزارع مساحة وعدداً واستطاعت أن تحقق نجاحاً ملحوظاً وأصبحت تتخصص في إنتاج المحاصيل النقدية مثل الكاكاو في غرب إفريقيا والبن والشاي والسيسل في شرقها، ولما كان هذا النوع من الزراعة يتطلب أساليب علمية واحتياجات محددة، لذا تقوم الشركات المتخصصة مثل شركة أخوان ليفر Lever Bros في الكونغو (زيت النخيل) وشركة مزارع فايرستون Firestone Plantation في ليبيريا (المطاط).

وتوجد أكثر مظاهر الزراعة الأوروبية تقدماً في إفريقيا في إقليم ناتال وفي نطاق البحر المتوسط في أقصى الجنوب الغربي في جمهورية جنوب إفريقيا، فقد ترك المستوطنون الأوروبيون هنا بصمات زراعة البحر المتوسط على امتداد عدَّة أجيال متعاقبة ويبدو ذلك بوضوح في زراعة الموالح والزيتون والكروم والحبوب.

الرعي:

تتحدَّد حرفة الرعي في معظم الأقاليم الإفريقية بمدى انتشار ذبابة تسي تسي وغيرها من الآفات والأمراض مثل القراد (حشرة تمتص دم الحيوان) وطاعون الماشية. وينتشر ذباب التسي تسي خلال إفريقيا الوسطى، وتمتص دماء الحيوان والإنسان على السواء وينقل ميكروبات الأمراض التي تسري في الدم وغالباً ما تنفق الحيوانات التي يلدغها هذ الذباب بعد عدة أيام، بينما يموت الإنسان بهذا السبب بعد فترة أطول وبعد أن يصيبه النوم والضعف المتزايد.

جدول رقم (٢٠) متوسط إنتاجية الهكتار من الحبوب ومساحة الأرض الزراعية في دول إفريقيا المدارية (١٩٨٣)

الدولة	متوسط إنتاج الهكتار	مساحة الأرض الزراعية ٪	الدولة	متوسط إنتاج الهكتار	مساحة الأرض الزراعية٪
موريشيوس	٢٨٠٧	٥٧	غانا	٨٠٦	١٢
كينيا	١٦٩٧	٤	زائير	٧٦٥	٣
الجابون	١٦٨٦	١	بنين	٧٣٧	١٦
مدغشقر	١٦٠١	٥	ساحل العاج	٧٢٦	١٢
ساوتومي برنسيب	١٥٥٦	٣٧	مالي	٦٩٥	٢
أوغنده	١٥٠٤	٢٨	تنزانيا	٦٨٤	٦
سيراليون	١٣٥٩	٢٥	ليسوتو	٦٧٦	١٠
ج. جنوب إفريقيا	١٢٨١	١٢	غينيا بيساو	٦٢٤	١٠
ليبيريا	١٢٧٦	٤	الكونغو	٦١٢	٢
ملاوي	١٢٥٧	٢٤	فولتا العليا	٦١٠	١٠
سوازيلاند	١٢٠٠	٩	إفريقيا الوسطى	٥٧١	٥
أثيوبيا	١١٦٦	١٢	تشاد	٥٣٧	٣
رواندا	١١٣٧	٣٩	موزمبيق	٥٣١	٤
زيمبابوي	١١٣١	٨	انجولا	٤٦١	١
جزر القمر	١٠٩٥	٤٢	النيجر	٤٠٥	٣
غامبيا	١٠٢٤	٢٣	ناميبيا	٣٩٧	١
زامبيا	١٠٢٤	٧	بورندي	٣٧٣	٥٠
الكاميرون	٩٤٧	١٦	كيب فرد	٢٤٠	١٠
توجو	٩٤١	٢٠	بتسوانا	١٣٩	٥
غينيا	٨٦٣	١٧			
السنغال	٨٣٥	١٢	فرنسا (للمقارنة)	٤٧٦٥	٣٢

المصدر:

Atlaseco. Atlas Economique Mondial, 1984.

وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ المناخ والتربة يعوقان حرفة الرعي في معظم إفريقيا كما تحول طبيعة الأمطار المتذبذبة في نطاق السفانا دون تنمية المراعي وتحسينها حيث تنمو الحشائش بسرعة عقب سقوط الأمطار وتصبح صالحة للرعي مباشرة، ولكن بحلول فصل الجفاف تزداد الحشائش خشونة وتفقد محتواها المائي والبروتيني وإذا أضيفت هذه لصعاب إلى انتشار الأمراض ـ ونقص الوعي والاهتمام بتحسين نوعية الماشية لأدركنا السبب الذي يؤدي إلى جعل الرعي هزيلاً في هذه الأقاليم.

وتتميز حياة الرعاة بالتنقل المستمر سعياً وراء الحشائش والمياه في مساحة واسعة فمنذ قرن مضى على سبيل المثال ـ كان لقبائل الماصاي قرابة نصف مليون كيلومتر مربع من الأراضي في مرتفعات شرق إفريقيا وكانوا يقومون بالرعي والتنقل بها، ولكن هذه المساحة أخذت تتقلّص بعد ذلك حتى وصلت إلى ٧٠٠٠ كيلومتر مربع فقط في الوقت الحاضر كذلك لم يعد بوسع الماصاي أن يطأوا أراضي جيرانهم من الزراع كما كان يحدث في الماضي.

وتواجه حرفة الرعي في شرق ووسط وجنوب إفريقيا مشكلة توسع الأراضي الزراعية على حساب المراعي مما يؤدي إلى تركز الرعي في مناطق محدودة ما تلبث أن تعاني من الرعي الزائد مع ما يترتب عليه من إنهاك للتربة وتعريتها ولكن ليست هذه القيود سائدة بدرجة كبيرة لدى البدو الرحل في مراعي الإستبس في الحواف الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى حيث الأغنام والإبل تكون حيوانات الرعي الرئيسية.

وتعدُّ إفريقيا غنية في إعداد الثروة الحيوانية المستأنسة بها وأهم أنواعها الأبقار والإبل والأغنام والماعز، وتعدُّ الأبقار أهم حيوانات الرعي لدى الرعاة جنوب الصحراء الكبرى والجالا في اثيوبيا والبقارة في شرق السودان والفولاني في غرب إفريقيا والهوتنتوت في جنوبها الغربي.

والواقع أنَّ الأبقار الإفريقية تعدُّ ذات قيمة اقتصادية قليلة نسبياً حيث

يقل إنتاجها من اللحوم والألبان بل إنَّها لا تنتج اللبن عند كثير من شعوب غرب إفريقيا وشمال أنجولا بل إنَّ منتجات الألبان كالجبن والزبد وغيرها ليست معروفة في مساحات واسعة من إفريقية المدارية وتستخدم الأبقار لدى كثير من القبائل للحصول على دمائها كما هي الحال عند الماصـاي والفولاني حيث يخلطونه باللبن في غذائهم التقليدي، وعموماً تكمن الأهمية الاقتصادية للأبقار في الحصول على اللحوم والجلود ونادراً ما تستخدم كحيوان للجر أو الحمل.

أمَّا الإبل - فهي سيدة الحيوانات في الصحراء دون منازع - لدى القبائل العربية والبربرية معاً وكذلك على امتداد ساحل البحر الأحمر وفي منطقة القرن الإفريقي عند البجا وعفار والصوماليين، وتربي معها الأغنام والماعز في الحواف الشمالية للصحراء ولهذه الحيوانات أهمية كبيرة للحصول على ألبانها ولحومها وجلودها، وفي فصل الجفاف يتجه الرعاة نحو نقاط المياه والحشائش. وقد يؤدي الجفاف الذي يتعرض له إقليم السفانا إلى هلاك آلاف الرؤوس من الحيوانات في بعض السنوات.

التعدين:

تتميز إفريقيا بتعدد موارد الثروة المعدنية وضخامة إنتاجها وقيمتها كما أنَّه من المحتمل أن يتزايد الإنتاج المعدني بالقارة في المستقبل باستمرار الاكتشافات الجديدة والاستثمارات والتنمية والنقل في أقاليم القارة التي لم تستغل ثروتها المعدنية استغلالاً كاملاً بعد.

وتحتوي إفريقيا نتيجة تركيبها الجيولوجي - على مجموعة من الصخور البللورية والمتحولة القديمة والتي تعد من أنسب الصخور الحاوية للتكوينات المعدنية، وما زال الكثير من القارة في انتظار الكشف عن موارده وإجراء المسوح العلمية لتحديد حجم ثروته المعدنية.

ولقد لعبت الثروة المعدنية في إفريقيا دوراً كبيراً في تاريخها خاصة في تطور الكشوف الجغرافية وتحديد مناطق النفوذ بها وقبل أن يأتي الأوروبيون بوقت

طويل اشتهرت اثيوبيا بالذهب الذي كان يعرفه تجار المحيط الهندي، كذلك فإنَّ عمليات الحفر والمناجم القديمة في زيمبابوي تعدُّ دليلاً على قدم معرفة المعادن بها كما استمرَّ تعدين القصدير والذهب على امتداد عدَّة قرون في غرب إفريقيا، وبمجيء القرن الخامس عشر كانت أراضي ساحل غانا هي المصدر الرئيسي للذهب المستخدم في صك العملية في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا[1]، وقد أخذت غانا اسمها القديم ـ ساحل الذهب ـ منذ القرن السابع عشر لهذا السبب، وقد كان بريق الذهب وكذلك العبيد والعاج هي التي جذبت أنظار التجار إلى سواحل غرب إفريقيا.

وفي سنة ١٨٨٦ تمَّ اكتشاف أغنى حقول الذهب بالقارة وهو حقل الراند Rand بعد مضي فترة أقل من عشرين سنة على افتتاح مناجم الماس في كمبرلي وتدفقت بعد ذلك رؤوس الأموال الأجنبية على الاكتشافات واستغلال موارد الثروة في جنوب القارة وتركز الاهتمام في بادىء الأمر على المعادن النفيسة التي تعطي عائداً محققاً ـ ثمَّ تزايدت الاستثمارات بعد ذلك للبحث عن المعادن الأساسية واستغلالها.

وفي سنة ١٨٩٢ تمَّ اكتشاف مناجم النحاس الضخمة في شابا وبدأ استغلالها في سنة ١٩١٠ عندما أنشىء خط للسكك الحديدية بين بيرا Beira ولوبمباشي Lubumbashi (اليزابيث فيل سابقاً) وفي سنة ١٩٠٢ تمَّ اكتشاف النحاس في زامبيا (روديسيا الشمالية سابقاً)، والرصاص والزنك والفاناديوم في بروكن هل Broken Hill وبدأ استغلال القصدير في نيجيريا سنة ١٩١٠ كذلك بدأ استغلال رواسب الفوسفات الضخمة في شمال إفريقيا (بدأ ذلك في الجزائر سنة ١٨٩٥) وبدأ التعدين يمثل قطاعاً هاماً من قطاعات الإنتاج الاقتصادي في بعض دول إفريقيا المدارية خاصة في الجنوب.

ولقد شهدت السنوات القليلة السابقة على الحرب العالمية الأولى تقدماً

(١) Mountjoy, A. Africa, Op, Cit, P. 146.

كبيراً في الاستغلال المعدني على امتداد القارة بأكملها خاصة أنّ بعض المعادن تزايد الطلب عليها بشدّة أثناء الحرب، ولكن سنوات ما بين الحربين العالميتين لم تشهد تطوراً كبيراً في التعدين بالقارة متأثرة في ذلك بالكساد العالمي.

ومنذ سنة ١٩٢٩ تطور استغلال الثروة المعدنية بإفريقيا ملحوظاً وتمثل ذلك في ضخامة الاستثمارات والاكتشافات الجديدة والتوسع في المناطق المستغلة من قبل وقد انتقل مركز الجذب إلى إنتاج البترول إلى حقول البترول والغاز الطبيعي في نيجيريا، كذلك بدأ استغلال مناجم خام الحديد في موريتانيا منذ سنة ١٩٦٣ وأدّى ذلك إلى زيادة إنتاج الحديد في القارة بنحو ٤٠٪ كذلك بدأ المشروع الضخم على نهر الفولتا لصهر الألومنيوم من خام البوكسيت في غانا منذ سنة ١٩٦٨، وفي نفس الوقت توسعت المناجم القائمة لإنتاج النحاس في زامبيا والذهب والماس في جنوب إفريقيا توسعاً كبيراً.

ويواجه التعدين في إفريقيا المدارية مشكلتين رئيسيتين هما النقص في الأيدي العاملة اللازمة للعمل في المناجم ثمّ توفير النقل بين المناجم والمواني، ويعاني معظم الإقليم من نقص في عدد السكان وما يعكسه ذلك من صعوبة في الحصول على العمال للمناجم التي تمتد في مساحات واسعة ولذا يعتمد إقليم الراند مثلاً على عمّال وفدوا من دول كثيرة في جنوب القارة، وكذلك الحال بالنسبة لنطاق النحاس في زامبيا وزيمبابوي والكونغو. وتعمل هذه المناطق التعدينية على توفير المساكن الملائمة للعمال وكذا الخدمات الطبية والأجور المرتفعة لتشجيع العمل بها.

ويقع القليل من المناجم على ساحل البحر ومن ثمّ يساعد هذا الموقع على سهولة النقل وتصدير الخامات للخارج واستيراد الاحتياجات اللازمة للتعدين، أمّا المناطق الداخلية فتحتاج إلى إنشاء السكك الحديدية والطرق وكذلك إلى ضرورة توليد الطاقة المحركة، ويعد نقص هذه العوامل من أسباب تأخر استغلال كثير من الموارد المعروفة مثل خام الحديد قرب لوكوجا Lokoja في نيجيريا على سبيل المثال.

ويعكس إنشاء الطريق العابر للقارة خدمة نطاق النحاس في زائير وزامبيا مدى الدور الذي تمارسه الثروة المعدنية في النقل بالقارة ذلك لأنّ الخام ينتقل لمسافة ٢٤٠٠ كيلومتراً سواء نحو بيرا Beira أو لوبيتو Lobito (وهي تعادل المسافة بين لندن وموسكو) وتؤي نفقات النقل المرتفعة إلى ضرورة تنقية الخامات من الشوائب قرب المناجم وما يرتبط بذلك من مشكلات الحصول على الطاقة وضرورة توليدها بالمحطات الحرارية أو المائية.

وقد أدّى استغلال الثروة المعدنية إلى قيام بعض الصناعات بالقارة على امتداد خطوط النقل في معظم أقاليمها وذلك لأنّ هناك ارتباطاً بين استغلال الثروة وإنشاء الطرق أو السكك الحديدية، ومن المعروف أنّ الخطوط الحديدية الطويلة بالقارة قد أنشئت استجابة لاستغلال المعادن كما حدث في جنوب إفريقيا (الذهب والماس) وفي زامبيا وزيمبابوي (النحاس) وقد ارتبطت بانجولا غرباً وموزمبيق شرقاً، وقد ساعد ذلك أيضاً على تطوير الموانى في كثير من أقطار القارة بل وإنشاء موان جديدة اصطناعياً مما أدّى إلى جذب صناعات ومشروعات متعددة.

ويمكن القول بأنّه على امتداد فترة زمنية طويلة قادمة سيظل استغلال الثروة المعدنية في معظم أقطار إفريقيا تحت السيطرة والاستثمارات الأوروبية، وقد شهدت كثير من دول القارة اهتماماً كبيراً بتدريب أبنائها وتوفير العمل المدرب لهم في المناجم وذلك بقصد وضع الثروة الإفريقية تحت سيطرة الأفارقة في وقت يتزايد فيه الطلب العالمي على معادنها بدرجة كبيرة خاصة الذهب والنحاس واليورانيوم والماس والكوبالت والقصدير والكروم والبوكسيت.

وعموماً تنتج إفريقيا المدارية النسبة الكبرى من الإنتاج العالمي في بعض الموارد المعدنية (نحو ٨٨٪ من الماس، و٧٦٪ من الكوبالت و٦٨٪ من الذهب) ومن ناحية أخرى فإنّ البترول والذهب - من حيث القيمة - يكونان أكثر من نصف قيمة صادرات القارة من المعادن، وإذا أضفنا النحاس والماس

لارتفعت النسبة إلى ثلاثة أرباع قيمة الصادرات.

وتبدو أهمية إفريقيا المدارية في احتياطي الثروة المعدنية الكامنة بها، فتشير التقديرات الخاصة بذلك إلى أنّها تحوي ٩٠٪ من الاحتياطي العالمي من الكروم والكوبالت و ٥٠٪ من احتياطي النحاس والماس والذهب، أمّا في بعض المعادن الأخرى، بما فيها البوكسيت والحديد والمنجنيز والفوسفات والبترول واليورانيوم فيتراوح نصيب القارة من ١٥ - ٣٠٪ من الاحتياطي العالمي.

موارد القوى والوقود:

تعتمد التنمية الاقتصادية سواء في مجال الزراعة أو التعدين أو الصناعة على توفر موارد القوى والوقود وتهتم الدول الإفريقية اليوم باستغلال الطاقة المتوفرة محلياً أو الحصول عليها للتنمية الاقتصادية ورفع مستوى معيشة أفرادها.

وإفريقيا من القارات الفقيرة من موارد الوقود المعدني- وذلك رغم الكشوف البترولية الضخمة في الصحراء الكبرى في العقدين الأخيرين، وتوجد المناطق البترولية في التكوينات الرسوبية البحرية التي تميز مساحات كبيرة في شمال إفريقيا بينما يسود الفحم مجموعة صخور الكارو في الجنوب وإن كان من الأنواع غير الجيدة.

وعلى العموم فإنَّ البترول والفحم يقتصر وجودهما على عدد قليل من دول القارة ويسهمان بدرجات متفاوتة في اقتصادها فتوجد أضخم حقول الفحم في جمهورية جنوب إفريقيا وكان ذلك من أبرز العوامل التي ساعدت على تنمية التعدين والصناعة في هذه الدولة ويصل متوسط إنتاج الفحم البيتوميني إلى حوالي ٤٥ مليون طن سنوياً ويليها في ذلك حقل الفحم في منطقة وانكي Wankie في زيمبابوي وإنتاجه لا يتعدّى الثلاثة ملايين من الأطنان سنوياً، وهناك بعض حقول أخرى قليلة الأهمية للغاية في نيجيريا وموزمبيق وزامبيا

والكونغو حيث يبلغ إنتاج كل منها عدّة مئات من آلاف الأطنان من الفحم الرديء.

أمّا البترول فينتج في غرب إفريقيا حيث بدأت نيجيريا تدخل في عداد الدول الرئيسية في إنتاج البترول وتصديره ـ وقد تزايد إنتاجها بسرعة كبيرة منذ أوائل الستينات وصدرت منه ١٣ مليون طن سنة ١٩٦٥ ويبلغ إنتاجها سنة ١٩٨٢ ـ قرابة ٦٤ مليون طن مما جعلها أولى الدول الإفريقية في الإنتاج ـ وتاسعة الدول في العالم في إنتاج البترول.

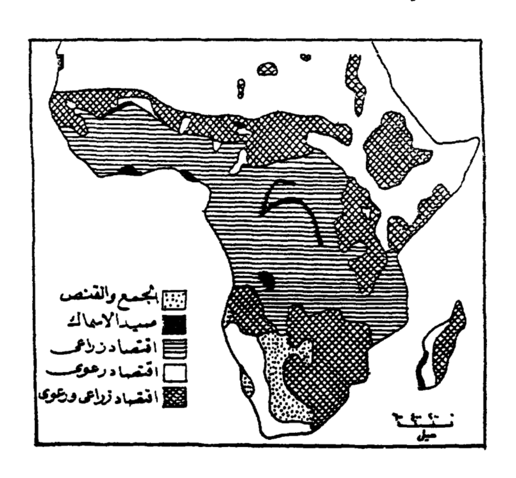
وفيما عدا نيجيريا التي يتركز البترول بها يوجد البترول في انجولا والجابون والكاميرون والكونغو وزائير وإن كانت تنتجه بكميات قليلة، وعموماً تشهد إفريقيا حالياً جهوداً ضخمة لاستكشاف مناطق البترول بها ـ وتقوم بذلك الشركات الأجنبية لما يتطلبه ذلك من نفقات كبيرة، ويكون البترول حالياً قرابة خمسي (٢/٥) الطاقة المستخدمة في إفريقيا والفحم النصف والباقي من نصيب القوى الكهرومائية.

وقد أدّت ندرة موارد المعدنية في إفريقيا إلى محاولة التركيز على القوى الكهرومائية التي تملك القارة منها إمكانيات هائلة تجعلها أولى قارات العالم في ذلك المورد ولكن النسبة المستغلة منها نسبة ضئيلة وترتبط مواقع محطات هذه الطاقة بمظاهر السطح وظروف المناخ، ومن سوء الحظ فإنّ أعظم إمكانيات هذه الموارد يتركز في الأقاليم الإستوائية خاصة حوض الكونغو بعيداً عن مراكز الصناعة والعمران، ومن المعروف أنّ تكلفة الكهرباء تتزايد بازدياد طول خطوط نقلها إلى مناطق الاستهلاك ويعدُّ الحد الاقتصادي حالياً ٨٠٠ كيلومتراً فقط، وإذا لم تحل مشكلة النقل اقتصادياً فسيظل جزء صغير من هذه الطاقة هو المستغل فقط.

وقد أنشئت عدّة مشروعات ضخمة لتوليد الطاقة الكهربائية من المياه

ولكنها تقع خارج النطاق الإستوائي وتعتمد بالدرجة الأولى على تخزين المياه خلف السدود لضمان استمرار الحصول على الطاقة طوال السنة، ويعدُّ مشروع سد كاريبا على نهر الزمبيزي واحد من المشروعات الضخمة وقد تمَّ إنشاؤه سنة ١٩٥٩ ويعطي طاقة قدرها ٦٠٠ ميجاوات (الميجاوات = ١٠٠٠ كيلووات) وتقتسم زامبيا وزيمبابوي هذه الكمية وهناك مشروعات أخرى في الكونغو وانجولا وأوغنده ونيجيريا.

ومن المشروعات الهامة الأخرى في إفريقيا المدارية مشروع الفولتا في غانا وسد كاينجي Kainji في نيجيريا وسد كويلو Kouilou في الكونغو ويرتبط مشروع الفلتا الغاني بإنتاج الألمنيوم - وسد كويلو يمد بعض الصناعات المعدنية والكهروكيماوية في بوان نوار Point Noire.



شكل رقم (٧١)
الحرف الرئيسية في أفريقيا المدارية

خاتمة:

رأينا فيما سبق كيف أنَّ إفريقيا المدارية إقليم ذو سمات حضارية متشابهة في ظروفه البيئية وكيانه البشري، إلاَّ أنَّ هذا الإقليم بمساحته التي تصل إلى نحو ١٥٪ من مساحة اليابس ويسكنه ٨٪ من سكان العالم يُعَـدُّ أفقر أقاليم العالم برغم وفرة موارده الاقتصادية فلا يسهم بدولَه الإثنتين والأربعين في الإنتاج العالمي بعناصره المختلفة إلاَّ بنسبة ضئيلة تكاد تصل إلى ٢٪ (بالتحديد ١,٨٪)، بل إنَّ الوضع يبدو أكثر سوءاً إذا أدركنا أنَّ دولة واحدة وهي جمهورية جنوب إفريقيا تسهم بمفردها بأكثر من ربع إنتاج إفريقيا المدارية مع أنَّها تحوي ٨٪ فقط من جملة سكانها.

وتعتمد ثروة إفريقيا المدارية اليوم في معظمها على الإنتاج الزراعي والرعوي والتعدين أي حرف الأنشطة الاقتصادية الأولية Primary، ويعتمد اقتصادها على التجارة الخارجية مع بقية أقاليم العالم خاصة أوروبا وأمريكا الشمالية، وتشمل صادرات إفريقيا المدارية المواد الأولية الزراعية والمـوارد المعدنية بينما تمثل السلع الصناعية أبرز الواردات.

وإفريقيا المدارية إقليم فقير- بل يعدُّ أفقر أقاليم العالم الكبرى ويبدو ذلك بوضوح في الانخفاض الحاد في متوسط الدخل القومي لمعظم دوله، فقد بلغ نصيب الفرد منه في المتوسط حوالي ٦٥٠ دولاراً سنة ١٩٨١، (المتوسط العالمي ٢٧٥٠ دولاراً). ولا ريب أنَّ هناك تفاوتاً بين الدول الإفريقية كما يبين الجدول رقم (٢١) وعلى أساس تصنيف البنك الدولي الذي يقسم دول العالم إلى أربع فئات حسب متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي سنوياً وهي مجموعة الدول الغنية ومجموعة الدول متوسطة الغنى ومجموعة الدول الفقيرة ومجموعة الدول الفقيرة جداً[1]، فإنَّ إفريقيا المدارية لا تحوي إلاَّ أربع دول

(١) مجموعة الدول الغنية وعددها ٤٦ دولة ويزيد نصيب الفرد بها على ٥٠٠٠ دولار سنوياً.
مجموعة الدول متوسطة الغنى وعددها ٤٨ دولة ويتراوح نصيب الفرد بها من ١٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ دولار سنوياً.

فقط تدخل ضمن المجموعة الثانية متوسطة الغنى وهذه الدول هي جمهورية جنوب إفريقيا وسيشل وغانا وناميبيا (غير مستقلة)، و ١١ دولة فقيرة ثمَّ ٢٩ دولة فقيرة جداً.

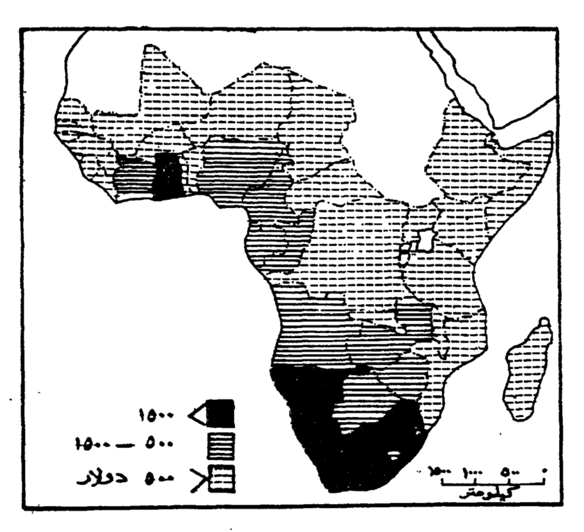
والواقع أنَّ إقليم إفريقيا المدارية هو الإقليم الوحيد الذي يحوي أكبر عدد من الدول الفقيرة جداً في العالم (به ٢٩ دولة من ٤٩ دولة في العالم) حيث يوجد به أكثر من نصف الدول الفقيرة جداً، ومن خريطة توزيع نصيب الفرد من الناتج القومي في الإقليم (شكل رقم ٧٢ وجدول رقم ٢١) يبدو أنَّ معظم دوله تقع في نطاق الفقر الذي يمتد في أقاليم السفانا شمال خط الاستواء وجنوبه الذي يعاني من مشكلات التخلف والجفاف الذي يتعرض له عاماً بعد آخر، ويضم هذا النطاق كل الدول الواقعة في منطقة الانتقال بين الصحراء ونطاق السفانا الممطر صيفاً ـ وتعد هذه المنطقة أكبر أقاليم إفريقيا المدارية في تذبذب كمية الأمطار بل أنَّ بعضها كما في دول الساحل (نطاق الانتقال بين الصحراء والسفانا في غرب إفريقيا) تعاني من الجفاف لمدَّة قد تطول عدَّة سنوات متتالية مما يؤدي إلى تدني إنتاج الغذاء وتعرض بعض مناطقه للمجاعات كما حدث في السنوات الأخيرة.

ورغم جهود التنمية التي تقوم بها دول كثيرة في إفريقيا المدارية فإنَّ دولها في معظمها ما زالت تعيش في دائرة الفقر الجهنمية والتي تعكس مدى الترابط بين مشكلات البيئة وانخفاض الإنتاج الاقتصادي وانعكاس ذلك على تدني مستوى الخدمات وقيمة الحياة في هذه الدول. ومن الملاحظ أنَّ الموارد الكامنة في إفريقيا ـ ربما باستثناء جمهورية جنوب إفريقيا ـ ما زالت غير مستغلة إلى حد بعيد، وتبدو المناطق التي استغلت بها مبعثرة إلى حد كبير سواء في التنمية الزراعية أو التعدينية أو الصناعية، فهناك قليل من المراكز الصناعية مثل

* مجموعة الدول الفقيرة وعددها ٥٥ دولة ويتراوح نصيب الفرد بها من ٥٠٠ ـ ١٥٠٠ دولار سنوياً.

مجموعة الدول الفقيرة جداً وعددها ٤٩ دولة ويقل نصيب الفرد بها من ٥٠٠ دولار سنوياً.

لاجوس ونيروبي وهراري. أمَّا التنمية الزراعية فقد تركزت في بعض المحاصيل المحدودة مثل الكاكاو في غانا وزيت النخيل في ساحل العاج والقطن والشاي والبن في شرق إفريقيا وهي منتجات تتطلبها الأسواق الأوروبية ومن ثمَّ كانت التنمية بهذه الدول استجابة لطلبات هذه السوق. -



شكل رقم (٧٢)
متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي سنوياً في
أفريقيا المدارية - ١٩٨١

جدول رقم (٢١) تقسيم الدول في إفريقيا المدارية
حسب متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار (١٩٨١)
(حسب تقسيم البنك الدولي)

دول متوسطة الغنى:		٢٣ ـ سيراليون	٣١٣
١ ـ جمهورية جنوب إفريقيا	٢٧٤٥	٢٤ ـ تنزانيا	٣١٢
٢ ـ سيشل	٢٣٤٤	٢٥ ـ النيجر	٣٠١
٣ ـ غانا	١٧٥٨	٢٦ ـ جزر كيب فرد	٢٩٦
٤ ـ ناميبيا	١٦٣٥	٢٧ ـ جمهورية إفريقيا الوسطى	٢٨٨
دول فقيرة:		٢٨ ـ بنين	٢٨٥
٥ ـ موريشيوس	١٠٧٩	٢٩ ـ ساوتومي وبرنسيب	٢٨١
٦ ـ الكونغو	١٠٠١	٣٠ ـ غينيا	٢٨٠
٧ ـ انجولا	٩٩٠	٣١ ـ جزر القمر	٢٧٦
٨ ـ ساحل العاج	٩٦٢	٣٢ ـ ملاوي	٢٦٢
٩ ـ تبسوانا	٨٨٥	٣٣ ـ رواندا	٢٣٧
١٠ ـ زيمبابوي	٨٣٣	٣٤ ـ بورندى	٢٢٧
١١ ـ سوازيلاند	٨٢٣	٣٥ ـ أوغنده	٢٢٠
١٢ ـ الكاميرون	٨١٩	٣٦ ـ موزمبيق	٢١١
١٣ ـ نيجيريا	٨١٥	٣٧ ـ فولتا العليا	٢٠٨
١٤ ـ ليسوتو	٥٢٨	٣٨ ـ زائير	٢٠٥
١٥ ـ زامبيا	٥٢٧	٣٩ ـ غينيا بيساو	١٦٤
		٤٠ ـ مالي	١٥٧
دول فقيرة جداً:		٤١ ـ أثيوبيا	١٣٣
١٦ ـ ليبيريا	٤٨٠	٤٢ ـ تشاد	١١٧
١٧ ـ غينيا الاستوائية	٤٧٠		
١٨ ـ السنغال	٣٩٨	متوسط إفريقيا المدارية	٦٥٦
١٩ ـ كينيا	٣٧٨		
٢٠ ـ توجو	٣٣٧	فرنسا (للمقارنة)	١٠٥٥١
٢١ ـ غامبيا	٣٢٨		
٢٢ ـ مدغشقر	٣١٥	متوسط العالم	٢٧٥٤

الفصل السادس عشر

دول غرب أفريقيا

يشمل إقليم غرب إفريقيا أربع عشرة وحدة سياسية[1] يوضحها الجدول رقم (٢٢) والشكل رقم (٧٣).

١ ـ مالي

تعدُّ مالي من الدول كبيرة المساحة قليلة السكان، فرغم أنَّها تأتي في المركز الثاني من حيث المساحة بين دول غرب إفريقيا الجاف ($\frac{1}{4}$ ١ مليون كيلو متر مربع) فإنَّ عدد سكانها يزيد قليلاً على ٧ مليون نسمة، وهي دولة صحراوية يتركز معظم سكانها في منطقة ثنية نهر النيجر والأطراف الجنوبية من البلاد حيث تسمح موارد المياه بممارسة الزراعة.

ولذلك فإنَّ النيجر هو شريان الحياة لدولة مالي، وهو صالح للملاحة من كوروسا Kouroussa (غينيا) حتى باماكو العاصمة والسوق الرئيسية وبؤرة المواصلات في البلاد، ولكن الملاحة النهرية يعوقها جنادل تعترض مجرى النهر

(١) للمزيد من التفصيل عن دول إفريقيا المدارية راجع كتاب فتحي محمد أبو عيانة ـ جغرافية أفريقيا ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٣.

شكل رقم (٧٣)
الوحدات السياسية في غرب أفريقيا

جدول رقم (٢٢) الوحدات السياسية في غرب إفريقيا

الدولة	المساحة (كم٢)	عدد السكان (١٩٨٣)	كثافة السكان (نسمة/ كم٢)
مالي	١,٢٤٠,٠٠٠	٧,٣٠٠,٠٠٠	٦
فولتا العليا	٢٧٤,٢٠٠	٦,٤٧٠,٠٠٠	٢٤
النيجر	١,٢٦٧,٠٠٠	٦,١٠٠,٠٠٠	٥
السنغال	١٩٦,١٩٢	٦,١٠٠,٠٠٠	٣١
غامبيا	١١,٢٩٥	٦٢٠,٠٠٠	٥٥
غينيا بساو	٣٦,١٢٥	٦٠٠,٠٠٠	١٧
غينيا	٢٤٥,٨٥٧	٥,٣٠٠,٠٠٠	٢١
سيراليون	٧١,٧٤٠	٣,٨٠٠,٠٠٠	٥٠
ليبيريا	١١١,٣٦٩	٢,١٠٠,٠٠٠	١٧
ساحل العاج	٣٢٢,٤٦٣	٨,٩٠٠,٠٠٠	٢٦
غانا	٢٣٨,٥٣٧	١٣,٩٠٠,٠٠٠	٥٨
توجو	٥٦,٠٠٠	٢,٨٠٠,٠٠٠	٥٠
نبين	١١٢,٦٢٢	٣,٧٠٠,٠٠٠	٣٢
نيجيريا	٩٢٣,٦٧٩	٨٤,٢٠٠,٠٠٠	٩١

فيما بعد المدينة وحتى بلدة كوليكورو Kolikoro القريبة منها ثمّ ما تلبث الملاحة في الاستمرار بعد ذلك، ويعدُّ النهر كذلك مورداً غنياً لصيد الأسماك التي تسوق في الدول المجاورة مدخنة أو مجففة.

وتعدُّ الماشية من عناصر الاقتصاد الرئيسية في مالي، وتنتقل في حركة موسمية بين الأقاليم الداخلية شمال نهر النيجر وبين وادي النهر ذاته حيث تنمو حشائش غنية أثناء فصل الفيضان عندما تتكون بحيرة واسعة يزرع السكان على جوانبها الأرز والذرة، وتعدُّ مدينة موبتي Mopti المركز الرئيسي لتجارة الماشية الصادرة من مالي إلى غانا وساحل العاج.

ومن عناصر الإنتاج الاقتصادي الرئيسية في مالي ـ زراعة الفول السوداني

قرب خط السكك الحديدية في الغرب، حيث تسمح الأمطار في هذا الجزء فقط من الدولة بالزراعة وبكمية تتراوح بين ٢٠ ـ ٢٥ بوصة سنوياً وهي كمية تكفي لقيام الزراعة دون اعتماد على الري.

ومدينة باماكو عاصمة مالي تتوسط القلب الإقتصادي للبلاد وعدد سكانها لا يتجاوز ٦٥٠,٠٠٠ نسمة، ولم تكن سوى قرية صغيرة حتى سنة ١٨٨٣ عندما دخلها الفرنسيون ولكنها اتَّخذت عاصمة للبلاد وشهدت تخطيطاً عمرانيا حديثاً، أما تمبكتو (١٠,٠٠٠ نسمة) فقد شهدت تاريخاً مزدهراً عندما كانت محطة نهائية لطريق القوافل عابرة الصحراء الكبرى في العصور الوسطى، ولكنها فقدت أهميتها في العصر الحديث بعد أن تدهورت طرق القوافل الصحراوية وأصبحت تمبكتو اليوم بلدة متواضعة تحوي أطلال ماض مجيد غابر.

٢ ـ فولتا العليا

بالرغم من أنَّ مساحة فولتا العليا تصل إلى ربع مساحة جمهورية مالي إلَّا أنَّ سكانها أكبر عدداً وبكثافة أعلى بكثير منها، ورغم أنَّ كمية الأمطار السنوية تتراوح بين ٢٤ ـ ٤٥ بوصة فإنَّها تدخل في عداد المناطق الجافة وشبه الجافة، وذلك لأسباب منها أنَّ نسبة كبيرة من الأمطار تفقد بسبب التسرب السريع في مناطق الحجر الرملي في الغرب والجنوب وهي صخور تابعة لمجموعات الأردوفيشي والسيلوري الموجودة في شرق موريتانيا وهضبة فوتا جالون في غينيا ومالي، أو في المناطق الرملية واللاتريتية التي تكون مساحة كبيرة من البلاد كما هي الحال في أراضي قبائل الموصي القوية التي تحوَّلت إلى الإسلام منذ القرن الحادي عشر.

وتعد فولتا العليا من أفقر دول غرب إفريقيا، وأبرز صادراتها الماشية والفول السوداني والقطن، وعاصمتها وأجادوجو (٢٥٠,٠٠٠ نسمة)، أما مدينة بوبو ديولاصو Bobo Dioulasso فهي مركز التجارة الرئيسي (٦٠,٠٠٠ نسمة)، وتقع على خط السكة الحديدية بين واجادوجو وأبيدجان في ساحل العاج والبالغ طوله ١١٤٤ كيلومتراً، وهو الذي يربط فولتا العليا بدول الساحل

الغربي كما أنّه منفذ تجارتها نحو الخارج.

٣ ـ النيجر

تقع جمهورية النيجر إلى الغرب من تشاد وشمال نيجيريا وبمساحة تزيد قليلاً عن مساحة الأولى (١,٢٦٧.٠٠٠ كم٢) وبسكان يزيد عددهم قليلاً على ٦ مليون نسمة، وتسود بها الظاهرات الصحراوية بشكل أوضح بكثير من الدول المجاورة في غرب إفريقيا، كما أنّها أقل في مواردها المائية وذات موقع أكثر عزلة وتعاني من ظروف القارية الناجمة عن هذا الموقع الداخلي بدرجة أكبر من جيرانها.

وتقوم الزراعة في جنوب النيجر في التربة الرملية المفككة، وأهم الحاصلات الذرة الرفيعة والفول السوداني ومراكز تجارتهما مدينتي مارادي Maradi وزندر Zinder أمّا القطن فيزرع بكميات كبيرة في الأودية الفيضية الموسمية بالقرب من مارادي أيضاً، أمّا الأرز فيزرع في إقليم الجرما Djerma في وادي النيجر الفيضي الموسمي وتزرع في هذا الإقليم أيضاً بعض المحاصيل الأخرى مثل الذرة الرفيعة والفول السوداني، أمّا في الشمال فيوجد القليل من النشاط الزراعي في بطون الأودية الموسمية في هضبة العير البركانية.

وعرقياً تنقسم النيجر بين قبائل الصنغاي في الغرب والهوسا في الشرق كما تعيش بها قبائل الطوارق الرعوية في الشمال، وتوجد العاصمة الحالية نيامي Niamey (٣٥٠,٠٠٠ نسمة) في منطقة الصنغاي على ضفاف نهر النيجر، أمّا منطقة الهوسا فعاصمتها الإقليمية مدينة زندر (١٥٠٠٠ نسمة) وكانت هذه المدينة عاصمة للنيجر في الفترة من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٢٦ وما زالت مركزاً تجارياً هاماً خاصة للفول السوداني والجلود والصمغ العربي والذي يجد طريقه للأسواق الخارجية عن طريق نيجيريا.

٤ ـ السنغال

تقع السنغال في أقصى غرب النطاق الجاف في غرب إفريقيا بمساحة

تصل إلى ١٩٦٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وبعدد من السكان يصل إلى أكثر قليلاً من ٦ مليون نسمة مما يجعل كثافة السكان عالية نسبياً إذا ما قورنت بالدول المجاورة، وتعدُّ السنغال أكثر الدول المدارية قرباً واتصالاً بالأوروبيين كما أنّها تقع في منطقة انتقال بين إفريقيا العربية شمالاً والزنجية جنوباً، وقد شهدت استعماراً فرنسياً مبكراً في أوائل القرن التاسع عشر واكتملت السيطرة الفرنسية عليه سنة ١٨٨٧ واستقلت في سنة ١٩٦٠ وأشهر جماعاتها قبائل الولوف والسيرر والفولاني.

وتمثل الزراعة عماد الاقتصاد السنغالي، وتتركز في النطاق الغربي من البلاد، وتمارس جماعات الولوف والسرر زراعة الذرة الرفيعة للاستهلاك المحلي والفول السوداني كمحصول نقدي للتصدير، ويكون هذا المحصول معظم الصادرات الزراعية حيث يزرع بكميات كبيرة جعلت السنغال رابع دولة منتجة له على المستوى العالمي، وتتركز زراعته في الجنوب عند كاولاك Kaolack (إلى الجنوب مباشرة من توبا Touba)، وكان لهذا المحصول أثره في جذب أيد عاملة معظمها من غينيا ومالي للعمل الموسمي في زراعته وفي حصاده، وتقوم السنغال بعصر معظم المحصول ثمَّ تصديره إلى الخارج وخاصة فرنسا.

ويبلغ عدد سكان السنغال أكثر قليلاً من ٦ مليون نسمة ١٩٨٣، يعيش حوالي ثلثهم في المدن، وتعد داكار العاصمة (١,١٥٠,٠٠٠ نسمة) ذات أهمية كبرى ليس للسنغال فقط بل لدول غرب القارة المغلقة خاصة مالي حيث تجد تجارتها منفذاً عبر داكار، وقد أنشئت داكار في سنة ١٨٥٧ كمحطة ملاحية للسفن الفرنسية على الخطوط المتجهة لأمريكا الجنوبية، وعندما أنشئت السكك الحديدية في غرب إفريقيا امتدَّت إليها في سنة ١٨٨٥ مما جعلها تحل محل سان لوي كميناء، ولكي تصبح مخرجاً لصادرات الفول السوداني الذي يزرع في المناطق الساحلية وبجوار خط السكك الحديدية.

وبالإضافة إلى دورها كميناء بحري فإنَّ داكار تلعب دوراً هاماً كمركز للاتصالات الجوية وخدمة الطيران بين أوروبا وأمريكا الجنوبية وبين إفريقيا وأمريكا الشمالية أيضاً، ومن المراكز الحضرية الأخرى مدينة سان لوي التاريخية

(٨١٠٠٠ نسمة) وهي الآن محطة انتقال بين النهر والسكك الحديدية والطرق البرية للتجارة مع المناطق المجاورة.

٥ ـ غامبيا

تبدو غامبيا كجيب طولي يمتد في جنوب السنغال من الشرق للغرب حول النهر الذي اشتقت منه اسمها والذي يمثل عمودها الفقري وتمتد معه بطول يصل إلى ٣٣٠ كيلومتراً وبعرض يتراوح من ٢٠ ـ ٤٠ كيلومتراً. وتبلغ مساحة غامبيا ١١٢٩٥ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها يصل إلى أكثر من نصف مليون نسمة (٦٢٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٣) وبكثافة عالية تصل إلى نحو ٥٥ نسمة في الكيلو متر المربع، وهي تعد امتداداً طبيعياً وبشرياً للسنغال فيعيش بها سكان ينتمون لنفس القبائل السنغالية مثل الولوف والماندنج كما يرتاد كثير من السنغاليين أراضي غامبيا للعمل والتجارة.

وأهم مدن غامبيا مدينتان هما بانجول Banjul (باثورست سابقاً) وسركندا Serrekunda، وهي مدن صغيرة الحجم بشكل واضح، فالعاصمة بانجول لا يزيد عدد سكانها على ٤٨٠٠٠ نسمة فقط وهي تقع على المصب الخليجي العميق لنهر غامبيا ونشاطها التجاري محدود بسبب التقسيم السياسي وضيق ظهر المدينة واستقطاب مدينة داكار لمعظم تجارة ما وراء الساحل في هذه الأقاليم ولذا لا تصدر بانجول سوى الفول السوداني المنتج محلياً، والذي يعدُّ المحصول الرئيسي الذي تنتجه البلاد، كما يزرع الأهالي الأرز في المناطق الساحلية وكذلك الدخان لاستهلاكهم المحلي، ومن الصعب تنويع الإنتاج في تلك البيئة المحدودة الموارد ويبقى الأمل في رفع مستوى العيش كامناً في إنشاء بعض الصناعات الملائمة.

٦ ـ غينيا بساو

تعدُّ غينيا بساو الحالية أقدم المناطق التي شهدت استيطاناً برتغالياً في غرب إفريقيا، .فقد كانت مصدراً رئيسياً للزنوج الذين يؤسرون ويشحنون للعالم

الجديد ويتمثل بعض أحفادهم في عناصر الكريولي الحالية والذين يمارس بعضهم الكثير من الوظائف والأعمال الكتابية في بساو في الوقت الحاضر.

وتنمو غابات المانجروف في المناطق الساحلية المتعرجة ولكن أزيلت مساحات كبيرة منها وتحولت إلى مزارع أرز واسعة يفلحها الوطنيون من جماعات الفلوب والبلانت الذين يتخصصون في زراعة الأرز والفول السوداني ونخيل الزيت والموز، وتربى الماشية أساساً للحصول على الأسمدة العضوية لتسميد الأرض وهذا النطاق الساحلي ـ الذي يكون الأجزاء الدنيا من مصبات عدَّة أنهار ـ هو أكثر أقاليم البلاد ازدحاماً بالسكان، كما توجد به بساو العاصمة والميناء الرئيسي (٨٠,٠٠٠ نسمة).

أمَّا في الداخل فتعيش جماعات الماندنج والفولاني الرعوية، وإلى جانب الرعي يزرعون الذرة الرفيعة والفول السوداني والقطن والخضر، ولكن الزراعة هنا تواجه مشكلة تعرية التربة بشكل حاد.

ويعدُّ زيت الفول السوداني وزيت النخيل من أهم صادرات البلاد، وتنقل هذه المحاصيل عن طريق الأنهار نحو بساو ـ الميناء الرئيسي والعاصمة ومنها إلى الخارج، ويرتبط الاقتصاد ارتباطاً وثيقاً بالبرتغال.

٧ ـ غينيا

غينيا من الأقطار التي تتنوع فيها الأقاليم الجغرافية والموارد الاقتصادية، وتصل مساحتها إلى حوالي ربع مساحة مصر وعدد سكانها يزيد قليلاً على ٥ مليون نسمة ،وتعد هضبة فوتاجالون أبرز مظاهر التضاريس في غينيا، وتتميز بصخور الحجر الرملي الأردوفيشي والسيلوري المرتكز على قاعدة معقدة تظهر في مرتفعات غينيا وسهول النيجر.

ويشبه الساحل الغيني ـ الذي تبلغ أمطاره ١٧٠ بوصة سنوياً عند كوناكري ساحل غينيا بساو في طبيعته واستغلال الأراضي به، فقد استصلح السكان مناطق المانجروف وحولوها إلى مزارع أرز واسعة، كما زرعوا الموز

والأناناس وأنشأوا مزارع علمية بهذا النطاق.

وتنقسم غينيا إلى ثلاثة أقاليم جغرافية مميزة هي السهل الساحلي ومرتفعات فوتاجالون ثمَّ حوض النيجر الأعلى وقد سبق القول بأنَّ المستنقعات الساحلية شهدت تغييراً كبيراً في شكل استغلالها عندما تحولت إلى زراعة الأرز، أمَّا في المناطق الداخلية من السهل الساحلي فيما وراء هذه المستنقعات فيتراوح عرضها من ٥٠ ـ ٨٠ كيلومتراً، ورغم حرارتها ورطوبتها فإنَّها كثيفة السكان وتتكون محاصيلها الرئيسية من الأرز وزيت النخيل والموز.

وتقوم كاناكري العاصمة على جزيرة مجاورة لليابس مباشرة وهي ذات ميناء عميق تمر عن طريقه صادرات البلاد خاصة الألومينا والصادرات الزراعية مثل البن والموز وتواجه المدينة مجموعة من الجزر تعرف بجزر لوس Los Islands ويتم فيها تعدين البوكسيت، إلاَّ أنَّ هذا المعدن يستخرج من منطقة أخرى تعدُّ واحدة من أكبر مناطق إنتاجه في العالم وهي منطقة بوكيه Bokè والتي أنشىء بها مصنع للألمنيوم جعل غينيا واحدة من الدول الرئيسية في العالم المنتجة له.

وتقوم الزراعة في الأودية العميقة ،التي تبدو فيها مراكز العمران البشري كثيفة، وأبرز المحاصيل هنا والتي تزرعها جماعات الفولاني الذرة الرفيعة معتمدة على موارد وفيرة من المياه سواء من الأنهار أو الينابيع كذلك يبدو الغطاء النباتي غنياً وكثيفاً، وتسود زراعة الموالح والأناناس على منحدرات الأودية والموز في بطونها.

وقد شهد إقليم فوتاجالون قيام صناعة حديثة به ممثلة في مصنع البوكسيت عند فريا Fria عالي نهر كونكوري وعلى بعد ١٥٣ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من العاصمة كوناكري، وهو يعدُّ واحد من أكبر المصانع وأحدثها في العالم، وترسل الألومنيا بعد استخراجها من البوكسيت إلى كوناكري حيث تصدر إلى الكاميرون لصهرها كما يصدر جزء منها إلى أوروبا وكندا والولايات المتحدة.

وتعد كوناكري (٦٥٠,٠٠٠ نسمة) العاصمة والميناء الرئيسي في غينيا وقد أنشئت على جزيرة تومبو Tombo ثمَّ ارتبطت بشبه جزيرة كالوم Kaloum المجاورة، ويتميز ميناؤها بالعمق وزادت أهميته بعد اكتشاف واستغلال خام الحديد في سنة ١٩٥٢ عندما بدأ يصدر عن طريقها، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الميناء يشهد قيام صناعات مختلفة به مثل الصابون وتعليب الفاكهة وصناعات البلاستيك والمدينة الثانية هي كانكان Kankan (٥٠,٠٠٠ نسمة) على نهر ميلو رافد النيجر وهي مدينة هامة لوقوعها في نهاية خط السكك الحديدية الوحيد في غينيا الذي يربطها بالعاصمة كوناكري.

٨ ـ سيراليون

تبلغ مساحة سيراليون ٧١٧٤٠ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها يزيد قليلاً على ٣,٥ مليون نسمة، وقد أنشئت في بداية الأمر كوطن للرقيق المحرر بعد تحريم تجارة الرقيق، وشهدت قيام أوَّل مستوطنة في فريتون سنة ١٧٨٧، ولكن ما لبثت شبه جزيرة سيراليون أن أصبحت مستعمرة بريطانية في سنة ١٨٠٨ - ومع ذلك استمر إنشاء مستوطنات للمحررين من الزنوج في النصف الأول من القرن الماضي، كذلك فقد تمَّ توطين الجنود الأفارقة المسرحين بعد الحرب النابوليونية في بعض المراكز العمرانية حول شبه الجزيرة وحملت بعضها أسماء ووترلو وولنجتون، ويعرف أحفاد المحررين من الزنوج باسم الكريولي ويتميزون بثقافتهم غير الإفريقية ورغم أنَّ عددهم لا يتجاوز ٩٠٠٠٠ نسمة من جملة السكان البالغ عددهم ٣,٥ مليون نسمة إلَّا أنَّهم خلقوا الكثير من المشكلات السياسية والاجتماعية الناجمة عن مستواهم الثقافي المميز والمختلف عن بقية السكان.

ويتركز الإنتاج الزراعي في السهول الجنوبية الغربية والجنوبية من البلاد ولذا فإنَّه يحظى بأعلى كثافة سكانية من بقية الأقاليم في سيراليون كما أنَّه أكثر تقدماً منها، خاصة أنَّ النطاق الشمالي والشمالي الشرقي يتميز بالتضاريس الحادة والتربة اللاتريتية غير الخصبة.

ويعدُّ الأرز المحصول الغذائي الرئيسي في سيراليون، ويزرع في النطاق الساحلي في مناطق المستنقعات، وقد تحوَّلت أراضي المانجروف ومستنقعات المياه العذبة الداخلية إلى زراعته وبعض المحاصيل الأخرى، وتزرع سيراليون في مستنقعاتها الساحلية نوعاً من النخيل يعرف باسم البياسافا والذي يستخرج منه ألياف تستخدم في صناعة الحبال والفرش، وهي تعد المصدر الرئيسي لهذه الألياف في العالم، ومن المنتجات الزراعية الأخرى نوى نخيل الزيت والتي تعدُّ من حيث القيمة المحصول النقدي في قائمة الصادرات، كما تنتج سيراليون البن والكاكاو في الأقاليم الجنوبية الشرقية التي كانت تغطيها الغابات من قبل.

وتعيش نسبة قليلة من سكان سيراليون في المدن، وتعدُّ فريتون (٢٢٠,٠٠٠ نسمة) العاصمة والميناء الرئيسية وقد أنشئت سنة ١٧٩٢، وتتميز بأنَّها تقع على أحسن المرافىء الطبيعية في غرب إفريقيا، وقد نمت ببطء ولم تتركز بها صناعات كبيرة، كما أنَّ اتصالها مع شرق البلاد صعب، وتأتي مدينة بو Bo في المرتبة الثانية بعد العاصمة وعدد سكانها قليل لا يتجاوز ٢٦٠٠٠ نسمة وتتميز بموقعها الهام الذي جعلها ملتقى لطريق بري وحديدي في جنوب شرق سيراليون.

٩ ـ ليبيريا

أنشئت ليبيريا في بادىء الأمر موطناً للعبيد المحررين من أمريكا الشمالية، فقد قامت أوَّل مستوطنة لهم في منروفيا سنة ١٨٢٢ وتبع ذلك إنشاء مستوطنات أخرى في الإقليم الساحلي، وقد أعلن استقلالها كدولة في سنة ١٨٤٧، وشهدت نزاعاً كبيراً بين الليبيريين الأمريكيين (يقابلون الكريولي في سيراليون) وبين السكان الأفارقة الأصليين وذلك رغم أنَّ نسبتهم لا تتعدى ٢٪ من جملة السكان الأفارقة، ولم تشهد ليبيريا منذ إعلان استقلالها تطوراً كبيراً في اقتصادها وتنميتها فلم تكن هناك دولة مستعمرة تهتم بمد خطوط السكك الحديدية والطرق كما حدث في البلاد المجاورة.

وتبلغ مساحة ليبيريا ١١١,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وسكانها يقترب عددهم من ٢ مليون نسمة، وهي على العكس من غينيا بساو وغينيا وسيراليون لا يوجد فيها نطاق مستنقعي متصل على الساحل ولا تنمو غابات المانجروف إلّا عند مصبات الأنهار فقط، ورغم ذلك يتميز الإقليم الساحلي بوجود نتوءات جبلية (مثل غينيا) واستقرَّ بها الليبيريون الأمريكيون مبكراً وذلك لارتفاعها وملاءمتها للسكنى وإمكانية الدفاع عنها، وتقع منروفيا ـ العاصمة على واحد من هذه النتوءات الجبلية البارزة على خط الساحل.

وفي النطاق الساحلي الواسع بدأت الحكومة اهتماماتها مبكراً لاستغلاله في أوائل هذا القرن، واستطاع الليبيريون الأمريكيون أن يصدروا منه بعض الحاصلات الغابية وكذلك سكر القصب والبن والبياسافا وقد بدأ منح بعض الامتيازات في سنة ١٩٠٦ لزراعة المطاط قرب منروفيا ولكن أهمها امتياز شركة فايرستون سنة ١٩٢٦ لتأجير ٤٠٤,٧٠٠ هكتار (مليون فدان) وزراعتها بالمطاط لمدَّة ٩٩ سنة، وزرعت مساحة أخرى قدرها ٤٠,٤٧٠ هكتار (١٠٠ ألف فدان) بنحو ١١ مليون شجرة في شمال شرق منروفيا وعلى نهر كافالا Cavalla ويعدُّ ذلك أكبر مشروع من نوعه في العالم.

ويتدرج سطح ليبيريا من الساحل نحو الداخل حيث تسود التلال المنخفضة وتليها هضاب ثمَّ بعد ذلك عند الحدود الشمالية والشمالية الشرقية تنتهي إلى المرتفعات الغينية، ويوجد الحديد الخام من نوع الهيماتيت الذي يتشابه مع حديد سيراليون وموريتانيا، وقد بدأ تعدينه في ليبريا منذ سنة ١٩٥١ في تلا بومي Bomi شمال غرب منروفيا، وينقل الحديد الخام بواسطة سكة حديدية خاصة إلى منروفيا وقد امتدَّ الخط في سنة ١٩٦١ إلى نهر مانو Mano على حدود سيراليون وذلك لاستغلال مناجم أخرى للحديد في هذه المنطقة، ويوجد أكبر مناجم الحديد في جبل نيمبا Nimba (مرتفعات غينيا) ويخدمه خط حديدي طوله ٣٢٢ كيلومتراً حيث يعبر البلاد حاملاً خام الحديد إلى ميناء بوكانان العميق ثاني موانىء ليبيريا والذي افتتح في سنة ١٩٦٣، وقد بدأ

استغلال منجم رابع في جبال بونج Bong ومدَّ منه خط حديدي لنقل الخام إلى منروفيا وأدّى هذا الاستغلال الواسع لموارد الثروة المعدنية إلى بدء عهد جديد من التاريخ الاقتصادي لليبيريا جاعلة إياها ثاني أكبر منتج للحديد الخام في إفريقيا وثالثة الدول المصدرة له في العالم. (أنتجت ١٣ مليون طن من الحديد من جملة الإنتاج العالمي الذي بلغ ٤٩٥ مليون طن سنة ١٩٨١).

ويعيش حوالي ربع سكان ليبيريا في المدن، وتعدُّ منروفيا العاصمة والميناء الرئيسي (٨٠٠,٠٠٠ نسمة) وأكبر مدن البلاد، وترتبط بالداخل بواسطة عدَّة طرق أهمها الطريق الواصل إلى غينيا، وقد شهدت منروفيا قيام بعض الصناعات الصغيرة مثل الطوب والصابون والإطارات وبعض الصناعات الغذائية.

١٠ ـ ساحل العاج

بالرغم من أنَّ ساحل العاج تعدُّ أغنى المناطق الفرنسية السابقة التي تتوفر بها موارد اقتصادية جيدة إلاَّ أنَّ ظروفها الطبيعية خاصة غطاء الغابات الكثيفة قد أعاقت تنميتها وأخَّرت تطورها، وقد كانت أوَّل خطوة هامة للتغلب على هذه العوائق هو مد خط سكة حديدية عبر الغابات حتى بواكيه Bouakè في سنة ١٩١٢ ثمَّ امتدَّ إلى بوبو ديالوصو في فولتا العليا في سنة ١٩٣٤ وإلى واجادوجو في سنة ١٩٥٤، كذلك أدَّى إنشاء قناة فريدي Vridi سنة ١٩٥٠ إلى جعل ميناء أبيدجان عميقاً، ومنذ ذلك التاريخ بدأت ساحل العاج تشهد تقدماً اقتصادياً ملحوظاً كان النقل أساساً له.

وقد تطورت مدينة أبيدجان ـ العاصمة والميناء الرئيسي (٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) تطوراً كبيراً في العقدين الأخيرين، فقد تمَّ إنشاء كثير من الصناعات بها ومدَّت بها جسور (كباري) لتربط اليابس بجزيرة بسام Bassam حيث الميناء والمنطقة الصناعية الرئيسية، ويخدم هذه المدينة عدة طرق برية وحديدية تربطها بظهيرها الغني بل وتمتد حتى فولتا العليا، كما ترتبط ببقية دول غرب إفريقيا بخطوط طيران مباشرة.

وتتدرج السهول الساحلية بارتفاع تدريجي نحو الشمال حتى تنتهي إلى هضاب داخلية بعد ذلك، ولذا يبدو في ساحل العاج إقليمان متميـزان: السهول الدنيا والهضاب الداخلية، وتمتد السهول الدنيا نحو الداخل لمسافة تتراوح بين ١٥٠ ـ ٢٥٠ كيلومتراً وهي هنا لا تزيد.في ارتفاعها على ٢٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر، وتتميز هذه السهول الساحلية بوجود الغابات المدارية المطيرة، التي تعدُّ مصدراً هاماً للأخشاب خاصة الماهوجني، كما تسود بهذه المناطق زراعة المحاصيل النقدية للتصدير مثل البن والكاكاو ونخيل الزيت والموز ويعدُّ الأرز المحصول الغذائي الرئيسي وذلك بالإضافة إلى الكاسافا واليام.

وقد ساعد وجود الغابات الكثيفة وقربها من الموانىء الساحلية وتوفر النقل النهري الرخيص وكذلك امتداد عدَّة خطوط حديدية وبرية على استغلال الثروة الغابية استغلالاً جيداً حتى أصبحت الأخشاب تمثل عنصراً هاماً من الصادرات وتأتي في الترتيب الثالث بنسبة تتراوح بين ١٠ ـ ٢٠٪ من جملة الصادرات.

وتعدُّ مدينة أبيدجان العاصمة واحدة من أعظم موانىء غرب إفريقيا بظهير يمتد حتى دولة النيجر، وقد تطورت بسرعة ونما عدد سكانها نمواً كبيراً بسبب توافر عوامل الجذب التي ولدتها الصناعات الحديثة بها، وتأتي بعدها مدينة بواكيه (١٢,٠٠٠ نسمة) كمركز عمراني رئيسي في الداخل على الطريق الحديدي نحو الشمال وفي قلب منطقة إنتاج القطن والتبغ.

١١ ـ غانا

تعدُّ غانا من الدول الرئيسية في غرب إفريقيا رغم أنَّ مساحتها تقل قليلاً عن ربع مليون كيلومتر مربع ولكن تزايـدت أهميتها منـذ حصولها على الاستقلال مبكراً في سنة ١٩٥٧، وبعد أن أصبحت أولى دول العالم في إنتاج الكاكاو، كما شهدت تنمية اقتصادية كبيرة نسبياً إذا ما قورنت بالدول المجاورة وتجلَّى ذلك في الكثير من المشروعات التي يعد مشروع سد نهر الفولتا أهمها ـ بل

إنّه واحد من أعظم محطات الطاقة الكهربائية المولدة من المياه في العالم، وقد انعكس ذلك على ارتفاع نسبي في متوسط دخل الفرد في غانا يجعلها تأتي في مقدمة دول غرب إفريقيا في هذا المجال.

وقد عرفت غانا تعدين الذهب منذ حوالي ألف سنة وجذب بريقه البرتغاليين سنة ١٤٧٠ ثمَّ البريطانيين سنة ١٥٥٢ والهولنديين سنة ١٥٩٥ والسويديين والدنمركيين سنة ١٦٤٠، ثمَّ أضيفت تجارة الرقيق إلى عوامل الجذب بعد ذلك[١]، ومن هنا عرفت غانا بساحل الذهب ولكن أطلق على هذا الساحل غانا ـ بعد استقلال تيمنا باسم دولة غانا القديمة.

ويمكن تقسيم غانا إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي السهول الساحلية وهضاب الأشانتي المنخفضة ثمَّ حوض نهر الفولتا وتتمشى هذه الأقاليم إلى حد كبير مع التقسيم النباتي السائد والذي يتمثل في السفانا الساحلية والغابات المطيرة ثمَّ السفانا الشمالية.

ويتكوَّن السهل الساحلي غرب مدينة أكرا من سلسلة من التلال والحافات التي لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠ متر فوق سطح البحر، وتزيد كمية الأمطار السنوية إلى الغرب من تاكورادي (٨٠ بوصة في بلدة أكسيم) ولكنها تتناقص بالاتجاه شرقاً حتى تقل عن ٥٠ بوصة، ويتمثل الغطاء النباتي في الغابات المدارية المطيرة.

وإلى الشمال من سهول أكرا توجد مرتفعات أكوابيم Akwapim التي تمتد نحو الشمال الشرقي حتى نطاق المرتفعات الشرقية على حدود توجو ثمَّ تواصل امتدادها في توجو وبنين وتعرف باسم جبال أناكورا، وفيما بين مرتفعات

---

(١) شيدت كل شركة من الشركات الوافدة قلعة على الساحل: الطابق الأسفل منها لحفظ الرقيق انتظاراً لشحنهم إلى العالم الجديد وكذلك لتخزين السلع التجارية، والطابق الأعلى لإيواء ومكنى التجار أنفسهم، وبعض هذه القلاع ما زال قائماً حتى اليوم مثل المينا التي بناها البرتغاليون سنة ١٤٨١.

أكوابيم وجبال توجو يوجد خانق عميق عند بلدة أكوسومبو Akosombo يشقه نهر الفولتا، وقد أقيم مكان هذا الخانق سد الفولتا الذي انتهى العمل منه سنة ١٩٦٦، ويبلغ طوله ٧٠ متراً وارتفاعه من القاعدة الصخرية ١٢٤ متراً وقد تكوّنت خلف السد بحيرة يبلغ طولها نحو ٤٠٠ كيلومتراً وأقصى عرض لها نحو ٨٠ كيلومتراً، وجملة مساحتها تصل إلى ٨٤٨٠ كيلومتراً مربعاً، وخلقت بالتالي طريقاً مائياً رخيصاً نحو شمال البلاد ولكن أهمية هذا السد تكمن في توليد الطاقة الكهربائية التي استخدمت في صناعة الألمنيوم عند بلدة تيما، وقد قدّرت الطاقة المبدئية للمشروع بنحو ٥١٢٠٠٠ كيلووات سترتفع فيما بعد إلى ٧٦٨٠٠٠ كيلووات، وكان له أثر كبير على اقتصاد غانا حيث أدّى إلى تنويع عناصره بإدخال صناعة الألمنيوم وتنشيط عديد من الصناعات الأخرى اعتماداً على الطاقة الكهربائية الرخيصة.

ويعدُّ إقليم السهول الساحلية من أقاليم الإنتاج الاقتصادي الهامة في غانا، فيزرع الأرز وجوز الهند في جنوبه الغربي بينما تزرع الكاسافا واليام وجوز الهند في المنطقة شبه الجافة في الجنوب الشرقي، وتعدُّ المياه عنصراً مؤثراً في حياة هذا الإقليم الأخير الذي تسود به حرف أخرى مثل رعي الماشية وصيد الأسماك.

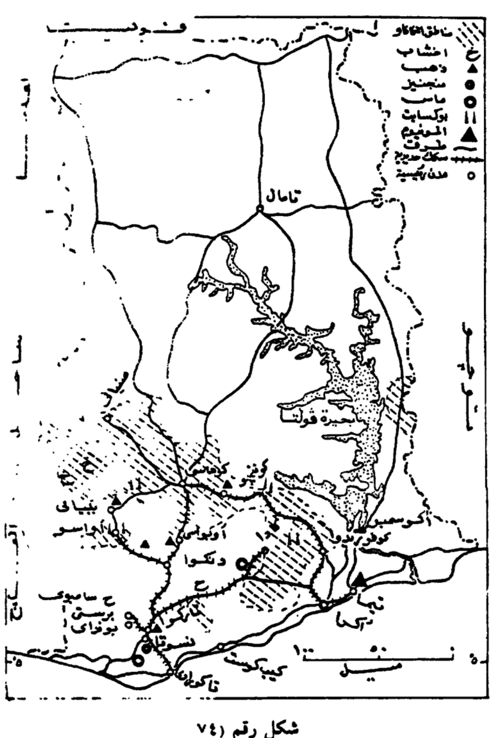
وتوجد بالساحل الغاني عدّة مدن أهمها أكرا (١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) وتيما (٦١٠٠٠ نسمة) وتاكورادي (٥٨٠٠٠ نسمة) وكيب كوست (٥٢٠٠٠ نسمة)، وأكرا هي عاصمة البلاد وكانت عاصمة قديمة لشعب الجا Ga ومحطة مبكرة للتجارة الأوروبية، وقد شهدت نمواً عمرانياً كبيراً في العقود الأخيرة، أمّا مدينة تيما فهي ثاني الموانىء العميقة في ساحل غانا وقد افتتحت سنة ١٩٦٢ وهي أكبر الموانىء الصناعية في إفريقيا وأنشئت بها بعض الصناعات ومعمل لتكرير البترول ومصنع لصهر الألمنيوم، وقد نمت المدينة وفق خطة حديثة ويربطها بظهيزها طريقان للسكك الحديدية والسيارات، وهي تقع إلى الشرق من مدينة أكرا على مسافة تصل إلى ٢٥ كيلومتراً فقط.

أما مدينة تاكورادي فهي الميناء العميق الأول في غانا، وقد افتتحت سنة ١٩٢٨ وأجريت بها عدّة توسيعات سنة ١٩٥٣، وترتبط بالداخل بخط حديدي حتى مدينة كوماسي في قلب نطاق الكاكاو، وتمر من خلال ميناء تاكورادي معظم صادرات الثروة المعدنية والأخشاب.

أمّا حوض الفولتا فيتكوّن من صخور الحجر الرملي الأردوفيشي أو السيلوري والتربات المشتقة من هذه الصخور غير خصبة كما أنها لا تحوي موارد ثروة معدنية كبيرة، ولذلك فإنّ هذا الحوض الذي يشغل نحو نصف مساحة غانا لا يعيش به سوى سدس السكان فقط، وقد أصبحت بحيرة سد الفولتا التي سبق ذكرها من الظاهرات الهامة في هذا الإقليم، وترتب على تكونها بعد إنشاء السد إعادة توطين عدد قليل من السكان (حوالي ٨٠,٠٠٠ نسمة) الذين أغرقت مياه البحر أراضيهم، وقد أسهمت هذه البحيرة في تنمية الإقليم بدرجة كبيرة حيث خلقت طريقاً مائياً سهلاً وأدّت إلى قيام حرفة صيد الأسماك وزراعة بعض المحاصيل في المناطق الملائمة.

أما إقليم هضاب الأشانتي المنخفضة في جنوب غرب غانا فهو القلب الاقتصادي للدولة دون منازع (شكل رقم ٧٤) وتبلغ مساحته ثلث مساحة البلاد ويعيش به نحو ثلثي عدد السكان. وهذه الهضاب قليلة الارتفاع تصل في المتوسط إلى نحو ٣٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر وتعدُّ منطقة إنتاج الكاكاو والأخشاب والثروة المعدنية وبالإضافة إلى ذلك تزرع محاصيل أخرى مثل الفول السوداني والذرة الرفيعة والقطن والتبغ.

ويشغل الكاكاو نحو ثلثي المساحة المنزرعة في غانا كما أنّه يمثل ثلثي الصادرات، وقد انتشرت زراعته على أيدي الإفريقيين في مزارع صغيرة تتراوح مساحة كل منها من فدان إلى ثلاثة أفدنة، وقد دخلت زراعته إلى غانا سنة ١٨٧٩ عن طريق بذور جلبت من جزيرة فرناندبو وتعاظمت زراعته بعد ذلك عقب تزايد الطلب عليه وذلك بالإضافة إلى أنّه بالإمكان زراعة محاصيل غذائية أخرى بجانب الكاكاو.



شكل رقم (٧٤)
غانا

ويأتي معظم إنتاج غانا الذي يشكل نحو ثلث إنتاج العالم من الكاكاو من هذا الإقليم في المثلث المحصور بين تاكورادي وأكرا وكوماسي، وتعد المدينة الأخيرة (٢٦٠,٠٠٠ نسمة) - عاصمة الأشانتي - مركزاً تجارياً رئيسياً في نطاق الكاكاو وبؤرة لطرق النقل والمواصلات، وقد شهدت قيام بعض الصناعات الحديثة.

وتعدُّ الأخشاب ثاني صادرات غانا بعد الكاكاو، ويتركز استغلالها في هذا الإقليم خاصة قرب كوماسي ودنكوا Dankwa وأواسو Awaso، وهناك الكثير من مناشر الخشب ومصانعه في مدينة سامر بوا Samreboi في الجنوب الغربي قرب حدود غانا مع ساحل العاج، وتكون الأخشاب نحو ١٠٪ من جملة صادرات البلاد.

وتتعدَّد موارد الثروة المعدنية في غانا - التي اشتهرت بتعدين الذهب منذ القدم ويستخرج من عروق الذهب والكوارتز في أبواسي Obusai حيث يوجد أغنى مناجم الذهب في العالم وإن كان عمقه يصل إلى نحو ١٠٩٧ متراً، وقد أصبح تعدين الذهب أقل ربحاً عن ذي قبل وذلك بسبب تزايد نفقات التعدين مما أدَّى إلى إغلاق كثير من المناجم، ويبلغ إنتاج غانا من الذهب نحو ٢١٠٠٠ كيلوجراماً سنوياً، وهو يكون أقل من ١٠٪ من صادرات البلاد.

وتعدُّ غانا ثاني دول العالم المنتجة للماس الصناعي بعد زائير وتستخرجه بعض الشركات من الرواسب الفيضية في وادي بريم Birim عند مدينة كادي Kade كما يقوم بعض السكان الوطنيين باستخراجه في وادي بونسا Bonsa جنوب مدينة تاركوا Tarkwa.

كذلك تأتي غانا في المركز الثاني بين الدول الإفريقية المنتجة للبوكسيت بعد غينيا، ويصل الاحتياطي إلى كميات ضخمة مما يشكل أساساً لصناعة الألمنيوم خاصة بعد توفر الطاقة الكهربائية المائية، ويستخرج البوكسيت من تلال كيبي Kibi غرب كوماسي.

ويعدن المنجنيز في منطقة واسعة في تلال نسوتا Nsuta والتي تبعد نحو ٦٣ كيلومتر بالسكك الحديدية عن مدينة تاكورادي ورغم إنتاجها القليل الذي يصل إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ طن (الإنتاج العالمي ٩,٥ مليون طن) إلاّ أنّها أكبر مصدر للمنجنيز في العالم.

وهكذا تبدو الصورة الجغرافية لدولة غانا والتي تتميز بالتنوع في المظاهر الطبيعية والاقتصادية، وتكون مواردها أساساً لتطور كبير انعكس على ارتفاع الدخل القومي بها كما قامت بها صناعات عديدة حتى أنّها تعدُّ أكثر الدول المدارية تصنيعاً في إفريقيا، وتتركز معظم الصناعات ـ خاصة الغذائية ـ في مثلث تاكورادي ـ كوماسي ـ أكرا، وتخدمها شبكة جيِّدة من طرق النقل.

١٢ ـ توجو

تشغل جمهورية توجو ثلثي مستعمرة توجو الألمانية السابقة (في الفترة من ١٨٨٤ ـ ١٩١٤) أمّا الثلث الباقي وهو الجزء الغربي فقد انضم إلى غانا، وتبلغ مساحة دولة توجو ٥٦٠٠٠ كيلومتراً مربعاً يعيش عليها نحو ٢,٨ مليون نسمة وهي بذلك تبدو دولة صغيرة بين الدول الإفريقية في غرب القارة، فلا يزيد طولها على ٦٠٠ كيلومتراً وعرضها يتراوح بين ٨٠ ـ ١٢٠ كيلومتراً، ويتميز ساحل توجو بوجود بحيرات ساحلية وحواجز رملية تعدُّ سمة هامة في جنوب البلاد ثمَّ يتدرج السطح مرتفعاً نحو الشمال حيث توجد الهضبة المتوسطة الارتفاع والمعروفة باسم تير دي بار Terre De Barre، كما يقطعها في الشمال وادي نهر مونو Mono الذي ينبع من المرتفعات الشمالية ويتجه جنوباً ليصب في خليج بنين إلى الشرق من مدينة لومي ـ العاصمة.

وتعد المناطق الجنوبية من توجو أكثر الأقاليم في كثافة السكان حيث تقوم الزراعة لإنتاج المحاصيل الغذائية خاصة الكاسافا والذرة والكوبرا، كما يزرع السكان الصرغم والفول السوداني والقطن من منطقة التلال المعروفة بسلسلة توجو ـ أتاكورا Togo — Actacora.

وعلى ذلك تبدو توجو كدولة زراعية تنتج المواد الغذائية لسكانها وتصدر كميات من البن والكاكاو الذي يزرع في المناطق الساحلية وعلى مرتفعات توجو الجنوبية الشرقية، وفيما عدا ذلك لا توجد أنشطة اقتصادية أخرى ذات قيمة باستثناء بعض الصناعات الصغيرة، وبالتالي تعتمد توجو على الخارج لاستيراد احتياجاتها المصنعة، وأهم المدن لومي العاصمة والميناء الرئيسي (٣٠٠,٠٠٠ نسمة).

١٣ - بنين

تشبه بنين (داهومي سابقاً) جمهورية توجو في ظروفها الجغرافية الطبيعية والحضارية فهي تمتد امتداداً طويلاً نحو الداخل بجبهة بحرية ضيِّقة بينما يضيق اتساعها من الغرب للشرق بشكل واضح، وتبلغ مساحتها ١١٢٦٢٢ كيلومتراً مربعاً ويسكنها حوالي ٤ مليون نسمة (سنة ١٩٨٣)، كذلك فقد تعرَّضت قبائلها للتقسيم عندما أنشئت الحدود السياسية في بداية العهد الاستعماري وهي تشبه في ذلك ما تعرض له شعب الأيو (مليون نسمة) في توجو عندما قسمته الحدود السياسية بين توجو وغانا.

وقد شهدت بنين تاريخاً سيئاً في فترة تجارة الرقيق البرتغالية حيث ابتليت بهذه التجارة البشرية حتى حرمت في بدء القرن الماضي ومع ذلك فقد استمرت بها حتى سنة ١٨٨٥، عندما تضافرت الجهود البريطانية والفرنسية لمنع هذه التجارة، بل واستخدم السجناء السياسيون في إنشاء مزارع علمية تكون أساساً لتجارة مشروعة، وقد تجلى ذلك في زراعة نخيل الزيت الذي تعاظمت أهميته وأصبح يكون أساس الاقتصاد القومي في هذه الدولة، وتقدَّر عدد أشجار النخيل هنا بنحو ٣٠ مليون نخلة منزرعة في مساحة تبلغ ٤٠٠٠ كيلومتراً مربعاً في الجنوب.

وتتشابه البيئة الطبيعية لدولة بنين مع مثيلتها في توجو وكذلك الإنتاج الاقتصادي الذي يتركز في الجنوب قرب الساحل، كما أنَّ معظم المزارع العلمية

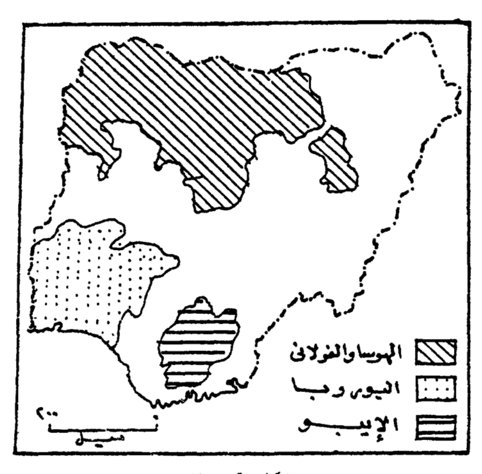
يمتلكها أجانب، وقد تمكن السكان من استصلاح البحيرات الساحلية. وزرعوها زراعة كثيفة بالذرة والكاسافا والكوبرا عكس المناطق الداخلية التي تنتج الفول السوداني والبن والقطن وإن كانت هذه المحاصيل تنتج بكميات قليلة.

وكما هي الحال في توجو ـ توجد نويات عمرانية كثيفة في الشمال حيث تتركز جماعات السومبا Somba في قرى محصنة في الشمال الغربي على مرتفعات أتاكورا أما في الشمال الشرقي فيوجد جزء صغير من وادي نهر النيجر.

والعمران الحضري هزيل ويتمثل في بعض المدن الصغيرة والتي تعد كوتونو أهمها جميعاً، ويبلغ عدد سكانها ١٧٨٠٠٠ نسمة (١٩٧٥) ويليها في الأهمية مدينة بورتو نوفو (١٠٤٠٠٠ نسمة) ـ العاصمة والتي تتصل بالداخل بخط حديدي رئيسي ينتهي عند باراكو Parakou، ومدينة بورتو نوفو عاصمة إفريقية قديمة وتشذ عن العواصم الأخرى في غرب إفريقيا في أنها ليست ميناء بحرياً حيث تقع على الجانب الشمالي من بحيرة ساحلية تحمل نفس الإسم.

١٤ ـ نيجيريا

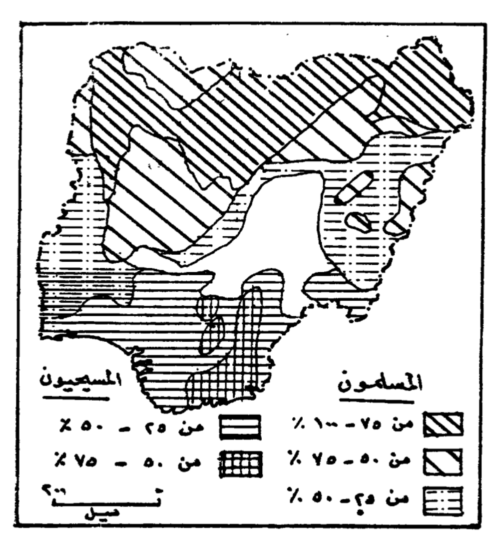
تعدُّ نيجيريا أكبر الدول الإفريقية سكاناً وإن كانت مساحتها تقلّ عن مليون كيلومتر مربع، وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٨٣ نحو ٨٤ مليون نسمة يمثلون حوالي ٥٥٪ من سكان غرب إفريقيا أو سبع سكان إفريقيا كلها، وقد تحررت نيجيريا من النفوذ البريطاني وحصلت على استقلالها سنة ١٩٦٠ وأصبحت دولة اتحادية عاصمتها لاجوس، وتتمشى أقاليمها الإدارية مع التوزيع العرقي إلى حد كبير، فالإقليم الشمالي تسود به جماعات الهوسا والفولاني والشرقي قبائل الإيبو والغربي جماعات اليوروبا (شكل رقم ٧٥) ومع ذلك فإنَّ كثيراً من قبائل اليوروبا والإيبو تمتد حتى الإقليم الشمالي، كما تعيش أعداد كبيرة من الإيبو في الإقليم الغربي وبالإضافة إلى هذه الجماعات البشرية الرئيسية فإنَّ هناك جماعات أخرى كثيرة العدد وإن كان حجم سكان كل منها



شكل رقم (٧٥)
الجماعات البشرية الكبرى في نيجيريا

يقل عن حجم القبائل الرئيسية السابقة، وهذه الجماعات العديدة منها الكانوري Kanuri في الإقليم الشمالي وبيني Bini في الإقليم الغربي الأوسط والنوب Nupe في الإقليم الشمالي أيضاً.

وتنقسم نيجيريا حالياً إلى ١٢ ولاية فيدرالية تختلف مساحة وسكاناً، وتعد الولاية الغربية وعاصمتها إبدان أكبر الولايات سكاناً (١٠ مليون نسمة) كما تعدُّ الولاية الشمالية الشرقية أكبرها مساحة (٢٧٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً) حيث تبلغ مساحتها أكثر من ربع مساحة البلاد بأكملها، ويكون المسلمون نحو نصف سكان نيجيريا ويتركزون في الشمال بينما تصل نسبة المسيحيين إلى حوالي الثلث ويعيشون في الجنوب والجنوب الغربي (شكل رقم ٧٦) وحسب إحصاء سنة ١٩٦٣ بلغ عدد المسلمين ٢٦,٢ مليون نسمة (٤٧,٢٪ من جملة السكان)



شكل رقم (٧٦)

التوزيع النسبي للمسلمين والمسيحيين في نيجيريا

والمسيحيين ١٩,٢ مليون (٣٤,٦٪) والباقي ديانات أخرى يبلغ عدد سكانها ١٠,١ مليون نسمة بنسبة ١٨,٢٪.

الأقاليم الجغرافية:

تنقسم نيجيريا إلى عدّة أقاليم جغرافية واضحة المعالم بفضل الظاهرات الطبيعية السائدة بها خاصة منخفض النيجر وبينو الضخم والذي يمتد من الشرق للغرب، ووادي النيجر الضيِّق ودلتاه وكذلك الهضاب والسهول العليا في الشمال، والهضاب الجنوبية الغربية الواضحة الملامح، وعلى ذلك يمكن تقسيم نيجيريا إلى أربعة أقاليم رئيسية هي:

١ ـ إقليم السهول الشمالية:

ويتكون من سهول الهوسا في الشمال والتي يصل متوسط ارتفاعها إلى حوالي ٧٠٠ متراً فوق مستوى البحر، وهي سهول فيضية كوَّنتها الأنهار وخاصة البطيئة الجريان وسهول سوكوتو الدنيا التي يصرفها نهر كيبي Kebbi وروافده نحو نهر النيجر وذلك بالإضافة إلى سهول بورنو في أقصى الشمال الشرقي في حوض بحيرة تشاد. وتتكوَّن أراضي الهوسا من صخور القاعدة الصخرية القديمة التي تغطيها الرمال، بينما تتكوَّن سهول سوكوتو وبورنو من الرواسب التي ترتفع في الشرق مكوِّنة حافة صغيرة تشرف على سهول الهوسا، وتسود تربات رملية خفيفة مشتقة من الكثبان الرملية السابقة التي تنتشر في الشمال وقد كوَّن بعضها مواقع مناسبة لمراكز العمران البشري مبكراً، كما أنَّها تصلح تماماً لزراعة محصول الفول السوداني أما في الجنوب خاصة في مقاطعة زاريه Zaria فإنَّ التربة من النوع الأثقل وهنا يحل القطن محل الفول السوداني كمحصول نقدي رئيسي.

وتعد هضبة جوس Jos من الظاهرات الطبيعية الواضحة في إقليم السهول الشمالية، وهي هضبة ذات حواف متدرجة في الجنوب والغرب وتصل أعلى قمَّة بها إلى أكثر من ١٧٠٠ متر، وقد لعبت هذه الهضبة دوراً بشرياً مبكراً حيث كانت ملجأ للجماعات الوثنية التي لجأت إليها أمام ضغوط جماعات الهوسا المسلحة في الشمال. ولذلك فهي من المناطق الكثيفة السكان نسبياً حيث تزيد الكثافة بها على ١١ نسمة في الكيلومتر المربع، وتسود بها الزراعة وعلى مدرجاتها في بعض الأحيان معتمدة على مقومات منها الأسمدة العضوية التي تحفظ خصوبة التربة، وقد أزيل الكثير من الغطاءات الغابية في هذه الهضبة وحلَّت محلها حشائش ترعاها قطعان الماشية لقبائل الفولاني، ولكنَّ الأهمية الاقتصادية تتمثل في تعدين القصدير كما سيتبين من دراسة الموارد بعد قليل.

٢ ـ منخفض النيجر ـ بينو:

وهو من أصل تكتوني وتسود به الرواسب الكريتاسية والتي تقوم الزراعة

به على التربات المشتقة منها خاصة لدى قبائل النوب Nupe في الغرب، وتزرع هذه القبائل محاصيل عدّة من بينها القطن والذرة الرفيعة واليام والصرغم، ثمّ جماعات التيف Tiv في الشرق والتي تزرع محاصيل مشابهة، وتقل كثافة السكان بشكل واضح قرب الأنهار ولذا تقل المراكز العمرانية في عددها وحجمها إذا ما قورنت بالسهول الشمالية.

٣ ـ الإقليم الجنوبي الغربي:

وهو إقليم قبائل اليوربا ـ إحدى أكبر قبائل نيجيريا، ويبدو هذا الإقليم على شكل سهول مرتفعة يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قدم، وتصل إلى أقصى ارتفاعها في أقصى الشمال الغربي وفي الوسط، ويتميز النصف الشمالي من هذا الإقليم بوجود نطاق من الحشائش والسافانا الغابية، بينما تسود الغابات الكثيفة في النصف الجنوبي، والتي تتخللها مزارع الكاكاو ونخيل الزيت، ويقع خط تقسيم المياه نحو الشمال ومن ثمّ فإنّ معظم التصريف النهري يتّجه مباشرة إلى البحر.

٤ ـ دلتا النيجر والتلال الجنوبية الشرقية:

تعدُّ دلتا النيجر من أقل الدلتاوات النهرية سكاناً ليس في إفريقيا فقط بل في العالم كله، حيث لا يسكنها إلاّ عدد قليل من السكان وذلك لظروفها الطبيعية غير الملائمة للاستيطان البشري، حيث تزيد الأمطار السنوية بها على ١٠٠ بوصة ويسود بها غطاء نباتي كثيف من الغابات خاصة غابات المانجروف في المستنقعات الدنيا من الدلتا، أمّا إلى الشرق منها فيوجد منخفض نهر كروس Cross والتلال المتناثرة حيث موطن جماعات الإيبو والإيبوبيو Ibibio في الجنوب الشرقي وترتفع هنا كثافة السكان بشكل ملحوظ إلى أكثر من ١٧٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع وهي بذلك أكثر مناطق نيجيريا كثافة ويعدُّ إقليم دلتا النيجر منطقة الإنتاج البترولي في نيجيريا ومن هنا فهو يحظى بأهمية اقتصادية كبرى للبلاد، ويضاف إلى ذلك موارد حيوية أخرى أبرزها المنتجات الغابية وصيد الأسماك، ويعدُّ ميناء بورت هاركورت الميناء الرئيسي لهذا الإقليم وهو ثاني

الموانىء النيجيرية وقد بدأت أهميته تتزايد منذ اتصل به خط حديدي قادم من إينوجو Enugu وهذا الخط جعل هذا الميناء منفذاً للأقاليم الشمالية حيث يمتد حتى يصل إلى أقصى شمال شرق نيجيريا.

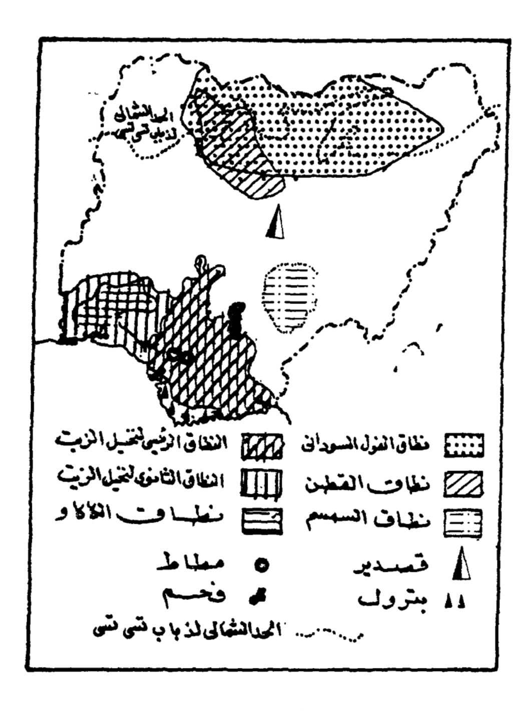
ويتميز الساحل النيجيري بوجود الحواجز التي تغلق أو تعوق الملاحة عند مداخل البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار ولذلك فإنَّ الموانىء الساحلية تتطلب تطهيراً مستمراً لمداخلها ويبدو ذلك بوضوح في بورت هاركورت ولاجوس حيث لا يزيد العمق على ٧ أمتار فقط.

الموارد الاقتصادية:

تختلف نسبة استغلال الأرض في نيجيريا بين العناصر الرئيسية الثلاثة وهي الأراضي الزراعية والمراعي والغابات، وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية نحو ربع مساحة نيجيريا (٢٥,٨٪) أمَّا المراعي الدائمة فتبلغ مساحتها ٢٢,٥٪ من جملة المساحة؛ وتكون الغابات ثلث مساحة البلاد.

وتتعدد الموارد الاقتصادية في نيجيريا خاصة المحاصيل الزراعية المتنوعة، وأهمها أربعة محاصيل نقدية رئيسية ينتجها الجنوب وهي زيت النخيل والكاكاو والمطاط والأخشاب، أما الإقليم الشمالي فرغم بعد المسافة عن الساحل فإنَّه أصبح ثاني المناطق المنتجة للفول السوداني في العالم، كما يتخصص في إنتاج القطن (شكل رقم ٧٧) أمَّا الإقليم الغربي فينتج كل الكاكاو النيجيري وبعض إنتاج الأخشاب وزيت النخيل، ويعدُّ هذا الإقليم أغنى أقاليم نيجيريا في الإنتاج الزراعي ويتمتع بشبكة كثيفة من الطرق، كما تزيد به نسبة سكان المدن بدرجة كبيرة إذا قورنت بأقاليم نيجيريا الأخرى.

أما في الإقليم الشرقي فبالرغم من موقعه الساحلي إلَّا أنَّه لم يتمتع بمستوى اقتصادي مرتفع مثل الإقليم الغربي، وذلك بالرغم من أنَّه منطقة إنتاج وتصدير زيت النخيل، كذلك فهو المنطقة الوحيدة لإنتاج الفحم في كل غرب إفريقيا ولا ريب في أن إنتاج الإقليم من البترول سوف يساعد على تنميته ورفع مستوى معيشة سكانه.



شكل رقم (٧٧)
الموارد الاقتصادية في نيجيريا

التعدين والصناعة:

تعدُّ نيجيريا من الدول الهامة في إنتاج القصدير والذي يستخرج من الحصى والحصباء النهرية الناتجة عن تفتت صخور الجرانيت في هضبة جوس ويتركز المعدن في قاع الأنهار القديمة والحديثة في مناطق متفرقة، وقد بلغ متوسط الإنتاج السنوي نحو ٧,٤٠٠ طن في سنة ١٩٧٦، وبذلك يصل إنتاج نيجيريا إلى نحو ٤٪ من جملة الإنتاج العالمي (١٨٠,٠٠٠ طن) وتأتي في الترتيب السابع بين دول العالم المنتجة، وقد تعرَّض القصدير الفيضي لاستنزاف شديد مما يتطلب استخدام أساليب حديثة لتعدينه في الصخور الجرانيتية العميقة، وفي الوقت الحاضر فإنَّ معظم الإنتاج يأتي من هضبة جوس (نحو أربعة أخماس الإنتاج) أمَّا الكمية الباقية فتأتي من هضبة باوتشي إلى الشمال الشرقي من جوس.

ومن المعادن الهامة الأخرى معدن الكولمبيت الذي يحظى بأهمية كبرى في صناعة الحديد والصلب ذلك لأنَّه إذا أضيف إلى الصلب فإنَّه يصبح أكثر شدَّة وصلابة كما يكون شديد المقاومة للحرارة لذلك يستخدم في صناعة أفران الصهر العالية الحرارة وفي صناعة المحركات النفاثة والصواريخ وقد كان هذا المعدن يستخرج عرضاً مع القصدير دون الاستفادة منه، أمَّا اليوم فهو يعدُّ ذا قيمة كبيرة للصناعات سالفة الذكر وأصبحت نيجيريا المنتج الرئيسي له في العالم، رغم ضآلة الإنتاج العالمي من هذا المعدن النادر، والذي تحتكر نيجيريا نحو ثلثي إنتاجه (كمية الإنتاج العالمي نحو ٣٣٠٠ طن فقط في سنة ١٩٦٣ - بدون الاتحاد السوفييتي).

وتتمتع نيجيريا بموارد كافية من مصادر القوى والوقود، ويتمثل ذلك في مصدرين رئيسيين هما البترول والغاز الطبيعي من ناحية والفحم من ناحية أخرى وقد بدأ البحث عن البترول مبكراً قبيل الحرب العالمية الثانية، ولكن لم يبدأ الإنتاج بكميات تجارية إلَّا في سنة ١٩٥٨ وذلك من منطقة الإنتاج في دلتا النيجر، ومنذ ذلك التاريخ بدأ حفر آبار جديدة وتزايد الإنتاج بسرعة كبيرة

حتى بلغ ١٣ مليون طن سنة ١٩٦٥، ثمَّ قفز إلى ٥٤ مليون طن سنة ١٩٧٠ ثمَّ إلى ١٢٠ مليون طن سنة ١٩٧٤ وأصبحت نيجيريا بذلك سابع دول العالم في إنتاج البترول. ولكن إنتاج البترول انخفض إلى النصف سنة ١٩٨٣ وارتبط ذلك بعوامل عدَّة أبرزها انخفاض أسعاره. وارتباط نيجيريا بسياسة منظمة الأوبك للمحافظة على الأسعار بتخفيض الإنتاج، وقد أنشيء معمل لتكرير البترول للاستهلاك المحلي وكذلك معمل للشحومات البترولية في بورت هاركورت، والتي تعد ميناء تصدير البترول النيجيري حيث تصلها أنابيب البترول من الحقول المجاورة، ويكون البترول والغاز الطبيعي نحو ٩٠٪ من جملة صادرات نيجيريا إلى الخارج.

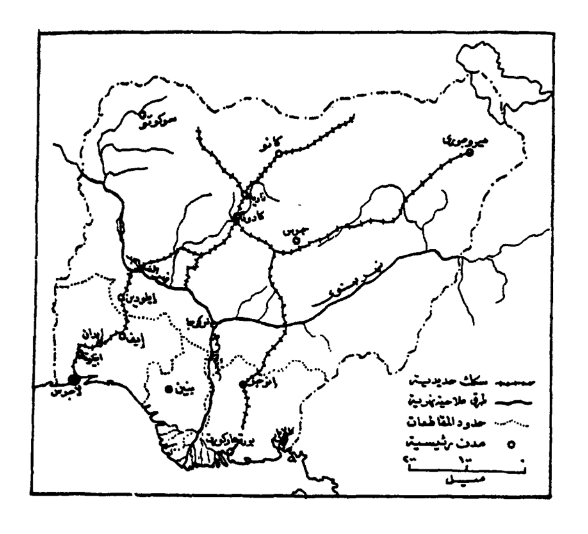
أما الفحم فهو الآخر من موارد الوقود الهامة في نيجيريا وقد اكتشف مبكراً في أوائل هذا القرن ولكن لم يبدأ إنتاجه إلَّا سنة ١٩٦٥ بعد مدِّ خط حديدي بين إينوجو - وبورت هاركورت، وتتركز أهم مناطق إنتاجه في منطقة إينوجو والتي تعدُّ أيضاً أهم مناطق احتياطي الفحم بالبلاد، ويستخدم الفحم المستخرج كمصدر هام للوقود في السكك الحديدية المحلية وفي محطات الكهرباء ويبلغ متوسط إنتاج نيجيريا نحو ٣٠٠,٠٠٠ طن سنوياً.

والواقع أنَّ اكتشاف البترول والغاز الطبيعي في نيجيريا قد أثَّر تأثيراً جذرياً في اقتصادها القومي فقد انعكس على مظاهر التنمية بها خاصة في النقل والصناعة، فقد أنشئت عدَّة صناعات شملت صناعة الإسمنت والمنسوجات والأخشاب والصابون والطباق والمطاط والصناعات الغذائية، كما تتجه الحكومة إلى تنمية الزراعة وتكرس جهداً كبيراً في التعليم والخدمات الصحية والمواصلات وكلها عوامل هامة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

النقل:

يحظى النقل بأهمية كبرى في نيجيريا ذات المساحة الكبيرة التي يتبعثر فيها السكان، وتتمتع بأكبر شبكة للسكك الحديدية في غرب إفريقيا، حيث يبلغ طولها نحو أكثر من ٣٠٠٠ كيلومتراً تمتد لتصل بين المدن الرئيسية في البلاد من

لاجوس وبورت هاركورت على الساحل جنوباً إلى هضبة جوس وإقليم الهوسا قرب الحدود الشمالية حيث تنتهي الخطوط عند كورا نامودا Kaura Namoda في الشمال الغربي ونجورو Nuguru في الشمال وميدوجوري Maiduguri في الشمال الشرقي في سهل بورنو، وتقوم هذه الخطوط بدور كبير في التنمية الاقتصادية لهذه الأقاليم المتطرفة (شكل رقم ٧٨).



شكل رقم (٧٨)
النقل في نيجيريا

أما طرق السيارات - فرغم وجود شبكة جيدة منها إلاَّ أنَّ سبة صغيرة هي التي تتغطى بالإسفلت أمَّا معظمها فهو طرق ترابية تتعرض لتلف شديد خلال فصل الأمطار، وتستخدم الأنهار بكثافة في النقل ولكن يقلل من كفاءة الأنهار وجود بعض الجنادل وانخفاض منسوب المياه خلال فصل الجفاف، وفي فصل الأمطار يكون نهر النيجر صالحاً للملاحة لمسافة تصل إلى ٨٠٠ كيلومتراً نحو الداخل حتى جبا Jebba ، وكذلك نهر بينو الذي يصلح للملاحة حتى يولا Yola قرب الحدود مع الكاميرون.

المدن:

تعدُّ لاجوس العاصمة الفيديرالية والميناء الرئيسية لنيجيريا، وهي مدينة مليونية بلغ عدد سكانها في سنة ١٩٨٣ نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، وقد أنشئت في البداية على جزيرة ساحلية هي جزيرة لاجوس ثمَّ امتدت بعد ذلك إلى الجزر المجاورة وهي جزيرة إدو Iddo في الشمال الغربي وجزيرة إكوي Ikoyi في الشرق ثمَّ إلى اليابس المجاور الذي ترتبط معه بجسر يمر عليه خط حديدي نحو الشمال ثمَّ ما يلبث أن يتفرع إلى ضواحي المدينة، وكانت لاجوس مركزاً لتجارة الرقيق الذين يساقون من الداخل ولكنها تحوَّلت إلى عاصمة متعددة الوظائف وميناء رئيسية لكل نيجيريا وقد عانت كثيراً من موضعها المستنقعي المنخفض وما ترتب عليه من مشكلات ترتبط بموارد المياه والصحة والنقل، وقد أنشئت قناة عبر الحواجز الرملية لكي تصلها بالبحر بسهولة.

وتعد لاجوس - بالإضافة إلى ذلك مركزاً صناعياً هاماً في نيجيريا ويربطها بالداخل خط حديدي رئيسي كشريان هام بين المدينة وظهيرها الذي يمتد حتى كانو ونجورو في أقصى الشمال الشرقي، ويحمل هذا الخط بعض تجارة جمهورية النيجر كذلك.

أما مدينة إبدان Ibadan فهي أكبر مدينة داخلية في إفريقيا المدارية حيث يبلغ عدد سكانها ٨٤٧٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٧٥، وتقوم المدينة وسط نطاق الكاكاو حيث ما زال عدد كبير من السكان يعمل في الزراعة، وهي عاصمة

الإقليم الغربي ويوجد بها أكبر جامعات نيجيريا، كما تعد مركزاً صناعياً هاماً يتخصص في صناعة التبغ والصناعات الغذائية والبلاستيك والإطارات، كما تعدُّ بؤرة للنقل حيث تتفرع منها خطوط للنقل البري والجوي.

وهناك مدن داخلية أخرى مثل أجبوموشو Ogbomosho (٤٣٠,٠٠٠ نسمة) وبنين Benin (١٣٦٠٠٠ نسمة)، وهي عاصمة إقليم الغرب الأوسط وكانت محاطة بالأسوار عندما جاءها البرتغاليون سنة ١٤٨٥، وهي اليوم مركز تجاري هام وخاصة لزيت النخيل والمطاط.

أمّا بورت هاركورت (٢٤٢٠٠٠ نسمة) فهي ثاني موانىء نيجيريا وأنشئت سنة ١٩٠٦ لكي تخدم كمحطة نهائية لخط السكك الحديدية من إنوجو (١٨٧,٠٠٠ نسمة) عاصمة الإقليم الشرقي ومركز تعدين الفحم، وفي هذا الإقليم فإنَّ المدن التجارية حديثة النشأة فيما عدا أونتشا Onitsha (٢٢٠,٠٠٠ نسمة) ذات الضواحي الحديثة والتي تعد واحدة من أكبر أسواق نيجيريا (حيث يمكن شراء أي شيء ابتداء من الفيل حتى زي الأميرال) وتقوم كميناء نهري تربط كلا الإقليمين الجنوبيين.

وفي الإقليم الشمالي - تقع كادونا (٢٠٢,٠٠٠ نسمة) العاصمة وقد أنشأها البريطانيون في سنة ١٩١٧ وبقيت معزولة عن باقي مراكز العمران الرئيسية على حواف النطاق الأوسط وأنشئت بها مصانع المنسوجات وإلى الشمال توجد المراكز التجارية الرئيسية ممثلة في زاريا (٢٢٤٠٠٠) وكانو (٤٠٠,٠٠٠) - رابع أكبر مدن نيجيريا، ومثل باقي مدن الهوسا فإنَّ هذه المدن تحاط بأسوار سميكة عالية وتتميز بوجود ضواحي تجارية وإدارية حديثة أنشأها البريطانيون وتوجد كانو في بيئة مفتوحة تبدو كحدائق شاسعة، كما أنَّها مركز هام للزراعة الدائمة حيث تسود زراعة القمح الغيني والقطن، ولكن المحصول الرئيسي هو الفول السوداني الذي تشاهد أهرامات من أجولته مكوَّمة في انتظار نقلها جنوباً لمسافة تصل إلى ١٠٠٠ كيلومتر بواسطة خط حديدي مفرد حتى

الساحل، أما في الغرب فتوجد مدينة سوكوتو (٦٠,٠٠٠ نسمة) وهي عاصمة الفولاني السابقة وتتخصص في الزراعة الفيضية التي تنتج الأرز والقصب والبصل.

الفصل السابع عشر

دول وسط أفريقيا

يشمل إقليم وسط إفريقيا ثمان دول تختلف في حجمها المساحي والسكاني اختلافاً واضحاً كما تبين أرقام (الجدول رقم ٢٣).

جدول رقم (٢٣) دول وسط إفريقيا

الدولة	المساحة (كيلو متر مربع)	عدد السكان (١٩٨٣)	الكثافة العامة (نسمة/ كم٢)
تشاد	١,٢٨٤,٠٠٠	٤,٧٠٠,٠٠٠	٤
جمهورية إفريقيا الوسطى	٦٢٢,٩٨٤	٢,٥٠٠,٠٠٠	٤
الكاميرون	٤٧٥,٤٤٢	٩,١٠٠,٠٠٠	١٩
الكونغو	٣٤٢,٠٠٠	١,٧٠٠,٠٠٠	٥
الجابون	٢٦٧,٦٦٧	٧٠٠,٠٠٠	٣
غينيا الإستوائية	٢٨,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	١١
زائير	٢,٣٤٥,٤٠٩	٣١,٣٠٠,٠٠٠	١٣
أنجولا	١,٢٤٦,٧٠٠	٧,٦٠٠,٠٠٠	٦

١ ـ تشاد

تشاد دولة مغلقة متطرفة، بل إنَّها أكثر دول وسط إفريقيا تطرفاً نحو الشمال حيث تمتد من ٨ ـ ٢٣° عرضية شمالاً بمساحة تصل إلى ١,٢٨٤,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، وبسكان يصل عددهم إلى ٤,٧ مليون نسمة (سنة ١٩٨٣) وقد كان موقعها المتطرف وظروفها الطبيعية سبباً في جعلها ملجأ للزنوج هرباً من تجارة الرقيق في الجنوب، إلاَّ أنَّ اتِّساع الدولة أدَّى إلى مشكلات مزمنة سببها طول طرق النقل والمواصلات كما أنَّها تعاني من مشكلات أخرى أهمها ندرة المياه في أقاليمها الشمالية ـ والفيضانات الموسمية في الجنوب ثمَّ الصراعات العرقية بين سكانها الشماليين والجنوبيين.

ويعدُّ جنوب تشاد القلب الاقتصادي للدولة، حيث تتزايد كثافة سكانه وتتركز زراعة المحاصيل الرئيسية خاصة القطن الذي تسود زراعته جنوب أعالي نهر بنوي وغرب نهر شاري في الجنوب، كما تزداد كثافة السكان نسبياً (نحو ١٢ نسمة/ كم٢) في منطقة زراعة الفول السوداني ومركزها مدينة أبيشي Abèché وكذلك في إقليم كانم Kanem شرق بحيرة تشاد حيث يمارس السكان زراعة القمح على التربة السوداء وتربية الماشية وصيد الأسماك واستخراج النطرون من البحيرة.

وقد أدخلت زراعة القطن إجبارياً في تشاد سنة ١٩٢٨، ومنذ ذلك التاريخ أصبح القطن محصول التصدير الأول وتتركز زراعته في أقصى الجنوب الغربي في إقليم لوجون ـ شاري.

أمَّا المحاصيل الأخرى فتزرع أساساً للاستهلاك المحلِّي خاصة الذرة الرفيعة والقمح وقد أدخلت زراعة الأرز أيضاً قبيل الحرب العالمية الثانية ويزرع في الأودية التي تغمرها الفيضانات موسمياً خاصة وادي نهر لوجون قرب بنجور ولاي Lai وقد بدأ التوسع في زراعة الفول السوداني في النطاق الشرقي الجاف وأصبح من المحاصيل النقدية في اقتصاديات تشاد.

وتكون الثروة الحيوانية أساس اقتصاد سكان الشمال والشرق من البدو، ورغم أنّها تربى لسد الاحتياجات المحلية إلاّ أنّها تدخل ضمن العناصر الرئيسية للصادرات سواء تصدير الماشية الحية (خاصة إلى نيجيريا) أو اللحوم والجلود، كذلك فإنّ الثروة السمكية المستخرجة من بحيرة تشاد والأنهار التي تنتهي إليها ـ تعد من المنتجات الهامة حيث يستهلك جزء منها محلياً ويصدر الباقي مجففاً أو مدخناً خاصة إلى الكاميرون ونيجيريا.

ونظراً لاتساع الدولة ـ تلعب خطوط الطيران دوراً رئيسياً في علاقتها بالدول الأخرى حيث تصدر اللحوم بالطائرات إلى الخارج كما تستورد احتياجاتها بنفس الطريق مباشرة من أوروبا إلى نجامينا.

أمّا الطرق البرية فهي طويلة للغاية، حتى أنّ طريق السيارات من العاصمة حتى ميناء بوان نوار على ساحل الأطلسي يبدأ من نجامينا إلى بانجوي (عاصمة إفريقيا الوسطى) لمسافة ١٢٠٠ كيلومتراً، ومنها إلى برازافيل باستخدام نهري أويانجي والكونغو لمسافة ١٢٦٠ كيلومتراً أخرى ثمّ بالسكك الحديدية إلى بوان نوار وطولها ٥٦٥ كيلومتراً أخرى، أي أنّ طول الطريق بين نجامينا وبوان نوار على ساحل المحيط الأطلسي يصل إلى ٢٩٧٥ كيلومتراً، وفي هذه المسافة الطويلة يعاد شحن وتفريغ البضائع المنقولة مرتين، وهناك خط بديل من نجامينا حتى ياوندي في الكاميرون طوله ١٧٧٦ كيلومتراً ثمّ بالسكك الحديدية حتى دوالا مسافة ٣٠٧ كيلومتراً، وتستخدم هذه الطرق في نقل البضائع الخفيفة نظراً لتكاليف النقل المرتفعة.

وتعدُّ الطرق بين تشاد ونيجيريا هامة هي الأخرى، فيمتد طريق بري من نجامينا إلى ميدوجوري Maiduguri مسافة ٢٥٠ كم ثمّ بالسكك الحديدية إما نحو لاجوس مسافة ١٧٩٠ كيلومتراً أو إلى بورت هاركورت مسافة ١٤٥٥ كيلومتراً، ويعدُّ هذا أقصر الطرق وأكثرها استخداماً وتصل بواسطته كثير من المنتجات البترولية كما تصدر عليه إلى نيجيريا عدّة محاصيل مثل الفول السوداني والقطن والصادرات الغذائية.

ولا يعيش أكثر من ٥٠,٠٠٠ من البدو شمالاً دائرة عرض ١/٢ ١٤ شمالاً، وكما هي الحال في دول غرب إفريقيا - فإنَّ هناك فاصلاً واضحاً بين الشعوب الإسلامية في الشمال والتي تمثل قبائل التبو والهوسا والفولاني أهمها، وجماعات البانتو غير المسلمة في الجنوب مثل قبائل السارة وغيرها، ولذلك فإنَّ تباين التركيب العرقي في تشاد بين الشمال المسلم والجنوب غير المسلم خلق مشكلات اجتماعية وسياسية حادة للدولة.

ويعوق التنمية الاقتصادية في تشاد ذلك الجفاف الذي يسود نصف البلاد شمالاً وتلك المسافات البعيدة التي تربطها بالعالم الخارجي، وكذلك المشكلات العرقية التي برزت أخيراً وتمثلت في حرب أهلية شهدتها البلاد، ورغم ذلك فإنَّ إمكانيات التنمية في تشاد كبيرة تنبىء بتقدم في المستقبل إذا أحسن استثمار مواردها.

٢ - جمهورية إفريقيا الوسطى

تعدُّ إفريقيا الوسطى من الدول الحبيسة في وسط إفريقيا والتي تعاني كثيراً من هذا الموقع الداخلي وذلك رغم أنَّ مساحتها تصل إلى نصف مساحة دولة تشاد، وسكانها يزيدون قليلاً عن المليونين، ويحدُّها شرقاً جمهورية السودان وشمالاً تشاد وغرباً الكاميرون وجنوباً زائير والكونغو.

وقد كان لموقع إفريقيا الوسطى في منطقة رئيسية لتقسيم المياه وطبيعتها المفتوحة في معظمها ووجود مجرى نهر أوبنجي والموقع المتوسط لها - أثر كبير في جعلها معبراً ومنطقة التقاء لشعوب متعددة وتبلغ كثافة السكان بها ثلاثة أشخاص فقط في الكيلومتر المربع ولا يعيش في النطاق الجاف البعيد في الشمال الشرقي والشرق والذي تبلغ مساحته نحو ربع مليون كيلومتر مربع إلاَّ قرابة ٨١٠٠٠ نسمة وتعدُّ بانجوي (١٨٧,٠٠٠) العاصمة أهم المدن ومركز التجارة والترانزيت الرئيسي.

ويعتمد الاقتصاد في البلاد على المحاصيل المعاشية (خاصة الكاسافا) كما

يزرع القطن والبن والفول السوداني للتصدير. وتتركز مزارع القطن في كيمو Kemo وجريبنجوي Gribingui وبعض الأودية شمال بانجوي ومن ثمَّ يعدُّ امتداداً جنوبياً شرقياً لنطاق القطن في تشاد، إلَّا أنَّ مساحته أقل وإنتاجية الفدان منه أضعف وذلك للظروف الطبيعية التي تعدُّ أقل ملاءمة ومع ذلك فهو محصول التصدير الرئيسي ويستخدم بعض الإنتاج في صناعة المنسوجات الحديثة في مصنع أنشىء جنوب بانجوي وقد بدأت زراعة الفول السوداني حديثاً ويصنع جزء منه محلياً لاستخراج الزيت، ويعدُّ السمسم محصولاً قليل الأهمية يزرع في نفس المنطقة.

ويزرع البن في المنطقة الغابية في الجنوب الغربي وهو ثاني محاصيل التصدير حيث يصدر الكثير منه إلى الدول المجاورة مثل زائير والكاميرون وتشاد، وتعدن كميات قليلة من اليورانيوم والماس ويعدُّ الأخير ثالث الصادرات (شكل رقم ٤٦).

وتعاني جمهورية إفريقيا الوسطى من النقص الواضح في عدد السكان وقد نتج ذلك عن عوامل منها اصطياد وتجارة الرقيق قبل تحريمه ونظم الامتيازات والاحتكارات الأجنبية السابقة، ولا يعيش سوى ١٧٪ فقط من جملة السكان في مدن صغيرة أهمها مدينة بانجوي العاصمة (١٨٧٠٠٠ نسمة) ويليها مدينتا بوار Bouar (٢٤٠٠٠ نسمة) وبمباري Bambari (٢٠٥٠٠ نسمة).

٣ ـ الكاميرون

تعدُّ جمهورية الكاميرون منطقة انتقال وهمزة وصل بين وسط إفريقيا وغربها وقد انعكس ذلك على تاريخها السياسي، فقد خضعت للسيطرة الألمانية بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤، وعمل الألمان على توسيع نفوذهم فوصلوا بحدود المستعمرة حتى نهري أوبنجي وشاري الملاحيين، ولكن بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى تحوَّلت السيطرة لفرنسا وبريطانيا مجتمعتين تحت نظام الانتداب وإن كان نصيب كل منهما مختلفاً، فقد انتدبت فرنسا على خمسة

أسداس المساحة (٤٣١٩٨٦ كم٢) وبريطانيا على الخمس الباقي (٧٧٧٢٠ كم٢)، ثمَّ تحولت سيطرتهما إلى نظام الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية، واستقلَّ الكاميرون الفرنسي سنة ١٩٦٠، أمَّا الكاميرون البريطاني فقد انضمَّ الجزء الشمالي منه إلى اتِّحاد نيجيريا بينما عاد الجزء الجنوبي (الكاميرون الغربي) إلى جمهورية الكاميرون سنة ١٩٦١ - والتي أصبحت اتحاداً يضم هذين الإقليمين: الكاميرون الشرقي (الفرنسي سابقاً) والكاميرون الغربي (البريطاني سابقاً) بمساحة تبلغ أقل من نصف مليون كيلومتراً مربعاً وسكان قاربوا التسعة ملايين (سنة ١٩٨١).

ويتميز سطح الكاميرون بالمظهر الهضبي الذي يتزايد ارتفاعاً بالاتجاه نحو الداخل بمتوسط يتراوح بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ متراً بل إلى ١٣٠٠ متر في هضبة يادي Yadè في الشرق، أمَّا في الشمال الغربي من البلاد فيسود المظهر الجبلي ذو الأودية العميقة والحافات الشديدة الانحدار، حتى تنتهي إلى سلسلة جبال الكاميرون البركانية بقمم تصل إلى ٤٠٠٠ متر كما هي الحال في جبل الكاميرون (٤٠٧٠ متراً).

وكان لموقع الكاميرون بين دائرتي عرض ٢ - ١٣° شمالاً أثره الكبير في تنوعها المناخي، فالأمطار غزيرة للغاية على المناطق الساحلية ومرتفعات الكاميرون (دوالا ١٥٨ بوصة) ولكنها تتناقص على الهضاب الوسطى لتصل إلى كمية تتراوح بين ٦٠ - ٨٠ بوصة، أمَّا في أقصى الشمال فإنَّ الأمطار تتناقص بسرعة حتى تصل إلى ٣٠ بوصة فقط، وقد انعكس ذلك على تنوع نباتي كبير من الغابات المدارية المطيرة والمانجروف في الجنوب إلى حشائش السفانا في الشمال.

وقد شهدت الكاميرون قيام زراعة علمية مبكراً على أيدي الشركات الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى وذلك في مناطق التربات البركانية الخصبة عند جبل الكاميرون والأقاليم المجاورة، وتخصصت هذه المزارع في إنتاج الكاكاو والمطاط وزيت النخيل، وتحوَّلت بعد الحرب إلى هيئة تعرف بهيئة تنمية الكاميرون.

ويمكن تميز إقليمين إنتاجيين في الكاميرون: الإقليم الشمالي والذي يتميز بخلوه من ذبابة تسي تسي ومن ثمَّ فهو منطقة المراعي الرئيسية في البلاد، وتعدُّ الماشية عماد الاقتصاد في هذا الإقليم.

والإقليم الجنوبي وهو نطاق الإنتاج الزراعي خاصة في هضبة ياوندي وفي السهول الساحلية ويتخصص هذا الإقليم في إنتاج المحاصيل النقدية المدارية، وقد أسهم الفرنسيون في فترة سيطرتهم على هذا الإقليم - في تطوير المزارع العلمية التي كان الألمان قد أنشأوها والتي تخصصت في زراعة الموز والكاكاو والبن وزيت النخيل، وقد تعاظمت أهمية هذه المنتجات حتى صار محصول الكاكاو يمثل نحو ثلث الصادرات إلى الخارج والبن نحو الخمس، وبالإضافة إلى ذلك فقد بدأت جمهورية الكاميرون في إدخال محاصيل جديدة لعلَّ أهمها القطن الذي بدأت زراعته منذ سنة ١٩٦٠ في القسم الشمالي من البلاد.

وقد اكتشفت بالكاميرون بعض موارد الثروة المعدنية مثل خام الحديد في الجنوب قرب غينيا الإستوائية، غير أنَّ أعظم الخامات المعدنية هي البوكسيت الذي يوجد في هضبة أداماوا، وقد أصبح الألمنيوم يكون نحو سدس صادرات البلاد إلى الخارج، بعد أن أنشىء مصنع لصهره في مدينة إديا Edea على خط السكَّة الحديدية بين ياوندي ودوالا.

وقد بلغ عدد سكان الكاميرون نحو تسعة ملايين نسمة يتركز أكثر من نصفهم في المرتفعات الشمالية والغربية، ويتميز النسيج البشري بالتنوع القبلي والديني واللغوي، ففي الشمال تعيش قبائل الرعاة كالفولا والكانوري وفي المرتفعات الغربية تعيش قبائل أشباه البانتو وأهمهم قبيلة باميلكي (١,٥ مليون نسمة) وفي الإقليم الساحلي تعيش قبائل البانتو بكثافات عالية ومن أهمها الدوالا والفانج كذلك يظهر التنوع الديني واضحاً بين الشمال المسلم والوسط والغرب حيث الديانات الإفريقية ثمَّ الجنوب المسيحي حيث مدينة ياوندي العاصمة (٥٠٠,٠٠٠ نسمة).

٤ ـ الكونغو

رغم أنَّ مساحة جمهورية الكونغو تبلغ ٣٤٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً فإنَّ سكانها لا يزيد عددهم على ١,٧ مليون بكثافة عامة تصل إلى ٥ أشخاص في الكيلومتر المربع مما يدل على نقص شديد في عدد السكان وهي تشبه في ذلك دول وسط القارة التي تشترك كلها دون استثناء في هذه الظاهرة.

وتقع جمهورية الكونغو في الإقليم الإستوائي بين دائرتي عرض ٤° شمالاً و ٥° جنوباً، ويتأثر ساحلها بتيار بنجويلا البارد وبسبب هذا التيار البارد نوعاً تنخفض درجة الحرارة نسبياً في الإقليم الساحلي الضيِّق.

ويتركز معظم سكان الكونغو في جنوب البلاد خاصة في الإقليم الواقع بين برازافيل وبوان نوار، ويبدو الإقليم الشمالي والشمالي الشرقي خالٍ من السكان تقريباً، ويبلغ عدد سكان برازافيل العاصمة ٥٠٠,٠٠٠ نسمة، وتقع على نهر الكونغو ـ في مواجهة كنشاسا عاصمة زائير ـ وترتبط بالساحل الكونغولي بخط حديدي ينتهي عند بوان نوار (٧٩٠٠٠ نسمة) وتعدُّ هذه المدينة ميناء هاماً لإفريقيا الوسطى والجابون والكونغو وتشاد وتخدمها السكك الحديدية وتحمل لها المنجنيز واليورانيوم من الجابون والأخشاب من الكونغو والقطن والفول السوداني من جمهورية إفريقيا الوسطى وتشاد، كما تنقل إليه الفوسفات من المناطق القريبة.

وعلى الرغم من أنَّ معظم السكان يعيشون على الزراعة التي تتبع نمطاً تقليدياً كما في معظم إفريقيا الإستوائية، فإنَّ الزراعة لا تسهم إلَّا بنسبة ضئيلة من الدخل والصادرات وأهم المحاصيل الكاسافا والذرة والفول، ومن الجدير بالذكر أنَّ الزراعة المتنقلة نمط سائد في هذه البلاد، أمَّا الأخشاب فهي عماد الاقتصاد القومي وسلعة التصدير الرئيسية وتنتج من إقليمي مايومبي Mayombe وصنغا Sangha ومن أهمها أخشاب الماهوجني.

ويأتي زيت النخيل ونوياته من نفس الإقليم ولكنه يزرع في مزارع علمية

ويتم عصره محلياً وتستخدم بعض الزيوت في صناعة الصابون.

٥ ـ الجابون

رغم أنَّ جمهورية الجابون أصغر دول إفريقيا الإستوائية الفرنسية سابقاً مساحة وسكاناً إلَّا أنَّها أكثر هذه الدول رخاء وأكثرها في الموارد، كما أنَّها دولة مندمجة تقوم أساساً في حوض نهر أجوي Ogowe، وقد نتج ثراؤها في الماضي عن قطع الأخشاب القيِّمة وتصديرها، والتي جعلت الجابون أكبر مصدر لها على المستوى العالمي (٦٪ من مجموع الصادرات العالمية للأخشاب والألواح والقشرة)، وقد استمرَّت حرفة قطع الأشجار وتصنيعها وتصديرها كمصدر رئيسي للثروة الاقتصادية حتى سنة ١٩٦٢ عندما بدأت المعادن والبترول تفوقها في ذلك.

وتشهد الجابون في الوقت الحاضر تنمية اقتصادية هامة تعتمد على استغلال الثروة المعدنية وخاصة البترول والغاز الطبيعي قرب بور جنتي Port Gentil، وقد بدأ البحث عن البترول في الجابون مبكراً حتى تمَّ العثور عليه سنة ١٩٥٥ وبدأ دوره يتعاظم حتى أصبح يأتي في المركز الثاني في قائمة الصادرات، وقد منحت امتيازات البحث في بور جنتي ومد خط أنابيب ليصل الآبار المنتجة الستة إلى ميناء التصدير في كيب لوبز، وقد وصل الإنتاج إلى ٧,٧ مليون طن سنة ١٩٨٢، وهي كمية رغم ضآلتها إلَّا أنَّها تمثل أهمية كبيرة كمورد للوقود في إفريقيا الإستوائية.

وتوجد أكبر موارد معروفة للمنجنيز في العالم في منطقة مواندا Moanda قرب فرانسفيل، وقد بدأ استغلاله ويصدر إلى الخارج وتنتج الجابون نحو مليون طن سنوياً أي عشر الإنتاج العالمي سنة ١٩٨٠. كذلك تعدُّ الجابون واحدة من الدول الهامة على المستوى العالمي في إنتاج اليورانيوم والذي يستخرج من مونانا Mounana على بعد ٢٤ كيلومتر من فرانسفيل، وهو المصدر الرئيسي الذي تستخرج منه فرنسا اليورانيوم.

ومن المشكلات المزمنة التي تواجهها الجابون النقص الكبير في الأيدي العاملة، ويفضل الكثير من السكان العمل في قطع الأشجار وفي المدن ـ بدلاً من العمل في الزراعة ولذلك فإنّ الحاصلات الزراعية قليلة الأهمية في صادرات الجابون وتتمثل في الكاكاو والبن ويزرعان في أقصى الشمال بالقرب من حدود الكاميرون وغينيا الإستوائية.

وقد بلغ عدد سكان الجابون أكثر قليلاً من نصف مليون نسمة فقط (بالتحديد ٧٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٣) يعيشون في مساحة قدرها ٢٦٧٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، ومن هنا تتكرر ظاهرة النقص السكاني الشديد السائدة في وسط إفريقيا، ولذلك فإنّ الكثافة العامة تصل إلى فردين في الكيلومتر المربع وهي كثافة لا تدل على واقع توزيع السكان، ذلك لأنّ التركز السكاني يوجد فقط في المدن وفي مواقع التعدين وقطع الأشجار وبجوار الطرق البرية والمائية، بينما تبدو المناطق الجبلية والغابات والمستنقعات شبه خالية من السكان، وأهم المراكز العمرانية ثلاث مدن أولاها ليبرفيل العاصمة (١٥٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٣) ـ وتقع على مصب خليجي يحمل اسمها، أمّا بورجنتي فهي المدينة الثانية (٧٧٦١١ نسمة) وهي نهاية طرق هامة وميناء لتصدير الأخشاب المنقولة بواسطة نهر أوجوي، ويوجد بها أكبر مصنع لرقائق الأخشاب في العالم، كما يستخرج البترول من الحقول المجاورة لها.

٦ ـ غينيا الإستوائية

تتكوّن جمهورية غينيا الإستوائية من المستعمرات الإسبانية السابقة في إفريقيا الإستوائية وهي منطقة ريو موّني على اليابس الإفريقي وجزر ماسياس نجويما بيوجا (فرناندبـو سابقاً) Macias Nguema Biyoga وأنوبون وكورسكو وإلوبي، وتبلغ مساحتها ٢٨٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة فقط، وعاصمتها مدينة باتا وهي مدينة متواضعة على الساحل الإفريقي.

وما زال قطع الأشجار من الغابات يمثل الحرفة الرئيسية في السهول

الساحلية قرب أنهار بنيتو وموني، وتستخدم هذه الأنهار في نقل الأخشاب الطافية التي تصدر بعد ذلك، كذلك تقوم زراعات نخيل الزيت بالقرب من مصب بنيتو الخليجي، كما توجد مزارع واسعة للبن في المرتفعات الوسطى شرق مدينة باتا العاصمة، كما يزرع الكاكاو في النطاق الشمالي الشرقي بجوار مناطق الكاكاو في كل من الكاميرون والجابون.

وقد بذلت محاولات للتنمية الاقتصادية الحديثة في مناطق الغابات والأقاليم الزراعية إلاَّ أنَّ القيود الإسبانية التي استمرَّت حتى الستينيات قد عاقت هذه الجهود، ولذلك فإنَّ شعب الفانج الذي قسمته الحدود هنا ـ ويمتد في الكاميرون شمالاً والجابون جنوباً ـ يعدُّ أفقر بكثير منه في هاتين الدولتين.

أمَّا جزيرة ماسياس بيوجا (فرناندبو سابقاً)، فهي جزيرة بركانية ولا يفصلها عن جبل الكاميرون سوى شقة مائية اتساعها ٣٥ كيلومتراً فقط، ويبلغ طول الجزيرة ٧١ كيلومتراً من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وعرضها نحو ٣٥ كيلومتراً، ويتركز العمران والزراعة في المنحدرات الساحلية الغربية والشمالية الشرقية، وأهم محصولاتها الكاكاو الذي يعتمد في زراعته على الأيدي العاملة الوافدة من نيجيريا (خاصة من قبائل الإيبو)، كذلك يزرع الموز والبن كمحصول للتصدير، وتشغل هذه المحاصيل الثلاثة نحو ٩٠٪ من المساحة الزراعية أمَّا النسبة الباقية فتزرع بالمحاصيل الغذائية للاستهلاك المحلي.

٧ ـ زائير

تقع دولة زائير بين درجتي عرض ٥° شمالاً و١٢° جنوباً لمسافة تقرب من ٢٠٠٠ كيلومتراً بين حدودها الشمالية والجنوبية، أو حتى الشرقية والغربية، وهي في ذلك تشغل معظم حوض الكونغو بمساحة تصل إلى ٢,٣٤٥,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً (ثالث دول إفريقيا في المساحة بعد السودان والجزائر)، ومع ذلك تبدو كدولة شبه مغلقة حيث لا يزيد طول ساحلها على ٣٥ كيلومتراً فقط، بل

إنَّ الضفة اليسرى لمصب نهر الكونغو فيها بعد متادي ـ ميناء زائير الهام والوحيد ـ تتبع دولة انجولا[1].

نظرة تاريخية:

رغم موقع زائير في الإقليم الإستوائي والمداري المطير إلاَّ أنَّها قد شهدت قيام عدد غير قليل من الممالك فيما قبل العهد الاستعماري، مثل مملكة لوبا Luba (جنوب شرق مقاطعة شابا الحالية) ولوندا Lunda (جنوب كاساي وغرب شابا) وقد قامتا في القرن السادس عشر، وكذلك مملكة الكونغو التي قامت في القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر، وقد سجل البرتغاليون الكثير عن هذه المملكة الأخيرة من حيث تنظيمها ومعرفتها صهر الحديد والنحاس وصناعة النسيج والفخار.

وقد شهد هذا النطاق تجارة الرقيق مبكراً على يد البرتغاليين منذ سنة ١٤٣٦، وقد أظهرت إحدى الدراسات أنَّ عدد الزنوج الذين أسروا كرقيق من هذا الإقليم يصل إلى ١٣,٥ مليون نسمة مما أدَّى إلى نقص حاد في عدد السكان خاصة من الشباب في الأعمار الوسطى وما زالت هذه الدولة ـ كغيرها من دول النطاق الإستوائي وأنجولا تعاني من مشكلة نقص السكان الشديد.

وفي سياق الحديث عن التطور السياسي لإفريقيا سبق القول بأنَّ زائير الحالية كانت منذ سنة ١٨٨٥ ضمن الممتلكات الخاصة للملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا باسم ولاية الكونغو الحرَّة، ثمَّ أصبحت مستعمرة بلجيكية سنة ١٩٠٧.

وقد برزت أهمية زائير في العصر الحديث في إنتاج كثير من الحاصلات المدارية مثل العاج والمطاط الطبيعي وزيت النخيل في أوائل هذا القرن، فقد

---

(١) في سنة ١٩٢٧ حدث تبادل أرضي بين أنجولا وزائير، حيث تنازلت زائير عن ٣٥٠٠ كيلومتر مربع من أرضها في الجنوب مقابل ثلاثة كيلومترات مربعة فقط من أنجولا عند متادي وذلك لتوسيع هذا الميناء وتطويره.

كان المطاط هو المورد الرئيسي لولاية الكونغو الحرَّة في سنة ١٩٠٠ واستمر ذلك حتى الحرب العالمية الأولى عندما تمد العالم بحوالي ٤٠٪ من المطاط الطبيعي ولكن تدهور إنتاجه بعد سنة ١٩١٤ وذلك بسبب تفوق زراعته في جنوب شرق آسيا، ورغم ذلك فلم تقل أهمية زائير فقد بدأت فيها اكتشافات كبيرة لموارد الثروة المعدنية خاصة في جنوب شرق حوض الكونغو، وقد أصبحت زائير في الوقت الحاضر من الدول الرئيسية في إنتاج الكوبالت والنحاس والماس واليورانيوم والتي تتركز أساساً في مقاطعة شابا.

وقد استقلت دولة زائير في سنة ١٩٦٠، ولكنها تعرَّضت لبعض القلاقل الداخلية في إقليم شاباً (كاتنجا سابقاً)، والذي قامت به حركة انفصالية لم تنجح في تحقيق هدفها حيث قضت عليها الحكومة المركزية، والجدير بالذكر أنَّ هذا الإقليم هو القلب المعدني والاقتصادي لزائير حيث يسهم بنحو ثلثي الدخل القومي.

مظاهر السطح:

تشغل جمهورية زائير معظم حوض نهر الكونغو، ويبدو هذا الحوض كمنخفض شاسع يتراوح منسوب قاعه بين ٣٠٠ـ٥٠٠ متراً فوق سطح البحر، يشقه نهر الكونغو ـ والذي يعرف قسمه الأعلى بنهر لوالابا ـ ويخترق الحافة الغربية عبر خانق يصل إلى ٥٠٠ متراً، وهو المخرج الوحيد للحوض نحو البحر.

ويحيط بحوض الكونغو هضاب ومرتفعات جبلية، ففي الجنوب تمتد هضبة بايي Biè وتمتد نحو الشرق متصلة بهضبة شابا (كاتنجا) والتي يصل منسوبها إلى ١٠٠٠ متر، كذلك تعدُّ هذه الهضبة امتداداً لهضبة زامبيا، وينبع من هذه الهضاب نهر كاساي وروافده العديدة، كذلك نهر لوفورا Lufura ونهر لومامي Lomami وهي تكوِّن أعالي نهر الكونغو، وتعرف المرتفعات الجبلية التي تنبع منها هذه الأنهار بمرتفعات ميتومبا Mitomba التي تمتد جنوباً عبر حدود

زائير وزامبيا وتنتهي شمالاً عند بحيرة تنجانيقا.

وإلى الشرق من حوض الكونغو تبدو حافة الأخدود الغربي بمرتفعاته التي تصل إلى ٣٠٠٠ متر، وتنتهي هذه المرتفعات عند خانق نهر لوكوجا ـ الذي يصرف مياه تنجانيقا نحو نهر الكونغو، ثمّ تستمر حافة الأخدود بعد ذلك بمحاذاة بحيرة تنجانيقا وكيفو وتصل أقصى ارتفاعها عند براكين فيرونجا (٤٠٠٠ متر) ثمّ تواصل امتدادها غرب بحيرتي ادوارد وموبوتو (البرت)، حتى تتصل بمنطقة هضبة الزاندي عند الحدود بين زائير والسودان.

وإلى الشمال توجد هضبة الزاندي التي تكوِّن خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو وإن كانت الحدود بين حوضي النهرين غير واضحة وتتكوَّن من هضاب يتراوح ارتفاعها من ١٠٠٠ ـ ١٣٠٠ متراً، ولكن أبرز المرتفعات ـ جبال بنجو Bungo ـ التي تفصل بين النيل والكونغو وتشاد.

ويعدُّ نهر الكونغو وروافده العديدة العامل الطبيعي الوحيد الذي يربط أجزاء دولة زائير الشاسعة، ويساعده في ذلك بعض خطوط السكك الحديدية التي أنشئت في قطاعاته غير الصالحة للملاحة سواء في النهر أو روافده، ذلك لأنّه من بين ٤٣٤٥ كيلومتراً هي طول مجرى نهر الكونغو الرئيسي لا يصلح للملاحة منها سوى ٢٧٣٦ كيلومتراً، وأطول المسافات الصالحة دون انقطاع هي تلك الواقعة بين مدينتي كيسنجاني وكينشاسا ويبلغ طولها ١٧٤١ كيلومتراً، وهي أهم أجزاء النهر في الواقع حيث يتصل بها نهر أوبنجي عصب النقل في دولتي إفريقيا الوسطى وتشاد.

وفيما بين كيسنجاني وكنشاسا يتميز نهر الكونغو بالاتساع بشكل واضح وتكثر بمجراه الجزر وحوله المستنقعات وتنحدر إليه أنهار كثيرة من منحدرات الأخدود الغربي ومن هضبة الزاندي ومنطقة تقسيم المياه بينه وبين النيل وكذلك من مرتفعات الجابون والكونغو، إلاَّ أنَّ أهم روافده الجنوبية نهر كساي الذي يرفده قبل مدينة كينشاسا، وينبع من الهضاب الجنوبية وتغذيه شبكة من الروافد الضخمة التي تصرف مياه هضاب شابا وبابي.

وفيها بعد مدينة كينشاسا يضيق مجرى الكونغو وينحدر فوق مجموعة من الشلالات المتعاقبة (شلالات لفنجستون) حتى ينتهي في المحيط بمصب خليجي ضيِّق، وتظل مياه الكونغو مندفعة نحو المحيط لمسافة كبيرة تصل إلى نحو ٨٠ كيلومتراً داخل البحر ويمكن الاستدلال عليها بسهولة.

المناخ والنبات:

يتميز مناخ حوض الكونغو في معظمه بأنَّه مناخ استوائي ولكن هناك تباين واضح في كمية الأمطار وموسميتها بالاتجاه شمالاً أو جنوباً فيتراوح متوسط الأمطار السنوية من ٥٠ ـ ٧٠ بوصة ولكنه يختلف حسب أقاليم الدولة، فيبلغ مثلاً نحو ٣٠ بوصة في بنانا عند مصب نهر الكونغو ونحو ٩٠ بوصة في وسط الحوض وعلى المرتفعات الشرقية، والأمطار الإستوائية كما هو معروف أمطار تسقط في موسمين يتخللهما موسم جاف يحدد موقع الإقليم فلكياً طوله أو قصره، ففي الإقليم الشمالي يسود الجفاف لمدَّة شهر أو شهرين، أمَّا في الجنوب من ٤° ـ ٩° جنوباً فيطول فصل الجفاف ليصل إلى خمسة شهور ويسود في هذا الإقليم المناخ المداري القاري.

وتغطي الغابات الإستوائية حوض الكونغو فيما بين درجتي عرض ٤ شمالاً وجنوباً، وهي تشغل مساحة واسعة بتعدد أنواعها، وقد أدَّى ذلك مع صعوبة النقل إلى ضعف استغلالها في الوقت الحاضر، أمَّا السفانا الغابية فتتمشى مع توزيع المناخ المداري القاري إلى حد كبير، وهي تعد امتداداً للغابات الإستوائية الكثيرة في نطاق الهضاب المحيطة بالحوض، وتتحول إلى غابات جافة وسفانا قصيرة في مقاطعة شابا، بينما النباتات الجبلية في الجبال والمرتفعات الشرقية التي تبدأ بالغابات ثمَّ الحشائش المدارية حتى ارتفاع ٢٥٠٠ متراً، ثمَّ نطاق النباتات الألبية التي تنمو فيها فوق ٣٥٠٠ متراً، ومن الظاهرات الهامة في زائير أنَّ السفانا الغابية قد تناقصت بدرجة كبيرة بسبب أساليب الزراعة السائدة (زراعة الحريق).

السكان:

بلغ عدد سكان زائير ٣٠ مليون نسمة في سنة ١٩٨٣ يعيشون في مساحة قدرها ٢,٣ مليون كيلومتر مربعاً وبكثافة عامة تصل إلى ١٣ نسمة فقط في الكيلو متر المربع، ولكن الكثافة تتباين من إقليم لآخر داخل البلاد، فهي تزيد عن هذا المتوسط في منطقة مصب الكونغو فيما بين كينشاسا وبوما، وفي وسط وجنوب مقاطعة كاساي وشمال غرب مقاطعة خط الاستواء ثمَّ في الإقليم الشمالي الشرقي من البلاد، ومن ناحية أخرى فإنَّ أكثر من ١٠٪ من مساحة الدولة تكاد تخلو من السكان، كما تتناقص الكثافة بشكل واضح في منطقة وسط حوض الكونغو فيما بين ٢° شمالاً و ٤° جنوباً وحتى مقاطعة شابا - التي تنتج الكثير من المعادن ولا يتركز بها السكان إلاَّ في عدد قليل من المدن.

ويعيش حوالي ٣٠٪ من جملة سكان زائير في المدن وتشهد تزايداً كبيراً في معدل النمو الحضري منذ الستينيات، فقد ارتفع عدد المدن (التي يزيد سكان كل منها عن ١٠٠,٠٠٠ نسمة) من أربع مدن سنة ١٩٦٣ إلى عشر مدن سنة ١٩٧٤.

وتعدُّ كينشاسا - العاصمة - المدينة المليونية الوحيدة في وسط إفريقيا، وهي بؤرة للنقل النهري على نهر الكونغو حيث تقع على الضفة اليسرى في نهاية أهم وأطول قطاع ملاحي من النهر، كما تنقل إليها البضائع من الروافد الرئيسية مثل نهر كاساي، وتتصل بميناء متادي - عند مصب الكونغو - بخط حديدي يكمل طريق النقل حتى البحر.

ومدينة كينشاسا - مثل المدن الهامة في وسط إفريقيا ذات طابع أوروبي مستمد من البلجيك، وتتعدد وظائفها التجارية والصناعية، وقد تزايد سكانها بمعدلات كبيرة جداً فقد كان حجمها لا يزيد على ٢٢ ألف نسمة سنة ١٩٣٣ ثمَّ قفز إلى ٣٨٠,٠٠٠ في سنة ١٩٥٧ ثمَّ إلى ١,١ مليون في سنة ١٩٧٠ وأخيراً إلى ٣ مليون نسمة في سنة ١٩٨٣.

التركيب العرقي:

يتمي سكان زائير عرقياً إلى مجموعات متباينة من السلالات ولكن الغالبية الكبرى تتمثل في جماعات البانتو الذين تصل نسبتهم إلى حوالي ثلثي سكان البلاد أمّا الباقي فيتوزع على مجموعات صغيرة من زنوج السودان والنيليين والأقزام وبعض الحاميين.

ويعيش البانتو في معظم أنحاء زائير في قرى مندمجة صغيرة في الغابات وقرى كبيرة في نطاق السفانا، وينقسمون إلى مجموعات قبلية كثيرة إلّا أنّ أهم هذه القبائل جماعات الباكونجو التي تسكن القسم الأدنى من وادي نهر الكونغو ويمتدون حتى شمال غرب انجولا، والباكوبا التي تعيش في المنطقة الواقعة بين نهري سانكورو وكساي، والبالوبا التي تشغل معظم مقاطعة شابا حتى شرق إقليم كساي، والبالوندا إلى الجنوب من البالوبا وإن كان موطنهم الأصلي يقع في هضبة لوندا في انجولا.

أمّا قبائل زنوج السودان فيعيشون في أعالي حوض الأوبنجي في شمال زائير وأهم تجمعاتهم القبلية جماعات الزاندي الذين ينتشرون حتى حدود السودان في جنوب إقليم بحر الغزال، وجماعات المانجيتو الذين يسكنون حوض الوير Uere وخاصة الضفّة الجنوبية منه.

وليست هناك جماعات أخرى ذات أهمية، فلا يزيد عدد الأقزام على ١٥٠ ألف نسمة ويعيشون في غابات إيتوري الكثيفة في الشمال الشرقي وفي مناطق المستنقعات قرب بحيرة ماي - ندومب في الوسط، كذلك توجد جماعات التوتسي الحامية في إقليم كيفو ويشتهرون بطول القامة جداً وينتشرون في رواندا وبورندي بأعداد كبيرة، أمّا مجموعات النيليين فتعيش فيما بين بحيرة موبوتو والسودان، وأهم قبائلها الألور التي تعيش في مساكن مبعثرة وتحيا حياة رعوية متنقلة.

النشاط الاقتصادي:

كان لاتساع رقعة زائير وتباين ظروفها الطبيعية دور واضح في أساليب

الحياة الاقتصادية السائدة، والتي تتراوح بين الحرف البدائية والحرف المتقدمة، فيوجد الجمع والقنص البدائي لدى جماعات الأقزام، والزراعة البدائية المتنقلة في وسط البلاد ثمّ الزراعة المتطورة نوعاً والتي تعتمد على دوراتٍ زراعية ثمّ الزراعة الدائمة المتقدمة التي أدخلها المستوطنون الأوروبيون وبعد ذلك كله تأتي حرفة التعدين ثمّ الصناعة، وقد قدّرت هيئة الأغذية والزراعة أنماط استغلال الأرض في زائير سنة ١٩٧٦ على النحو التالي(١):

أراضي مزروعة	٦,١٥٠,٠٠٠	هكتار	بنسبة	٢,٧٪
مراعي	٢٤,٨٠٣,٠٠٠	هكتار	بنسبة	١٠,٩٪
غابات	١٢١,٠٥٠,٠٠٠	هكتار	بنسبة	٥٣,٤٪
أراضي غير مستقلة	٤٧,٧٥٧,٠٠٠	هكتار	بنسبة	٢١,١٪

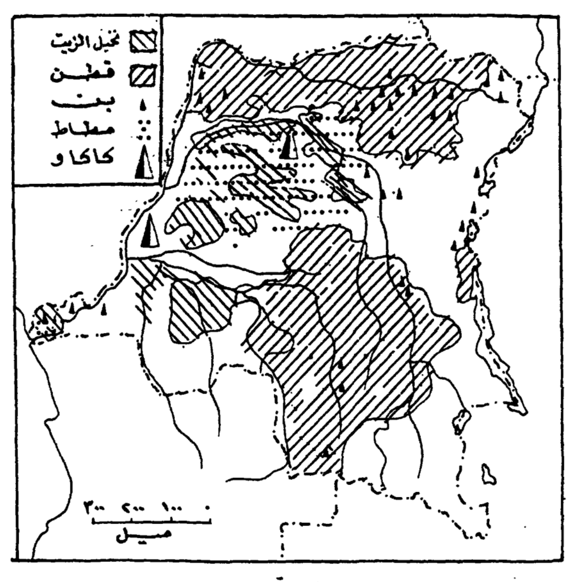
الزراعة:

تعدُّ الزراعة من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في زائير حيث تمارسها غالبية السكان، كما أنّها تسهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء الذي يستهلك نسبة تتراوح من ٦٠ - ٨٠٪ من المنتجات الزراعية والباقي يصدر للخارج، ولكن الزراعة تواجه مشكلات حادة ممثلة في الكثافة السكانية المنخفضة والهجرة نحو المناجم والمدن ومن هنا تنخفض الإنتاجية الزراعية بشكل واضح في زائير، والنمط الغالب هو الزراعة التقليدية المستقرة والمتنقلة وتعدُّ الكاسافا والذرة والموز المحاصيل الغذائية الرئيسية في نطاق الغابات، بالإضافة إلى الأرز في بعض الأودية النهرية، بينما يعدُّ الذرة والفول السوداني من المحاصيل الرئيسية في السفانا (شكل رقم ٧٩).

ويمثل زيت النخيل والقطن والبن والمطاط محاصيل التصدير الرئيسية في زائير ففي سنة ١٩٧٣ بلغت الصادرات من الزيت النخيل ٥٢٠٠٠ طن والبن ٥٩٠٠٠ والمطاط ٢٤٠٠٠ والشاي ٤٦٠٠ طن، ومن الواضح أنَّ زيت النخيل

(١) F. A. O. Production Yearbook, 1977. P. 47.

يحظى بأهمية كبرى في الصادرات، وفي باديء الأمر كان يتم جمع ثمار النخيل البري ولكن منذ الثلاثينيات بدأت زراعته في المزارع العلمية التي يمكن اعتبارها أهم مزارع نخيل الزيت في وسط إفريقيا حيث تحتل مساحة نصف مليون فدان تملك الشركات الأجنبية ثلثيها والباقي يملكه السكان الوطنيون.



شكل رقم (٧٩)
أهم محاصيل الإنتاج الزراعي التجاري في زائير

وتعدُّ زائير من الدول الرئيسية في إنتاج زيت النخيل على المستوى العالمي، فقد بلغ إنتاجها ٦٪ من الإنتاج العالمي سنة ١٩٧٤. ويتميز الزيت الزائيري بارتفاع رتبته وذلك للاعتناء بزراعته واختيار الأنواع الممتازة، كما تجمع الثمار بانتظام وتنقل بسرعة إلى نحو ٥٠٠ عصارة زيت عالية الكفاءة تنتج نحو ٢٠٠,٠٠٠ طن من الزيت سنوياً.

أما البن فيزرع في المناطق المرتفعة التي يزيد منسوبها على ١٠٠٠ متر وحتى ٢٧٠٠ متراً، ويقوم السكان الوطنيون والأوروبيون بزراعته على حد سواء في منخفضات الشمال والوسط وكذلك في المرتفعات الشرقية (انظر شكل رقم ٧٩) وتعدُّ زائير من الدول الإفريقية الهامة المنتجة للبن حيث تنتج حوالي ٨٥,٠٠٠ طن من الإنتاج العالمي الذي وصل إلى ٤,٩ مليون طن سنة ١٩٨٢.

أمَّا القطن فقد أدخلت زراعته كمحصول إجباري سنة ١٩١٧ ليكون محصولاً نقدياً وليمد الأسواق المحلية به دون الحاجة إلى استيراده، وتتبعثر مناطق زراعته بدرجة واسعة في الشمال والجنوب، وتسهم صادراته في سد احتياجات المصانع البلجيكية وكذلك مصانع زائير.

وكان المطاط الطبيعي ماماً في فترة الاستعمار البلجيكي المبكرة حتى أوائل هذا القرن إلاَّ أنَّ استخراجه من الأشجار توقف باستثناء سنوات الحروب، وقد زرعت المناطق الوسطى في زائير- والتي تتميز بالمناخ الإستوائي - خاصة في العرب حيث تنافس نخيل الزيت في المساحة المنزرعة بكل منهما.

وبالإضافة إلى المحاصيل التجارية السابقة، تزرع محاصيل نقدية أخرى أقل أهمية مثل الكاكاو- الذي تتطلب زراعته تربة خصبة ومناخاً استوائياً وهما مطلبان قلَّما يجتمعان معاً في منطقة محدَّدة بزائير، ولذلك تتركز زراعته في مزارع علمية أوروبية إلى الشمال من بوما Boma (عند مصب نهر الكونغو) وكذلك غرب بحيرة ماي - ندومب (ليوبولد سابقاً) وحول دائرة عرض ٢° شمالاً، كذلك يزرع الموز زراعة تجارية في منطقة الكاكاو عند مصب الكونغو أيضاً،

وقصب السكر الذي يسد إنتاجه احتياجات البلاد تتوزع زراعته بين إقليم بوما مع الكاكاو والموز- وفي مزارع علمية أخرى في شرق زائير، وقد نجح الأوروبيون في زراعة الشاي والتبغ في مزارعهم بالمرتفعات الشرقية، وقد انتشرت زراعة التبغ في المزارع الوطنية حتى أصبحت مساحة التبغ بها تساوي ضعف مساحته في المزارع الأوروبية.

الثروة الحيوانية والأسماك:

عاقت الظروف الطبيعية والبشرية من تربية أعداد كبيرة من الماشية في زائير، ولعلَّ أهم هذه العوائق انتشار ذباب تسي تسي في المنخفضات الإستوائية، ولكن في مناطق الرعي في المرتفعات الشمالية الشرقية والشرقية والجنوبية تربي أعداد كبيرة من الماشية والماعز والأغنام على حشائش السافانا ولذا يعدُّ الإقليمان الشرقي وكيفو أغنى أقاليم زائير في الثروة الحيوانية ويليه في ذلك إقليم شابا وإقليم كينشاسا حيث أسهم المستوطنون في تنمية الثروة الحيوانية بها، ولذلك يكاد الأوروبيون أن يتناصفوا أعداد الماشية مع السكان الوطنيين، ويتركز أكثر من نصف ماشية الأوروبيين في الإقليمين السابقين (كينشاسا وشابا) لوجود سوق رائجة في المدن الكبرى، ويقابل ذلك أنَّ الغالبية العظمى من ماشية إقليمي كيفو والإقليم الشرقي تملكها القبائل الرعوية الكبرى في هذا النطاق من زائير.

وتحظى الثروة السمكية من المياه العذبة بأهمية كبرى في زائير نتيجة النقص الكبير في إنتاج اللحوم حتى إنَّ هناك بعض القبائل التي تعيش على الأسماك كمصدر وحيد للحم مثل قبائل الزاندي في الشمال الشرقي، وقد أسهم وجود نهر الكونغو وشبكته الضخمة من الروافد على توفير مصدر رئيسي لصيد الأسماك، وقد شهدت زائير إنشاء برك صناعية تعرف بمزارع الأسماك والتي بلغ عددها نحو ١٠٠ ألف مزرعة مساحتها ٤٠٦٦ هكتاراً، وتربى في معظمها أسماك البلطي السريعة التكاثر، كذلك يتم صيد الأسماك من البحر عند متادي ويبلغ إنتاجها نحو ٣٠٠٠ طن سنوياً لاستهلاك مدينة كينشاسا

وضواحيها، أمَّا جملة إنتاج زائير من الأسماك فقد بلغ ١٠٠,٠٠٠ طناً سنة ١٩٨٢.

التعدين:

تمثل الثروة المعدنية عماد الاقتصاد الزائيري، وتتركز مواردها في المرتفعات الجنوبية الشرقية في مقاطعة شابا وفي إقليم كساي، وفي المرتفعات الشرقية في إقليم كيفو، إلاَّ أنَّ أهم هذه المناطق - مقاطعة شابا التي يعدن فيها النحاس (شكل رقم ٨٠) وتكون المعادن نحو ثلثي صادرات زائير إلى الخارج وقد أدَّى استغلالها إلى إنشاء خطوط طويلة للسكك الحديدية كما أقيمت المصانع اللازمة لتنقية الخامات المعدنية، بالإضافة إلى إنشاء بعض الصناعات المعتمدة على بعض هذه المعادن.

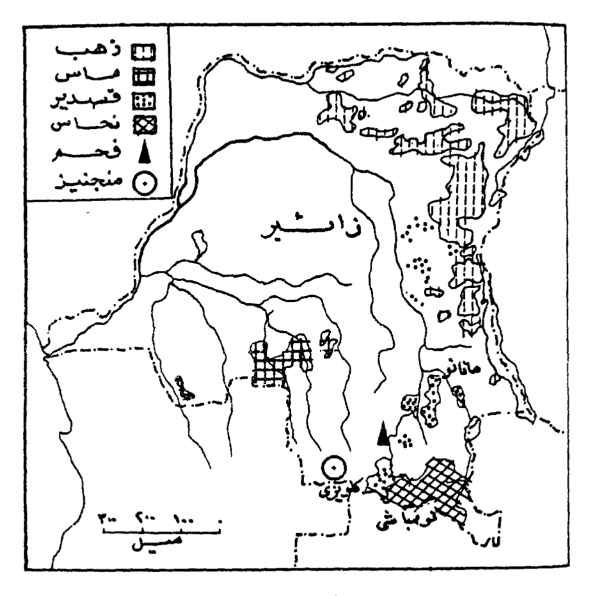
وتعدُّ زائير أولى دول العالم في إنتاج الكوبالت والماس الصناعي، ورابعة الدول المنتجة للنحاس، وثامنة الدول في إنتاج المنجنيز، كما أنَّها منتج هام للقصدير والزنك واليورانيوم والذهب والفحم.

وتتولى الاحتكارات الأوروبية الكبرى تعدين النحاس والكوبالت ومعظم الموارد المعدنية الأخرى في زائير. ويقع نطاق النحاس في مقاطعة شابا في صخور ما قبل الكمبري على المنحدرات الشمالية والجنوبية لمنطقة تقسيم المياه بين الكونغو والزمبيزي (شكل رقم ٨٠).

ويبلغ طول المنطقة بأكملها نحو ٤٥٠ كيلومتراً من الشمال الغربي إلى الجنوبي الشرقي وعرضها نحو ٢٦٠ كيلومتراً، ويقع أربعة أخماسها في داخل مقاطعة شابا بزائير والباقي في زامبيا، وهذا النطاق أغنى مناطق النحاس في وسط إفريقيا على الإطلاق.

ويعدن النحاس في منطقتين رئيسيتين الأولى منطقة كيبوتشي Kipushi (غرب مدينة لوبمباشي مباشرة) في مقاطعة شابا، ويحتوي الخام هنا على نسبة من المعدن تصل إلى ٤٪، وقد أقيم مصنعان لصهر الخامات وتركيز النحاس

(بدرجة نقاء ٩٩٪) وذلك باستخدام الصهر الكهربائي، وتستخرج بعض المنتجات العرضية عند تكرير النحاس أهمها الزنك والكوبالت وحامض الكبريتيك وغيرها.



شكل رقم (٨٠)
أهم المعادن في زائير

أمّا المنطقة الرئيسية الثانية في تعدين النحاس في شابا فتقع بالقرب من مدينة كولويزي Kolwezi، ويحوي الخام نسبة عالية من مَعدن النحاس (من ٦ ـ ٨٪)، ويتم تركيزه كهربائياً ولإنتاج الكوبالت النقي جداً في نفس الوقت. وهناك مجموعة من المعادن الثانوية التي تستخرج من خامات النحاس هنا مثل الزنك والرصاص والكادميوم.

وقد أدّى صهر النحاس في مقاطعة شابا ـ إلى استغلال مناجم الفحم الفقيرة في حوض لوينا Luena ـ ونظراً لعدم كفاية إنتاجه فيتم استيراده من حقول وينكي Wankie في زمبابـوي، وبالإضافة إلى استخدام الفحم كمورد للطاقة في عملية التعدين فقد أقيم الكثير من محطات توليد الكهرباء من المياه في عديد من الأنهار في هذه المقاطعة ـ وبعضها من القوّة بحيث كان يصدر الكهرباء إلى مناجم النحاس في زامبيا قبل إنشاء سد كاريبا على نهر الزمبيزي.

أما المنجنيز فيستخرج من صخور ما قبل الكمبري في جنوب غرب شابا وبالقرب من خطوط السكك الحديدية، كذلك يوجد القصدير وبعض المعادن الأخرى في نفس الصخور أو في الرواسب الفيضية، وأهم مناطق إنتاجه توجد في منطقة مانيما Maniema (غرب الطرف الشمالي لبحيرة تنجانيقا) وفي مانونو في مقاطعة شابا.

وينتشر تعدين الذهب في نطاق كبير شمال شرق زائير وخاصة في منطقة كيلو موتو Kilo - Moto وفي مقاطعة كيفو، ولكن الإنتاج قليل لم يتجاوز ٢٤٣٩ كيلوجراماً سنة ١٩٧٤.

أما الماس فهو من المعادن الهامة التي تستخرج من منخفضات زائير، ويتركز الإنتاج في منطقتين رئيسيتين: الأولى منطقة تشيكابا Tshikapa على نهر كاساي (وتمتد حتى أراضي انجولا) والثانية منـطقة Bakwanga عـلى نهر بوشيماي في كساي الشرقية، وتعدُّ زائير أولى دول العالم في إنتاج الماس الصناعي حيث تنتج ثلثي إنتاج العالم منه.

وهكـذا تبدو زائـير بثروة معـدنية كبيـرة تسهم بالنصيب الأكبـر في اقتصاديات البلاد، وأهمها جميعاً النحاس الذي يشكل بمفرده ٤٣٪ من جملة الصادرات والماس ٩٪ ويتركز التعدين في ثلاثة أقاليم كبرى في الشرق والجنوب والجنوب الغربي تحوي قرابة ٣٠٠ منطقة تعدينية وحوالي ١٠٠ مصنع لتنقية المعادن وتمارس هذا النشاط التعديني الهائل نحو ٦٠ شركة من بينها أكبر شركات العالم وتبدو بساطة التعدين وأساليبه التكنولوجية العالية إذا أدركنا أنّ هذا النشاط يقوم به ١٢٠ ألف من الوطنيين و ٣٥٠٠ من الأوروبيين فقط[١].

الصناعة:

كان النشاط التعديني باعثاً على إنشاء معامل لصهر المعادن وتنقيتها معتمدة على الطاقة الكهربائية المائية الرخيصة، ومن هنا يعدُّ صهر المعادن من المظاهر الصناعية الهامة في زائير، كذلك فقد أدَّى تركز السكان في المدن التعدينية إلى إنشاء صناعات للاستهلاك المحلي مثل المنسوجات والسجايـر والمشروبات الروحية وغيرها وتتوطن هذه الصناعات في المدن الكبرى مثل لوبمباشي لخدمة مقاطعة شابا وفي مجمعة كنشاسا لخدمة بقية البلاد.

ويعمل في الصناعة نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة يتركز في كنشاسا ومدن شابا، وهناك مشروعات لإقامة صناعات جديدة مثل الحديد والصلب بالقرب من سد إينجا، وإلى جعل المنطقة الواقعة بين بوان نوار وبرازافيل وكينشاسا ومتادي مجمعاً صناعية ضخماً، ولا شكَّ أنَّ ذلك المشروع الضخم يحتاج تعاون دولتي الكونغو وزائير حتى يمكن أن يتحول هذا النطاق إلى ما يعرف «بالرهـر الإفريقي» على غرار الرهر الأوروبي.

وتعدُّ زائير من أكبر الدول في العالم في مجال الطاقة الكهرومائية الكامنة فيقدر أنَّ بها نحو ١٣٪ من القوى المائية في العالم، ورغم ذلك فهي لا تستغل سوى ١٪ من هذه الموارد الكامنة وتتركز في منطقة الشلالات في الكونغو الأدنى

(١) Church, H, Africa And The Island, Op. Cit., P. 349.

بين متادي وكنشاسا، وهناك منطقة أخرى شهدت استغلالاً جيِّداً في إنتاج الطاقة الكهرومائية وهي مقاطعة شابا عند أعالي نهر الكونغو في رافديه لوفيرا ولوالابا وتنتج الكهرباء هنا لسد حاجة مصانع تكرير النحاس، ويعدُّ سد إينجا Inga أحدث السدود التي بنيت في زائير ويقع على بعد ٤٠ كيلومتراً من متادي ويكفي حاجة مجمعة كينشاسا من الكهرباء وتقدَّر الطاقة المولدة منه بنحـو ٣٠ ميلون كيلو وات.

النقل:

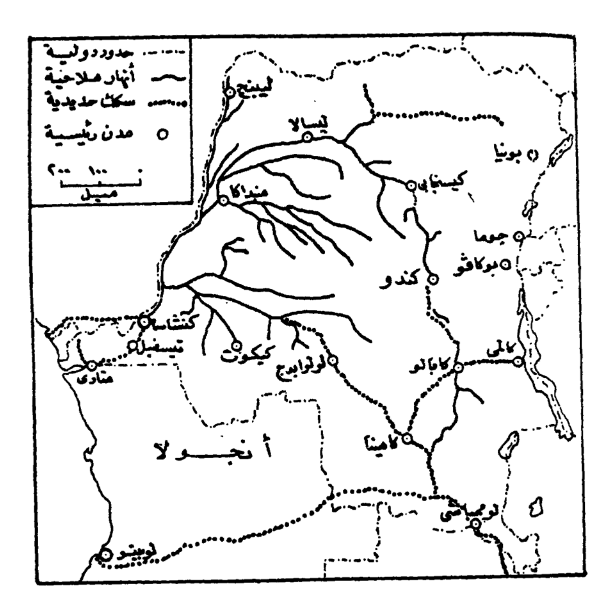
رغم المساحة الشاسعة لدولة زائير فإنَّها تتمتع بشبكة نقل معقولة خاصة النقل النهري في الكونغو وروافده، وتبين الأرقام التالية أطوال طرق النقل بها: (شكل رقم ٨١):

ـ طرق ملاحة نهرية	١٦٤٠٠	كيلومتراً
ـ سكك حديدية	٥٢٠٠	كيلومتراً
ـ طرق السيارات	١٤٠ ٠٠٠	كيلومتراً
ـ طرق ثانوية ودروب	١٠٤ ٠٠٠	كيلومتراً

وقد أدَّى ضيق الواجهة البحرية لزائير إلى توجيه اهتمامها إلى الطرق الداخلية من ناحية واستخدام بعض موانىء الدول المجاورة من ناحية أخرى، فتعتبر متادي نقطة الاتصال الوحيدة التي تصل زائير بالبحر وتقع على بعد ١٣٠ كيلومتراً من البحر عند مصب نهر الكونغو، وقد أسهم البلجيك في تطويرها وتطلب الأمر إضافة ثلاثة كيلومترات مربعة من انجولا سنة ١٩٢٧ لتوسيع الميناء ـ وتعتمد متادي على خط السكك الحديدية بينها وبين كنيشاسا.

ويعدُّ خط السكك الحديدية الذي يربط كينشاسا بميناء متادي أهم الخطوط الحديدية في زائير ويبلغ طوله نحو ٣٧٠ كيلومتراً وهناك خطوط أخرى في مقاطعة شابا كشبكة متكاملة، ولكن أهمها ذلك الخط الموصل بين مدينة ليبو Lebo ومدينة لوبمباشي وقد افتتح سنة ١٩٢٨، وخط لوبيتو عبر أنجولا (١٩٣١)، وفي سنة ١٩٥٦ انتهى العمل من خط كامينا ـ كالمي Kalemie

لبصل بين لوبمباشي وبحيرة تنجانيقا ومنها بعبارات مائية بالسكك الحديدية مرة اخرى حتى دار السلام في تنزانيا.



شكل رقم (٨١)
النقل في زائير

ويعدُّ النقل المائي هاماً في زائير ولكن أهميته قلّت بعد إدخال السكك الحديدية فقد بلغت نسبة البضائع المنقولة إلى متادي - قبل الاستقلال - بالسكك الحديدية ٦٠٪ وبالطرق المائية ٤٠٪، وهناك عدّة عقبات تعترض النقل النهري في الكونغو وروافده وتتمثل في الشلالات والجنادل ومن ثمّ تكمل السكك الحديدية طريق النقل لتجنب هذه العقبات، كما أنّ الأنهار في كثير من أجزائها تتميز بالضحولة وتعترضها مخاضات رملية وبالرغم من إدخال بعض السفن النهرية الحديثة المجهزة بالآلات إلاّ أنّ الرحلات ما زالت بطيئة فمن كينشاسا حتى كيسنجاني تستغرق الرحلة أسبوعاً ضدّ التيار وخمسة أيام معه.

أما طرق السيارات فهي قليلة في زائير وبالرغم من أنّ أطوالها رسمياً تبلغ ١٤٠٠٠٠ كيلومتراً إلاّ أنّ القليل منها هو الصالح للسير في كل الفصول وكثيراً ما تعترضها مشكلات متعددة أبرزها حدوث فيضات تكتسحها أو تتأثر الكباري التي تعبرها الطرق بالعوامل البيئية لذلك تحل العبارات محل الكباري في المناطق الواسعة من الأنهار.

٨ - أنجولا

تبلغ مساحة انجولا ١,٢٤٧,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً بسكان قدّر عددهم بنحو ٧ مليون نسمة فقط سنة ١٩٨٣، وقد وصل إليها البرتغاليون مبكراً فقد اكتشف دييجو كاو Diego - Cao سواحلها في سنة ١٤٨٢ - ١٤٨٣، واستمرت أنجولا بعد ذلك وعلى امتداد ثلاثة قرون ونصف مصدراً للرقيق الذي كان يشحن للعمل في الزراعة في الأمريكيتين خاصة في البرازيل. ولذلك أنشأ البرتغاليون الأوائل مدناً ساحلية كمراكز لجمع وتصدير الرقيق ومنها لواندا التي أنشئت سنة ١٥٧٥ وبنجويلا في سنة ١٦١٧، كما أنشأوا عدداً من القلاع في أعالي نهر كوانزا Cuanza، وقد قدّر أنّ حوالي ثلاثة ملايين زنجي قد أخذوا من هذه البلاد على امتداد ثلاثة قرون، وأدّت هذه الأساليب إلى تدمير مملكة الكونغو الإفريقية.

وعندما ألغيت تجارة الرقيق في أوائل القرن الماضي كانت أنجولا قد استنزفت بشرياً وتناقص عدد سكانها تناقصاً حاداً، وظلّ هذا السبب وراء معاناة هذه الدولة من النقص السكاني حتى الوقت الحاضر وفي أنّها من أقل الدول في كثافة السكان في إفريقيا الزنجية.

وقد خضعت أنجولا للاستعمار البرتغالي مبكراً رغم أنّ مساحتها تصل إلى ١٤ مرة قدر مساحة البرتغال، وقد حصلت على الاستقلال في نوفمبر سنة ١٩٧٥.

ويعدُّ صيد الأسماك من الحرف الهامة في النطاق الساحلي وتعتبر مصايد الأسماك الساحلية امتداداً لمصايد جنوب إفريقيا وأسهم في قيامها عدد من العوامل الطبيعية أبرزها مرور تيار بنجويلا البارد (تتشابه مع مثيلتها في سواحل المغرب وموريتانيا بسبب تيار كناري البارد)، وقد أقيم الكثير من مصانع تجفيف السمك وتعليبه وإعداده للتصدير وتتركز هذه المصانع فيما بين لوبيتو والساحل الجنوبي.

وأهم المراكز العمرانية على ساحل أنجولا ـ مدينة لواندا ـ العاصمة ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٣) وهي أوّل مركز استيطاني أوروبي جنوب الصحراء ويصل عمرها إلى قرابة أربعة قرون، وكان بها قبل الاستقلال أكبر تجمع حضري للأوروبيين (١/٤ عدد سكانها) في وسط إفريقيا ولكن من المؤكد أنّ أعدادهم تناقصت بشكل حاد بعد الاستقلال في سنة ١٩٧٥.

وتعدُّ الهضاب الشمالية أكثر هضاب أنجولا أمطاراً وحرارة ومن ثمّ فهي مناطق صالحة للمحاصيل المدارية خاصة البن الذي يزرعه الأوروبيون والأفارقة في منطقة كارمونا Carmona، والبن هنا من نوع روبستا ـ ويمثل نحو نصف صادرات أنجولا ويتجه معظمه إلى الولايات المتحدة، وتحتل أنجولا المركز الرابع بين الدول المنتجة للبن في العالم، فقد بلغ إنتاجها ٢٢٠,٠٠ طن بنسبة حوالي ٥٪ من جملة الإنتاج العالمي وقدره ٤,٨ مليون طن سنة ١٩٧٤ إلاّ أنّ الإنتاج تدنى بشكل حاد بعد ذلك ليصل إلى ٣٥٠٠٠ طن فقط سنة ١٩٨٢.

أما الذرة فهو المحصول الغذائي الرئيسي في أنجولا ويشغل أكبر مساحة

محصولية ربما ثلاثة أرباع المساحة المتزرعة في الهضاب الداخلية، ورغم تذبذب الإنتاج من سنة لأخرى إلاّ أنّ الذرة يدخل في قائمة صادرات أنجولا، ومن المحاصيل الغذائية الأخرى الفول والفول السوداني والكاسافا.

وقد أسهم خلو المناطق الوسطى والجنوبية من ذباب تسي تسي في تربية الماشية وتزايد أهمية الثروة الحيوانية، حيث تربى في المزارع العديدة ومن ثمّ تساعد على توفير الأسمدة العضوية، كما تزداد أهمية الماشية في النطاق الجنوبي الجاف وذلك رغم قيام الزراعة على الري في وادي نهر كونن Cunene.

ورغم أنّ الاقتصاد الأنجولي يعتمد على إنتاج البن، فإنّ موارد الثروة المعدنية تسهم هي الأخرى بنسبة لا يستهان بها، ويأتي الماس في مقدمة هذه الموارد والذي يستخرج من حوض كاساي في الشمال الشرقي من حقوله التي تعدُّ امتداداً لحقول زائير، وتعدُّ أنجولا ثاني الدول المصدرة له، كما أنّه يأتي في الترتيب الثاني في قائمة الصادرات حيث يشكل ١٧٪ منها (البن ٤٤٪)، وتشتهر أنجولا بإنتاج جواهر الماس أكثر من إنتاج الماس الصناعي وهي في ذلك على العكس من زائير.

ويتم تعدين المنجنيز والفيرو منجنيز والحديد الخام والنحاس وقد أدّى هذا النشاط التعديني إلى تنويع الإنتاج وتقليل سيادة البن في التجارة الخارجية حتى أصبح الحديد الخام يأتي في المرتبة الرابعة حسب القيمة في قائمة الصادرات الأنجولية.

وقد اكتشف البترول في أنجولا سنة ١٩٥٥ وكان لذلك أثر كبير في اقتصادياتها نظراً لفقرها في موارد الوقود الأخرى خاصة الفحم، ويتركز الإنتاج في منطقتين: الأولى جنوب لواندا مباشرة والثانية في كابندا، وقد بلغ إنتاج أنجولا نحو ٧ مليون طن وأصبحت سادس دولة إفريقية في إنتاج البترول سنة ١٩٨٢ بعد ليبيا ونيجيريا والجزائر ومصر والجابون، وبني معمل لتكرير البترول عند لواندا سنة ١٩٥٨ بطاقة قدرها ٦٥٠,٠٠٠ طن لسد احتياجات البلاد.

الفصل الثامن عشر

دول جنوب أفريقيا

تبلغ مساحة إقليم جنوب إفريقيا نحو ٤,٧ مليون كيلومتراً مربعاً بنسبة ١٥,٧٪ من مساحة القارة وسكانه ٦٩ مليون نسمة أي قرابة ١٤,٢٪ من سكان القارة. ويتكون الإقليم من تسع دول تتباين في أحجامها المساحية والسكانية كما تبين الأرقام الواردة في الجدول رقم (٢٤).

١ ـ جمهورية جنوب إفريقيا

تبلغ مساحة جمهورية جنوب إفريقيا ١,٢٢١٠,٤٢ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٣٠,٧ مليون نسمة، وتنقسم إلى أربع مقاطعات كبرى هي مقاطعة الكاب ومقاطعة الترانسفال ومقاطعة الأورنج الحرة ومقاطعة الكاب، وتتوزع الهيئات الحكومية الممثلة لسلطات الدولة على العواصم الكبرى ولا تتركز في عاصمة واحدة، فالمجلس النيابي مقره كيب تاون (عاصمة مقاطعة الكاب) والمحكمة العليا مقرها بلومفنتين (عاصمة الأورنج) ومقر الحكومة يوجد في بريتوريا (عاصمة مقاطعة الترانسفال).

جدول رقم (٢٤)

دول إقليم جنوب إفريقيا ١٩٨٣

الدولة	المساحة (كم٢)	السكان (ألف نسمة)	كثافة السكان (نسمة/ كم٢)
جمهورية جنوب إفريقيا	١,٢٢١,٠٣٧	٣٠٧٠٠	٢٥
ناميبيا	٨٢٤,٢٩٢	١١٠٠	١
بتسوانا	٦٠٠,٣٧٢	٩٠٠	٢
ليسوتو	٣٠,٣٥٥	١٤٠٠	٤٦
سوازيلاند	١٧,٣٦٣	٦١١	٣٥
زيمبابوي	٣٨٩,٣٦١	٨٤٠٠	٢٢
زامبيا	٧٥٢,٦١٤	٦٢٠٠	٨
ملاوي	١١٨,٤٨٤	٦٨٠٠	٥٧
موزمبيق	٧٨٣,٠٣٠	١٣١٠٠	١٧

التاريخ العرقي الحديث:

يمكن تفسير التركيب العرقي لسكان جنوب إفريقيا في ضوء التطور التاريخي في العصر الحديث، فقد بدأت أولى خطوات الإستيطان الأوروبي في موضع كيب تاون الحالية في سنة ١٦٥٢ على يد مجموعة من المستوطنين أوفدتهم شركة الهند الشرقية الهولندية لتأسيس محطة لإمداد وتموين السفن التجارية في الطريق إلى الهند الشرقية، وعلى امتداد قرن ونصف قرن بعد ذلك استمرّ تدفق مستوطنين آخرين من هولنده وفرنسا وألمانيا، واتّسعت مناطق استيطانهم نحو الشمال والشرق على امتداد المناطق الساحلية والداخلية ثمّ احتلت بريطانيا منطقة كيب تاون سنة ١٧٩٥ مما اضطر الهولنديون والمستوطنون الأوائل والذين عرفوا بالبوير (أي الفلاحون) إلى الاتجاه نحو الداخل، واحتلوا الأجزاء الشرقية من هضبة جنوب إفريقيا منذ الثلاثينيات من القرن الماضي والسنوات التي تلتها وأسسوا مقاطعتي أورانج الحرة والترانسفال.

وقد وفدت أولى مجموعة من المستوطنين البريطانيين (نحو ٤٠٠٠ـ

مستوطـن) عن طريق ما يعرف الآن ببورت اليزابيث في سنة ١٨٢٠، وذلك بتشجيع من حكومتهم للإستيطان في المناطق الزراعية على امتـداد الحدود الشرقية لمستعمرة الكاب ولذلك استوطنوا إقليم الباني Albany بصفة أساسية متخذين مدينة جراهامزتون عاصمة لهم، كما استوطنت مجموعة بريطانية أخرى في ناتال، وقد أدّى اكتشاف الذهب في الترانسفال سنة ١٨٦٧ والماس في كمبرلي سنة ١٨٧٠ إلى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين الإنجليز واستمر توغل النفوذ الإنجليزي نحو الداخل حتى تزايد العداء بشدّة بين البوير والإنجليز ونشبت بينهم حرب طاحنة عرفت بحرب البوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) وتمخضت عن هزيمة البوير، ثمّ أعلن قيام اتحاد جنوب إفريقيا سنة ١٩١٠ تحت التاج البريطاني، وبعد نحو نصف قرن انسحب الاتحاد من الكمنولث البريطاني في سنة ١٩٦١ وأعلن قيام الجمهورية به في مايو من نفس السنة.

وأصبح جنوب القارة يشهد نوعين من المستوطنين البيض أحدهما البوير ولغتهم الأفريكانز والأخرى البريطانيين ولغتهم الإنجليزية، وما زالت هاتان المجموعتان تختلفان حتى اليوم في الأفكار الثقافية والدينية والسياسية، ولغة الأفريكانز Afrikaans والتي يتحدّث بها نحو ٦٪ من الأوروبيين لغة مشتقة من الهولندية القديمة وتعلم في المدارس جنباً إلى جنب مع اللغة الإنجليزية وكلاهما معترف به كلغة رسمية في البلاد.

أمّا السكان الأصليون ـ أو زنوج البانتو فيكونون أغلبية السكان وينتمون إلى مجموعة البانتو الجنوبيين، وأهم قبائلهم الزولـو (٤,٠ مليون نسمـة) والإكسوزا (٣,٩ مليون) والسوتو (٢,٣) والتسوانا (١,٧).

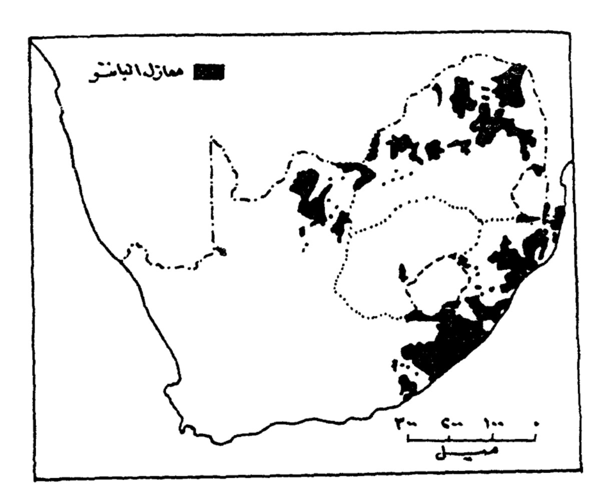
ولم يكن لهؤلاء الزنوج صلة بالمستوطنين الأوروبيين إلاّ قليلاً خلال القرن الأول للإستيطان ولكن بدأ النزاع بينهم في منطقة نهر جريت فش Greet Fish في أواخر القرن الثامن عشر، وكانت قبائل الهوتنتوت أولى الجماعات الأصلية التي حدث اتصال بينها وبين هولنديي الكاب، فقد كان المستوطنون يحصلو منهم على الماشية، ولكنهم لم يندمجوا مع الطائفة الهولندية على الإطلاق

يعتمد عليهم المستوطنون كعمال في مزارعهم ومن ثمَّ جلبوا الرقيق من غرب إفريقيا ومن الملايو، وكوّن هؤلاء مع الهوتنتوت والبيض الأساس الذي انبثق عنه سكان مقاطعة الكاب الملونين، وقد قضى الهولنديون على معظم أفراد الهوتنتوت وطورد الباقي إلى صحراء كلهاري وناميبيا ولا توجد منهم في الوقت الحاضر سوى أعداد قليلة ترعى الماشية في إقليم ناما جنوب مصب نهر الأورنج وعند التقاء الأورنج برافده الفال، أمَّا الماليزيون فهم المجموعة الوحيدة التي احتفظت بشخصيتها في كيب تاون، وربما كان مرجع ذلك التزامهم بديانتهم الإسلامية.

أما الآسيويون فترجع أصولهم إلى العمال الهنود الذي جلبوا للعمل في مزارع السكر في ناتال فيما بين سنتي ١٨٦٠ ـ ١٩١٣، عندما بدأ المستوطنون البيض زراعة القصب وعجزوا عن تشغيل البانتو، غير أن هناك عدداً من أصحاب الحرف والمهن العلمية والتجار وفدوا إلى ناتال عندما كانت مستعمرة بريطانية مفتوحة لأي مواطن من مواطني الكمنولث، وقد حافظ الهنود على شخصيتهم وتركز معظمهم في ناتال كما اتجه بعضهم إلى المدن الرئيسية خاصة بورت اليزابيث وجوهانسبرج.

وتتوزع المجموعات العرقية في جنوب أفريقيا توزيعاً واضحاً، فيعيش الأوروبيون في كل البلاد وإن كان معظمهم يتركز في المدن، وهناك ميل عام نحو تركز الناطقين بالأفريكانز في المناطق الريفية بينما يتركز الناطقون بالإنجليزية في المدن، وتتحدد مناطق السكان الأصليين من زنوج البانتو في النصف الشرقي من البلاد فيما يعرف بمعازل البانتو في منطقة كبيرة تبدو على شكل حدوة الحصان، وتمتد عبر ناتال والترنسفال إلى الكاب الشمالية (شكل رقم ٨٢)، وتبلغ مساحة هذه المعازل ١٤٥,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً فقط أي ١٣٪ من جملة مساحة جمهورية جنوب أفريقيا، وتزداد كثافة البانتو بدرجة كبيرة في هذه المعازل حتى إنها لا تستطيع إنتاج ما يكفي سكانها من الغذاء، والغرض من هذا العزل الاجتماعي هو حصر السكان الأفريقيين فيها خوفاً من طوفان

الأفريقي الأسود وتخضع هذه المعازل لإشراف ورقابة مشددة من جانب هيئة حكومية تعرف بإدارة البانتو، وفي نفس الوقت تخضع الحياة اليومية داخل المعازل لحكم رؤوساء القبائل التقليديين بها، وإن كان التطور الحديث والاحتكاك بالحياة الأوروبية قد أدى إلى نمو شكل من أشكال الحكم الداخلي لا يعتمد على رؤوساء القبائل.



شكل رقم (٨٢)
معازل البانتو في جنوب أفريقيا

وتهدف حكومة جنوب أفريقيا البيضاء إلى عزل الأفريقيين في هذه المعازل وفصلهم عن الأوروبيين تماماً في حياتهم الاقتصادية وذلك بهدف إقامة دولة أو دول أفريقية تسمى بانتوستان داخل جمهورية البيض، وذلك تمشياً مع السياسة

الحالية التي تسير عليها الحكومة البيضاء في جنوب أفريقيا والتي تعرف بسياسة الفصل العنصري أو التفرقة العنصرية Apartheid، بل إن حكومة جنوب أفريقيا أعلنت بالفعل في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٦ قيام دولة الترانسكاي وهي وطن قبائل الإكسوزا وتبلغ مساحتها ٤٣١٨٨ كيلومتراً مربعاً، ولكنها لم تحظ بأي اعتراف دولي، وهذه الدولة الجديدة هي أول بانتوستان مَنْ بين دول البانتو العشر التي تزمع جمهورية جنوب أفريقيا إعطاءها نوعاً من الاستقلال[١].

ولكن ينبغي القول بأن الأفريقيين الذين يعيشون داخل مغازل البانتو لا يزيد عددهم على ٧ مليون نسمة، (جدول رقم ٢٥) ويتبقى بعد ذلك نحو ثمانية ملايين لا يخضعون لنظام المعازل ولكن يعيشون مع الأوروبيين في المزارع ومناطق التعدين حيث تشتد الحاجة لهم كأيدي عاملة رخيصة، وقد تزايد تدفقهم نحو المدن الكبرى خاصة جوهانسبرج ودربان وكيب تاون، ويعمل الكثير منهم في الصناعة والخدمات بأجور منخفضة ويعيشون في مستوى سيء صحياً واقتصادياً والناتج عن ارتفاع نسبة الأمية والأمراض بينهم.

ويعيش معظم السكان الملونين في النصف الغربي من البلاد رغم أنه قليل السكان، حيث يمارسون العمل في المزارع والتعدين تماماً كما يفعل البانتو في الأقاليم الشرقية، أما الآسيويون فيتركزون في ناتال حيث ما زال يعمل قطاع كبير من الهنود في مزارع القصب العلمية وفي بعض الحرف الأخرى، وقد أصبح معظم الهنود من التجار ويعيشون في رخاء وبعضهم من أثرياء البلاد، ويمارسون نشاطهم في كثير من المدن خاصة الساحلية، ويبلغ عدد الهنود في الوقت الحاضر قرابة نصف مليون نسمة ثلاثة أرباعهم في ناتال والباقي في الترنسفال والكاب وغير مسموح لهم بالعيش في ولاية الأورانج الحرة.

(١) استنكرت منظمة الوحدة الأفريقية في اجتماعها بموريشيوس سنة ١٩٧٦ قيام مثل هذه الدويلات، كما استنكرت الأمم المتحدة ذلك بل وطالبت ببطلان إجراءات الحكومة العنصرية بمنح إقليم الترانسكاي الاستقلال ذلك لأنه إقليم مصطنع تريد به حكومة جنوب أفريقيا أن تستعيض به عن إعطاء الأغلبية الأفريقية حقوقها السياسية والاقتصادية في وطنها.

ورغم أن البيض في جنوب أفريقيا لا تتجاوز نسبتهم سدس جملة السكان فإنهم يمارسون سياسة التفرقة العنصرية بشكل حاد، فالسكان البيض يتمتعون بجميع الحقوق السياسية والمدنية ويمتلكون في الواقع ثروات البلاد، بينما حرموا السكان الأصليين من البانتو من كل الحقوق بل حرموهم من دخول الأماكن العامة المخصصة للبيض أو استعمال وسائل النقل الخاصة بهم، أما الملونون فلهم حق الانتخاب فقط وليس لهم حق الترشيح على حين حرم على الهنود ممارسة أية حقوق سياسية أو حتى تملك الأراضي الزراعية أو المناجم.

جدول رقم (٢٥)

التوزيع العددي والنسبي للمجموعات العرقية في المقاطعات الأربع وفي معازل البانتو في جمهورية جنوب أفريقيا

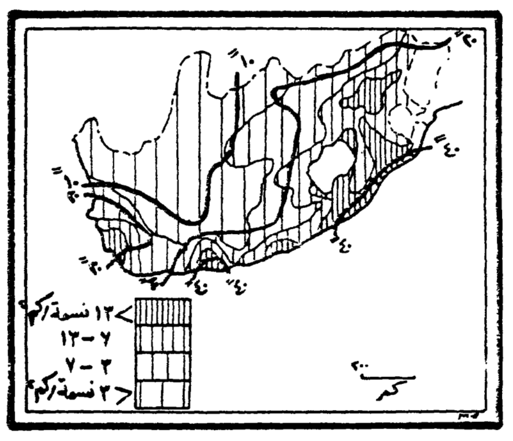
(عدد السكان بالألف) ١٩٧٠[١]

المقاطعة	المجموعات العرقية				
	الأوروبيون	الأفريقيون	الملونون	الآسيويون	الجملة
الكاب	١,١٠٢	١,٣٦٠	١,٧٥٢	٢٢	٤,٢٣٥
ناتال	٤٤٢	١,١١٥	٦٧	٥١٥	٢,١٣٩
أورانج الحرة	٢٩٦	١,٣٢٠	٣٦	–	١,٦٥٢
الترانسفال	١,٨٩٠	٤,٢٦٥	١٥١	٨١	٦,٣٨٦
المعازل	٢١	٦,٩٩٨	١٣	٣	٧,٠٣٥
الجملة	٣,٧٥١	١٥,٠٥٨	٢,٠١٩	٦٢٠	٢١,٤٤٧
٪	١٧,٥	٧٠,٢	٩,٤	٢,٩	١٠٠

ويعد المناخ واحداً من العوامل الطبيعية الرئيسية المؤثرة في توزيع السكان في جنوب أفريقيا، فتعيش الغالبية العظمى من السكان إلى الشرق من خط أمطار ٢٠ بوصة والذي يتجه من الشمال إلى الجنوب منصفاً البلاد تقريباً،

(١) Church, H. Africa and the Islands, Op. cit., p. 443.

وكذلك إلى الجنوب والجنوب الغربي من خط ٢٠ بوصة أيضاً والذي يوازي الساحل تقريباً من مدينة كيب تاون حتى بورت اليزابيت (شكل ٨٣)، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك علاقة طردية بين تزايد الأمطار وارتفاع كثافة السكان كما هي الحال في سواحل ناتال وشرق مقاطعة الكاب بما فيها معازل البانتو، وتقل كثافة السكان بشكل حاد في المناطق الجافة وشبه الجافة في النصف الغربي من البلاد، ولا يتركز السكان بها إلاّ حيثما توجد مشروعات هامة للري مثل مشروع الفال ومشروع نهر الأورنج.



شكل رقم (٨٣)
توزيع السكان وعلاقته بالأمطار في جنوب أفريقيا

أما موارد الثروة المعدنية فهي بلا جدال العامل الرئيسي الذي حد من توزيع السكان في جمهورية جنوب أفريقيا في خلال المائة سنة الأخيرة، فقد أدى اكتشاف الماس في كمبرلي والذهب في وتواترز راند إلى تدفق أعداد كبيرة من

السكان وأسهم في قيام التعدين عوامل أخرى منها توفر المياه اللازمة من نهر الفال والفحم في وتبانك Witbank وفيرينجنج Vereeniging كما أسهمت الأراضي الزراعية في هضبة الفلد الأعلى في توفير الكثير من الاحتياجات الغذائية للمراكز العمرانية المستحدثة، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر نمت هذه المراكز نمواً مذهلاً ولعل في جوهانسبرج دليل على ذلك، فهي لم تكن سوى محلة عمرانية لا يسكنها سوى ٥٠ نسمة فقط سنة ١٨٨٦ وبعد ثلاث سنوات فقط أي في سنة ١٨٨٩ بلغ سكانها ٤٠,٠٠٠ نسمة ثم بلغوا ١٠٠,٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٠٤ وفي سنة ١٩٤٦ وصل عددهم إلى ٦٦٧,٠٠٠ نسمة، ثم أصبحت مدينة مليونية منذ سنة ١٩٦٠ حيث وصل عدد سكانها في تلك السنة ١,١٥٠,٠٠٠ نسمة وهي تكون الآن جزءاً من مجمعة وتواترز راند الكبرى التي تمتد من بريتوريا في الشمال حتى فيرينجنج في الجنوب ويسكنها نحو ثلاثة ملايين نسمة ويتركزها بها ١/٣ المنشآت الصناعية في جمهورية جنوب أفريقيا كما تستحوذ على ٤٠٪ من جملة العمال الصناعيين بالبلاد.

النشاط الاقتصادي:

تعد جمهورية جنوب أفريقيا من الدول التي تتعدد فيها مظاهر النشاط الاقتصادي، فتعمل الغالبية العظمى من السكان الأفارقة بالزراعة والرعي وقد شهدت هاتان الحرفتان تطوراً في الأساليب على يد الأوروبيين، ويعمل الأوروبيون في كل الحرف ولكن يتزايد دورهم بشكل واضح في التعدين والصناعة ويعمل بهما ربع القوة العاملة البيضاء ثم التجارة والخدمات المختلفة، وقد أسهم البيض في تطوير الأنشطة الاقتصادية وتأثر الأفريقيون بهذا التطور سواء في الحرف التقليدية أو الحرف الحديثة مثل التعدين وصيد الأسماك واستغلال الغابات والنقل.

وتبين الأرقام التالية الأهمية النسبية لاستغلال الأرض في جمهورية جنوب أفريقيا[1]:

(١) F,A,O, Production Year book. 1977. P.47.

النمط	المساحة (ألف هكتار)	٪
أراضي المراعي	٨١,٦٠٠	٦٦,٨
أراضي مزروعة	١٤,٥٢٠	١١,٩
غابات	٤,٦٠٠	٣,٨
أراضي أخرى	٢١,٣٨٠	١٧,٥

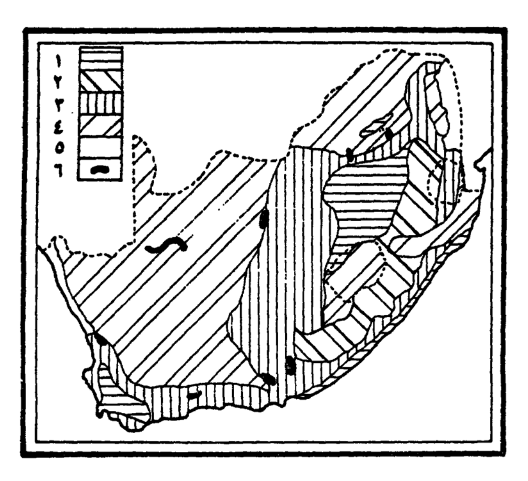
ومن الواضح أن الرعي يسود في مساحة كبيرة تصل إلى ثلثي مساحة البلاد ويتركز في الأقاليم الجافة، بينما تسود الزراعة في نحو ثمن (١/٨) مساحة الدولة، سواء في مناطق المعازل الوطنية أو في مزارع البيض التي تتخصص في إنتاج المحاصيل التجارية (شكل ٨٤).

الرعي وتربية الحيوان:

تلعب الأغنام والماشية دوراً رئيسياً في النشاط الاقتصادي بجمهورية جنوب أفريقيا، ففي سنة ١٩٨٢ قدر عدد الأغنام بنحو ٣٢ مليون رأس والماشية بنحو ١٢ مليون رأس، بالإضافة إلى ما يزيد على خمسة ملايين رأس من الماعز منها نحو مليون رأس من ماعز الأنجورا الذي ينتج صوف الموهير.

ويتركز رعي الماشية أساساً في النصف الشرقي من البلاد، وتربى لإنتاج اللحوم والألبان معاً، وقد تطلب الرعي التجاري هنا تربية أنواع محسنة من الحيوانات فأدخلت أنواع أوروبية وهجنت مع بعض الأنواع الأفريقية من ماشية البوير، ومن الأنواع الرئيسية أبقار الفريزيان والجرسي لإنتاج الألبان والشورت هورن والهيرفورد لإنتاج اللحوم، وقد أدى تهجين النوعين الأخيرين مع أبقار البوير إلى إنتاج سلالة جديدة تعرف باسم بونسمارا Bonsmara والتي تلائم تماماً الحرارة المرتفعة لإقليم الفلد الأدنى في الترنسفال.

وقد تزايدت أهمية ماشية اللحوم منذ سنة ١٩٤٠ بعد ميكنة الزراعة واستخدام الجرارات بدلاً من الحيوانات، وبدأ إنتاج اللحوم في التزايد في كل المقاطعات ولكن منطقة الإنتاج الرئيسية توجد في أقاليم الفلد العالية في مقاطعة أروانج الحرة.



١ ـ مناطق الزراعة الكثيفة.
٢ ـ مناطق الرعي الكثيف.
٣ ـ مناطق زراعية ورعوية شبه كثيفة.
٤ ـ مناطق زراعية ورعوية واسعة.
٥ ـ صحـــراء.
٦ ـ مناطق مشروعات الري الرئيسية.

شكل رقم (٨٤)
أنماط الاستغلال الزراعي والرعوي في جمهورية جنوب أفريقيا

وقد ساعدت العوامل الاقتصادية على توطن مزارع منتجات الألبان بالقرب من المدن دائماً ويبدو ذلك في تركزها في إقليم جنوب شرق الترانسفال (إقليم الراند) وفي ناتال قرب دربان وحول كيب تاون وذلك لأنها تمثل سوق الاستهلاك المباشر وترتبط بهذه المزارع بوسائل نقل سهلة.

وتنتشر تربية الأغنام في معظم أقاليم جنوب أفريقيا خاصة في إقليم الكارو وشرق الكاب، والأغنام هنا من نوع المارينو التي جلبت إلى هذه المناطق منذ بداية القرن التاسع عشر، وتزايدت أهميتها حتى أصبحت جمهورية جنوب أفريقيا من الدول الرئيسية المنتجة للصوف في العالم، ويصدر معظمه عن طريق موانىء بورت اليزابيت وإيست لندن وكيب تاون إلى الأسواق الأوروبية واليابان.

الزراعـة:

يعد القمح والذرة أهم محاصيل الحبوب في جنوب أفريقيا، ويزرع القمح في المناطق ذات الأمطار الشتوية أي في المنطقة الساحلية الجنوبية الغربية شمال كيب تاون حتى رأس أجلهاس، وقد بذلت جهود في السنوات الأخيرة لإدخال زراعة القمح في الأبرد نوعاً في الهضاب العليا في الشرق، وبالفعل نجحت زراعة بعض أنواعه، وبجانب إنتاج القمح تزرع بعض الحبوب الشتوية الأخرى مثل الشعير والشوفان وذلك لاستخدامها في تغذية الحيوانات.

أما الذرة فيزرع في النصف الشرقي من البلاد حيث تسود الأمطار الصيفية، ولكن منطقة الإنتاج الرئيسية تعرف بمثلث الذرة في هضبة شمال الأورنج الحرة وجنوب الترنسفال بين مدن مفكنج وميدلبرج ويلومفنتين، ويكون الذرة الغذاء الرئيسي للأفريقيين ولذا تسود زراعته بكثرة في مزارع البيض وفي معازل البانتو ويستخدم جزء من المحصول في تغذية الماشية كما يصدر بعضه إلى الخارج.

وتعد جنوب أفريقيا من الدول الرئيسية في صادرات الذرة حيث تحتل المركز الثالث بين دول العالم المصدرة له بعد الولايات المتحدة والأرجنتين وقدر ما صدرته سنة ١٩٧٠ بنحو ٦٪ من جملة الكمية الداخلة منه في التجارة الدولية.

ورغم أن الذرة هو المحصول الرئيسي بين المحاصيل الزراعية الأخرى إلّا أن إنتاجية الأرض ضعيفة إذا ما قورنت ببعض الدول الأخرى فبتراوح متوسط إنتاج الهكتار في مزارح البيض من ٩٠٠ـ١٦٠٠ كيلوجرام ـ وفي المغازل ٣٠٠ كيلوجراماً فقط (في الولايات المتحدة ٤٠٠٠ كيلوجراماً، وفي مصر ٢٦٠٠ كيلوجراماً).

ومن المشكلات الهامة في زراعة الذرة تذبذب الإنتاج من عام لآخر، كما تبين الأرقام التالية:

السنة	كمية الإنتاج (مليون طن متري)
١٩٦٢	٦,٠
١٩٦٥	٤,٥
١٩٦٧	٩,٨
١٩٦٩	٥,٣
١٩٧٢	٩,٥
١٩٨١	١٤,٦
١٩٨٢	٨,٣

ويرجع تذبذب الإنتاج بهذه الصورة إلى عدة عوامل أبرزها تذبذب كمية الأمطار الصيفية أو تأخر سقوطها أو انخفاض درجات الحرارة أو تعرض المزارع لهجوم أسراب الجراد.

وتلائم الظروف المناخية زراعة العديد من أنواع الفاكهة في جنوب أفريقيا، خاصة منطقة «البحر المتوسط» في جنوب غرب مقاطعة الكاب والتي

تناسب تماماً زراعة الكروم، وتعتمد معظم مزارعه على الري كما في منطقة الكارو الصغير وعلى امتداد نهر الأورنج، وتتخصص المناطق الجنوبية الغربي في إنتاج النبيذ بينما تتخصص أودية الأورنج وبريد Breede في تجفيف الكروم لإنتاج الزبيب وساعد على ذلك ارتفاع درجة حرارتها نسبياً وجفافها.

ويزرع التفاح والكثمرى في عدة أودية وأحواض في سلاسل الكاب حيث يتكون الصقيع عادة في الشتاء كذلك يزرع المشمش والخوخ في كثير من أودية الكارو الصغير، أما زراعة الموالح فتبدو هامة في المناطق الخالية من الصقيع وتعتمد كثيراً على الري، وتتركز أساساً في أودية الترانسفال التي تنصرف نحو اللمبوبو، وفي جنوب شرق الكاب وجنوبها الغربي، ويكون البرتقال نحو ٨٥٪ من إنتاج الموالح ويزرع كذلك الليمون والجريب فروت وبلغت جملة الإنتاج في سنة ١٩٨٢ نحو ٨٠٠,٠٠٠ طن يصدر أكثر من نصفها إلى الخارج، وقد قامت عدة صناعات لتعليب الفاكهة في بعض المدن مثل كيب تاون وبورت اليزابيت.

ومن المحاصيل الهامة قصب السكر حيث تبلغ مساحته في ناتال ٨٦٠,٠٠٠ فداناً، وقد زرع هنا منذ ما يقرب من قرن أو يزيد واستخدمت الوسائل العلمية الحديثة في زراعته، وأقيمت سلسلة من العصارات على امتداد النطاق الساحلي من بورت شبستون حتى حدود سوازيلاند، وتلائم الظروف الطبيعية زراعة القصب تماماً، وما زال يعتمد في زراعته على الأيدي العاملة الهندية والتي تمثل أحفاد الهنود الذين جلبوا لهذا الغرض في نهاية القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

الزراعة في المعازل الأفريقية:

تتمثل مظاهر الإنتاج الزراعي السابقة في المزارع الأوروبية، أما الزراعة في معازل البانتو فتختلف في كثير من الوجوه، فما زالت الوسائل التقليدية في الزراعة هي السائدة والأرض ملك للقبيلة ويخصص لكل أسرة مزرعة صغيرة محدودة للمساكن ولإعاشة الأسرة، والباقي أرض مراعي على المشاع، ولما كانت

الثروة تقدر بعدد رؤوس الماشية فلا حدود لملكية الفرد منها، وبالتالي ظهرت مشكلة الرعي الزائد والتي تعد من المشكلات الحادة في هذه المعازل، ولا تسهم هذه الماشية في تسميد الأرض عضوياً لأن السكان يجمعون روثها ويجففونه ويستخدمونه كوقود.

وتقوم النساء في الغالب بالعمل الزراعي باستخدام وسائل بدائية، أما الذكور في الأعمار المتوسطة فيعملون خارج المعازل في المناجم والمصانع في المدن الرئيسية، ويتغيبون لذلك مدة طويلة خارج المعازل ولكنهم يعودون من وقت لآخر بما ادخروه لتيسير حال ذويهم أو للزواج أو للاحتفاظ بحقهم في الأرض وقد أدت هذه الهجرة إلى نقص العناصر الشابة في معازل البانتو وخلق ذلك مشكلة كبيرة أمام أية محاولات لتنمية هذه المعازل.

الأقاليم الزراعية:

يمكن تقسيم جمهورية جنوب أفريقيا إلى تسعة أقاليم زراعية يتصف كل منها بسمات مميزة في الإنتاج الزراعي ومقوماته الجغرافية (شكل ٨٥).

١ - إقليم الفلد الأعلى:

وهو أكثر أقاليم الزراعة الأوروبية أهمية في كل جنوب أفريقيا، ويتميز السطح فيه بالتموج البطيء ويتراوح ارتفاعه بين ١٣٠٠ - ٢٠٠٠ متراً، كما تتراوح الأمطار بين ٢٠ - ٣٠ بوصة سنوياً، وأبرز سمات موسم الأمطار به عدم وجود فترات جفاف طويلة، وإن كان الضائع بالبخر كبيراً بسبب سقوط الأمطار في فصل الصيف، وتتراوح درجة الحرارة بين ٧ درجات مئوية في شهر يوليه و ٢٢ درجة في يناير. وتنمو بهذا الإقليم حشائش طبيعية تعد أساساً لتربية الحيوان ورغم أن معظمه مراعي إلاّ أن به نحو ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية في الجمهورية. وقد جلب البوير منذ وصولهم للإقليم في أوائل القرن التاسع عشر - أغنام المارينو لرعيها والحصول على أصوافها، كما تربى الأبقار للحومها وألبانها خاصة بالقرب من المدن الرئيسية في منطقة الراند.



١ - إقليم الفلد الأعلى.
٢ - إقليم البوشفلد.
٣ - إقليم المرتفعات الشرقية.
٤ - إقليم السهول الساحلية الشرقية.
٥ - إقليم الكـاب.
٦ - الإقليم الجنوبي الغربي الجاف.
٧ - الإقليم السـاحلي الجنوبي.
٨ - إقليم الكـارو.
٩ - إقليم الهضاب الجافـة.

شكل رقم (٨٥)
الأقاليم الزراعية في جمهورية جنوب أفريقيا

ويُعد الذرة محصول الفلد الأعلى الرئيسي ويزرع أساساً فيما يعرف بمثلث الذرة الذي تتوفر له كل مقومات الإنتاج خاصة الأمطار والتربة الملائمة، وينتج هذا الإقليم نحو ثلثي الذرة في جنوب أفريقيا، وينبغي الإشارة إلى أن تعبير مثلث الذرة لا يعني أن هذه المنطقة لا تزرع إلّا به فالذرة في الواقع لا يشغل سوى ١٥٪ من مساحتها والباقي معظمه مراعي، وقد دخلت به زراعة مختلطة تعتمد على دورات زراعية، ويزرع القمح كمحصول شتوي كما تزرع البطاطس وبعض المحاصيل الأخرى في نمط زراعي كثيف حول المراكز العمرانية في وتواترز راند.

٢ ـ إقليم البوشفلد:

ويشغل معظمه مقاطعة الترانسفال، يتميز سطحه بالتضرس الواضح وإن كانت به مساحات كبيرة ذات سطح مستو، وكان لانخفاض السطح (متوسطه ١٠٠٠ متر) وموقعه الشمالي المتطرف أثر في دفئه وخلوه من الصقيع. وإن كانت أمطاره أقل تصل في المتوسط إلى ٢٠ بوصة سنوياً يتبخر معظمها بسبب حرارة الصيف. ويسود رعي الماشية في المناطق الأقل مطراً بالإقليم، وتعد تربية الحيوان من الأنشطة الاقتصادية الرئسية به، أما الزراعة فتعتمد على الري وأهم محاصيلها القطن والذرة والتبغ، كما تزرع به الحمضيات بكثرة في مناطق مشروعات الري الرئيسية. ومن الجدير بالذكر أن هناك مساحات كبيرة من هذا الإقليم قد خصصت كمعازل للوطنيين.

٣ ـ إقليم المرتفعات الشرقية:

ويشمل سفوح المرتفعات الواقعة شرق الحافة العظمى بين سوازيلاند في الشمال ونهر جريت فش في الجنوب، ويمكن تقسيم هذا الإقليم في الواقع إلى قسمين أحدهما المرتفعات الشرقية والتي تعلو على ٧٠٠ متر والآخر الإقليم الساحلي الذي يقل منسوبه عن ذلك، وتظهر معوقات كثيرة للزراعة على المرتفعات الشرقية فقد تقطع السطح بعدد كبير من الأودية النهرية العميقة، وإن كانت هناك مناطق مسطحة مثل منطقة مدلاندز في ناتال بين ٧٠٠ ـ ١٠٠٠ متر

شمال وجنوب بيترمرتزبرج Pietermaritzburg، وفي بعض الأحواض النهرية. وتصل كمية الأمطار إلى ٣٠ بوصة وتتميز بثباتها وقد أدت الأمطار مع شدة انحدار السطح إلى تـعرية حادة للتربة، ولذلك عاقت كل هذه العوامل قيام الزراعة بالإقليم حتى أنه لا يوجد به إلاّ نحو ١٠٪ فقط من الأراضي الزراعية في جنوب أفريقيا رغم وفرة أمطاره، وقد خصصت مساحات هنـا لمعازل الأفريقيين الذين يرعـون أنواعاً رديئة من الماشية ويقومون بزراعة معاشية محدودة. وفي مزارع الأوروبيين بهذا الإقليم تربى ماشية اللحوم والألبان معتمدة على الحشائش الطبيعية، كما يزرع الذرة العريضة والذرة الرفعية، إلاّ أن أهم مميزات هذا الإقليم هو إنتاج لحاء السنط الذي يستخدم في الدباغة وتزرع أشجاره إما في مزارع علمية أو في مزارع خاصة واسعة على ارتفاعات تتراوح بين ٧٠٠ ـ ١٣٠٠ متراً.

٤ ـ إقليم السهول الساحلية الشرقية:

ويسود به المناخ شبه المداري المطير وتتعدى كمية أمطاره ٤٠ بوصة سنوياً، وتشغل المعازل الوطنية مساحة كبيرة منه وتتخصص المزارع الأوروبية في إنتاج المحاصيل التجارية وفي مقدمتها قصب السكر الذي بدأت زراعته سنة ١٨٤٧، ويشغل أكبر مساحة بين المحاصيل كلها في نطاق يمتد نحو ١٦٠ كيلو متراً من دربان حتى إشو Eshowe عاصمة الزولولاند، وتغطي مزارعه كل التلال والأراضي المنخفضة من الساحل وحتى ثلاثين كيلومتراً بالداخل. ورغم زيادة الاستهلاك المحلي من السكر فهناك فائض متزايد للتصدير، وقد بلغ إنتاج السكر من جنوب أفريقيا ١,٦ مليون طن سنة ١٩٧٠ (٢,٣٪ من الإنتاج العالمي) صدر منه نحو نصفه للخارج ولذا تسهم جنوب أفريقيا بنحو ٣٪ من صادرات السكر العالمية، وفي هذا الإقليم بدأت تتزايد زراعة القطن خاصة في الأجزاء الشمالية بينما تركزت زراعة الموالح في منطقة دربان ووادي موي Mooi.

٥ ـ إقليم الكـاب:

وهو إقليم البحر المتوسط الفريد في كل جنوب أفريقيا، وأمطاره كافية

للزراعة (من ١٠ ـ ٣٠ بوصة) ويمتد هذا الإقليم جنوب سلاسل الكاب ممتداً من مصب نهر جريت برج Gt. Berg في الشمال حتى كيب أجلهاس في الجنوب ونحو الداخل حتى مقدمات جبال دراكنشتين على بعد نحو ٥٠ كيلومتراً شرق مدينة كيب تاون، وهو أول إقليم شهد استيطاناً أوروبياً متمثلاً في المستوطنين الهولنديين في القرن السابع عشر والذين أنشأوا مزارع القمح والكروم وأصبحت حتى الآن أهم مظاهر الإنتاج الزراعي بالإقليم، كما يزرع القمح هنا بدرجة تفوق أي إقليم آخر في البلاد خاصة في الأراضي المتموجة شمال مدينة الكاب، كما تربّى الأغنام والماشية على الأعلاف.

وتوجد أهم مناطق إنتاج الكروم في هذا الإقليم وقد قامت عليه صناعة النبيذ مبكراً وانتشرت من كيب تاون إلى المدن المجاورة وتعتمد مزارعه على الري في المناطق التي تقل أمطارها هنا عن ٢٠ بوصة سنوياً، كذلك فقد استحدثت زراعة الزيتون في إقليم الكاب خاصة حول مدينة ولنجتون والتي تصل أمطارها إلى نحو ١٠ بوصات سنوياً.

٦ ـ الإقليم الجنوبي الغربي الجاف:

وهو يقع في ظل المطر بالنسبة للمرتفعات التي تفصله عن إقليم الكاب السابق ومعنى ذلك أن الزراعة به تعتمد على الري، وقد ساعد على ذلك أن الإقليم تجري به عدة أنهار كبيرة وتقوم الزراعة في أوديتها المستوية السطح، ويتميز هذا الإقليم بوفرة بساتين الموالح والكروم وكثير من الفاكهة الأخرى، وجدير بالذكر أن وادي نهر هكس Hex بهذا الإقليم ينتج بمفرده نحو نصف صادرات جنوب أفريقيا من كروم المائدة. كذلك يزرع بهذا الإقليم التبغ وبعض الحاصلات الشتوية مثل الشعير والشيلم وتتخصص المدن الرئيسية بالإقليم في تعبئة وتجفيف الفاكهة وصناعة النبيذ وأهم هذه المدن: وورستر وكلا نوليام وروبرتسون.

٧ ـ الإقليم الساحلي الجنوبي:

ويمتد من نهر بريد Breede في الغرب حتى بورت اليزابيث في الشرق

وأمطاره طول العام تتراوح بين ٢٠ - ٢٥ بوصة في معظم مناطقه ولكنها تصل إلى نحو ٥٠ بوصة على المنحدرات الجنوبية للجبال، وتتعدد مظاهر استخدام الأرض في هذا الإقليم، من رعي للماشية والأغنام على الحشائش الطبيعية إلى زراعة المحاصيل مثل الشوفان والبطاطس والقمح، كما تزرع الفاكهة خاصة التفاح والكمثري.

٨ - إقليم الكـارو:

ويشتمل على ما يعرف بالكارو العظمى والكارو الصغرى بالإضافة إلى بعض مرتفعات الكاب (مثل زفارتبرج ووتبيرج) ويتميز هذا الإقليم بالمناخ شبه الجاف حيث تتراوح أمطاره بين ١٠ - ١٥ بوصة سنوياً، ومن ثم كان الري ضرورياً لقيام الزراعة، وتتركز في بعض الأودية النهرية حيث تنتشر بساتين الموالح والكروم وذلك بالإضافة إلى تربية الأغنام والماعز.

٩ - إقليم الهضـاب الجافة:

وهي الهضاب الداخلية الجافة التي تقل أمطارها بالاتجاه نحو الغرب والشمال الغربي (كمبرلي ١٦ بوصة وكارنرفون ٨ بوصات وبيلا ٣ بوصات) وتتذبذب الأمطار هنا بمعدل كبير وتطول فترات الجفاف حتى إن بعض السنوات لا تشهد أمطاراً بالمرة. والرعي هو سمة الاقتصاد الزراعي هنا وإن كان نقص الحشائش يقلل كثيراً من أعداد الحيوانات خاصة الأغنام (تحتاج الشاة الواحدة إلى نحو ٢٠ فداناً كمرعى).

وفي الحافات الشرقية للإقليم تقوم الزراعة على مياه الري من نهري الأورنج والفال حيث أقيمت مشروعات عديدة للري منذ سنة ١٩٣٤، وأهم المحاصيل الزراعية القمح والذرة والخضر والفاكهة.

صيد الأسمـاك:

تطورت حرفة صيد الأسماك في جمهورية جنوب أفريقيا تطوراً كبيراً منذ الحرب العالمية الثانية، فقد بدأ الاهتمام بتحسين موانىء الصيد واستخدام

السفن الحديثة وذلك رغم أن الرفرف القاري ضيق ولا يتسع إلاّ في منطقة كيب أجلهاس.

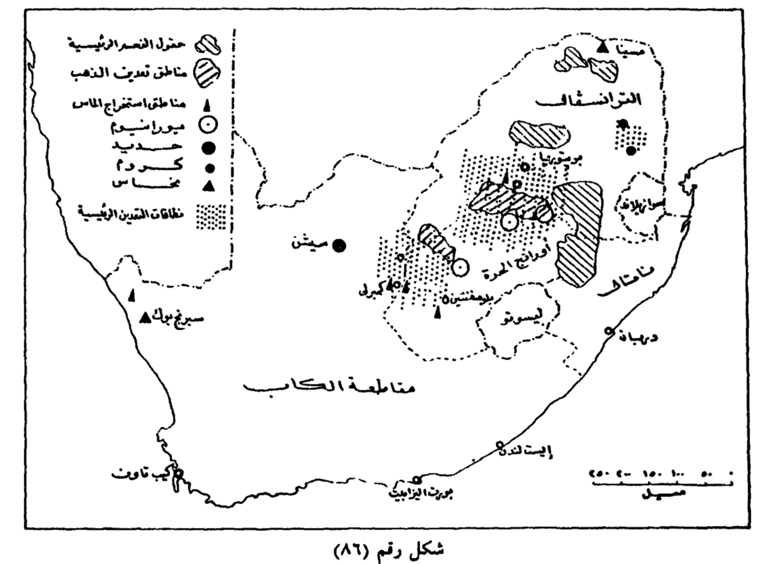
وتعد جمهورية جنوب أفريقيا أولى الدول الأفريقية في إنتاج الأسماك فقد بلغ إنتاجها ٦٢٥,٠٠٠ طن متري أي نحو خمس إنتاج القارة في سنة ١٩٨٢، كما أنها من دول العالم الهامة في هذا الإنتاج حيث تسهم فيه بنسبة ١,٢٪، ورغم قلة هذه النسبة إلاّ أنها تعد من دول العالم الرئيسية في تجارة الأسماك حيث أسهمت بنحو ٦٪ من جملة صادرات الأسماك العالمية.

وكانت جنوب أفريقيا من الدول التي تصيد الحيتان في المنطقة شبه القطبية الجنوبية، ولكن اقتصر الصيد في الوقت الحاضر على المنطقة الملاصقة لدربان حيث تعلب لحوم الحيتان وتباع أساساً للعمال الأفريقيين في مناطق التعدين.

التعدين:

يعد تعدين الذهب والماس والفحم أبرز مظاهر التعدين في جمهورية جنوب أفريقيا، وذلك بالإضافة إلى بعض المعادن الأخرى مثل الحديد والنحاس والبلاتينيوم والأسبستوس (شكل رقم ٨٦).

وتنتج جمهورية جنوب أفريقيا بمفردها نحو ثلاثة أرباع الإنتاج العالمي من الذهب، فقد بلغ إنتاجها منه ٦٦٢٥٠٠ كيلوجراماً سنة ١٩٨٢، وتقع أقدم مناطق تعدين الذهب في وسط حقل الراند حول مدينة جوهانسبرج حيث بدأ التعدين بها سنة ١٨٨٦، ويوجد الذهب في عروق صغيرة بطبقات الكونجلومرات وقد استنزفت كثير من المناجم القريبة من جوهانسبرج وبدأ تعدين الذهب في مناطق أخرى منذ نهاية القرن التاسع عشر أهمها منطقة كليركسدورب Klerksdorp على بعد نحو ١٣٠ كيلومتراً جنوب غرب جوهانسبرج، كما افتتح حقل جديد في ولاية أورنج الحرة منذ الحرب العالمية الثانية، وقد بلغت كمية الإنتاج من هاتين المنطقتين ٣,٣ مليون أوقية و٦,٣



شكل رقم (٨٦)

التعدين في جمهورية جنوب أفريقيا

مليون أوقية على الترتيب وبذلك أسهما بنحو نصف إنتاج البلاد من الذهب سنة ١٩٦٠.

أما أحدث حقول الذهب التي استغلت في جنوب أفريقيا فهو حقل الفلد الأعلى شرق الترنسفال، وقد توسع تعدين الذهب في السنوات الأخيرة سواء بتعميق المناجم (وصل أحدها إلى عمق يزيد على ٣٣٥٠ متراً) أو باستغلال مناطق جديدة.

وقد أدى تعدين الذهب إلى تغيير جذري في المظهر العمراني في إقليم الراند حيث أنشئت عدة مدن جديدة في مناطق التعدين يتركز فيها العاملون في هذه الحرفة من أفريقيين وبيض.

وقد بدأ استخراج الماس من المناطق المجاورة لمدينة كمبرلي في السبعينيات من القرن الماضي، ويوجد الماس في المخروطات البركانية القديمة، ومن ثم فإن وجوده على السطح يعد أمراً نادراً، وإلى جانب هذا النوع من الماس، فقد اكتشف نوع آخر في التكوينات الفيضية في وادي نهر فال Vaal في العقد الأول من هذا القرن كما اكتشفت مناجم عظيمة أخرى غرب الترنسفال في سنة ١٩٢٦، وفي نفس الوقت اكتشفت مناجم مماثلة عندمصب نهر الأورنج، وتزايد الإنتاج بشكل ملحوظ، وقد افتتح مصنع في سبرنجز Springs سنة ١٩٦١ لإنتاج الماس الصناعي الذي يستخدم في عمليات القطع أو في الأغراض الصناعية الأخرى.

أما الفحم فقد أسهم إنتاجه بدور كبير للغاية في استغلال الثروة المعدنية في جنوب أفريقيا وذلك كمصدر للطاقة المحلية الرخيصة، ويقدر احتياطي الفحم حالياً في جمهورية جنوب أفريقيا بنحو ٧٥ مليار طن يتركز ٩٠٪ من هذه الكمية في مقاطعة الترنسفال، ويوجد الفحم في مجموعة صخور الكارو في طبقات أفقية، كما يتراوح سمك طبقة الفحم من مترين إلى خمسة أمتار وغالباً ما تكون قريبة من السطح، ومن ثم يسهل استخراجه بالوسائل الميكانيكية بأسعار رخيصة.

أما حقول الفحم في مقاطعة ناتال فهي المصدر الوحيد لفحم الكوك في جمهورية جنوب أفريقية، وإن كان إنتاجها قليل بالنسبة لحقول الترانسفال التي تنتج معظم الفحم للبلاد، ويتركز الإنتاج حول ويتبانك وسبرنجز وميدلبورج وتوجد كلها في شرق إقليم الراند الصناعي، وقد انشىء مصنع لاستخراج البترول من الفحم في مدينة ساسولبرج Sasolburg بأقصى شمال مقاطعة أورانج الحرة ويعد أكبر مصنع من نوعه في العالم، وينتج ما يزيد على ٥٠٠ مليون لتر من البترول سنوياً بالإضافة إلى كثير من المنتجات العرضية الأخرى خاصة الغاز الذي يستخدم في إقليم الراند.

وبالإضافة إلى موارد الثروة المعدنية السابقة فإن جنوب أفريقية تعد منتجاً رئيسياً لليورانيوم والبلاتين وخام الحديد والكروم والمنجنيز والأسبستوس، ويوجد اليورانيوم بكميات قليلة في الطبقات الحاملة للذهب وقد أدى استخراج اليورانيوم من مناجم الذهب إلى تزايد أهميتها عما هي عليه حيث زادت من أرباح الإنتاج، ويصدر معظم اليورانيوم إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، ويعدن البلاتين والكروم في الترانسفال، كما يوجد احتياطي ضخم للمنجنيز في شمال الكاب وهي تعد أكبر مصادر للمنجنيز في أفريقيا، وقد بلغ الإنتاج منها ٢ مليون طن سنوياً يصدر نحو ٦٠٪ منها إلى الخارج. أما خام الحديد فيوجد في مناطق عديدة ولكن منطقة التعدين الرئيسية تتركز قرب بريتوريا، وقد بُني بها ثلاثة مصانع للحديد والصلب حتى أصبحت أهم مركز لهذه الصناعة في أفريقيا.

الصناعة:

تعد جمهورية جنوب أفريقيا أكبر دولة صناعية في قارة أفريقيا وإن كان مستوى التصنيع بها يقل عن مثيله في الدول الصناعية الكبرى، وتلعب الصناعة دوراً رئيسياً في اقتصاديات البلاد، فيعمل بها نحو مليون وربع مليون

(١) Statesman's Yearbook, 1978.

نسمة أي ما يعادل ٢١٪ من جملة القوى العاملة سنة ١٩٧٣، وأسهمت بنسبة ٣٦٪ من جملة الناتج القومي في تلك السنة (الزراعة ١٠٪، والتعدين والأنشطة الأخرى ٥٤٪).

وقد كان الحافز الأول لقيام الصناعة توفر الثروة المعدنية اللازمة لإنتاج السلع المطلوبة محلياً.

وتعد صناعة الحديد والصلب أساساً هاماً لبقية الصناعات خاصة في إقليم الراند، وقد تركزت هذه الصناعة في بريتوريا بالقرب من مناجم الذهب وارتبطت بحقول الفحم بواسطة السكك الحديدية، وقد قامت صناعات جديدة منذ الحرب العالمية الثانية منها مشروع إنتاج البترول من الفحم في ساسولبرج واستغلال الفوسفات للأسمدة في شمال شرق الترانسفال وإنتاج لب الورق قرب دربان وصناعة المنسوجات في كنجز ويليامز تون Kings Williamston.

وقد قامت الصناعات الاستهلاكية خاصة الصناعات الغذائية في كل المدن الرئيسية لتلبية احتياجات سكانها، إلاّ أن أهم مراكز هذه الصناعات هي المدن الساحلية مثل كيب تاون ودربان وإيست لندن.

وعلى ذلك فإن التوطن الصناعي في جمهورية جنوب أفريقيا يتركز في أربعة أقاليم رئيسية هي: جنوب الترنسفال (بما فيها إقليم الراند) وكيب تاون ودربان وبورت اليزابيت وقد استفادت الأقاليم الساحلية بموقعها في استيراد المواد الخام اللازمة بسهولة كما أنها سوق كبيرة للاستهلاك.

النقل والعمران الحضري:

كانت العربات التي تجرها الثيران وسيلة النقل المستخدمة في أوائل الاستيطان الأوروبي في جنوب أفريقيا، وقد أدت هذه الطريقة إلى فتح المناطق الداخلية كما ساعدت على تموين المناجم باحتياجاتها الضرورية في بداية عهد التعدين، وعندما اكتشف الماس في سنة ١٨٦٩ لم يكن هناك سوى القليل من خطوط السكك الحديدية بين سنتي ١٨٥٩ و١٨٦٠ بين هاتين المدينتين وبين

مناطق التعدين في الداخل ومن هنا فإن المناجم كانت الحافز الرئيسي وراء مد السكك الحديدية، فلم يأت عام ١٨٩٢ حتى كانت جوهانسبرج مركز التعدين الرئيسي آنذاك ـ قد ارتبطت مع المدن الساحلية خاصة بورت اليزابيت وكيب تاون، ثم توسعت شبكة السكك الحديدية بعد حرب البوير والإنجليز خاصة في منطقة النشاط الاقتصادي الرئيسية لخدمة التعدين والصناعة في جنوب الترانسفال وشمال أورانج الحرة (شكل رقم ٨٧) أما المناطق الريفية فلم تشهد امتداد خطوط حديدية مماثلة بل اعتمدت على طرق السيارات بدرجة أكبر.

وقد بلغت أطوال السكك الحديدية في جمهورية جنوب أفريقيا ٢٢٤٣٠ كيلومتراً، وبذلك فهي أكبر دول أفريقيا في هذا المجال (زائير ٥٢٠٠كم ومصر ٥٦٧٠كم) ولذلك تزيد كثافة السكك الحديدية بها لتبلغ نحو ١٦ كيلومتر حديدي في كل ١٠٠٠ كيلومتر مربع (زائير ٢,٣ ومصر ٥,٦).

أما طرق السيارات فتمتد إلى مناطق بعيدة حتى هوامش كلهاري وهي طرق مرصوفة تجعل جنوب أفريقيا من الدول التي تتميز بشبكة جيدة منها تتكامل مع السكك الحديدية إلى حد كبير.

ويعتمد اتصال البلاد بالخارج على النقل البحري والجوي ولا يتمتع أي ميناء من الموانىء الأربع الكبرى بمرفأ طبيعي ملائم تماماً ومن هنا فهي موان صناعية، وأكبر الموانىء وأكثرها حركة ميناء كيب تاون ويليها دربان، أما بقية الموانىء فهي قليلة الأهمية في التجارة الخارجية للدولة.

ويتركز النشاط الاقتصادي غير الزراعي في «جزر» قليلة في جمهورية جنوب أفريقيا تمثل المدن بؤرتها، وفي سنة ١٩٧٠ بلغ عدد المدن الكبرى (التي يربو عدد سكان كل منها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة) ١٦ مدينة أهمها دربان (٧٣٠,٠٠٠ نسمة) وكيب تاون (٦٩١,٠٠٠) وجوهانسبرج (٦٥٥,٠٠٠) وبريتوريا (٥٤٤,٠٠٠).

شكل رقم (٨٧)
السكك الحديدية والمدن الكبرى في جمهورية جنوب أفريقيا

ومن العرض السابق يبدو أن جنوب أفريقيا يختلف عن باقي دول القارة في كثير من الوجوه، أهمها وجود نسبة عالية نسبياً من السكان الأوروبيين الذين استوطنوا هذه الجمهورية ويعيشون بها؛ ويرجع الفضل لهم ولأجدادهم في أن جنوب أفريقيا كانت أولى دول القارة التي تأخذ بأساليب الاقتصاد الغربي وما زالت تحظى بمستوى حضاري مرتفع بالمقارنة بجمهوريات أفريقيا الأخرى. ومع ذلك فهناك اختلافات محلية في التنمية سواء بين السكان الأصليين والأوربيين أو في مناطق الحضر التي تتمركز في الفلد الأعلى في إقليم الترنسفال والمقاطعة الحرة معتمدة على التعدين - ثم في مناطق الحافات الجنوبية والشرقية حيث الظروف المناخية ملائمة لإنشاء الموانىء وما ترتب على ذلك من تطور اقتصادي، وتميل الزراعة الكثيفة للتركز في نفس المناطق - أما بقية البلاد فهي أما مناطق زراعة واسعة أساسها الاقتصاد المعاشي التقليدي للبوير أو الزراعة الأفريقية التي تخلصت من النظام القبلي الذي كان سائداً قبل مجيء الأوروبيين.

وقد أدى التزايد الكبير للسكان الزنوج في معازل البانتو إلى استمرار هجرتهم للعمل في مناطق التعدين والصناعة - ويعد ذلك ملمحاً هاماً من ملامح الاقتصاد الأفريقي. وتملك جنوب أفريقيا إمكانيات تنمية كبيرة تستطيع بواسطتها أن تفيد باقي القارة الأفريقية لولا أن تحقيق ذلك يتطلب حل المشكلة العنصرية والسياسية ومساواة الأفريقيين في الحقوق، وبمعنى آخر تخلي الحكومة البيضاء عن سياسة اللعزل العنصري التي تمارسها ضد السكان الأصليين والتي تتحدى بها المجتمع الدولي كله.

٢ - ناميبيا

تعد ناميبيا (جنوب غرب أفريقيا) من الوحدات السياسية الهامة بمساحة تصل إلى ٨٢٤,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وبسكان وصل عددهم إلى المليون نسمة سنة ١٩٨٣[١]، وقد شهدت نفوذاً ألمانياً مبكراً منذ نهاية القرن التاسع عشر،

(١) عرفت جنوب غرب أفريقيا باسم ناميبيا تبعاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٢ يونية

فقدأقام الألمان مقاراً تجارية على سواحل أفريقيا كان من بينها ميناء لودرتز Luderitz شمال مصب نهر الأورنج وكان هذا الميناء النواة التي نمت حولها مستعمرة المانيا في جنوب غرب أفريقيا منذ سنة ١٨٨٣، ولكن احتل الإنجليز ميناء والفس باي سنة ١٨٨٦ وأعقب ذلك عقد معاهدة حددت النفوذ الألماني فيما بين مصب نهر كونين في الشمال والأورنج في الجنوب، وفي سنة ١٨٩٠ عقدت معاهدة أخرى حددت خط طول ٢٠° شرقاً ـ حداً للمستعمرة الألمانية في صحراء كلهاري وأضيف لها بعد ذلك شريط ضيق في الشمال يصل حتى نهر الزمبيزي ويعرف بقطاع كابريفي.

وعندما بدأ الألمان توسعهم نحو الداخل اصطدموا بالسكان الأصليين من جماعات البانتو وخاصة قبيلة الهريرو سنة ١٩٠٤ التي قامت بثورة عارمة ضد النفوذ الألماني ورد عليها الألمان بحرب إبادة شاملة ومصادرة لأراضي القبيلة وماشيتها، حتى انخفض عدد أفرادها من ٨٠,٠٠٠ نسمة إلى ١٥,٠٠٠ نسمة فقط.

وبعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى خضعت ناميبيا لسيطرة جنوب أفريقيا كدولة منتدبة، ثم تحول الانتداب إلى نظام الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن جمهورية جنوب أفريقيا ترفض الاعتراف بذلك وتحكم ناميبيا كإقليم من أقاليم الجمهورية، وإن كان يتبعها خليج وولفيس ونحو ١٠٣٤ كيلومتر مربع حوله كجيب سياسي في أراضي ناميبيا.

وتمتد ناميبيا بين دائرتي عرض ١٨° إلى ٢٨° جنوباً، ويصل متوسط ارتفاع سطحها إلى أكثر من ٢٠٠٠ متراً في نطاق الهضاب الوسطى، ومن هنا يكون التفاوت الكبير في المناخ، ففي الإقليم الساحلي يوجد نطاق من أكثر أقاليم أفريقيا جفافاً، وإن كان يختلف عن الصحراء الكبرى في أنه بارد نوعاً،

= ١٩٦٨، ولا تعترف جمهورية جنوب أفريقيا بتغيير الاسم كما لا تعترف بأية سلطة للأمم المتحدة على هذه الدولة بل وتحكمها كجزء من الجمهورية.

لتأثير تيار بنجويلا البارد، ومن الواضح أن تأثيره يقل بالاتجاه شمالاً.

وتعد الأمطار عنصراً هاماً مؤثراً في استغلال الأرض، فالإقليم الساحلي صحراوي جاف نادر المطر ولكن الأمطار تتزايد بالاتجاه نحو الداخل في المرتفعات الجبلية بفعل عامل الارتفاع، فيصل المطر إلى ١٤ بوصة في وندهوك يسقط ٨٠٪ منها في شهور الصيف، وتزيد الأمطار بالاتجاه نحو الشمال الشرقي تزايداً كبيراً حتى إلى ٢٠ بوصة في الركن الشمالي الشرقي من البلاد.

ورغم أن الأوروبيين لا يزيد عددهم على ٧٠,٠٠٠ نسمة أي ٧٪ فقط من عدد السكان فإنهم يحكمون ناميبيا ويسيطرون على اقتصادها سيطرة شبه كاملة، فقد حددوا مناطق خاصة بهم تعرف بمنطقة Police Zone وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة أرباع ناميبيا ويمتلكها المستوطنون البيض ويطبقون بها القانون الأوروبي كما تتركز بها معظم المراعي، وقد وضع نحو ٢٠٠ ألف أفريقي من السكان الأصليين في معازل خاصة بهم داخل هذه المنطقة لا يخرج منها الأفريقي إلى أراضي البيض دون أن يكون لديه عقد عمل محدد المدة وإلا تعرض للمحاكمة ومن هنا تبدو هذه المعازل الوطنية كمثيلتها في جمهورية جنوب أفريقيا، كمستودعات للأيدي العاملة السوداء الرخيصة وفي هذه المعازل يمارس الوطنيون الرعي الكثيف والزراعة المعاشية ويعيشون في مستوى اجتماعي واقتصادي سيء.

وخارج منطقة الشرطة هذه يتركز معظم السكان الوطنيين في نحو ربع مساحة البلاد في كاوكوفلد وأوفامبولاند وأوكافنجو وقطاع كابريفي في الشمال والشمال الشرقي، ويفصل بين المنطقتين: منطقة الشرطة في معظم ناميبيا ومنطقة الأفريقيين في الأطراف الشمالية خط فاصل بين التقدم في الأولى والتخلف الشديد في الثانية والتي تحوي نحو ٤٠٠ ألف أفريقي، وتزداد كثافتهم بشكل واضح نسبياً في إقليم أوفامبولاند، بينما تقل الكثافة لتصل إلى نحو فرد واحد في الكلومتر المربع في بقية البلاد.

ويعيش عدد قليل من السكان في مراكز حضرية أهمها مدينة وندهوك العاصمة والتي تقع في نطاق المرتفعات الداخلية، ويصل سكانها إلى نحو ٥٠,٠٠٠ نسمة، وتنمو بسرعة كبيرة كما تحمل بصمات النفوذ الألماني السابق.

النشـاط الاقتصادي:

يتميز اقتصاد ناميبيا بالازدواجية الواضحة، فهناك قطاع الحرف المتقدمة التي تتركز في أيدي الأوروبيين مثل الرعي التجاري والتعدين وصيد الأسماك، وتعتمد هذه الأنشطة على الأيدي العاملة الأفريقية الرخيصة، وقطاع الحرف المعاشية التي يمارسها السكـان الأفارقـة مثل الـرعي الأولي وزراعة بعض المحاصيل الغذائية مثل الذرة العريضة والذرة الرفيعة.

وقد أدت ظروف الجفاف السائدة في ناميبيا إلى جعل الرعي حرفة رئيسية وأساساً للاقتصاد الزراعي، وتشغل المراعي ٦٤٪ من جملة مساحة البلاد، بل إن تربية الأغنام في الجنوب تكاد تكون هي الحرفة الوحيدة المميزة لاستغلال الأرض.

وتربى الماشية في المرتفعات الوسطى حول مدينة وندهوك، كما تربى معها بعض الأغنام، وتتميز هذه المنطقة بتوفر المراعي بها بسبب وفرة الأمطار نسبياً والتي تتراوح من ١٠ ـ ١٤ بوصة سنوياً. أما في أقصى الشمال فتحل الماشية محل الأغنام تماماً وتربى لإنتاج الألبان واللحوم، أما ماشية الوطنيين في منطقة أوفامبولاند فليست ذات أهمية تجارية.

وتتركز الزراعة في ناميبيا في المناطق الشمالية وتصل مساحة الأرض المنزرعة إلى ٦٥٤,٠٠٠ هكتاراً أي بنسبة تقل عن ١٪ من جملة مساحة البلاد، ولذا تشغل دائماً مرتبة أدنى وتأتي كحرفة ثانوية مع الرعي، ويزرع الأفارقة بعض المحاصيل المعاشية كالذرة، أما الأوروبيون فيمارسون الزراعة المختلطة في الشمال اعتماداً على المياه الجوفية.

أما صيد الأسماك: فيعد عنصراً هاماً في اقتصاديات ناميبيا، ويتركز

الصيد في المناطق الساحلية معتمداً على الظروف الطبيعية الملائمة وخاصة تيار بنجويلا البارد وتعد ناميبيا من الدول الرئيسية في إنتاج الأسماك في أفريقيا، فقد بلغ إنتاجها ٧١٧,٠٠٠ طناً سنة ١٩٧٠ (١٧٪ من إنتاج أفريقيا أو ما يعادل ١٪ من الإنتاج العالمي) ولا يسبقها في الإنتاج سوى جمهورية جنوب أفريقيا (٨٦٢,٠٠٠ طن) وقد قامت في موانىء الصيد الرئيسية مثل لودرتز وولفيس باي صناعة تعليب الأسماك، وتصدر الميناء الأخيرة بمفردها نحو نصف مليون طن من منتجات الأسماك سنوياً.

ويلعب تعدين الماس دوراً رئيسياً في اقتصاديات ناميبيا، وقد اكتشف سنة ١٩٠٨ قرب مصب نهر الأورنج وفي الإقليم الساحلي الجنوبي، وتستغل حقول الماس هذه شركة دي بيرز De Beers (واحدة من نحو سبعين شركة تضمها إمبراطورية أوبنهيمر العملاقة التي تنتشر في كل جنوب أفريقيا) وتتولى استخراج الماس من رواسب الرمال والحصى الساحلي فيما بين مصب نهر أوليفانتس في جنوب أفريقيا حتى خليج لودرتز، ومن المرجح أن أكبر احتياطي للماس في العالم يوجد في هذا النطاق بالقرب من جزيرة بلومبدنج Plumpudding.

وتتصل ناميبيا اتصالاً مباشراً بشبكة النقل الموجودة في جمهورية جنوب أفريقيا خاصة السكك الحديدية التي تربط المدن الرئيسية بها مثل وندهوك وتسومب بموانىء الجنوب والغرب، وكذلك الحال في طرق السيارات التي تربط هذه المدن وغيرها من مدن ناميبيا الأخرى، ويرجع نمط النقل السائد إلى جهود الألمان في الفترة من ١٨٩٢ حتى ١٩١٥ وإلى النشاط التعديني في السنوات التالية كما تحاول جمهورية جنوب أفريقيا ربطها بطرق مباشرة بدعوى أن ناميبيا جزء منها.

٣ ـ بتسوانا

تشغل بتسوانا وسط جنوب أفريقيا فيما بين ناميبيا وزيمبابوي وجمهورية

جنوب أفريقيا، وقد خضعت للحماية البريطانية سنة ١٨٨٥ وحصلت على الاستقلال سنة ١٩٦٦، وعاصمتها جابرون Gabrone (٧٣,٠٠٠ نسمة) وهي دولـة مغلقة تبلغ مسـاحتهـا ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتـراً مـربعـاً وسكـانها ٩٠٠,٠٠٠ نسمة (سنة ١٩٨٣)، ويقع معظمها في نطاق صحراء كلهاري، وتتزايد أمطارها بالاتجاه نحو الشمال والشرق فتصل في الجنوب إلى نحو ٦ بوصات سنوياً وإلى ٢٥ بوصة في الشمال الشرقي، ولذلك تسود حشائش الإستبس في معظم أراضي الدولة وتتحول إلى سافانا غابية جافة في الأطراف الشرقية.

وليست هناك ظاهرات سطح مميزة كما أن التصريف النهري في الأجزاء الشرقية يتجه نحو نهر اللمبوبو أما بقية البلاد فذات تصريف داخلي يتجه نحو حوض أوكافانجو Okavango.

ويكون الأفريقيون من قبائل البانتو الأغلبية العظمى من سكان بتسوانا (حوالي ٩٧,٥٪) ويتركزون في الأقاليم الجنوبية الشرقية والشرقية والشمالية، وهم يمارسون الرعي كحرفة أساسية خاصة رعي الماشية، كما يزرعون بعض المحاصيل المعاشية حيثما سمحت الأمطار بذلك مثل الذرة بنوعيها.

ويعد نقص المياه المشكلة الرئيسية التي تعوق التنمية الزراعية والرعوية في بتسوانا، فالأمطار التي تزيد على ٢٥ بوصة تسقط صيفاً ويتبخر جزء كبير منها كما يتسرب جزء آخر إلى رمال كلهاري ومن ثم لا يتبقى إلاّ اليسير لنمو حياة نباتية ويتركز الاعتماد على مياه نهر اللمبوبو - الذي يكون جزءاً من الحدود السياسية بين بتسوانا وجنوب أفريقيا، وعلى المياه الجوفية في المناطق الصحراوية، وعلى حوض أوكافانجو، ويمثل هذا الحوض خزاناً للمياه يمكن الاستفادة منه في مشروعات الري وإن كان ذلك يتطلب نفقات باهظة كما أن موقعه المتطرف في أقصى شمال البلاد يقلل كثيراً من الاستفادة به ومن هنا تبقى بتسوانا منطقة مراعي واسعة ويظل الإنتاج الزراعي رهناً بالحصول على موارد مائية للري.

ويتركز العمران والنشاط الاقتصادي في بتسوانا في الشرق وعلى امتداد خط السكك الحديدية من كيب تاون إلى بولاوايو ويخترق بتسوانا لمسافة ٦٥٠ كيلومتراً، وهذا الخط هو شريان التجارة الرئيسي، وهناك طريق آخر على حافة مستنقعات أوكافانجو التي تحظى بإمكانيات تنمية كبيرة كما ذكرنا خاصة في التوسع الزراعي وصيد الأسماك والسياحة.

٤ ـ ليسوتو

تعد ليسوتو جيباً سياسياً داخل جمهورية جنوب أفريقيا، وتبلغ مساحتها ٣٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها يصل إلى مليون وربع مليون نسمة، وبذلك فهي أكثر دول أفريقيا الجنوبية كثافة في السكان كما سبق أن ذكرنا (٤٦ نسمة في الكيلومتر المربع مقابل ٢ في بتسوانا و٢٥ في جمهورية جنوب أفريقيا) وتشغل أعلى مناطق أفريقيا الجنوبية حيث يقع معظمها على ارتفاع يزيد على ١٥٠٠ متر كما ترتفع جبالها الشرقية إلى أكثر من ٣٥٠٠ متراً.

وتساعد الحشائش الطبيعية على قيام حرفة الرعي حتى في المناطق المرتفعة صيفاً، وإن كان الرعي الزائد قد أصاب مساحات كبيرة من الإقليم الجبلي، أما في مناطق السهول والتلال ووادي الأورانج فتسود الزراعة الكثيفة، ولكن أهم مشكلاتها هي تعرية التربة، ويعد الذرة والصرغم والفول والقمح أهم المحاصيل، وقد شهدت هذه المناطق بعض مشروعات الري والمحافظة على التربة.

وليسوتو من الدول الفقيرة في أفريقية الجنوبية بسبب بيئتها الطبيعية الصعبة ومواردها المحدودة وكثافة سكانها العالية، وجميع سكانها تقريباً من الأفريقيين ولا يزيد عدد الأوروبيين عن ٢٠٠٠ نسمة يعملون بالتجارة وبالوظائف الحكومية وبالتبشير، وليست هناك مدن كبيرة، فالعاصمة ماسيرو Maseru لا يزيد سكانها على ٢٩,٠٠٠ نسمة، كما لا توجد صناعة بالمعنى المفهوم بل تعتمد الدولة في اقتصادها على الزراعة والرعي وعلى صادرات

الصوف والموهير، ولكن هناك قطاع هام من الدخل القومي يعتمد على هجرة نسبة كبيرة من الأيدي العاملة من سكان ليسوتو للعمل في جمهورية جنوب أفريقيا، ويقدر أن حوالي ١٥٤,٠٠٠ عامل أو ما يعادل خمسي الذكور البالغين - يعملون في المناجم والمزارع والمصانع في جنوب أفريقيا، بينما يبقى النساء وكبار السن والصبية لرعي الماشية والأغنام بالطرق التقليدية القبلية، وزراعة بعض المحاصيل المعاشية.

٥ - سوازيلاند

تقع سوازيلاند في أقصى شرق جمهورية جنوب أفريقيا وتحدها شرقاً موزمبيق وهي أكثر تقدماً من ليسوتو رغم أن مساحتها وعدد سكانها يصلان إلى نصف مساحة وسكان ليسوتو، كما أن بيئتها الطبيعية أكثر تنوعاً حتى توصف بأنها من أجمل أقاليم أفريقيا الجنوبية، كما أن إمكانيات التنمية بها كبيرة، وعلى العكس من ليسوتو فلا تلعب هجرة العمال من أبنائها دوراً هاماً في اقتصادياتها حيث تقل هذه الظاهرة قلة واضحة (قدر أن حوالي ٨٠٠٠ فقط من سكانها يعملون في مقاطعة الترانسفال المجاورة).

ويبلغ عدد سكان سوازيلاند ٦١١,٠٠٠ نسمة في مساحة تصل إلى ١٧,٠٠٠ كيلومتر مربعاً، مما يدل على كثافة عالية نسبياً، ويكون السكان الأصليون ٩٦,٧٪ من جملة السكان، أما الأوروبيون فتزيد نسبتهم عن ليسوتو وبتسوانا حيث تصل إلى ٢,١٪، كما يكون الملونون والآسيويون نحو ١,١٪.

ويستغل الجزء الأكبر من أراضي سوازيلاند في الرعي (٦٣٪ من جملة المساحة)، وتمثل الماشية حيوانات الرعي الرئيسية كما تقوم الزراعة حيثما سمحت كمية الأمطار بذلك وأهم المحاصيل الذرة والقطن والتبغ، وتمثل مساحة الأراضي الزراعية نحو ١٠٪ من مساحة البلاد، وفي شمال شرق البلاد تزرع المحاصيل المدارية مثل الأرز والموالح وقصب السكر

ولا تتوفر في سوازيلاند موارد ثروة معدنية كبيرة، إلّا أن أهمها هو

الاسبتوس والحديد الخام، ويعدن الأسبستوس من مناجمه في منطقة بجزبيك Pigg's Peak وهي من أهم المناطق في العالم لإنتاجه، وأما الحديد فيستخرج بالقرب من العاصمة مبابان (٢١,٠٠٠ نسمة) ومعنى ذلك أن التعدين في البلاد يتم في إقليم الفلد الأعلى ويصدر خام الحديد إلى الخارج ـ خاصة اليابان ـ بواسطة خط السكك الحديدية الذي ينتهي إلى مابوتو وقد أنشىء خصيصاً لهذا الغرض، أما الأسبستوس فينقل بواسطة الأسلاك المعلقة إلى الترانسفال، وبالإضافة إلى هذين المعدنين فهناك بعض الموارد الأخرى مثل الفحم والكاولين والبايريت.

٦ ـ زيمبابـوي

تقع جمهورية زيمبابوي بين نهري الزمبيزي شمالاً واللمبوبو جنوباً، ومساحتها صغيرة نسبياً تصل إلى ٣٩١,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً . أي نصف مساحة موزمبيق تماماً ـ ولكنها ثاني دول حوض الزمبيزي ـ اللمبوبو سكاناً حيث بلغ عددهم حوالي ٨,٤ مليون نسمة وبكثافة عامة وصلت إلى ٢٢ نسمة في الكيلومتر المربع، وتتميز بوجود أكبر عدد من المستوطنين البيض (٢٧٣,٠٠٠ نسمة أو ما يعادل ٤,٥٪ من جملة السكان) وتأتي في ذلك بعد جمهورية جنوب أفريقيا في نسبة الأقلية البيضاء إلى جملة السكان بها، ورغم ضآلة نسبة البيض في زيمبابوي إلاّ أنهم يملكون نحو نصف أراضي الدولة بينما يعيش السكان الأصليون وهم الغالبية الساحقة ـ في النصف الباقي من البلاد، وينتمي شعب زيمبابوي في معظمه إلى قبيلتين رئيسيتين هما قبيلة الميتابيلي Metabele الرعوية التي تتركز في المناطق الجنوبية والغربية القليلة الأمطار، وقبيلة الماشونا Mashona التي تحترف الزراعة وتعيش في المناطق الشمالية الأكثر مطراً، وقد تحولت أعداد كبيرة من الميتابيلي إلى الزراعة بعد احتلال البيض لمساحات كبيرة من الأراضي وتحديد مناطق معينة للأفريقيين تقل في خصوبتها كثيراً عن أراضي البيض، بيد أن نظام توزيع الأراضي قد تغير كثيراً لصالح الأفريقيين بعد أن توج كفاحهم بالحصول على الاستقلال الكامل وإزاحة سيطرة

الأقلية البيضاء عن الحكم وتكوين حكومة وطنية من أبناء البلاد الأصليين في سنة ١٩٨٠.

النشاط الاقتصادي:

الزراعة: تبلغ مساحة الأراضي الزراعية ٢,٤٨٠,٠٠٠ هكتار أي ما يعادل ٦,٣٪ من مساحة البلاد، وتتكرر في زيمبابوي ظاهرة الأنتاج الزراعي المزدوج التي تتميز بها كثير من أقطار أفريقيا الجنوبية، فتوجد الزراعة الوطنية المعاشية التي يمارسها السكان الأفريقيون، وكذلك الزراعة الأوروبية التجارية التي يقوم بها المستوطنون البيض، وقد تأثر عدد من الزراع الأفارقة من مشروعات التدريب الحكومي لتطوير الزراعة الوطنية وأصبحوا يمارسون بدورهم زراعة تجارية ناجحة في أراضيهم.

وهناك سمات مميزة للزراعة الوطنية تتشابه مع مثيلتها في الدول المجاورة، فيزرع الأفريقي الذي يعيش في قريته ضمن إطار قبلي - بعض المحاصيل التي يستهلكها هو وأسرته باستخدام بعض الأساليب البسيطة، ويمارس قطاع من السكان الزراعة المتنقلة التي تؤدي إلى إسراف شديد في استغلال الأرض، وتقوم النساء بالزراعة ذلك لأن نسبة كبيرة من الذكور في الأعمار الوسطى يتركون القرى للعمل فترات طويلة في المدن أو في المناجم وحتى في المزارع الأوروبية.

ويعد الذرة العريضة المحصول المعاشي الرئيسي بالإضافة إلى بعض المحاصيل الغذائية الأخرى مثل الذرة الرفيعة والفول السوداني، كما يقوم الوطنيون بالرعي ويقدر أن عدد الماشية يصل إلى حوالي ٣,٥ مليون رأس يملك الأفريقيون معظمها وتلعب الماشية دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية حيث تتحدد مكانة الفرد بعدد ما يملك من رؤوس الماشية.

وقد كان شعب الميتابيلي الذي يعيش في المناطق الجنوبية الغربية شبه الجافة - شعباً محارباً ومن رعاة الماشية، وكثيراً ما كان يشن الهجمات على قبائل

الماشونا الزراعية في الشمال، وذلك للحصول على حاجته من الحبوب الغذائية، ولكن بعد السيطرة الأوروبية على البلاد وتوقف الحروب القبلية تحول معظم هؤلاء السكان إلى الزراعة بجانب الرعي، وتركزوا في محلات عمرانية بكثافة كبيرة على الأراضي الزراعية التي تحددت لهم فيها يعرف بمعازل الوطنيين، بينما احتفظ الأوروبيون بأجود الأراضي خاصة في نطاق الهضاب والمرتفعات الوسطى، وتعاني أراضي الوطنيين من مشكلات كثيرة أهمها استنزاف التربة وتعرضها للتعرية وتزايد الضغط السكاني عليها.

ولكن يبدو أن نظام توزيع الأراضي في زيمبابوي قد تغير كثيراً في عهد الاستقلال حيث اتجهت الحكومة الوطنية الحالية إلى الاستيلاء على معظم أراضي البيض وإعادة توطين السكان الأفارقة بها، مما يعني تخفيف مشكلات الضغط السكاني على الأراضي الوطنية الأخرى، وإحداث تغيير جذري في هيكل الملكية الزراعية في البلاد.

وتختلف زراعة المستوطنين البيض اختلافاً كبيراً عن الزراعة الوطنية، فيمارس الأوروبيون الزراعة في مساحات أوسع تبلغ حوالي ٨٠٠,٠٠٠ فدان من أجود أراضي البلاد، التي تتميز بمقومات طبيعية ملائمة، فهي أراض مسطحة على ارتفاع يزيد على ١٣٠٠ متراً، ومناخها معتدل تتراوح أمطاره من ٢٥ ـ ٣٥ بوصة سنوياً ويسود بها أقصر فصل جفاف في كل أراضي حوض الزمبيزي، وبالإضافة إلى ذلك يخترق هذه المناطق خط السكة الحديدية الذي يربطها مع ميناء بيرا في موزمبيق وبمناطق التعدين في زامبيا وبجمهورية جنوب أفريقيا.

ويعتبر الذرة محصول الحبوب الرئيسي، ويزرع في المناطق الأكثر أمطاراً في الفلد العليا خاصة في التربات الحمراء شمال وغرب هراري، كما يزرع القمح كمحصول شتوي على الري في معظمه، ولكن أكثر المحصولات أهمية هي محاصيل المزارع العلمية خاصة التبغ والشاي والقطن والسكر والموالح. وقد أصبح التبغ أحد عناصر الإنتاج الزراعي الرئيسية، كذلك تطورت زراعة

الشاي والبن في الشرق، وزراعة الموالح في نطاق الفلد الأدنى في الجنوب الشرقي.

وتبلغ مساحة المراعي في زيمبابوي ٤,٨٥٦,٠٠٠ هكتاراً أي ما يعادل ١٢,٤٪ من المساحة الكلية، ويقوم السكان الوطنيون بالرعي في نطاق المراعي في غرب البلاد، إلّا أن المزارعين الأوروبيين يمارسون الرعي التجاري وتربية الحيوان في مساحة تفوق مساحة الأراضي التي يزرعونها، وقد تحولت كثير من مزارعهم إلى تربية الحيوان لتنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على إنتاج الذرة والتبغ.

التعـديـن:

كان الذهب أول المعـادن التي قام المستـوطنون الأوروبيـون الأوائل بتعدينها، رغم أن زيمبابوي عرفت تعدينه قبل مجيء الأوروبيين بعدة قرون، ولكن إنتاجه في العهد الاستعماري كان بكميات قليلة وذلك لقلة الخامات وبعثرة المناجم على امتداد منطقة تقسيم المياه بين الزمبيزي واللمبوبو، ولذلك فقد الذهب مركزه الأول بين الأنشطة التعدينية منذ أوائل الخمسينيات عندما بدأ إنتاج الأسبستوس يفوق من حيث القيمة إنتاج الذهب.

وتعد زيمبابوي في الوقت الحاضر أولى دول العالم في إنتاج الأسبستوس عالي الرتبة، وتوجد مناجمه في شاباني Shabani شرق بولاوايو، وتصل كمية الإنتاج السنوي إلى نحو ١٦٠,٠٠٠ طن يستخدم القليل منها في صناعة الإسمنت محلياً ثم يصدر الباقي إلى الخارج، ويعدن الكروم في نفس المناطق التي يعدن فيها الأسبستوس، وتعتبر زيمبابوي من الدول الرئيسية في إنتاجه على المستوى العالمي حيث بلغ إنتاجها منه ٢٩٢,٠٠٠ طن سنة ١٩٧٤ أي ما يعادل نحو ٩٪ من الإنتاج العالمي وتأتي بذلك في المركز الثالث بعد جمهورية جنوب أفريقيا والاتحاد السوفييتي.

وتملك زيمبابوي أكبر مصادر للفحم في حقول وانكي وهي تلي في ذلك جمهورية جنوب أفريقيا، وتوجد هذه الحقول في صخور الكارو في مناطق واسعة

أهمها تلك التي تستخرج منها الفحم حالياً وفي وانكي على خط السكك الحديدية من بولاوايو إلى زامبيا، وقد أسهم هذا الخط في استخراجه وذلك لضخامة حجم الفحم كسلعة تتطلب نقلاً رخيصاً جيداً مع أسواق استهلاكه في مدينتي هراري وبولاوايو ومدن الفلد الأعلى الأخرى، وقد تناقص إنتاجه بحوالي ٢٠٪ بعد إنشاء سد كاريبا وفقدان معظم أسواق زامبيا، ويبلغ الإنتاج حالياً حوالي ٣,٤ مليون طن ويستخرج منها فحم الكوك اللازم لصناعة الحديد والصلب.

الصناعة:

شهدت زيمبابوي تطويراً كبيراً في الصناعة منذ الحرب العالمية الثانية وقد كان الإنتاج الصناعي في بداية الأمر موجهاً للاستهلاك المحلي بصفة أساسية ولكن بدأت الصناعات المختلفة تجد طريقها للأسواق الخارجية في أفريقيا المدارية وخارجها.

وتتركز الصناعة في المدن الكبرى على امتداد خط السكك الحديدية من بولاوايو حتى هراري مكونة نواة إقليم صناعي يلي في الأهمية إقليم الترانسفال في جنوب أفريقيا، وتحظى صناعة الحديد والصلب بأهمية كبرى، وقامت في مدينة ردكليف قرب كيكي منذ سنة ١٩٤٨، وتنتج نحو ٩١,٠٠٠ طن من الصلب و ٢١٦,٠٠٠ طن من الحديد الزهر، وتعتمد على الحديد الخام المحلي والحجر الجيري وعلى فحم وانكي، وتعد مدينة كيكي مركزاً صناعياً رئيسياً، للصناعات الثقيلة في الوقت الحاضر.

وقد ساعد التقدم الكبير الذي شهدته الصناعة في زيمبابوي على إنتاج مواد البناء خاصة الإسمنت الذي يبلغ إنتاجه حوالي مليون طن سنوياً، وكذلك أنشئت صناعة المنسوجات القطنية في جاتوما Gatooma ـ شمال كيكي وسط مناطق زراعة القطن الرئيسية كما توجد صناعات متنوعة في كل من بولاوايو وهراري خاصة الصناعات الغذائية مثل صناعة السكر والأغذية المحفوظة كما تنتج الأسمدة والآلات الزراعية وعلف الحيوان وغيرها من المنتجات الأخرى.

٧ ـ زامبيا

خضعت زامبيا للنفوذ البريطاني منذ أواخر القرن الماضي، وظلت فترة طويلة محمية بريطانية باسم روديسيا الشمالية ولكنها استقلت سنة ١٩٦٤ وغيرت اسمها إلى زامبيا، وتبلغ مساحتها ٧٥٣,٠٠٠ كيلومتر مربع ويسكنها نحو ٦ مليون نسمة وهي بذلك أقل دول حوض الزمبيزي ـ اللمبوبو في كثافة السكان (٨ نسمة/كم٢) وتقل بها نسبة الأوروبيين (١,١٪ من السكان) والآسيويين (أقل من ٠,٤٪) وتختلف في ذلك عن جارتها الجنوبية زيمبابوي ـ التي توجد بها أقلية بيضاء تصل إلى ٤,٥٪ من جملة سكانها.

النشاط الاقتصادي:

أدى موقع زامبيا كدولة مغلقة وبعدها عن سواحل جنوب القارة إلى تأخير التنمية الاقتصادية بها واستمرار النمط المعاشي في الزراعة والرعي مميزاً لاقتصادها حتى أوائل القرن العشرين عندما اكتشفت بها ثروة معدنية ضخمة ممثلة في نطاق النحاس في الشمال وترتب على ذلك مد خط السكك الحديدية من بولاوايو في زيمبابوي حتى لفنجستون سنة ١٩٠٤ ثم إلى نطاق النحاس بعد ذلك بخمس سنوات، وما زال معظم النشاط الاقتصادي يتركز على هذا الخط أو بالقرب منه كما ساعد على نمو المراكز العمرانية الواقعة عليه خاصة لوزاكا العاصمة، ويعتمد اقتصاد زامبيا على إنتاج وتصدير النحاس وإن كانت الحكومة قد بدأت سياسة تنويع الإنتاج منذ الاستقلال سنة ١٩٦٤.

الزراعة:

يسود في زامبيا ـ كما في الكثير من دول أفريقيا الجنوبية شكلان من أشكال الزراعة هما الزراعة الوطنية المعاشية التي تقوم على إنتاج الحاصلات الغذائية للاستهلاك المحلي ويمارسها السكان الأفارقة، ثم الزراعة الأوروبية الحديثة التي تتخصص في إنتاج المحاصيل سواء للأسواق المحلية أو للتصدير.

ويمارس معظم سكان زامبيا نمطاً من أنماط الزراعة المتنقلة لإنتاج الذرة

الرفيعة ومجموعة كبيرة من الخضر، وبعض المحاصيل المستحدثة مثل الفول السوداني والبطاطا والذرة العريضة الذي أصبح من الحبوب الغذائية الرئيسية، وأهم المناطق التي تسود بها الزراعة المتنقلة هي الهضبة الشمالية والبعيدة عن خطوط السكك الحديدية، وتتميز بانخفاض الكثافة السكانية (حوالي ١٠ أشخاص في الكيلومتر المربع).

وقد بدأت الزراعة الوطنية في إنتاج بعض المحاصيل على أساس تجاري خاصة الذرة في حوض كافوي، والفول السوداني في المقاطعة الشرقية، وقد شجعت الحكومة ذلك وأنشأت هيئة خاصة للإشراف على الزراعة التجارية وتسويق حاصلاتها خاصة في المناطق البعيدة عن السكك الحديدية.

أما الزراعة الأوروبية فتوجد في المقاطعات الجنوبية والوسطى فقط، وهي تتخصص في زراعة المحاصيل التجارية سواء لاستهلاك سكان المدن المحلية أو للتصدير، وأهم هذه المحاصيل التبغ والشاي وقصب السكر، وتزرع في مزارع علمية بالقرب من السكك الحديدية خاصة في إقليم مدينة لوزاكا والتي تعد مركزاً رئيسياً للزراعة التجارية في زامبيا.

وجدير بالذكر أن رعي الماشية لدى الوطنيين يتم على نطاق كبير في إقليم أعالي الزمبيزي في غرب زامبيا حيث توجد أراضي شعب الباروتسي، والذي يبلغ عدد أفراده ما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ نسمة، وهذه المناطق خالية من ذباب التسي تسي ويقوم الرعي على الحشائش التي تنمو في المناطق التي تغمرها مياه الفيضان سنوياً، ويوجد هنا نمط من الانتقال الفصلي Transhumance حيث تنتقل القبائل بماشيتها إلى المناطق المرتفعة وقت الفيضات في مارس وأبريل ثم تعود بعد انتهائه لرعي الماشية وزراعة بعض المحاصيل خاصة الذرة.

ويعد صيد الأسماك من الحرف الهامة التي يمارسها السكان في البحيرات والأنهار، فبالإضافة إلى بحيرة كاريبا التي تنتج نحو ٢٠٠٠ طن من الأسماك سنوياً فقد أنشئت مزارع تجارية للأسماك في بحيرات مويرو وتنجانيقا وفي نهر

كافوي، وتبلغ جملة إنتاج زامبيا نحو ٣٣,٠٠٠ طن سنوياً يباع ٨٠٪ منها في الأسواق الأفريقية في نطاق النحاس أو قرب مناطق الصيد وتكون عنصراً هاماً من عناصر الغذاء للسكان.

التعـديـن:

يمثل تعدين النحاس أعظم عناصر الاقتصاد في زامبيا، ويتم ذلك فيما يعرف بنطاق النحاس الذي يقع في منطقة تقسيم المياه بين نهري الكونغو والزمبيزي في مساحة تقل عن ٤١٤٤ كيلومتراً مربعاً وهو يعدّ واحداً من أكبر وأغنى مناطق التعدين في أفريقيا ولا يسبقه في الأهمية سوى إقليم الراند في جمهورية جنوب أفريقيا

ويتركز إنتاج زامبيا في تسعة مراكز تعدينية في نطاق النحاس تتراوح بين المنجم الواحد مثـل كالنجـوا إلى المجمعة المـدنية كـما في نكانـا ـ كيتوي بمناجمها الثلاثة وسكانها البالـغ عددهم ١٥٥,٠٠٠ نسمـة، ويعتمد نـطاق النحاس في الوقت الحاضر على الطاقة الكهربائية المنقولة بعد إنشاء سد كاريبا على نهر الزمبيزي وذلك لمعالجة الخام قبل تصديره، وقد بلغ إنتاج زامبيا من النحاس ٨,٢٩٥,٠٠٠ طن متري أي ما يعادل ١١٪ من الإنتاج العالمي سنة ١٩٧٤ وتأتي بذلك في المركز السادس بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وشيلي وكندا وزائير، ويمثل النقل المشكلة الرئيسية والتي تواجه تصدير النحاس وذلـك بسبب الموقـع القاري المتـطرف لنطاق النحـاس حيث يبعـد نحـو ١٩٠٠ كيلومتراً بالسكك الحديدية عن أقرب ميناء، حتى أصبحت تكاليف النقل تمثل ثلث ثمن النحاس عند تصديره، ويتجه الخام إلى مخرجين: أما إلى لوبيتو على بعد ١٩٠٠ كيلومتراً على الساحل الغربي أو إلى بيرا على بعد ٢٣٠٠ كيلومتراً على الساحل الشرقي، ويتجه معظم النحاس المصدر إلى الميناء الأخير.

وبالإضافة إلى النحاس، يستخرج من هذا النطاق الكوبالت واليورانيوم ويستخرج الكوبالت من نكانا وتشيبولوما، كـما يعدن الـرصاص والـزنك

والفانديوم والمنجنيز في منطقة بروكن هل على خط السكك الحديدية الواصل من لفنجستون، ولكنها معادن تقل في أهميتها كثيراً عن النحاس الذي يستخرج في الشمال.

الصناعة وموارد الطاقة:

ما زالت الصناعة في مراحلها المبكرة، بل لم يكن في زامبيا صناعة يعتد بها قبل الستينات - فيما عدا صناعة تنقية النحاس في نطاق المناجم الشمالية، وبعض الصناعات الأولية مثل الإسمنت، ولكن تزايد الاهتمام بالصناعة بعد الستينيات حيث أنشئت صناعات جديدة في نطاق النحاس وفي العاصمة لوساكا مثل صناعة السكر والصناعات الغذائية والصابون والمنسوجات، كما أدخلت صناعة تجميع السيارات كما تعتزم الحكومة إنشاء مصنع للحديد والصلب في كافوي اعتماداً على الحديد الخام المحلي والفحم في منطقة مامبا Maamba.

وكانت زامبيا قبل إنشاء محطة توليد الكهرباء من سد كاريبا سنة ١٩٥٩ بطاقة قدرها ٦٠٠ ميجاوات تعتمد على الطاقة المنقولة من زائير وعلى بعض محطات إنتاج الكهرباء الحرارية اعتماداً على الفحم من وانكي، ولكن إنشاء سد كاريبا على نهر الزمبيزي أسهم في توفير الطاقة الكهرومائية الرخيصة منذ ديسمبر ١٩٥٩ وتعمل حكومة زامبيا على إنشاء محطة أخرى بقوة ٦٠٠ ميجاوات على الجانب الشمالي لسد كاريبا حيث تقع المحطة الأصلية في زيمبابوي على الجانب الجنوبي، كما طورت من محطة كهرباء شلالات فيكتوريا مما سيقلل إلى حد كبير من الاعتماد على الكهرباء الحرارية، وتعتمد زامبيا أيضاً على خط الأنابيب الواصل من دار السلام إلى ندولا لنقل منتجات البترول للاستهلاك المحلي.

٨ - ملاوي

تختلف ملاوي في ظروفها الجغرافية اختلافاً كبيراً عن بقية دول حوض

الزمبيزي ـ اللمبوبو، فهي دولة صغير المساحة (١١٨,٠٠٠ كيلومتر مربع) كثيفة السكان (٧ مليون نسمة) تتميز بالمظهر الجبلي وبفقر الموارد الطبيعية، ومن ثم فإن مشكلة زيادة السكان هي المشكلة الرئيسية لديها.

وقد خضعت ملاوي للنفوذ البريطاني وكانت تعرف باسم محمية نياسالاند، كما كانت عضواً في اتحاد وسط أفريقيا الذي تكون في الفترة من ١٩٥٣ حتى ١٩٦٣ وكان يضم بالإضافة إلى زامبيا وروديسيا، ثم حصلت على الاستقلال سنة ١٩٦٤ بعد حل هذا الاتحاد، وغيرت اسمها إلى ملاوي وأصبحت ضمن مجموعة دول الكمنولث البريطاني سنة ١٩٦٦.

وتقع ملاوي ضمن نطاق المناخ المداري والذي يؤثر فيه عامل الارتفاع بدرجة كبيرة، ويسقط أكثر من ٩٠٪ من الأمطار السنوية في شهور الصيف الستة، (تقع ملاوي بين دائرتي عرض ٩° و١٧° جنوباً)، ويتراوح متوسط كمية الأمطار بين ٣٠ ـ ٤٠ بوصة سنوياً، ولكنها تزيد إلى نحو ٦٠ بوصة في هضبة ملانج ومرتفعات شاير.

النشاط الاقتصادي:

يعتمد اقتصاد ملاوي على الزراعة بنوعيها المعاشي والتجاري، وذلك بالإضافة إلى قطع الأشجار وصيد الأسماك، ولا يعيش بها إلّا عدد قليل جداً من الأوروبيين (حوالي ٧,٠٠٠ نسمة) والآسيويين (١١,٠٠٠)، ولم تجذب البيض للاستيطان بها على نطاق واسع في بادىء الأمر لأسباب منها فقرها في موارد الثروة المعدنية، وصعوبة النقل الذي عاق من تنميتها مبكراً، وإن كان خط السكك الحديدية الذي امتد ليتصل بسكة حديد موزمبيق منذ سنة ١٩٣٥ قد لعب دوراً هاماً في النشاط الاقتصادي للبلاد، حيث وجدت ملاوي في ميناء بيرا على الساحل منفذاً لها نحو الخارج، وقد أدى التطور الاقتصادي وزيادة تجارتها إلى إنشاء وصلة أخرى ١٩٧٠ تتفرع من الخط الرئيسي وتتجه شرقاً لتتصل بخط سكة حديد شمال موزمبيق الذي ينتهي عند ميناء ناكالا على الساحل، وقد طورت ملاوي من شبكة الطرق البرية لديها، وكذلك اهتمت

بخطوط النقل الجوي لتصلها بأوروبا وبالدول المجاورة

وتعمل الغالبية العظمى من سكان ملاوي بالزراعة المعاشية لإنتاج الذرة العريضة والذرة الرفيعة والفول السوداني والكاسافا والأرز، ولكن بدأ الاهتمام بزراعة المحاصيل النقدية التي كانت مقصورة من قبل على المزارع الأوروبية، فقد شجعت الحكومة زراعة القطن في وادي شاير الأدنى وعلى شواطىء البحيرة، كما تزايد الاهتمام بزراعة التبغ والفول السوداني والبن والشاي والأرز.

أما المزارع الأوروبية فهي مزارع علمية تتخصص في إنتاج المحاصيل التجارية خاصة التبغ والشاي وقصب السكر، ورغم أن الأوروبيين يمتلكون حوالي ٢,٥٪ من الأراضي الزراعية إلّا أن هذه النسبة الضئيلة تسهم بأكثر من نصف صادرات البلاد، والشاي هو المحصول النقدي الرئيسي في مزارعهم، وقدأدخلت زراعته سنة ١٨٧٨، ووصل إلى مكانته الحالية هذه منذ الثلاثينيات عندما بدأ التدهور في إنتاج البن، وتتركز زراعة الشاي في الوقت الحاضر في المناطق الجنوبية، وقد بلغ إنتاج ملاوي من الشاي ٣٨,٠٠٠ طن متري سنة ١٩٨٢ أي ما يعادل نحو ٢٪ من الإنتاج العالمي وهي بذلك تحتل المركز العاشر بين الدول المنتجة في العالم كما يصل إنتاجها إلى نحو ربع إنتاج أفريقيا ولا يسبقها في إنتاج الشاي بالقارة سوى كينيا.

أما المحاصيل النقدية التي يزرعها الوطنيون فأهمها التبغ والقطن، ويزرع التبغ على ارتفاعات تتراوح من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ متر ولكنه يتركز أساساً في مرتفعات شاير حول بلانتير ـ ولمب Limbe وفي المرتفعات الواقعة غرب البحيرة، أما القطن فيزرع في وادي شاير الأدنى كما يزرع قصب السكر في هذه المنطقة أيضاً معتمداً على مياه الري من نهر شاير، وقد تطور إنتاجه حتى أصبح من محاصيل التصدير الهامة.

وتشغل الغابات أو السفانا الغابية نحو خمس مساحة ملاوي، ونظراً

لكثافة السكان فقد أزيل معظم الغطاء النباتي وتحولت الأرض إلى الزراعة، وتهتم الحكومة بالمناطق الغابية المتبقية وتعمل على تشجير كثير من المناطق بأشجار ذات قيمة اقتصادية، وقد بلغت مساحة الغابات المزروعة ٥٠,٠٠٠ فداناً توجد في هضبة فيبيا Vipya وتتكون أساساً من الأشجار ذات الأخشاب اللينة، وقد أنشئت بعض مناشر الأخشاب في بلانتير وزومبا وفي مناطق الغابات وتستخدم هذه الأخشاب للاستهلاك المحلي.

وتشهد ملاوي في الوقت الحاضر تطوراً صناعياً ملحوظاً، أسهم في تقليل وارداتها من السلع الاستهلاكية، وأهم الصناعات المحلية صناعة المنسوجات والملابس، وقد أنشئت حديثاً مصانع لإنتاج السيارات والإطارات وبعض الصناعات الحديدية والخشبية ومواد البناء وصناعة الخمور.

وملاوي دولة فقيرة في الموارد المعدنية، ويعتبر البوكسيت موردها الوحيد ويوجد في مرتفعات ملانج، ويعتمد استغلاله اقتصادياً على مشروع توليد الكهرباء من نهر شاير، وهو أول مشروع رئيسي تشهده البلاد بعد إدخال السكك الحديدية بها، وقد انتهى العمل منه سنة ١٩٦٦.

وقد أدى الضغط السكاني في ملاوي إلى هجرة الأيدي العاملة للدول المجاورة للعمل في مزارع زيمبابوي وفي زامبيا وتنزانيا وحتى في مناجم الذهب في جنوب أفريقيا، ويقدر عدد العاملين في الخارج بنحو ١٧٠,٠٠٠ نسمة من مجموع الذكور في الأعمار الوسطى البالغ عددهم نحو ٤٩٠,٠٠٠ نسمة.

وتعد مدينة بلانتير أكبر مدن ملاوي حيث بلغ عدد سكانها نحو ١٦٠,٠٠٠ منهم نحو ٣٣٠٠ أوروبي و ٤٤٠٠ آسيوي وهي المركز التجاري والصناعي الرئيسي في البلاد كما أنها المركز الإداري للإقليم الجنوبي، أما زومبا Zomba فهي العاصمة الإدارية الحالية (٢٠,٠٠٠ نسمة) ولكن مقر الحكومة يوجد في ليلنجوي Lilongwe (١٣٠,٠٠٠ نسمة) وهي العاصمة الحالية للبلاد.

٩ ـ موزمبيق

وصل البرتغاليون إلى موزمبيق منذ بداية القرن الخامس عشر وذلك في بحثهم عن طريق لآسيا بالدوران حول جنوب أفريقيا، وقد استمرت السيادة البرتغالية على التجارة مع الشرق نحو مائتي سنة قبل أن تشاركها أية قوى أوروبية أخرى، وفي خلال هذه الفترة كانت قلاع موزمبيق وصوفالا وكيلمان قرب مصب نهر الزمبيزي ـ المراكز الرئيسية لتزويد السفن البرتغالية بالمؤن، وقد فقدت هذه القلاع أهميتها كقواعد إمداد وتموين للتجارة مع آسيا وذلك عندما هزم الهولنديون معظم الإمبراطورية البرتغالية في آسيا في القرن السابع عشر، كما أهملت البرتغال هذا الجزء من أفريقيا على امتداد قرنين كاملين وتركز اهتمامها على مصالحها في البرازيل وتجارة الرقيق من أنجولا وبعض المراكز الساحلية في غرب أفريقيا.

وقد ظلت موزمبيق مستعمرة مهملة إلى حد كبير بل إن البرتغال عرضت التنازل عنها لبريطانيا في أوائل هذاا لقرن مقابل ٣ مليون جنيه استرليني إلاّ أن هذه الصفقة لم تتم، ولم يبدأ أي مظهر للتنمية إلاّ حديثاً عندما بدأت موزمبيق تلعب دوراً هاماً في تجارة الدول المغلقة إلى الغرب منها، وتجلى ذلك في إنشاء خطوط السكك الحديدية من هذه الدول إلى موانىء بيرا ومابوتو في موزمبيق، ولكن أهم مظاهر التنمية حدثت منذ الحرب العالمية الثانية عندما تزايدت الاستثمارات البرتغالية خاصة في خطط التنمية السداسية (١٩٥٣ - ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) حيث شهدت تطوراً في النقل والصناعة والري، ولكن هذه المشروعات اقتصرت على مناطق محددة في البلاد خاصة في المناطق الساحلية مثل بيرا «ولورنسو ماركيز» العاصمة التي تغير اسمها إلى مابوتو Maputo بعد الاستقلال في سنة ١٩٧٤.

وقد بلغ عدد سكان موزمبيق ١٣,١٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٣ يعيشون في مساحة بلغت ٧٨٣,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، وكل السكان تقريباً من الأفريقيين ولا تزيد نسبة البيض والملونين عن ٢٪ وهي على العكس من أنجولا

لا تعاني نقصاً في حجم السكان لأنها كانت أقل تأثراً بتجارة الرقيق كما أنها اسصقبلت الكثير من اللاجئين بسبب الحروب في وسط وجنوب أفريقيا، وقد تأثر السكان ببعض مظاهر الثقافة العربية خاصة في المناطق الشمالية حيث يدين نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة من قبائل الشمال بالإسلام.

الأقـاليم الجغرافية:

يمكن في ضوء دراسة البيئة الطبيعية والنشاط الاقتصادي أن نقسم موزمبيق إلى الأقاليم الجغرافية التالية:

الهضبة الشمالية: وهي امتداد جنوبي لهضبة جنوب شرق تنجانيقا، وتحدها بحيرة ملاوي ومرتفعات ملاوي في الغرب وتصل إلى أقصى ارتفاعها في جبال نامولي Namuli (٢,٦٦٠ متراً)، كما تنحدر انحداراً تدريجياً نحو السهل الساحلي شرقاً، وأكثر مناطقها ارتفاعاً هي أكثرها أمطاراً حيث تصل إلى أكثر من ٦٠ بوصة في جبال نامولي وأكثر دن ٤٥ بوصة في مرتفعات ملاوي، وتتناقض الأمطار في الأودية وفي اتجاه الساحل لتصل إلى أقل من ٣٥ بوصة سنوياً، وهذا الإقليم من أقاليم الإنتاج الزراعي الرئيسية، وتزداد كثافة السكان في أجزائه الشرقية والجنوبية الشرقية.

وأهم الحاصلات الزراعية في الهضبة الشمالية ـ الكاسافا والأرز والذرة كمحاصيل غذائية والقطن كمحصول نقدي وقد تزايدت أهميته حتى أصبح المحصول الأول في القائمة للصادرات (١٨٪ من قيمة الصادرات سنة ١٩٦٣)، وينتج إقليم الهضبة الشمالية من ثلاثة أرباع القطن في موزمبيق، كذلك يزرع السيسل والكوبرا في هذا الإقليم ولكن من المحاصيل الأخرى الشاي على مرتفعات نامولي وقد أدخلت زراعته منذ الثلاثينيات، وأصبح الشاي يأتي في المركز الرابع بين الصادرات في سنة ١٩٦٥.

٢ ـ **مرتفعات أنجونيا:** وتقع في أقصى الشمال الغربي ويقوم بها رعي الماشية (جماعات البانتو) وزراعة الذرة وبعض المحاصيل الغذائية الأخرى،

وهي تعد من المناطق القليلة الخالية من ذباب تسي تسي.

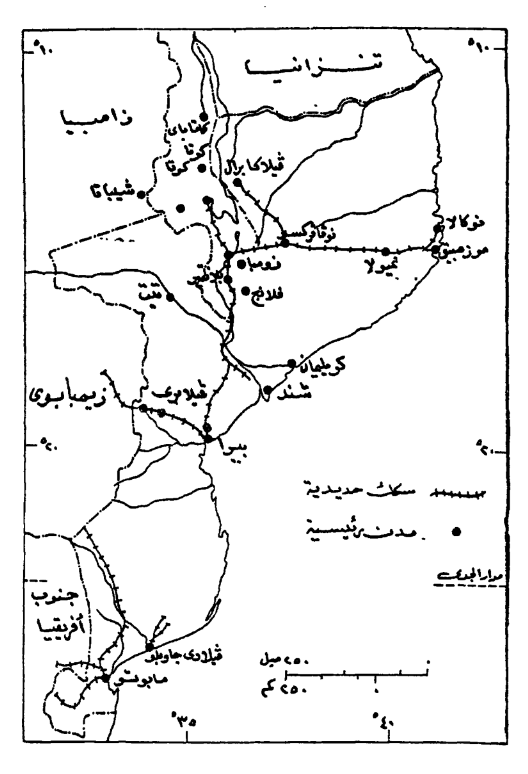
٣ ـ وادي الزمبيزي الداخلي: وهو قليل السكان لم يحظ باهتمام كبير في مجال التنمية الاقتصادية وإن كان من المخطط إنشاء سد على الزمبيزي عند خانق كيبراباسا Kebrabasa ليصنع بحيرة تمتد حتى الحدود مع زيمبابوي ويقدر أن هذا المشروع سيعمل على توليد ٤٠٠٠ ميجارات ويسمح بزراعة نحو ٣ مليون فداناً، كما أنه سيكون طريقاً هاماً للنقل المائي في موزمبيق.

٤ ـ المرتفعات الغربية: وهي تنتمي إلى المرتفعات الروديسية حيث ترتفع الحافة العظمى إلى نحو ٢٧٠٠ متراً على امتداد الحدود السياسية، ويخترق هذه المرتفعات خط السكك الحديدية من هراري إلى بيرا على الساحل؛ وتوجد بعض المزارع الأوروبية في هذا الإقليم تنتج الذرة والتبغ.

٥ ـ السهل الساحلي: ويتميز باستوائه وبكثرة مستنقعاته كما تشقه عدة أنهار تتعرض في أجزائها الدنيا لفيضانات موسمية، وتتميز التربات الفيضية في أودية هذه الأنهار بالخصوبة العالية، وقد قامت الزراعة والاستيطان البشري في كثير من مناطق هذا السهل وخاصة جنوب وجنوب غرب مدينة إنهامبين وحتى الحدود مع سوازيلاند وحول ميناء بيرا، ويعد الذرة والأرز المحاصيل الغذائية الرئيسية هنا، بينما يعد قصب السكر المحصول النقدي الرئيسي، ويأتي السكر في المركز الثالث في قائمة الصادرات (١١٪ سنة ١٩٦٣) وهناك احتمالات كبيرة لزيادة الإنتاج في المستقبل اعتماداً على مشروعات الري طالما أن الظروف المناخية والتربة تسمحان بذلك.

العمـران والنقـل:

يعيش أقل من ١٠٪ من سكان موزمبيق في المدن التي يتركز معظمها على الساحل، وأهمها مابوتو ـ العاصمة (٨٠٠,٠٠٠ نسمة) وأحسن الموانىء الطبيعية في كل ساحل شرق أفريقيا، وقد ساعدها موقعها بالنسبة لجنوب أفريقيا على التطور والنمو، فهي أقرب الموانىء لمناطق التعدين والصناعة والزراعة في إقليم الترانسفال ومن ثم أصبحت منفذاً لمعظم تجارته، كذلك فقد أدى إنشاء خط



شكل رقم (٨٨)
المدن الرئيسية والسكك الحديدية في موزمبيق

السكك الحديدية بينه وبين هراري إلى جعله مخرجاً رئيسياً أيضاً لزيمبابوي وزامبيا بل وإقليم شابا في زائير (شكل ٨٨) ولـذلك يستقبل ميناء مابوتو في الوقت الحاضر ما يزيد على سبعة ملايين طن من الصادرات والواردات سنوياً لخدمة ظهير واسع في دول جنوب القارة وحوض الزمبيزي.

أما بيرا (حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة) فقد ظلت لفترة طـويلة المخرج الرئيسي لزيمبابوي وزامبيا وملاوي، وقد أدى ضغط التجارة بها بعد الحرب العالمية الثانية إلى التفكير في إنشاء خط سكة حديد اللمبوبو من زيمبابوي إلى مابوتو ومن ثم أصبحت تجارتها حوالي نصف تجارة مابوتو حيث تستقبل نحو ٣,٥ مليون طن فقط، وتتكون معظم صادراتها من النحاس (حوالي ٣/١ الكمية) ثم خام الكروم والتبغ.

الفصل التاسع عشر

دول شرق أفريقيا

تصل مساحة إقليم شرق إفريقيا قرابة ٣,٦ مليون كيلومتراً مربعاً أي نحو ١٢٪ من مساحة القارة ويسكنه نحو ١٠٦ مليون نسمة أي قرابة ٢٢٪ من سكانها. وينقسم إلى إحدى عشرة وحدة سياسية في يابس القارة وفي الجزر الشرقية كما يبيِّنها (الجدول رقم ٢٦).

١ - تنزانيا

تبلغ مساحة جمهورية تنزانيا ٩٤٥,٠٩٠ كيلومتراً مربعاً ويقدَّر عدد سكانها بحوالي ٢٠ مليون نسمة في منتصف سنة ١٩٨٣، ويصل طول ساحلها من حدودها مع كينيا في الشمال حتى نهر روفوما في الجنوب نحو ٨٠٠ كيلومتراً، كما تبلغ المسافة من ساحل المحيط الهندي عند دار السلام إلى بحيرة تنجانيقا في الغرب قرابة ١١٠٠ كيلومتراً، وقد تكوَّنت تنزانيا من اتحاد كل من تنجانيقا وزنجبار سنة ١٩٦٤ بعد حصول كل منهما على الاستقلال في سنتي ١٩٦١ و١٩٦٣ على الترتيب من الأنهار أهمها بنجاني وروفيجي وروفوما، وتنتهي إلى المحيط الهندي بدلتاوات صغيرة وبمصبات خليجية مختلفة العمق والاتساع، وتسقط على هذه

جدول رقم (٢٦)

دول شرق إفريقيا ١٩٨٣

الدولة	المساحة (كم٢)	عدد السكان (ألف نسمة)	الكثافة (نسمة/كم٢)
تنزانيا	٩٤٥٠٨٧	٢٠٥٠٠	٢٢
كينيا	٥٨٢٦٤٦	١٨٦٠٠	٣٢
أوغنده	٢٣٦٠٣٦	١٣٨٠٠	٥٨
رواندا	٢٦٣٣٨	٥٦٠٠	٢١٣
بورندى	٢٧٨٣٤	٤٥٠٠	١٦٢
اثيوبيا	١٢٢١٩٠٠	٣١٣٠٠	٢٦
جزر القمر	٢٠٠٠	٤٠٠	٢٠٠
مدغشقر	٥٨٧٠٤١	٩٥٠٠	١٦
ريونيون	٢٥١٠	٥٢٠	٢٠٧
موريشيوس	١٨٦٥	٩٥٠	٥٠٩
سيشل	٢٨٠	٦٢	٢٢١

الإقليم أمطار متوسطة تصل إلى حوالي ٤٥ بوصة سنوياً ولكنها تقل بالاتجاه نحو الجنوب وتنمو به الغابات المبعثرة والشجيرات والحشائش وتلك سمّة سائدة في الساحل الإفريقي الشرقي، ولكن ما يلبث الغطاء النباتي أن يتناقص ويتبعثر نحو الجنوب تبعاً لقلّة الأمطار في هذا الاتجاه.

وتغطي السافانا الغابية معظم الهضبة الجنوبية الشرقية حيث يتراوح المطر بها من ٣٠ ـ ٣٥ بوصة سنوياً، وهي أمطار صيفية تسقط أساساً في الفترة من نوفمبر حتى مايو، وينتشر في هذه الهضبة التي ترتفع تدريجياً نحو الغرب ذباب تسي تسي.

وتنفصل الهضبة الغربية عن الجنوبية الشرقية بواسطة نطاق من المرتفعات الممتد على طول حافة الوادي الأخدودي من باباتي Babati حتى مبايا Mbeya، وتعلو هذه الهضبة بمتوسط أكبر يصل إلى ١٢٠٠ متراً أو أكثر في بعض المناطق،

ويسود بها مناخ شبه جاف خاصة قرب طابوره، كما أنها موبوءة هي الأخرى بذباب تسي تسي، والأمطار هنا يصل متوسطها إلى ٢٥ بوصة وتتذبذب بدرجة كبيرة تجعل الاعتماد عليها محفوفاً بالخطر، كذلك فإنَّ فصل الجفاف يطول في هذا الإقليم بدرجة أكبر، ولكنه يتناقص بالاتجاه شمالاً، ويعدُّ حوض فكتوريا في شمال تنزانيا امتداداً للهضبة الغربية، ولكن اتساع المسطح المائي للبحيرة يساعد على تزايد كمية الأمطار، وتسقط طوال العام بقمتين ظاهرتين في أبريل وديسمبر (موانزا ٣٩ بوصة سنوياً وبوكوبا ٨٠ بوصة).

النشاط الاقتصادي:

تبين الأرقام التالية نسب استخدام الأرض في تنزانيا (١٩٧٤):

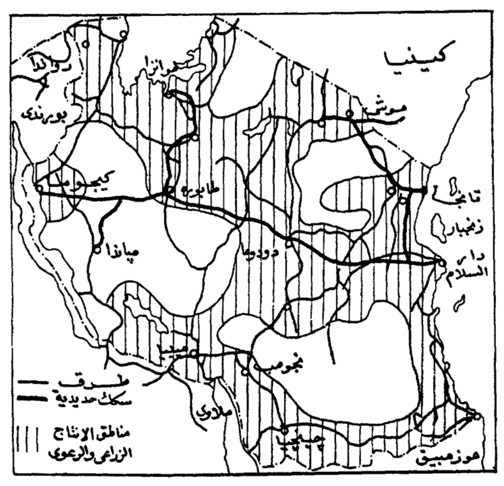
النمط	٪
أراضي زراعية	٧,١
مراعي دائمة	٥٠,٤
غابات	٣٥,١
أراضي أخرى	٧,٣

ويبينِّ الشكل رقم (٨٩) توزيع المناطق الزراعية والرعوية في البلاد. ورغم قلَّة مساحة الأراضي الزراعية (٦,٣ مليون هكتار) بالنسبة لبقية مظاهر استخدام الأرض، إلَّا أنَّها تمثل عماد اقتصاديات تنزانيا حيث تمثل المحاصيل الزراعية نحو ٨٥٪ من قيمة الصادرات..

ويعدُّ السيسل والبن والقطن المحاصيل النقدية الرئيسية في صادرات البلاد، ويليها بعد ذلك منتجات أخرى مثل الشاي والفول السوداني واللحوم والجلود، ويتميز السكان هنا بخبرتهم الطويلة في زراعة البين والقطن حيث وجدوا تشجيعاً مبكراً لذلك منذ سنة ١٩٣٣ عندما تأسس اتحاد البن الوطني في كلمنجارو وأسهم في تطوير هذه الزراعة.

ويزرع السيسل - الذي أدخلت زراعته منذ سنة ١٨٩٣ - في الإقليم

الساحلي في مزارع علمية عند مقدمات جبال أوسامبارا في مقاطعة تانجا وجنوباً قرب مور وجورو، وتستخدم أليافه في صناعة الحبال وبعض أنواع السجاجيد، كما أنَّه مادة خادم لصناعة الورق وبعض الأدوية (مثل الكورتيزون)، ويشغل هذا المحصول مساحة واسعة ثمَّ ينقل بالسكك الحديدية الضيِّقة إلى مراكز التجميع حيث يتم إعداده آلياً وتخليصه من كثير من المخلفات قبل تصديره، ويأتي السيسل في الترتيب الثالث في قائمة الصادرات، وتعدُّ تنزانيا أكبر منتج له في العالم.



شكل رقم (٨٩)
مناطق الإنتاج الزراعي والرعوي في تنزانيا

ويزرع البن في مزارع علمية في المناطق الباردة نوعاً في نطاق المرتفعات الشمالية الشرقية، ويزرع ٨٠٪ منه على منحدرات جبل كلمنجارو وقرب أروشا وألدياني، حيث يزرع البن العربي، وتشتهر قبيلة التشاجا بزراعته على

سفوح كلمنجارو البركانية في مزارع صغيرة متوسطها حوالي فدان واحد، أمَّا نطاق بن الـروبستا فيزرع غرب بحيرة فكتوريا قرب بوكوبا، وتتشابه الظروف الطبيعية هنا مع مثيلتها في نطاق هذا النوع من البن في أوغنده، وقد بلغ إنتاج تنزانيا من البن ٥٥٠٠٠ طن سنة ١٩٧٤، وهي كمية تصل إلى نحو ٤٪ من إنتاج إفريقيا وحوالي ١٪ من الإنتاج العالمي في تلك السنة.

أمَّا الشاي فيـزرع أيضاً في إقليم مـرتفعات مبـايا Mbeya وإرنجـا وأوسمبارا وبذلك على منسوب يتراوح بين ١٢٢٠ ـ ٢٤٤٠ متراً، وهو يتطلب كمية كبيرة من الأمطار تصل إلى حوالي ٤٥ بوصة، وقد بلغ إنتاج تنزانيا ١٣٠٠٠ طن سنة ١٩٧٤ وهي تمثل نسبة ضئيلة على المستوى العالمي تصل إلى ١٪ فقط.

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل الرئيسية فإنَّ تنزانيا تنتج بعض المحاصيل الأخرى خاصة القطن الذي يزرع أكثر من ٩٠٪ منه في منطقة بحيرة فكتوريا والباقي في المقاطعة الشرقية، كذلك يزرع الفول السوداني في المقاطعتين الغربية والوسطى وفي المقاطعة الشمالية يزر القمح والذرة والفول وذلك بالإضافة إلى زراعة محصول البيريثرم للتصدير، وهو نبات تؤخذ من زهوره مادة مطهرة تستخدم في تخزين المواد الغذائية وكمبيد حشري.

الرعي:

تشغل المراعي الطبيعية نحو نصف مساحة تنزانيا، وتتركز في الهضبة الداخلية بما فيها إستبس الماساي (شكل ٨٩) ويسود بها الرعي المتنقل لقطعان الماشية والأغنام والماعز، ويعوق حركتها وانتشارها ذباب تسي تسي الموبوءة به هذه المناطق، كما تعاني من ذبذبات الأمطار وبالتالي تباين حشائش الرعي من سنة لأخرى. وتؤدي العادات السائدة والمرتبطة باقتناء عدد كبير من الماشية كدليل على الثراء والهيبة الاجتماعية، إلى مشكلات حادة تتمثل في تعرية التربة وإجهادها، وتربى الماشية لهدفين رئيسيين هما دفع المهور للزواج، والحصول على لحومها وألبانها ودمائها.

ويبلغ عدد الماشية في تنزانيا حوالي ١١ مليون رأس، وحوالي ٩٧٪ من الماشية ذات أصول إفريقية ومن نوع الزيبو الأسيوي الطويل القرون، كما توجد أنواع ذات أصل أوروبي تُربى في إقليم المرتفعات وفي المزارع الأوروبية.

وتقوم على الماشية تجارة داخلية هامة خاصة من إقليم دودوما في الوسط إلى دار السلام باستخدام السكك الحديدية، وكذلك فيما بين كلمنجارو وتانجا، وقد أقيم مصنع لتعبئة اللحوم في دار السلام.

الثروة المعدنية:

تتوفر في تنزانيا ثروة معدنية كبيرة ولكنها مبعثرة في عدَّة أقاليم ولا تشكل إلاَّ نسبة قليلة من اقتصاديات البلاد، (حوالي ١٥٪ من الصادرات)، ويعتبر الماس أهم الصادرات المعدنية، ويستخرج من منطقة واسعة قرب شنيانجا على خط السكك الحديدية بين طابوره وموانزا، والمعدن الرئيسي الثاني هو الذهب الذي يعدن في مقاطعة البحيرة عند بلدة جيتا Geita جنوب بحيرة فكتوريا، وبالإضافة إلى ذلك يعدن النحاس في مباندا على أحد فروع السكك الحديدية الوسطى، كما يستخرج القصدير من منطقة الحدود مع أوغنده ورواندا، وقد أثبتت المسوح الجيولوجية وجود احتياطي متواضع من الفحم (٢٥٠ مليون طن) قرب صنجيا Songea ولكن يعوق استغلاله وكذلك الحديد الخام في نفس المنطقة بعد حقوله عن مناطق التركز السكاني وانخفاض قيمة الفحم.

وقد أقيم سدّ على نهر بانجاني الشمال لتوليد الطاقة الكهربائية، وهي تمد دار السلام وموروجورو باحتياجاتها من الكهرباء، كما بُني سد آخر في موشي لتوليد الكهرباء، ومع ذلك فإنَّ إنتاج الكهرباء ما زال في أولى مراحله، كما أن النقص في الأنهار الملائمة وطبيعة فيضانها الموسمي تزيد من نفقات الإنتاج إذا أنشئت مشروعات جديدة.

وتعدُّ مدينة دار السلام مركز الصناعات الرئيسية في تنزانيا خاصة الصناعات الغذائية وصناعة النسيج اعتماداً على إنتاج القطن والسيسل وذلك بالإضافة إلى تجهيز اللحوم وتعبئتها كما تقوم بعض الصناعات في مدينتي تانجا وأروشا.

وقد تأثرت التنمية الاقتصادية في تنزانيا بنقص شبكة النقل والمواصلات، ويخترق خط السكك الحديدية البلاد من الساحل نحو الداخل من تانجا حتى أورشا ومن دار السلام حتى موانزا، وأحدثها ذلك الخط الذي يخترق الهضبة الجنوبية من دار السلام حتى مبايا قرب حدود زامبيا، ويواصل امتداده حتى لوزاكا.

٢ ـ كينيا

تبلغ مساحة كينيا ٥٨٢,٦٥٠ كم٢ وعدد سكانها يصل إلى ١٨,٦ مليون نسمة (منتصف ١٩٨٣)، وتتركز الغالبية العظمى منهم في وسط البلاد وغربها وفي نطاق يمتد من بحيرة فكتوريا حتى ساحل المحيط الهندي، ويتزايد السكان بمعدل كبير يصل لى ٣,٥٪ سنوياً وينبىء هذا المعدل بتضاعف حجم السكان في نهاية هذا القرن إذا ما استمر على ما هو عليه.

وقد خضعت كينيا للسيطرة البريطانية ثمان وستين سنة حتى حصلت على استقلالها في سنة ١٩٦٣، وهي دولة فقيرة في مواردها الطبيعية، وتعدُّ الزراعة عماد الاقتصاد القومي والحرفة الرئيسية التي يمارسها السكان.

الأقاليم الزراعية وملامحها الطبيعية:

توضح الأرقام التالية التوزيع النسبي لأنماط الاستغلال الحيوي في كينيا سنة ١٩٧٤.

النمط	المساحة (ألف هكتار)	٪
أراضي مزروعة	٢,١٦٠	٣,٨
مراعي دائمة	٣,٧٨٠	٦,٦
غابات	١,٧٤	٣,٣
أراضي أخرى (بور)	٤٩,١١١	٨٦,٣

ويبدو من هذه الأرقام مدى قلّة مساحة الأرض الزراعية ومع ذلك تعدُّ الزراعة الحرفة الرئيسية لمعظم سكان كينيا، ونظراً لتباين الظروف الطبيعية المحلية

خاصة الأمطار التي تتراوح بين ٥ بوصات إلى أكثر من ١٠٠ بوصة سنوياً، فإنَّ الأقاليم الزراعية تتركز في مساحات صغيرة في المرتفعات الغربية ومنطقة نيانزا الوسطى (شكل رقم ٩٠)، بينما لا تلائم التربات الخفيفة والرقيقة القوام قرب السواحل في أقصى الجنوب والمناخ الجاف في أقصى الشمال قيام الزراعة.

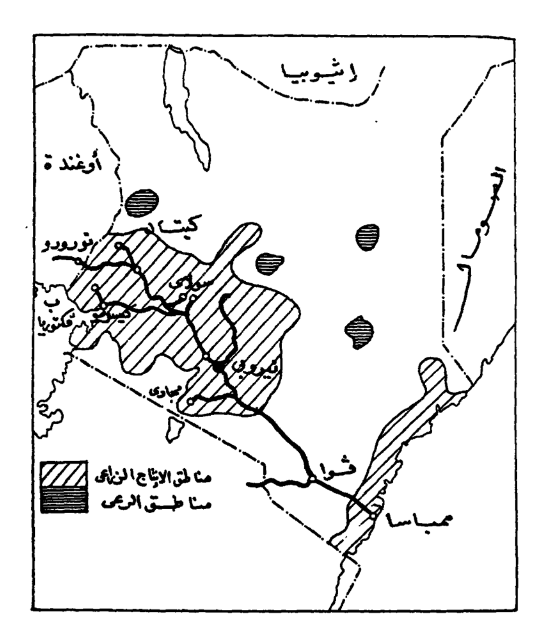
وفي ضوء الظروف الطبيعية التي تتميز بها كينيا فإنَّه يمكن تحديد ثلاثة أقاليم زراعية رئيسية بها على النحو التالي:

١ ـ الإقليم الساحلي:

ويتمثل في السهل الساحلي الذي يصل طوله إلى أكثر قليلاً من ٤٠٠ كم وعرضه في المتوسط ٣٢ كم وإن كان يتسع في وادي نهر تانا الأدنى، وتسود فيما وراء خط الساحل في الجنوب غابات المانجروف المستنقعية والحشائش الطويلة والأشجار المبعثرة ويصل متوسط الأمطار السنوية إلى حوالي ٤٧,٥ بوصة (في ممباسا) ولكن الأمطار تتناقص في اتجاه المناطق الداخلية وشمالاً نحو الحدود الصومالية وتنمو هنا الحشائش الفقيرة وأشجار السنط المبعثرة.

وتسود الزراعة المعاشية في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي ذي الأمطار الغزيرة، ويتمثل الإنتاج الزراعي في المحاصيل الغذائية للاستهلاك المحلي كالذرة والكاسافا واليام والأرز، كذلك تقوم زراعة المحاصيل النقدية مثل قصب السكر والسيسل والقطن وجوز الهند، وتتركز هذه المحاصيل على امتداد الساحل وفي الأراضي المجاورة للخط الحديدي الممتد من ممباسا نحو الداخل، وتسود زراعة السيسل في هذا الاتجاه وفي نطاق حوالي ٤٥٠ كم من الساحل وقد أسهم في نجاح زراعته امتداد الخط الحديدي نحو الداخل، ولذا فإنَّ معظم مساحته تتركز حول فوا Voi على الخط الحديدي بين ممباسا ونيروبي.

أما المناطق الشمالية والداخلية من إقليم السهل الساحلي فتقل أمطارها وتتحوَّل إلى منطقة صحراوية وشبه صحراوية تناسب ظروفها حرفة الرعي البدوي التي تقوم بها الجماعات الصومالية وقبائل الجلا.



شكل رقم (٩٠)
مناطق الإنتاج الزراعي والرعوي في كينيا

٢ ـ إقليم المرتفعات الداخلية:

وهو الإقليم الزراعي الرئيسي في كينيا، ويشمل المرتفعات الجبلية والهضبية شرق الوادي الأخدودي وغربه، ويعدُّ البن والشاي والبيرثروم والسيسل المحاصيل التجارية الرئيسية في إقليم المرتفعات الداخلية، وذلك بالإضافة إلى القمح كمحصول الحبوب الرئيسي، وقد كان إنشاء خط السكك

الحديدية من ممباسا إلى نيروبي وكيسومو بداية عهد جديد في استيطان الأوروبي
واستغلالهم لمناطق المرتفعات الداخلية، وتقع مزارعهم على ارتفاع يتراوح بين
١٥٤٠ إلى ٢٧٧٠ متراً وتسقط عليها كمية من الأمطار تتراوح بين ٣٠ ـ
بوصة سنوياً، كما تتميز بالتربة البركانية الخصبة، وقد أصبحت تتخصص
زراعة المحاصيل السابقة بل إنَّها تحوي ثلثي مزارع البن في كينيا، وقد
الإنتاج الكيني ٧٢,٨٠٠ طن بنسبة تصل إلى حوالي ٥٪ من إنتاج إفريقيا
وحوالي ١,٥٪ من الإنتاج العالمي في تلك السنة، ويمثل البن محصول
الصادرات الرئيسي في كينيا.

وتربى في نطاق المرتفعات الداخلية قطعان الماشية لإنتاج الألبان واللحوم
وذلك في مزارع رعوية تجارية في المناطق القليلة الأمطار نسبياً، وهي تسهم
بدور كبير في توفير احتياجات المدن الرئيسية في كينيا.

٣ ـ إقليم نيانزا:

ويتمثل في شرق حوض بحيرة فكتوريا، وهو امتداد لسهول المقاطعة
الشرقية في أوغنده ويرتفع السطح تدريجياً بالاتجاه نحو الشرق، ورغم أنَّ هذا
الإقليم في معظمه يرتكز على صخور القاعدة القديمة إلَّا أنَّه يتميز بالنشاط
البركاني خاصة في التلال المطلَّة على مدخل خليج كافيرندو، وتتوزع الأمطار
على مدار السنة وبمتوسط يصل إلى ٤٤ بوصة بقمتين واضحتين في أبريل
ونوفمبر.

ويعدُّ القطن والشاي من المحاصيل التجارية الرئيسية في إقليم نيانزا وقد
أدخلت زراعة القطن كمحصول نقدي منذ أن وصلت السكك الحديدية إلى
كيسومو وامتدادها سنة ١٩٢٨ إلى كمبالا في أوغنده، إلَّا أنَّ الشاي هو أهم
المحاصيل هنا ويزرع في منطقة كيرتشو Kericho وهي منطقة الإنتاج الرئيسية
في كينيا، ويأتي معظمه من مزارع الأوروبيين، ويتمتع هذا الإقليم بمميزات
طبيعية خاصة المناخ البارد نسبياً والذي يلائم زراعة الشاي بالإضافة إلى توفر
الأيدي العاملة ممثلة في قبيلتي الليو والكيكويو، وتعدُّ كينيا أولى الدول الإفريقية

في إنتاج الشاي حيث بلغ إنتاجها ٥٣,٤٠٠ طناً سنة ١٩٧٤، (٤,٣٪ من الإنتاج العالمي)، وقد تزايدت أهمية الشاي في اقتصاديات كينيا حتى أصبح يمثل ثاني محاصيل التصدير من حيث القيمة.

وبالإضافة إلى الشاي والقطن تزرع في إقليم نيانزا محاصيل أخرى مثل البن في مرتفعات كيسي Kisi منذ سنة ١٩٣٥، بالإضافة إلى المحاصيل الغذائية خاصة الذرة الذي يزرع في مساحة كبيرة، وكذلك الأرز والموز وقصب السكر خاصة شرق كيسومو.

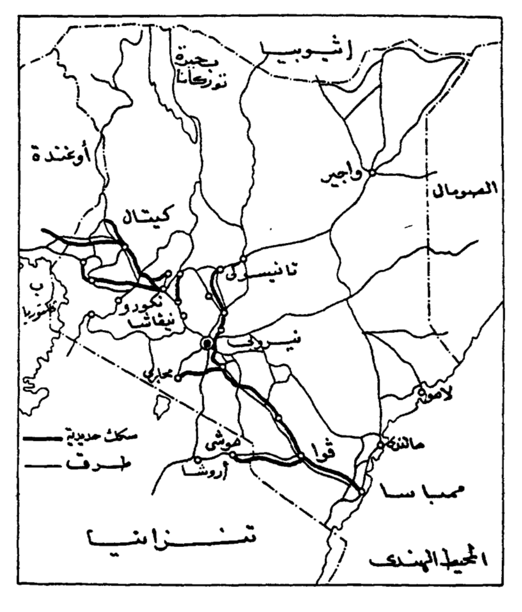
التصنيع والعمران:

رغم أنَّ كينيا فقيرة في موارد الطاقة والثروة المعدنية، إلَّا أنَّها أكثر أقطار شرق إفريقيا تصنيعاً، وهي تعاني نقصاً في القوى المحركة، وتعتمد على توليد الكهرباء من المحطات الحرارية اعتماداً على الوقود المستورد، وقد افتتح أوَّل معمل لتكرير البترول في ممباسا سنة ١٩٦٤، كما تحصل على بعض احتياجاتها من الكهرباء من سد أوين في أوغندا وكذلك من شلالات بانجاني في تنزانيا.

وتعتمد الصناعة في كينيا على تصنيع المنتجات الزراعية مثل حلج القطن وصناعة السكر وعصر زيوت بذرة القطن والفول السوداني بالإضافة إلى صناعة حفظ الفاكهة والخضر واستخراج مستخلص البيرثروم كمبيد حشري، كما قامت صناعات للاستهلاك المحلي خاصة الصناعات الغذائية والمنسوجات وغيرها.

وتتركز معظم الصناعات في مدينة نيروبي ـ العاصمة، وكذلك في ممباسا وتعدُّ مدينة نيروبي أكبر مدن شرق إفريقيا ويبلغ عدد سكانها ٩٠٠,٠٠٠ نسمة، وقد بدأت نموها منذ سنة ١٨٩٩ عندما امتدُّ إليها الخط الحديدي من ممباسا وتضخم حجمها بعد ذلك وزادت أهميتها حتى أصبحت بؤرة المواصلات في شرق إفريقيا ومقراً للكثير من الشركات التجارية العالمية به، وقد شهدت نيروبي طفرة كبيرة في عدد سكانها منذ الحرب العالمية الثانية حيث تضاعف حوالي أربع مرات حتى أوائل السبعينات.

أمَّا ممباسا (٣٥١٠٠٠ نسمة) فهي أكبر موانىء كينيا، وقد مدَّ منها خط حديدي نحو نيروبي في الداخل ثمَّ بعد ذلك إلى أوغنده سنة ١٩٠١، وقد ساعد هذا الخط على تنمية المناطق الداخلية وتزايدت أهميته بعد ذلك حتى أصبح شرياناً للنقل بين القلب الزراعي وميناء ممباسا (شكل رقم ٩١)، ويتميز ميناء هذه المدينة الحديث والمعروف باسم كليندديني بعمق مياهه وهو من أحسن



شكل رقم (٩١)
النقل والمدن الرئيسية في كينيا

موانىء شرق إفريقيا ويصل حجم التجارة به إلى ٣ مليون طن سنوياً أي نحو ثلاثة أمثال ميناء دار السلام التنزاني.

أمّا بقية المدن في كينيا فهي صغيرة الحجم، فمدينة ناكورو يصل عدد سكانها إلى حوالي ٥٠,٠٠٠ نسمة، وكيسومو حوالي ٣٣,٠٠٠ نسمة، وهي العاصمة الإدارية لإقليم نيانزا، وتتمتع هذه المدن الصغيرة بإمكانيات نمو حضري كبيرة تتمثل في التوسع الصناعي في المستقبل، بل إنَّ كيسومو قد قامت بها فعلاً بعض الصناعات مثل تعليب وتجميد الأسماك من بحيرة فكتوريا وكذلك ورش إصلاح السفن التي ترتاد موانىء هذه البحيرة.

٣ ـ أوغنده

أوغنده دولة مغلقة تبلغ مساحتها ٢٤٣,٤٠٨ كيلومتراً مربعاً بما فيها المسطحات المائية التي تصل إلى ١٥٪ من المساحة الكلية وتتمثل في أجزاء من بحيرات فكتوريا والبرت، وأدوارد وبحيرة كيوجا بأكملها، والمجاري النهرية الأخرى مثل نيل فكتوريا ونيل فكتوريا ونيل البرت، وتمثل هذه المسطحات بأكملها منابع النيل العليا في هضبة البحيرات، ويبلغ عدد سكان أوغنده ١٣,٨ مليون نسمة في منتصف ١٩٨٣، ويتزايدون بمعدَّل كبير يصل إلى أكثر قليلاً من ٣٪ سنوياً، وتصل كثافة السكان إلى ٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع، وهي كثافة عالية على مستوى القارة، بل إنَّ الكثافة تصل إلى عشرة أمثال هذا الرقم في مناطق التركز السكاني حول شواطىء بحيرة فكتوريا، ومعظم السكان من زنوج البانتو، ويتكونون من مجموعات قبلية أكبرها قبيلة الجاندا (١٦٪ من جملة السكان) ويشغلون أخصب المناطق في جنوب أوغنده، وكذلك الجماعات النيلية (خليط من الزنوج والحاميين) مثل قبائل الأتشولي في الشمال والقبائل الحامية (أنصاف الحاميين) مثل قبائل الكاراموجنج الرعوية في الشرق.

مظاهر السطح:

تتنوع مظاهر السطح في أوغنده من البحيرات الأخدودية غرباً إلى جبل

إلجون عند حدودها مع كينيا شرقاً، وتمتد المرتفعات الغربية جنوب بحيرة البرت حتى براكين فيرونجا Virunga، وفيما بينهما تقع كتلة جبل رونزوري (٤٨٦٤ متراً)، وقد ظهرت هذه المرتفعات نتيجة التواءات محلية وانكسارات ونشاط بركاني، وهي تنحدر بشدّة نحو قاع الوادي الأخدودي الغربي الذي يتراوح منسوبه بين ٤٥٠ ـ ٩٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر، وتشغل بحيرتا البرت وأدوارد بعض أجزائه، وتتميز هذه المناطق المرتفعة بغزارة الأمطار التي تسقط في معظم السنة ويسود الجفاف في فصل قصير يقع بين شهري ديسمبر وفبراير، (متوسط أمطار بلدة فورت بورتال في هذا الإقليم يصل إلى ٥٧ بوصة سنوياً).

أمّا الهضبة الوسطى فتتميز بكثرة المستنقعات والتلال الغابية في مقاطعة بوغنده والمقاطعة الشرقية، وتشغل بحيرة فكتوريا حوضاً ضحلاً بين فرعي الأخدود الإفريقي: الشرقي والغربي، وإلى الشمال منها مباشرة يوجد عدد من التلال ذات قمم مسطحة بفعل عوامل التعرية، وتفصل مستنقعات بحيرة كيوجا بين إقليم البحيرة جنوباً وهضبة أوغنده الشمالية المرتفعة شمالاً، وتغزر الأمطار قرب البحيرة حيث يزيد متوسطها السنوي على ٦٠ بوصة بينما تتناقص بالاتجاه نحو الشمال والشمال الشرقي حيث تتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠ بوصة سنوياً.

أمّا في شرق أوغنده وقرب حدودها مع كينيا ـ فيتميز السطح بعدد من الحافات البركانية التي تنحدر نحو بحيرة فكتوريا، وأبرز ملامحها جبل إلجون (٤٣.٦ متراً)، وإلى الشمال منه توجد هضبة واسعة يصل ارتفاعها إلى ١٢٣٠ متراً وتتناثر بها جبال انعزالية يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ٣٠٠٠ متراً، وتزيد الأمطار في الجنوب حيث يربو متوسطها على ٦٠ بوصة سنوياً، بينما تتناقص بشدّة نحو الشمال إلى ما دون ٢٠ بوصة ومن ثمّ يتحول المناخ إلى شبه صحراوي في الركن الشمالي الشرقي.

ورغم أنّ أوغنده ذات موقع استوائي، إلّا أنّ مناخها ليس حاراً بسبب ارتفاع سطحها ووجود مسطحات مائية واسعة به، ويمكن أن تنقسم السنة من

شمال البلاد إلى فصلين أحدهما دافىء ممطر والآخر حار وجاف، ولكن هذه الفوارق تختفي بالقرب من بحيرة فكتوريا ويتدنى المدى الحراري السنوي بها إلى لا شيء تقريباً، (أقل من درجة مئوية واحدة)، وبالتالي فإنَّ احتمالات ثبات الأمطار في جنوب أوغنده أعلى بكثير منها في وسطها وشمالها، (٧٤٪ في شواطىء البحيرة ـ ونحو ٤٪ فقط في جولـو على بعـد ٣٢٠ كيلومتراً إلى الشمال)، ومن هنا فإنَّ الزراعة لا تواجه مشكلات في الموارد المائية في الجنوب بل يمكن زراعة محصولين في السنة، بعكس الحال في الشمال الشرقي الذي يعدُّ تذبذب الأمطار المشكلات البارزة التي تواجه الإنتاج الزراعي به.

وتعكس الحياة النباتية الطبيعية هذين الإقليمين المناخين الرئيسيين في أوغنده، فالغابات المدارية المعدلة تسود في الجنوب قرب شواطىء بحيـرة فكتوريا، ولكن الكثير منها قد أزيل وحلَّت محله الزراعة، أمَّا في الشمال فتسود الحشائش التي تقل كثافتها بالتدريج حتى تتحول إلى حشائش قصيرة ذات أشجار مبعثرة في الأراضي الجافة في الإقليم الشمالي الشرقي.

الزراعة:

تبين الأرقام التالية أنماط استغلال الأرض في أوغنده سنة ١٩٧٤:

نمط الاستغلال	المساحة (ألف هكتار)	٪
أراض مزروعة	٥,٣٨٠	٢٦,٩
مراعي دائمة	٥,٠٠٠	٢٥,٠٠
غابات	٢,٧٥٩	١٣,٨
أراضي أخرى	٦,٨٣٢	٣٤,٢

ومن الواضح أنَّ الأرض الزراعية تشغل أكثر قليلاً من ربع مساحة البلاد، وتتركز في إقليم الجاندا شمال غرب بحيرة فكتوريا وعلى سفوح جبل إلجون في المقاطعة الشرقية، وعلى امتداد خط السكك الحديدية الشمالي، ويعمل نحو ٩٠٪ من السكان في الزراعة والرعي.

ويزرع في أوغنده الكثير من المحاصيل سواء للاستهلاك المحلي مثل الموز

والكاسافا والذرة الرفيعة والدخن والفول السوداني والأرز، أو كمحاصيل نقدية للتصدير خاصة البن والقطن والشاي وقصب السكر، ويقوم الإفريقيون بإنتاج معظم هذه المحاصيل في ملكيات صغيرة، وجدير بالذكر أنَّ أوغنده لم تشهد استيطاناً أوروبياً مثلما شهدته كينيا وذلك لأنَّ مرتفعاتها كانت مزدحمة بالسكان الوطنيين حتى قبل مجيء الأوروبيين بالإضافة إلى أنَّ ظروفها المناخية لم تلائم تماماً الاستيطان الأوروبي بها.

ويعد البن والقطن أهم المحاصيل التجارية، ويزرع البن في المناطق ذات الأمطار الوفيرة في شمال بحيرة فكتوريا في إقليم الباجندا وقرب بحيرة فكتوريا وعلى سفوح جبل إلجون في المقاطعة الشرقية حيث تكون الظروف أبرد وتلائم تماماً زراعته وقد تزايدت أهمية البن حتى أصبح يمثل نصف الصادرات وقد بلغ إنتاجها منه ١٥٥,٠٠٠ طن سنة ١٩٨٢ أي بنسبة ٣,١٪ من الإنتاج العالمي في تلك السنة، وتحتل المركز الثالث بين الدول الإفريقية بعد ساحل العاج وأنجولا.

أمَّا القطن فيزرع في كثير من أقاليم أوغنده خاصة في جنوبها الشرقي وحيثما لا تلائم الظروف الطبيعية زراعة البن - وحيث يوجد فصل جاف، ويأتي نصف الإنتاج تقريباً من المقاطعة الشرقية والربع من إقليم الباجندا والباقي من المقاطعتين الشمالية والغربية، ويحتل القطن المركز الثاني في قائمة الصادرات، وقد أنشئت المحالج ومعاصر الزيت المحلية بالقرب من مزارع القطن، كما أنشىء مصنع حديث للنسيج في مدينة جنجا Jinja حيث يصدر بعض إنتاجه إلى أسواق شرق إفريقيا.

أما الشاي فيزرع في المقاطعة الغربية خاصة في إقليم تورو Toro، وقد بلغ الإنتاج ٢١,٧٠٠ طن سنة ١٩٧٤، وتأتي أوغنده في المركز الثالث على مستوى إفريقيا بعد كينيا وملاوي، ويأتي الشاي في المركز الثالث في قائمة الصادرات الزراعية (٣,٥٪ سنة ١٩٦٧).

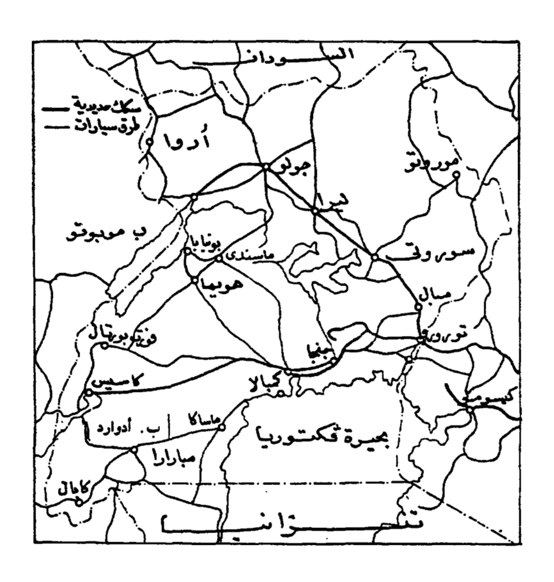
وبالإضافة إلى المحاصيل النقدية السابقة يزرع السكان كثيراً من المحاصيل الأخرى مثل الفول السوداني والسمسم والتبغ، وكذلك بعض المحاصيل المعاشية مثل الموز والكاسافا والبطاطا والذرة الرفيعة والفول، وتتركز كل هذه المحاصيل في مناطق كثيرة قرب بحيرة فكتوريا.

وتسود حرفة الرعي في مساحة كبيرة تصل إلى ربع مساحة أوغنده وإن كان ذباب تسي تسي قد حد من أعداد الماشية في بعض المناطق المنخفضة غرب البلاد، وتمثل منطقة شرق أوغنده (إقليم كارموجا) وشمال بحيرة كيوجا والأطراف الجنوبية الغربية أهم مناطق الرعي، وتربى الماشية ـ ومعظمها من نوع الزيبو ـ للحصول على لحومها وألبانها كما تربى أعداد من الأغنام والماعز، وبالإضافة إلى ذلك تقوم حرفة صيد الأسماك للاستهلاك المحلي في المسطحات المائية التي تمثل نحو ١٥٪ من المساحة الكلية للبلاد.

الصناعة:

سبق القول بأنَّ اقتصاد أوغنده يعتمد على الزراعة والرعي والتي يعمل بهما قرابة ٩٠٪ من جملة السكان، أمَّا الصناعة فيعمل بها نحو ٨٪ من حجم القوى العاملة بها، وتعتمد الصناعة على الإنتاج الزراعي والحيواني، وأهم الصناعات هي حلج القطن وصناعة السكر واستخراج الزيوت وتجهيز البن والشاي وقد قام الكثير من هذه الصناعات بالقرب من مناطق الإنتاج الزراعي خاصة في منطقة كمبالا ـ جنجا، وقد أدَّى توليد الطاقة الكهربائية من محطة أوين إلى تقدم الصناعة في أوغنده، وتقوم محطة التوليد هذه في مدينة جنجا على شلالات أوين عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا، وقد أصبحت هذه المدينة مركزاً لكثير من الصناعات خاصة صهر النحاس، وقد بدأت محطة التوليد منذ سنة ١٩٥٤ بطاقة قدرها ١٥ ميجاوات، ويصدر جزء من الطاقة المولدة إلى كينيا. وقد أنشئت صناعات أخرى في جنجا مثل صناعة النسيج والصناعات الغذائية وتكرير السكر والورق والتبغ وهناك مشروعات صناعية حديثة يزمع إنشاؤها بالمدينة.

وقد تطلبت التنمية الاقتصادية إنشاء عدد من الخطوط الحديدية مبكراً في أوغنده وكذلك طرق السيارات الجيدة، (شكل رقم ٩٢)، وتربط بين المدن الرئيسية في شمال البحيرة والأقاليم الشرقية والغربية وأهمها كمبالا - العاصمة (٤٦٠٠٠٠ نسمة) وجنجا (٤٧٠٠٠) ومبال (٢٣٠٠٠) وعنتيبي (٢١٠٠٠).



شكل رقم (٩٢)
النقل في أوغنـده

٤ ـ رواندا وبورندي

تقع دولتا رواندا (الواقعة إلى الشمال) وبورندي في منطقة هضبة مرتفعة شرق الوادي الأخدودي الغربي، وفيها بين زائير غرباً وتنزانيا شرقاً وأوغنده شمالاً، وقد بدأت سيطرة ألمانيا على المنطقتين في سنة ١٨٩٧ وحتى سنة ١٩١٦ عندما وضعتا تحت الانتداب البلجيكي من قبل عصبة الأمم (سنة ١٩١٩) ثمَّ تحوَّل الانتداب إلى وصاية من قبل الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٦ حتى استقلَّت الدولتان في سنة ١٩٦٢.

السكان والأرض:

تعدُّ رواندا وبورندي من أكثر أقطار إفريقيا ازدحاماً بالسكان، كما أنَّها أكثر دول القارة فقراً، وتبلغ مساحة رواندا ٢٦٢٣٠ كيلومتراً مربعاً ويعيش بها نحو ٥,٦ مليون نسمة وبكثافة عامة تصل إلى ٢١٣ نسمة في الكيلومتر المربع، بينما تبلغ مساحة بورندي ٢٧٨٢٧ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٤,٥ مليون نسمة، بكثافة تصل إلى ١٦٢ نسمة في الكيلومتر المربع، وتصل الكثافة الفيزلويوجية بهما إلى ٦١٢ نسمة و٣١٥ نسمة على الترتيب، ويتركز السكان في خمسي مساحة الدولتين وهي المناطق الصالحة للزراعة بهما، وقد أدّى ذلك إلى ضغط سكاني كبير على هذه الأراضي مما خلق مشكلات حادة أبرزها تعرية التربة والرعي الزائد، وتسود هذه المناطق الكثيفة السكان في الأقاليم المرتفعة بين منسوب ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر من الشمال الغربي حتى جنوب وسط البلاد، أمَّا بقية أراضي الدولتين فهي قليلة الكثافة السكانية بدرجة تتناقض تماماً مع المناطق السابقة، وتتمثل مناطق التشتت السكاني في الدولتين في الوادي الأخدودي الحار شبه الجاف، والأجزاء المدرجة في منطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو، ثمَّ المستنقعات الشرقية.

وقد أدّى الضغط السكاني الكبير في رواندا وبورندي إلى هجرة خارجية كبيرة تتجه تياراتها للعمل في الدول المجاورة، وأكبر هذه التيارات ذلك الذي يخرج من رواندا إلى أوغنده، ومن بورندي إلى تنزانيا وزائير، وقد استوطن عدد

من هؤلاء المهاجرين مقاطعة كيفو في زائير (فيما بين عام ١٩٤٠ - ١٩٥٤) وكذلك في أوغنده، ويقدّر عدد المهاجرين للعمل بها نحو ٣٠٠,٠٠٠ مهاجر يكونون نحو ١٥٪ من جملة القوى العاملة بها.

ويتكون سكان الدولتين من عدَّة قبائل أبرزها جماعات الهوتو Hutu أو الباهوتو والذين يكوِّنون نحو ٨٤٪ من جملة السكان وهي جماعات من زنوج البانتو تمارس الزراعة المعاشية الكثيفة، ثمَّ جماعات التوتسي Tutsi (أو الباتوتسي) الحامية والرعوية، التي وفدت من أثيوبيا عن طريق الأقاليم الواقعة شرق نيل فكتوريا، وهي تكوِّن نحو ١٥٪ من جملة السكان، وبالإضافة إلى هذه الجماعات توجد قبائل صغيرة العدد أهمها أقزام توا Twa التي تعمل بالقنص والجمع وبعض الحرف اليدوية البسيطة.

النشاط الاقتصادي:

تبين الأرقام التالية أنماط استغلال الأراضي في دولتي رواندا وبورندي (٪):

النمط	رواندا	بورندي
أراضي مزروعة	٣٥,٦	٤٥,٣
مراعي دائمة	٢١,٤	١٦.٩
غابات	١١,٠	٣,١
أراضي أخرى	٢٦,٦	٣٤,٧
	١٠٠	١٠٠

وتمثل الزراعة أساس اقتصاد الدولتين، وتمارسها جماعات الباهوتو ويتركز إنتاجهم في المحاصيل المعاشية مثل الكاسافا والفول والذرة والبطاطا، ويعيش معظمهم في أكواخ تأخذ ل خلية النحل ويزرعون حولها الخضر والموز، كما يزرعون البن في المناطق الأعلى بينما يزرع القطن ونخيل الزيت في بعض مناطق الوادي الأخدودي، وهذه المحاصيل الأخيرة تسهم في الاقتصاد النقدي للبلاد

حيث شكل البن بمفرده نحو ٧٥٪ من جملة الصادرات

أما الرعي فتمارسه قبائل الواتوتسي، وهم يتركزون في بورندي وشمال شرق رواندا، وقد ساعد على قيام حرفة الرعي هنا خلو الدولتين - باستثناء منخفضات الوادي الأخدودي - من ذباب تسي تسي، ويؤدي الرعي الزائد إلى تعرية حادة للتربة كما سبق القول.

أمَّا التعدين فيتمثل في إنتاج القصدير وبعض المعادن المرتبطة به مثل التنسجتن ويتم استخراجها من شمال بحيرة تنجانيقا وشرق بحيرة كيفو، ويكون القصدير نحو خمس الصادرات إلى الخارج.

وتعدُّ كيجالي عاصمة رواندا، يصل عدد سكانها الحالي ٥٥٠٠٠ نسمة (١٩٨٢) وبوجمبورا Bujumbura عاصمة بورندي وسكانها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، وتحظى المدينة الأخيرة بأهمية أكبر فقد كانت عاصمة المنطقتين في عهد الانتداب والوصاية كما أنَّها ذات نشأة أوروبية، وتقع في الوادي الإخدودي في الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة تنجانيقا، وتمر عن طريقها معظم التجارة الخارجية للدولتين، حيث تنقل بالقوارب إما إلى كيجوما في تنزانيا ومنها بالسكك الحديدية إلى دار السلام أو إلى ميناء كاليمي في زائير ومنه بالسكك الحديدية إلى نهر الكونغو أو كاساي حتى متادي على ساحل المحيط الأطلسي. وهي مسافات طويلة يعاد شحن البضائع مرات متعددة عليها مما يجعلها مجهدة اقتصادياً، ولكن هذا هو قدر الدول الحبيسة دائماً.

٥ - إثيوبيا

تمتد إثيوبيا بين دائرتي عرض ٤° شمالاً و١٨ شمالاً وفيما بين خط طول ٣٣ و٤٨° شرقاً في شكل مندمج تبلغ مساحته ١,٢٢٢,٠٠٠ كم مربعاً وبسكان قدِّر عددهم بحوالي ٣١ مليون نسمة سنة ١٩٨٣، وهي تشغل هضبة ضخمة ضمن هضاب شرق إفريقيا ولكنها ذات شخصية طبيعية وحضارية متميزة، بل لا يوجد في إفريقيا كلها إلَّا القليل من المناطق المرتفعة الواسعة التي

تتباين ظاهراتها البيئية والبشرية كما هي الحال في إثيوبيا، فهي تقع في منطقة اتصال إفريقي أسيوي وارتبطت في تاريخها الطويل بالنطاق العربي الذي يجاورها شمالاً وشرقاً وجنوباً وأقدم ما يعرف عنها هو نشأة مملكة أكسوم في الشمال في القرن الميلادي الأول والتي بلغت شأواً كبيراً في مستواها الحضاري وتحوَّلت إلى المسيحية في أواخر القرن الرابع الميلادي[1] وبعد أن انتشر الإسلام في القرن السابع في أطراف الهضبة شرقاً وجنوباً، انعزلت هذه المملكة في الداخل واستطاعت أن تمد نفوذها نحو الجنوب، وكان من دوافع البرتغاليين للكشف مبكراً عن إفريقيا في القرن السادس عشر هو محاولة الوصول إلى هذه المملكة المسيحية لتطويق العالم الإسلامي، ولكنها ظلَّت معزولة ومجهولة لعدَّة قرون حتى القرن التاسع عشر عندما بدأ الرحالة والتجار والمبشرون الأوروبيون في التسلل إليها، ورغم تقسيم ساحل القرن الإفريقي بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا إلاَّ أنَّ الحبشة ظلَّت بعيدة عن النفوذ الأوروبي في العصر الحديث باستثناء فترة قصيرة احتلتها فيها إيطاليا (من ١٩٣٦ - ١٩٤١) بعد معارك طاحنة ولكنها استقلَّت بعد ذلك، وألحقت بها ارتريا كوحدة ذات حكم ذاتي في اتحاد فيدرالي يجمعهما في سنة ١٩٥٢ ولكن إثيوبيا ضمَّتها نهائياً سنة ١٩٦٢ وتناضل أرتريا حالياً في سبيل الاستقلال والتحرر من السيطرة الإثيوبية.

البيئة الطبيعية:

تتكون إثيوبيا من هضبة ضخمة ترتكز على قاعدة صخرية صلبة وتعلوها طبقات من الصخور الرسوبية كالحجر الجيري والحجر الرملي، كما تتغطى هذه الهضبة في مناطق واسعة بطبقات سميكة من اللافا البركانية، وقد ارتبط النشاط البركاني بالانكسارات الشديدة التي صاحبت نشأة الأخدود الإفريقي الذي يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وما زالت هناك بعض الشواهد على عدم استقرار البنية وحداثة تكوينها وأبرزها البراكين الصغيرة والهزات الأرضية

(١) تحوَّلت إثيوبيا إلى المسيحية على يد أقباط مصريين، وكان مطران الحبشة يعين من مصر منذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٥١.

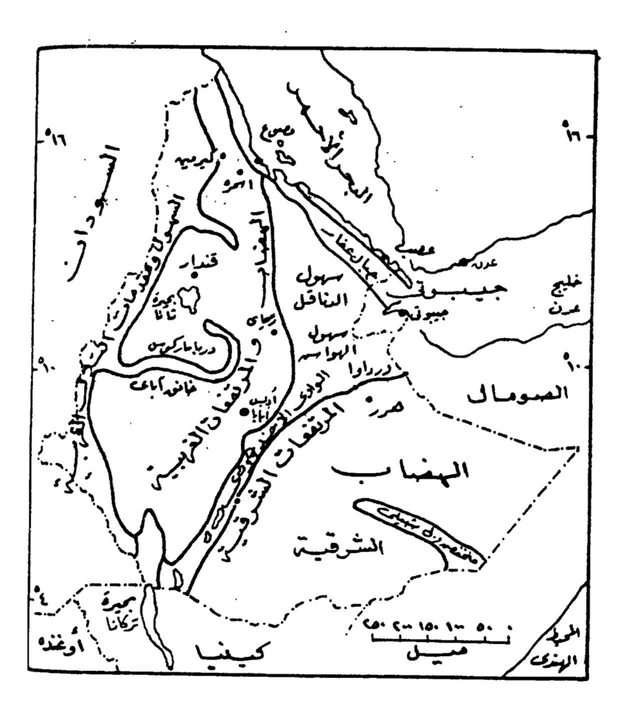
والطفوح البركانية الحديثة والينابيع الحارة.

ومن (الشكل رقم ٩٣) يبدو أنَّ الأخدود الإفريقي يفصل الهضاب الشرقية (أو الهضبة الصومالية) عن الهضاب والمرتفعات الغربية (أو هضبة الحبشة)، وقد تعرضت هذه الهضاب والجبال لانكسارات ضخمة، كما أنَّها معقدة التركيب الجيولوجي ووعرة التضاريس بشكل حاد مما عاق كثيراً من التنمية الزراعية والعمران والنقل.

وتتميز الهضاب والجبال الغربية بارتفاعها الكبير الذي يصل أقصاه في كتلة سيمين Semien والتي تصل أعلى قمّة بها إلى ٤٦٢٠ متراً، كما تتميز بتقطعها النهري الشديد بأودية عميقة من أكبرها وأعمقها خانق النيل الأزرق الأعلى (نهر أباي) والذي عمق مجراه ليصل منسوبه إلى أكثر من ١٨٣٠ متراً تحت مستوى سطح الهضبة، وينبع هذا النهر من بحيرة تانا وهو أطول أنهار الهضبة الإثيوبية، وهناك بعض الأنهار الهامة الأخرى مثل نهر عطبرة ونهر بارو (السوباط) وهي تمثل روافد النيل العليا في هضبة إثيوبيا، ثمَّ نهر أومو وروافده التي تنصرف نحو بحيرة توركانا.

أمَّا الهضاب والمرتفعات الشرقية فتتميز بحافة عالية مواجهة للأخدود الإفريقي إلاَّ أنَّها تنحدر تدريجياً نحو الجنوب الشرقي صوب ساحل المحيط الهندي، وتوجد في هذه الهضبة كتلة بالي - وهي أوسع الكتل الجبلية المرتفعة في إثيوبيا كلها حيث يصل منسوبها إلى ٣٠٠٠ متراً، وتنصرف مياه الأجزاء الشمالية من هذه المرتفعات إلى نهر ويبي شبلي، أمَّا الأجزاء الجنوبية فيصرفها نهر جوبا.

وكان لمظاهر السطح أثر كبير في الظروف المناخية والنباتية السائدة في إثيوبيا، وقد أدَّى التفاعل بين هذه العناصر مجتمعة إلى تقسيم الإثيوبيين لبلادهم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية لكل منها خصائصة من حيث منسوب السطح والمناخ والنبات، وهذه الأقاليم هي:



شكل رقم (٩٣)
الأقاليم التضاريسية الرئيسية في إثيوبيا

١ - إقليم القلة **Kolla**: ويشمل الأراضي المنخفضة حتى ارتفاع ١٨٠٠ متراً، ويتميز بالحرارة العالية والأمطار القليلة، فيصل متوسط الحرارة إلى ٢٦° مئوية، وتقل أمطاره عن ٢٠ بوصة سنوياً، وهو بذلك يعدُّ إقليماً صحراوياً

تسود به النباتات الشوكية، وحشائش السفانا الخشنة، ويتمثل في سهول الدناكل ووادي هواش والمنحدرات الدنيا للهضبة الصومالية، والحياة البشرية في هذا الإقليم انعكاس للظروف الصحراوية، فالسكان قليلون يتميز توزيعهم بالتبعثر الشديد وأغلبهم من رعاة الإبل والأغنام.

٢ ـ **إقليم وُينادِيجا Woina Dega**: ويقع بين ١٨٠٠ و ٢٤٤٠ متراً ومناخه شبه مداري تصل حرارته في المتوسط إلى ٢٢° مئوية وتتراوح أمطاره بين ٢٠ ـ ٦٠ بوصة سنوياً، وهذا الإقليم يعرف بمرتفعات النبيذ ويشمل معظم المناطق الهضبية ـ والتي تتميز بأخصب الأراضي الزراعية ومن ثمَّ فهي أكثر أقاليم إثيوبيا كثافة في السكان، ويزرع به القطن والبن والذرة الرفيعة وبعض فاكهة البحر المتوسط كالأعناب والزيتون.

٣ ـ **إقليم ديجا Dega**: ويشمل الأراضي التي يزيد منسوبها على ٢٤٤٠ متراً، وهو أقل في حرارته وأغزر في أمطاره من الإقليمين السابقين، حيث يصل متوسط الحرارة به إلى ١٦° مئوية والأمطار من ٥٠ ـ ٧٠ بوصة سنوياً، وتنمو به الحشائش الجبلية وبعض الغابات دائمة الخضرة، وتسود في هذا الإقليم حرفة الزراعة لإنتاج المحاصيل المعتدلة خاصة القمح والشعير والفول والفاكهة، كما تتركز به تربية الحيوان على الحشائش الطبيعية.

ويتميز مناخ إثيوبيا بفصلين رئيسين: الفصل الموسمي المداري المطير والذي يعرف بفصل المطر الكبير وهو يستمر عادة من منتصف يونيه حتى سبتمبر، ثمَّ يعقبه الفصل الجاف الذي يتخلله سقوط بعض الأمطار في فبراير أو مارس ولذا يعرف بموسم المطر الصغير، وتسقط الأمطار الموسمية بغزارة شديدة ويكون لها تأثير سيء على التربة والزراعة في المناطق المرتفعة حيث تؤدي إلى تعرية التربة بشكل حاد، وإن كانت التربة البركانية الخصبة تسود في مناطق كثيرة، وتوضح الأرقام التالية الحرارة والمطر في أديس أبابا (ارتفاعها ٢٤٥٠ متراً فوق سطح البحر):

الحرارة (م)		الأمطار (بوصة)	
أعلى شهر	أدنى شهر	أعلى شهر	جملة السنة
١٩° (مايو)	١٥° (ديسمبر)	٦,٣ (أغسطس)	٣٥,٣

سكان إثيوبيا:

إثيوبيا من دول العالم القلائل التي لم تأخذ تعداداً سكانياً على الإطلاق، ومن ثمَّ يخضع التحليل الديموغرافي لها للتقديرات المختلفة وأهمها تقديرات الأمم المتحدة، وقد قدِّر عدد سكانها بنحو ٣١,١ مليون نسمة في منتصف سنة ١٩٨٣ بكثافة عامة تبلغ ٢٦ نسمة في الكيلومتر المربع، ومن المتوقع أن تتباين الكثافة في الأقاليم الطبيعية ـ البشرية، فتصل أعلى الكثافات في إقليم وينادبجا كما ترتفع على امتداد طرق النقل البري.

وإثيوبيا مثل واضح على توزيع السكان في المناطق الجبلية، فثلاثة أرباع سطحها يزيد على ٥٠٠ متر فوق مستوى البحر، ويعيش ٩٠٪ من سكانها مناطق تعلو على ١٠٠٠ متر حيث الظروف المناخية ملائمة وأسهمت الأمطار في قيام الزراعة، وساعد على ذلك التربة البركانية السوداء والحمراء. ورغم أنَّ الكثافة تصل إلى ضعف متوسط القارة فإنَّ التوزيع السكاني غير متساو، فالمناطق المنخفضة قليلة السكان يعيش بها البدو وأشباه البدو، بينما تتعاظم الكثافة في المناطق المرتفعة حتى إنَّ بعضها يعاني ضغطاً سكانياً شديداً، ومع ذلك فهناك مناطق عالية فيما بين منسوبي ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر قليلة الكثافة ولعلَّ السبب الرئيسي في ذلك هو انتشار الملاريا في هذه المناطق.

وتتميز إثيوبيا بتعدد الأصول البشرية واللغات والأديان، بدرجة تثير الدهشة في استمرارها دولة موحدة منذ قرون عديدة، ويرجع هذا التركيب العرقي والديني المتعدد الجوانب إلى موقع إثيوبيا بين أقطار الوطن العربي وإفريقيا الزنجية وتعرضها على امتداد تاريخها الطويل لموجات متعاقبة من المجموعات البشرية المختلفة الأصول، فمن المرجح أنَّ الحضارة الإثيوبية ترجع إلى استيعاب واختلاط الشعوب الحامية التي اختلطت بالقبائل السامية في الألف الأولى من

الميلاد تقريباً، وهي في جملتها شعوب قوقازية اتّحدت في مملكة أكسوم في الفترة من القرن الأول حتى القرن السابع الميلادي، أمَّا العناصر الزنجية فتسود في جنوب إثيوبيا ومن المعتقد أنّها ترجع إلى عنصر زنجي قديم دفعته العناصر الحامية نحو الجنوب.

وعلى ذلك يمكن تقسيم إثيوبيا عرقياً إلى قسمين:

١ ـ الجماعات القوقازية: وهي تضم معظم سكان إثيوبيا، وتنقسم بدورها إلى قسمين رئيسين: الساميون والحاميون، وتعيش المجموعة السامية في شمال ووسط إثيوبيا وبالتحديد هي هضاب تيجرة في الشمال والأمهارا وجوجم في الوسط ومعظم شوا في الشرق، وتنقسم لغوياً إلى التيجرينية والتيجرا في الشمال والأمهارا في الوسط والجنوب، وكانت مجموعة الأمهارا هي الطبقة الحاكمة دائماً وأصبحت اللغة الأمهرية هي اللغة الرسمية للدولة، كما أنَّ ديانتهم المسيحية القبطية هي الديانة الرسمية كذلك.

أمَّا الحاميون فينقسمون إلى عدَّة مجموعات أكبرها مجموعة الجالا Galla الذين يرتبطون جنسياً بالجماعات الصومالية ويعيشون في القسم الأوسط والغربي من الهضبة الصومالية، وهم يضمون قبائل مسلمة ومسيحية وبقي البعض الآخر على وثنيته، ومعظم الجالا زراع ورعاة وهم بعكس بعض الإثيوبيين المستقرين يعيشون في مساكن منعزلة وتجمعات عائلية صغيرة.

ومن المجموعات الحامية الأخرى في إثيوبيا ـ الصوماليون في إقليم أوجادين وهرر في الجنوب الشرقي، وجماعات الدناكل في السهل المعروف بإسمهم، وكلها جماعات مسلمة تحترف رعي الإبل، كما توجد مجموعة حامية أخرى تعرف بجماعات الفلاشا ـ أو اليهود السود ـ وهم يعيشون شمال بحيرة تانا، وكذلك جماعة السيداما ويعيشون في الجنوب.

٢ ـ الجماعات الزنجية والمتزنجة: وهي صغيرة الحجم إذا قورنت بالجماعات القوقازية، وتسكن أطراف إثيوبيا الغربية، وتنقسم بدورها إلى مجموعات

أبرزها النيليون في أعالي نهر السوباط وروافده والنيليون الحاميون في أقصى الجنوب الغربي حول بحيرة توركانا وحوض نهر أومو الأدنى.

وهكذا يبدو التركيب العرقي لسكان إثيوبيا معقداً للغاية (انظر الشكلين رقم ٩٤، ٩٥)، ويزيد في تعقيده أنَّ هناك مجموعاتٍ لغوية تصل إلى حوالي ٥٠ لغة مختلفة أهمها مجموعة الجالا الذين يكوِّنون حوالي نصف السكان، ومجموعة الأمهارا يصل عددهم إلى حوالي عشر سكان إثيوبيا ومع ذلك فإنَّ لغتهم هي لغة البلاد الرسمية، ولا شك أنَّ وعورة التضاريس وقلّة الاتصال بالخارج أسهماً في عزلة الجماعات العرقية المختلفة وظهور النزعات الإقليمية، كما أخَّر كثيراً من تنمية هذه الجماعات التي تصل نسبة الأمية لديها إلى ٩٠٪ من جملة السكان.

والمجتمع الإثيوبي مجتمع زراعي ورعوي في جملته، ولا يعيش في المدن القليلة به سوى ١١٪ من جملة السكان وفيها عدا العاصمة أديس أبابا (١,٢ مليون نسمة) وأسمره (٣١٨٠٠٠ نسمة) في إرتريا ودرداوا (٧٣,٠٠٠) فإنَّ بقية المدن يقل حجم كل منها عن ٦٠,٠٠٠ نسمة، وغالباً ما تكون مراكز للأسواق الإقليمية تحيط بها الأسوار، وتتناقض في مظهرها تماماً عن العاصمة أديس أبابا - التي تقع على ارتفاع ٢٤٥٠ متراً في قلب أغنى الأقاليم الزراعية، وساعد على نموها طرق المواصلات المختلفة خاصة خط السكك الحديدية الذي يربطها بميناء جيبوتي على الساحل ويبلغ طوله ٧٩٣ كيلومتراً.

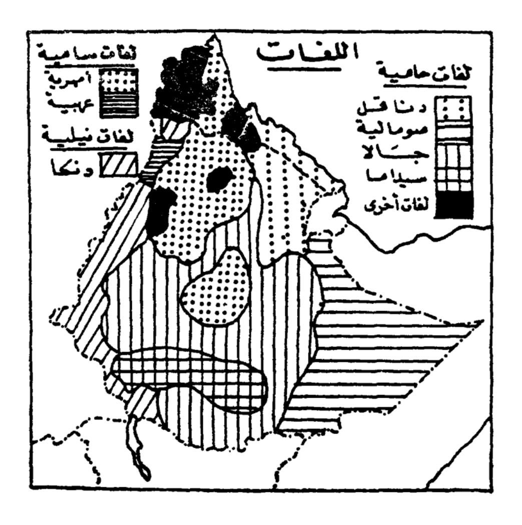
النشاط الاقتصادي:

تعدُّ الزراعة عماد الاقتصاد الإثيوبي وهي مصدر العيش لنحو ٩٠٪ من السكان، وتكون الصادرات الزراعية حوالي ٩٠٪ من قيمة الصادرات ورغم ذلك لا تزيد نسبة الأراضي المزروعة على ١١٪ فقط من جملة مساحة البلاد، مقابل ٥٣٪ للمراعي الطبيعية ٧٪ للغابات والباقي أراضي بور(١)، ولكن

(١) F.A. O.Prodution Yearbook, 1977, Vol, 31, P. 46

إمكانيات النمو الزراعي ضخمة في إثيوبيا لدرجة أنَّ حوالي نصف مساحة البلاد يمكن زراعته بطريقة أو بأخرى سواء على الأمطار أو على الري.

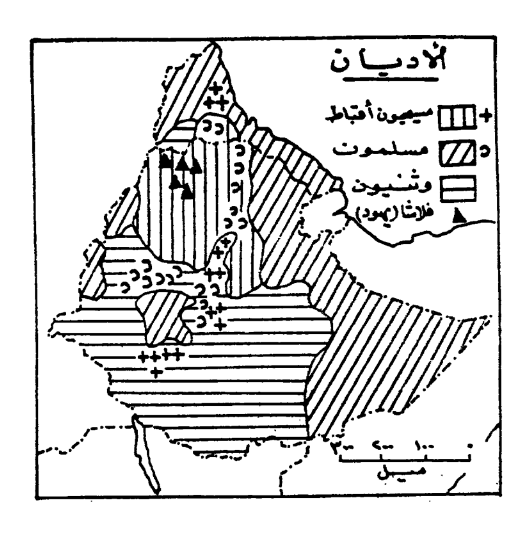
والزراعة في إثيوبيا متخلفة تستخدم أساليب بدائية وتقوم على أساس معاشي وتعتمد على إنتاج الحبوب الغذائية، وأهم هذه المحاصيل نوع من الذرة الرفيعة يسمى التف Teff الذي يعد الغذاء الرئيسي للسكان بالإضافة إلى الذرة والقمح والشعير والذرة الرفيعة، أمَّا المحصول النقدي فهو البن العربي الذي يمثل نحو ثلثي قيمة صادرات إثيوبيا، ويزرع في الجنوب الغربي وفي إقليم هرر، كما توجد كثير من المناطق التي ينمو فيها البن برياً دون رعاية، ومن



شكل رقم (٩٤)
اللغات في إثيوبيا

المعتقد أنَّ هضبة الحبشة هي الموطن الأصلي للبن في العالم كله (البن العربي)، ومع ذلك فإنَّ إنتاجها وصل إلى ٢٠٢٠٠٠ طن فقط سنة ١٩٨٢ أي نحو ٤,١٪ من جملة الإنتاج العالمي من البن في تلك السنة.

ومن المحاصيل الأخرى القطن الذي بدأت أهميته في التزايد وتسود زراعته في مناطق التربة الصلصالية السوداء، ولكن إنتاجه قليل لدرجة تستدعي استيراد كميات من القطن لمصانع النسيج في أسمرة ودير داوا وأديس أبابا، وكذلك يتم إنتاج قصب السكر على نطاق واسع وبكميات كبيرة، وقد ساعد ذلك على وقف استيراد السكر على نطاق واسع وبكميات كبيرة، وقد



شكل رقم (٩٥)
الأديان في إثيوبيا

ساعد ذلك على وقف استيراد السكر من الخارج اعتماداً على الإنتاج المحلي، ويتم ذلك في مصنع «وونجي Wonji على بعد حوالي ٨٠ كيلومتراً جنوب شرق أديس أبابا.

وتزرع الفاكهة والخضر للتسويق ولكن بكميات قليلة وإن كانت مساحاتها آخذة في التزايد خاصة في المناطق التي تعتمد على الري في أريتريا وأهم هذه المحاصيل الكروم، كما تنتج بذور الزيت بكميات كبيرة على أساس تجاري حتى إنّها تشكل ثالث محاصيل التصدير في التجارة الخارجية (١٠٪) وأهم هذه البذور السمسم وعباد الشمس والخروع والقطن والخردل وغيرها.

وتكوّن الثروة الحيوانية عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإثيوبي، وما زال عددها دليلاً على الثراء خاصة بين جماعات البدو في السهول الجافة والرعاة المستقرين في مقدمات الجبال، ويقدّر عدد رؤوس الماشية بحوالي ٢٦ مليون رأس وهي في ذلك أكبر دول إفريقيا امتلاكاً لها، كما يقدر عدد الأغنام بنحو ١٣ مليون رأس والماعز ١٢ مليون والإبل بنحو مليون رأس، بالإضافة إلى حيوانات الجر مثل الخيول (١,٤ مليون) والبغال (١,٤) والحمير (٣,٩ مليون)، ورغم هذه الثروة الحيوانية الكبيرة فإنّ خصائصها سيئة وإنتاجها من اللحوم والألبان قليل، وتنتشر بينها كثير من الأمراض حتى إنّه يقدّر أنّ حوالي ١,٥ مليون رأس من الماشية تنفق سنوياً بسبب الأمراض المختلفة خاصة الطاعون البقري والسل، ولهذه الأسباب ترفض الأسواق الخارجية استيراد اللحوم الإثيوبية، وذلك رغم أنّ الجلود تعدّ ثاني عناصر الصادرات (١٤٪) ويتجه معظمها إلى الولايات المتحدة وإيطاليا وألمانيا الغربية.

وهكذا تبدو الموارد الزراعية والحيوانية في إثيوبيا ضخمة بدرجة تجعل في الإمكان أن تكون مصدراً رئيسياً للغذاء في الشرق الأوسط وأفريقيا، ولكن ذلك يتطلب جهوداً ضخمة واستثمارات كبيرة وثورة اجتماعية جذرية ضدّ التخلف ـ وكلها أمور يصعب تحقيقها على المدى القريب.

الصناعة والتعدين:

تلعب الصناعة والتعدين دوراً صغيراً في الاقتصاد الإثيوبي، ولا توجد إلاّ عدّة مئات من المشروعات الصناعية الصغيرة التي قدّر عدد العاملين بها بنحو ٥٥٠٠٠ نسمة سنة ١٩٦٦، ومن هذا العدد يعمل ٤٠٪ في الصناعات الغذائية، و ٣١٪ من صناعة النسيج وتقوم الصناعة في ثلاث مناطق رئيسية هي: أديس أبابا ـ الناصرة وأسمرة ودير داوا، وتعد الاستثمارات الإثيوبية قليلة للغاية في هذا الصناعات ولذا فإنّ معظم رؤوس الأموال أجنبية.

٦ ـ جزر القمر

وهي جزر بركانية فيما بين اليابس الإفريقي وجزيرة مدغشقر تبلغ مساحتها ٢١٧١ كم مربع، وقد عمرت بالسكان الذين وفدوا من شرق إفريقيا ومن شبه الجزيرة العربية وجنوب آسيا، ويدين سكانها البالغ عددهم ٤١٠,٠٠٠ نسمة بالدين الإسلامي ويتكلمون اللغة السواحلية المختلطة باللغة العربية، وتعاني هذه الجزر من مشكلات عدّة أبرزها الضغط السكاني الشديد وتعرية التربة.

وجزر القمر ذات مناخ مداري مطير وتنمو غابات المانجروف على سواحلها، ولكن مساحات كبيرة من الغابات قد أزالها السكان لزراعة جوز الهند، وتسود هذه الزراعة حتى ارتفاع ٤٠٠ متراً، ويليها بعد ذلك غابات طبيعية حتى ارتفاع يصل إلى ١٧٧٠ متراً.

وكان لموقع جزر القمر في شرق إفريقيا دور كبير في تعدد أصول سكانها، فقد استقبلت مهاجرين من شرق القارة ومن أندونيسيا وبلاد الفرس وشبه الجزيرة العربية منذ أواخر القرن الخامس عشر، كما تأثرت بالأوروبيين أيضاً خاصة البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين.

ويعتمد اقتصاد جزر القمر على الزراعة، وهي تتباين في أساليبها وطرقها بدرجة كبيرة، ويزرع جوز الهند في المناطق المستوية الخصبة وهو يعد المجصول

الغذائي الرئيسي ومصدراً للألياف وبعض مواد البناء، وتزرع معه بعض المحاصيل الإستوائية، أمَّا المنحدرات المدرجة العليا، فيعد الأرز المحصول الرئيسي، وقد أدَّت زراعته إلى تعرية حادة للتربة.

وقد أدخل الأوروبيون في فترة سيطرتهم على جزر القمر ـ زراعة بعض المحاصيل التجارية بأسلوب علمي، وذلك لإنتاج السكر والبن والكاكاو وجوز الهند، والفانيليا وبعض نباتات الزيوت والسيسل، ويعمل كثير من العمال الزراعيين في المزارع العلمية التي يصدر معظم إنتاجها للخارج.

ويرجع التطور العمراني الحضري الذي شهدته جزر القمر إلى العرب الذين وفدوا مبركاً، ولذلك تبدو السمات العربية مميزة للكثير من المدن الصغيرة بها، وقد أصبحت مدينة موروني Moroni (٢٥٠٠٠ نسمة) عاصمة لهذه الجزر منذ سنة ١٩٦١ وهي تقع على جزيرة القمر الكبرى.

٧ ـ مدغشقر
(جمهورية مالاجاشي)

تقع جزيرة مدغشقر في جنوب غرب المحيط الهندي، ويفصلها عن يابس إفريقيا مضيق موزمبيق الذي يبلغ عرضه ٤٠٠ كم، وهي بمساحتها التي تصل إلى ٥٨٧٠٠٠ كم مربعاً وبسكانها الذين يصل عددهم إلى حوالي تسعة ملايين نسمة ـ تبدو ذات شخصية فريدة تميزها عن أي جزء آخر من أجزاء إفريقيا، وأبرز ملامح هذه الشخصية أنَّها تختلف في أصول سكانها ولغتهم وثقافتهم وحتى في النشاط الزراعي الذي يعتمد على إنتاج الأرز بدرجة كبيرة، ورغم أنَّ البرتغاليين قد ارتادوا سواحلها منذ القرن السادس عشر إلَّا أنَّ اتساعها وسطحها الجبلي وموقعها المتطرف والمنعزل في شرق إفريقيا قد أخَّر كثيراً من استغلال أقاليمها الداخلية حتى الستينيات من القرن الماضي عندما خضعت للنفوذ الفرنسي، وقد تحررت من هذه النفوذ واستقلت سنة ١٩٦٠ تحت اسم جمهورية مالاجاشي وقد دعت هذه الشخصية الفريدة لمدغشقر إلى أن يطلق

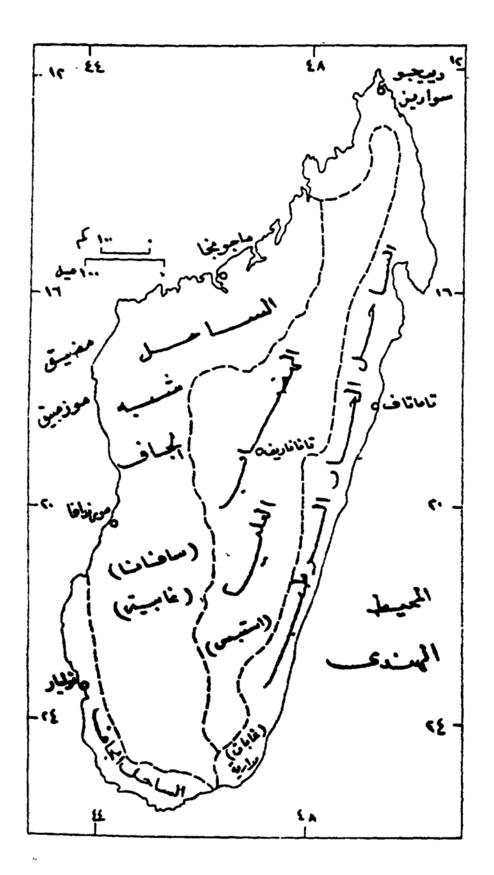
عليها بعض الكتاب شبه القارة الأفرو أسيوية.

يبدو سطح مدغشقر في معظمه على هضبة عالية تمتد نحو ١٢٢٣ كم من الشمال للجنوب ونحو ٤١٨ كم من الشرق للغرب بمتوسط ارتفاع يصل إلى ١٢١٥ متراً، وهي مقطعة بشدّة بالخوانق والأودية النهرية العميقة، وتقل جداً المناطق المسطحة بها وهي تشبه في ذلك بعض هضاب جنوب إفريقيا، وتعلو القمم الجبلية البركانية في هذه الهضبة إلى ارتفاعات كبيرة مثل جبل تساراتانانا في الشمال الذي يصل إلى ٢٨٨٠ م، وكتلة أنكارنزا في الوسط وارتفاعها ٢٦٤٤ م وهي تكوّن منابع معظم أنهار مدغشقر، ولما كانت المرتفعات الهضبية قريبة من الساحل فقد تميزت الأنهار المنصرفة منها شرقاً بالقصر والسرعة، أمّا الأنهار التي تتجه نحو مضيق موزمبيق فهي أطول وأقل سرعة، ويكون بعضها دلتاوات ساحلية ويرجع ذلك إلى انحدار المرتفعات تدريجياً واتساع السهل الساحلي الغربي (شكل رقم ٩٦).

وتقع جزيرة مدغشقر في العروض المدارية حيث يمر مدار الجدي بقسمها الجنوبي، وتمتد حتى دائرة عرض ١٢° جنوباً في طرفها الشمالي، وقد أدَت التضاريس، والموقع إلى تتابع واضح في المناخ، فهو يتراوح من المداري الرطب في السواحل الشرقية إلى المداري شبه الجاف في الجنوب الغربي كما يسود في المرتفعات المناخ المعتدل.

ويتفاوت المطر السنوي ١٢٨ بوصة في تاماتاف Tamatave وأكثر من ١٠٠ بوصة في نوسي ـ بيه Nossi - Bè في الشمال الغربي إلى أقل من ١٥ بوصة في الجنوب الغربي (حيث يصل طول الفصل الجاف إلى ٨ أو ٩ شهور في السنة) وتسقط كمية تتراوح من ٤٠ إلى ٨٠ بوصة من المطر في معظم المرتفعات الوسطى مع وجود فصل جاف يبلغ طوله من خمسة إلى ستة شهور.

وعلى ذلك فإنّ ارتفاع درجة الحرارة وغزارة الأمطار في الساحل الشرقي لمدغشقر يجعله ذا مناخ شبه استوائي وإن كانت أمطاره تصل إلى قمتها في فصل



شكل رقم (٩٦)
الأقاليم الطبيعية في مدغشقر

الصيف، أمَّا السهول الغربية فذات مناخ مداري ممطر صيفاً يشبه مناخ موزمبيق على الساحل الإفريقي، ثمّ بعد ذلك القسم الجنوبي الغربي الجاف وشبه الجاف (شكل رقم ٧٧).

السكان:

يرجع الشعب المالاجاشي في أصله إلى العناصر الإفريقية والأسيوية، فقد عمرت الجزيرة مبكراً بسكان من جماعات البانتو الإفريقيين من شرق إفريقيا وفدت عن طريق جزر القمر، وجلبوا للجزيرة الاقتصاد الرعوي، وما زال التأثير الإفريقي واضحاً في السهول الغربية حيث تعيش قبائل الرعاة التي استمدت مظاهرها الحضارية من أصولها الإفريقية.

أما الأسيويون فقد وفدوا أساساً من أندونيسيا والملايو في موجات متعاقبة عبرت المحيط الهندي واستوطنت مدغشقر، على امتداد عدة قرون.

بالإضافة إلى هذه العناصر الأسيوية فقد وفد إلى مدغشقر عناصر أخرى من ريو نيون وموريشيوس والهنود والصينيين واليونان والعرب وهؤلاء تفرقوا في التجارة والزراعة العلمية، ورغم كل هذا التباين في أصول السكان فقد نجحت مدغشقر في تكوين قومية مالاجاشية متجانسة إلى حد كبير وفاقت بذلك كثيراً من دول إفريقيا المدارية.

وقد بلغ عدد سكان الجزيرة نحو تسعة ملايين نسمة تنخفض كثافتهم العامة بشكل واضح، ولكنها تزداد في مناطق قليلة خاصة في بعض الأحواض الداخلية المرتفعة حيث العاصمة تاناناريف (٨٠٠,٠٠٠ نسمة)، وهي أكبر مدن مالاجاشي، ويليها عدد من المدن الصغيرة التي لا يزيد حجم كل منها على ٦٠,٠٠٠ نسمة مثل تاماتاف وماجونجا.

النشاط الاقتصادي:

قدّرت منظمة الأغذية والزراعة أنماط استغلال الأراضي في مدغشقر بالنسب التالية (سنة ١٩٧٤):

النمط	المساحة (ألف هكتار)	٪
أراضي مزروعة	٢,٨٦٢	٤,٩
مراعي طبيعية	٣٤,٠٠	٥٧,٩
غابات	١٢,٤٧٢	٢١,٢
أراضي أخرى (بور)	٨,٨٢٠	١٥,٠

ومدغشقر مثل الكثير من الدول الإفريقية ـ فقيرة وقليلة السكان وما زال معظم سكانها يعيشون على اقتصاد زراعي رعوي تقليدي متخلف، وتكون الثروة الحيوانية عنصراً رئيسياً من عناصر الاقتصاد الوطني، ولا ينتشر بالجزيرة كلها ذباب تسي تسي الذي تعاني منه معظم أقاليم إفريقيا المدارية، ويقدَّر أنَّ بالجزيرة ٧,٥ مليون رأس من الماشية (قدر عدد السكان تقريباً)، ولكنها من سلالات أفريقية رديئة، وقد ترتب على هذه الأعداد الكبيرة تعرض المراعي لمشكلات الرعي الزائد خاصة تعرية التربة في بعض المناطق.

أما الزراعة فتتراوح بين النوع المتنقل المعاشي إلى الزراعة التجارية الكثيفة، ورغم أنَّ نسبة الأراضي الزراعية لا تتعدى ٥٪ من جملة مساحة الجزيرة، إلَّا أنها تسهم بدور كبير في الإنتاج الزراعي للاستهلاك والتصدير، ويعتبر الأرز أكثر المحاصيل انتشاراً وتزيد المساحة المزروعة به على ١,٥ مليون فدان (حوالي ثلث المساحة المزروعة في كل البلاد)، وتسود زراعته في معظم أجزاء الجزيرة فيما عدا الإقليم الجنوبي الغربي، ولكن مناطق زراعته الكثيفة توجد في الأحواض الجبلية الفيضية مثل حوض بحيرة الواترا وحول تاناناريف، وقد أصبحت زراعة الأرز والاعتماد عليه كمحصول غذائي رئيسي من الملامح المميزة لمدغشقر حيث تختلف في ذلك عن بقية دول القارة، ويستهلك معظم الإنتاج محلياً ويبقى فائض للتصدير يتذبذب في كميته من عام لآخر، وإن كان الأرز يمثل في المتوسط نحو ١٠٪ من قيمة الصادرات، وتحتل مالاجاشي المركز الثاني بين دول إفريقيا المنتجة للأرز ـ بعد مصر ـ وقد بلغ إنتاجها ٢ مليون طن متري سنة ١٩٨٢ أي ما يعادل ربع إنتاج إفريقيا، وتزرع محاصيل غذائية

أخرى مثل الذرة والكاسافا وقد يدخل بعض إنتاجها في قائمة الصادرات.

ويعد البن أهم محصول نقدي في مدغشقر حيث يكون ٣٥٪ من جملة الصادرات وقد بلغ إنتاجه ٨٠,٠٠٠ طن في سنة ١٩٨٢ أي ما يعادل ٥,٥٪ من إنتاج إفريقيا، والبن من نوع روبستا ويجود في المنحدرات الجبلية في النطاق الساحلي الشرقي حيث تناسبه الظروف المناخية والتصريف المائي وحيث تسود التربة البركانية الخصبة.

ومن المحاصيل النقدية الأخرى مجموعة كبيرة من التوابل وكذلك قصب السكر والتبغ والحبوب الزيتية، وقد تزايد إنتاج القرنفل خاصة بعد أن تأثرت بعض مناطق إنتاجية في زنجبار بالأوبئة، كما تزايدت أهمية السيسل الذي يزرع في أقصى الطرف الجنوبي للجزيرة.

الصناعة والنقل:

ليست موارد الثروة المعدنية في مدغشقر معروفة تماماً ولكن يبدو أنها قليلة ومبعثرة، ويعدُّ الجرافيت المورد المعدني الرئيسي حتى إنَّ مالاجاشي تعد واحدة من الدول الرئيسية في العالم التي تنتجه، ومع ذلك فإنَّه لا يكوِّن إلَّا نسبة ضئيلة من الصادرات، ومن الموارد الأخرى المايكا وتكون مع الجرافيت حوالي ٢٪ فقط من الصادرات ويتم استخراج الجرافيت في المرتفعات الواقعة إلى الجنوب من تاماتاف على الساحل الشرقي، والإنتاج قليل لا يتعدَّى ١٢٠٠٠ طن سنوياً، وتجد مدغشقر صعوبة في تسويق هذه الكمية نظراً لقلَّة الطلب العالمي عليه.

ولا يوجد إلَّا القليل من الصناعات في مدغشقر، وتعتمد الصناعات القائمة على المنتجات الزراعية مثل ضرب الأرز وصناعة السكر وتجهيز السيسل وتعليب اللحوم للتصدير، كما قامت صناعة النسيج على إنتاج القطن المحلي.

وقد تأثر نمط النقل السائد بالجزيرة بطبيعتها الجبلية الوعرة، ولا يوجد بها سوى خطَّان حديديان طولها ٨٠٠ كيلومتراً، وتربط أحدهما العاصمة ـ تانا

ناريف - بميناء تاما تاف على الساحل الشرقي، وهو الخط الرئيسي في البلاد وقد أنشيء في سنة ١٩١٣، أمّا الخط الآخر فقد أنشيء سنة ١٩٣٦ ليربط كلا من فيانار انتسو Fianarantsoa في الداخل بميناء ماناكارا Munkara، وقد اكتنف إنشاء هذه الخطوط صعوبات هندسية كثيرة بسبب وعورة التضاريس التي تتصف بها المرتفعات الداخلية، ويكفي للتدليل على ذلك بالنسبة للخط الثاني - أنّه في مسافة مائة ميل فقط (١٦٠ كيلومتر) يعبر هذا الخط ٤٩ نفقاً و٤٧ كوبرى ورغم ذلك فقد نجح الفرنسيون إبان احتلالهم للجزيرة أن يطوروا هذه السكك الحديدية وتشغيلها حتى أصبحت بالرغم من قصرها أكفأ الخطوط الحديدية في إفريقيا، وتنقل السكك الحديدية نحو خمس صادرات مالاجاشي وهي نسبة قليلة نسبياً ولكن مرجعها هو أنَّ مراكز الإنتاج موزعة في مناطق واسعة داخل الجزيرة وتخدم معظمها طرق النقل بالسيارات.

وقد حظى النقل الجوي بأهمية كبيرة في مدغشقر منذ الحرب العالمية الثانية، حتى أصبح بالجزيرة في الوقت الحاضر حوالي ٦٠ مطاراً رئيسياً ذات خطوط طيران منتظمة بين المدن الرئيسية، وتعتمد التجارة في المناطق على النقل الجوي مثل منطقة أندابا Andaba في الشمال الشرقي التي تصدر البن والفانيليا بالطائرات وتستورد السلع بنفس الطريقة، وكذلك الحال بالنسبة للتبغ الذي ينقل في معظمه باستخدام الطيران.

وليس هناك من شك في أنَّ أحسن الموانىء الطبيعية هو ميناء دييجوسواريز Diego Suarez وهو خليج بركاني يأتي في المركز الثاني في الحجم بعد ريودي جانيرو وبالرغم من أهميته كقاعدة بحرية خصوصاً في الحرب العالمية الأخيرة إلاَّ أنَّه يعتبر مخرجاً لمنتجات الطرف الشمالي من الجزيرة فقط، ويعدُّ ميناء تاماتاف Tamatave (٥٩,٠٠٠ نسمة) أكبر الموانىء الحديثة في الجزيرة ويقع في الساحل الشرقي ويتمتع بحماية صناعية ولكنه قد يتعرض لعواصف قاسية تؤثر في حركة الملاحة به ومع هذا فهو الميناء الرئيسي الذي يمر به حوالي نصف تجارة الجزيرة أمّا ميناء ماجونجا Majunaga (٥٩,٠٠٠ نسمة) في

الشمال الغربي فيعتبر ثاني موانىء الجزيرة ويتمتع بحماية طبيعية وإن كانت مياهه غير عميقة ومع ذلك فتمر به كثير من الواردات، خصوصاً أنَّه على الساحل المقابل لإفريقيا ولا يتعرض لطقس عاصف بدرجة كبيرة مثل تاماتاف كما أنَّه يتصل بالعاصمة اتصالاً جيداً.

فهرس الأشكال

١ الجغرافيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى ١٥
٢ الأقاليم المناخية حسبَ تقسيم كوبن ١٩
٣ أقاليم العالم الحضارية الكبرى ٣٩
٤ أوروبا وأقاليمها الفرعية ٤٧
٥ المرتفعات الجبلية والهضاب في جنوب أوروبا ٥٤
٦ توزيع الأمطار السنوية في أوروبا ٦١
٧ الأنهار الرئيسية في أوروبا ٦٤
٨ الحد الشمالي لزراعة المحاصيل في أوروبا ٦٨
٩ المناطق الصناعية الرئيسية في أوروبا ٧٢
١٠ متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي في أوروبا ٧٥
١١ المناطق الأكثف سكاناً في أوروبا ٧٩
١٢ المجموعات اللغوية في أوروبا ٨٣
١٣ اليونان ٩٤
١٤ إيطاليا ٩٦
١٥ أسبانيا والبرتغال ١٠٧
١٦ حقول الفحم في شمال غرب أوروبا ١١١
١٧ جمهورية فرنسا ١١٧
١٨ الطرق الرئيسية في أوروبا ١١٩
١٩ طرق النقل المائي الداخلي في غرب أوروبا ١٢٠

٢٠ هولنده وبلجيكا ١٢٢
٢١ الجزر البريطانية ١٢٤
٢٢ شبه جزيرة اسكنديناوه ١٣٠
٢٣ نطاق القلب الصناعي في بولنده والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ... ١٥٤
٢٤ موقع الاتحاد السوفييتي بين قارات العالم ١٨٦
٢٥ مساحة الاتحاد السوفييتي بالمقارنة مع بريطانيا والولايات المتحدة ... ١٨٩
٢٦ بعض مظاهر السطح في الاتحاد السوفييتي ١٩٣
٢٧ الملاحة النهرية في الاتحاد السوفييتي ١٩٥
٢٨ مشروعات تحويل الأنهار السوفييتية ١٩٧
٢٩ الأقاليم النباتية والتربة في الاتحاد السوفييتي ٢٠٥
٣٠ توزيع السكان في الاتحاد السوفييتي ٢١٧
٣١ هرمية التركيب الداخلي في الاتحاد السوفييتي ٢١٩
٣٢ السكك الحديدية في الاتحاد السوفييتي ٢٢٥
٣٣ النمو الأرضي للاتحاد السوفييتي ٢٢٧
٣٤ الأقاليم الجغرافية الكبرى في الاتحاد السوفييتي ٢٣٦
٣٥ إقليم القلب الصناعي حول موسكو ٢٣٩
٣٦ حقول الفحم في الاتحاد السوفييتي ٢٤٦
٣٧ الخامات الرئيسية لصناعة الحديد والصلب ٢٥٢
٣٨ الأقاليم الزراعية في الاتحاد السوفييتي ٢٥٥
٣٩ البترول في الاتحاد السوفييتي ٢٥٩
٤٠ المناطق الجافة في الاتحاد السوفييتي ٢٦٢
٤١ أقاليم التنمية وتطورها منذ سنة ١٩١٨ .... ٢٧٠
٤٢ الحدود الأمريكية في منطقة البحيرات ٢٧٨
٤٣ الطرف الغربي للحدود الكندية الأمريكية ٢٧٨
٤٤ الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك ٢٧٩
٤٥ الأقاليم التضاريسية الرئيسية في أمريكا الشمالية ٢٨١
٤٦ مراحل النمو الأرضي للولايات المتحدة ٢٩٨

٤٧ توزيع الزنوج في الولايات المتحدة ٣٠٦
٤٨ كثافة السكان في الولايات المتحدة........................ ٣٠٩
٤٩ تاريخ إنشاء المدن الأمريكية الكبرى......... .... ٣١١
٥٠ الأقاليم الجغرافية الكبرى في أمريكا الشمالية ٣٢٤
٥١ الميجالوبوليس الأمريكية (مجمعة نيويورك)........................ ٣٢٧
٥٢ المجمعات الحضرية الكبرى في الولايات المتحدة................. ٣٢٨
٥٣ منطقة الحديد الخام وصناعة الحديد والصلب في منطقة البحيرات.. ٣٣٠
٥٤ منطقة وسط الإقليم الصناعي الأمريكي ٣٣٢
٥٥ الطرق السريعة في الولايات المتحدة.......................... ٣٣٤
٥٦ النطاقات الصناعية في الولايات المتحدة......................... ٣٤٠
٥٧ كندا: توزيع السكان ٣٥٥
٥٨ مناطق النفوذ الأجنبي في أفريقيا المدارية ١٨٨٠ .. .. ٣٦٧
٥٩ أفريقيا المدارية بعد الحرب العالمية الأولى............................ ٣٧١
٦٠ الوحدات السياسية في أفريقيا المدارية.... .... ٣٧٤
٦١ الملامح الرئيسية لسطح أفريقيا ٣٧٩
٦٢ الأودية الأخدودية في شرق أفريقيا ٣٨١
٦٣ الأحواض النهرية في أفريقيا........... .... ٣٨٤
٦٤ الضغط والرياح في أفريقيا (يوليو)........................... ٣٩٠
٦٥ الضغط والرياح في أفريقيا (يناير) ٣٩١
٦٦ الأمطار في أفريقيا ٣٩٣
٦٧ الأقاليم المناخية في أفريقيا المدارية........................... ٣٩٥
٦٨ الأقاليم النباتية في أفريقيا المدارية ٤٠١
٦٩ تاريخ إنشاء المدن في أفريقيا المدارية......................... ٤١٧
٧٠ السلالات البشرية في أفريقيا المدارية ٤١٨
٧١ الحرف الرئيسية في أفريقيا المدارية ٤٤٣
٧٢ نصيب الفرد من الناتج القومي في أفريقيا المدارية............... ٤٤٦
٧٣ الوحدات السياسية في غرب أفريقيا ٤٥٠

٧٤ غــانــا ٤٦٦
٧٥ الجماعات البشرية الكبرى في نيجيريا ٤٧١
٧٦ التوزيع النسبي للمسلمين والمسيحيين في نيجيريا ٤٧٢
٧٧ اقتصاديات نيجيريا ٤٧٦
٧٨ النقل والمدن الجئيسية في نيجيريا ٤٧٩
٧٩ الإنتاج الزراعي في زائيـر ٥٠١
٨٠ أهم المعادن في زائيـر ٥٠٥
٨١ النقـل في زائير ٥٠٩
٨٢ معازل البانتو في جنوب أفريقيا ٥١٧
٨٣ توزيع السكان والأمطار في جنوب أفريقيا ٥٢٠
٨٤ أنماط الاستغلال الزراعي والرعوي في جنوب أفريقيا ٥٢٣
٨٥ الأقاليم الزراعية في جنوب أفريقيا ٥٢٨
٨٦ التعدين في جمهورية جنوب أفريقيا ٥٣٤
٨٧ السكك الحديدية في جنوب أفريقيا ٥٣٩
٨٨ الجديد والسكك الحديدية في موزمبيق ٥٦٣
٨٩ الإنتاج الزراعي والرعوي في تنزانيا ٥٦٨
٩٠ الإنتاج الزراعي والرعوي في كينيا ٥٧٣
٩١ النقل في كينيـا ٥٧٦
٩٢ النقل في أوغنده ٥٨٢
٩٣ الأقاليم التضاريسية في أثيوبيا ٥٨٨
٩٤ اللغات في أثيـوبيا ٥٩٣
٩٥ الأديان في أثيوبيا ٥٩٤
٩٦ الأقاليم الطبيعية في مدغشقـر ٥٩٩

فهرس الجداول

١	أقاليم العالم الكبرى مساحة وسكاناً	٣٤
٢	الحرارة والأمطار في غرب أوروبا	٦٠
٣	الخصائص الزراعية لدول غرب أوروبا	٦٩
٤	أهم الدول الصناعية في غرب أوروبا	٧١
٥	نصيب الفرد من الناتج القومي في غرب أوروبا	٧٤
٦	بعض الخصائص السكانية لدول غرب أوروبا	٨١
٧	أحجام المدن الكبرى في دول القلب الأوروبي	١١٥
٨	دول شرق أوروبا	١٤١
٩	توزيع السكان في الاتحاد السوفييتي	٢١٠
١٠	توزيع القوميات في الاتحاد السوفييتي	٢١٤
١١	التركيب القومي لسكان الاتحاد السوفييتي	٢١٥
١٢	نسبة الإنتاج الزراعي والصناعي السوفييتي	٢٢٢
١٣	المكاسب الإقليمية للسوفييت بعد الحرب العالمية الثانية	٢٣٣
١٤	الأراضي التابعة للولايات المتحدة	٣٠٠
١٥	التطور العددي والنسبي لسكان الولايات المتحدة	٣٠٧
١٦	دور الهجرة في نمو سكان الولايات المتحدة	٣٠٨
١٧	نسبة الإنتاج الأمريكي من العالم	٣١٨
١٨	تطور عدد سكان أفريقيا المدارية	٤٠٨
١٩	بعض المقاييس الديموغرافية لأفريقيا المدارية	٤٠٩

٢٠ متوسط إنتاجية الهكتار في أفريقيا المدارية ٤٣٥
٢١ متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي ٤٤٧
٢٢ دول غرب أوروبا ٤٥١
٢٣ دول وسط أفريقيـا ٤٨٣
٢٤ دول جنوب أفريقيا ٥١٤
٢٥ التوزيع العددي والنسبي للمجموعات العرقية في جنوب أفريقيا... ٥١٩
٢٦ دول شرق أفريقيا ٥٦٦

المصادر والمراجع

أولاً - المراجع العربيـة:

١ - أحمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية - الإسكندرية ١٩٧٨.
٢ - باوندز وكنجزبري: أطلس أوربا - (مترجم) - منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٦٨.
٣ - جودة حسنين جودة: جغرافية أوربا الإقليمية، الإسكندرية - ١٩٨٤.
٤ - جودة حسنين جودة وفتحي محمد أبو عيانة: قواعد الجغرافيا العامة - دار الجامعات المصرية - الإسكندرية - ١٩٨٤.
٥ - جريفث تيلور (محرر): الجغرافية في القرن العشرين (مترجم) - القاهرة - ١٩٧٤.
٦ - حسن سيد أحمد أبو العينين: آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي - بيروت - ١٩٨٠.
٧ - س. ج. سلجمان: السلالات البشرية في إفريقيا (مترجم) - القاهرة - ١٩٦٢.
٨ - عبد الفتاح وهيبة: جغرافية الإنسان دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٤.
٩ - فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية السكان - الطبعة الثانية - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨١.
١٠ - فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٣.
١١ - فتحي محمد أبو عيانة: دراسات في الجغرافيا السياسية - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٣.

١٢ ـ فتحي محمد أبو عيانة: الجغرافيا الاقتصادية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٤.
١٣ ـ محمد السيد غلاب ومحمد صبحي عبد الحكيم: السكان ديموغرافياً وجغرافياً ـ القاهرة ـ ١٩٦٣.
١٤ ـ محمد خميس الزوكة: المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية ـ الجزء الأول ـ الإسكندرية ـ ١٩٧٤.
١٥ ـ محمد رياض: العالم القطبي ونورديا ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٤.
١٦ ـ محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا: دراسة لمقومات القارة ـ بيروت ـ ١٩٧٣.
١٧ ـ محمد عبد الغني سعودي: إفريقيا: دراسة شخصية الأقاليم ـ القاهرة ـ ١٩٧٦.
١٨ ـ محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية ـ القاهرة ـ ١٩٦٥.
١٩ ـ محمد فاتح عقيل: الاتحاد السوفيتي وأثره في السياسات العالمية ـ الإسكندرية ـ ١٩٥٨.
٢٠ ـ محمد محمد سطيحة: الجغرافيا الإقليمية ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٢.
٢١ ـ محمد محمود الصياد: مدخل للجغرافيا الإقليمية ـ بيروت ـ ١٩٧٢.

ثانياً ـ المراجع الأجنبيـة:

1 - **Alexander, L., M.,** World Political Patterns, Chicago, 1966.
2 - **Beaujeu-Carnier, J.,** Geography of Population, Translated by Beaver, S.H., London, 1966.
3 - **Beaujeu-Carnier, J.,** et. al., Image Economique du Monde, 1984.
4 - **Broëk, J.,** and **Webb, J.,** A Geography of Mankind, New york, 1973.
5 - **Caldwell, J. C.,** and **Okonjo, C.,** The Population of Topical Africa, London, 1961.
6 - **Cole, J. P.,** A Geography of the USSR, Penguin Books, 1967.
7 - **Cole, J.P.,** Geography of World Affairs, Penguin Books, London, 1972.
8 - **Cohen, S. B.,** Georgraphy and Politics in a Divided World, London, 1964.
9 - **Cressey, G. B.,** Asia's Lands and Peoples, New York, 1963.

10 - **De Blij, J. H.,** and **Bird sall, S.,** Geography: Regions and Concepts, New York, 1971.
11 - **Fitzgerald, W.,** Africa, a Social economic and Political geography, London, 1961.
12 - **Fordham, P.,** The Geography of African Affairs, Penguin Books. London, 1965.
13 - **Fullard, H.,** Soviet Union in Maps, London, 1972.
14 - **Gottmann, J.,** A Geography of Europe, New York, 1969.
15 - **Haggett, P.,** Geography, A Modern Synthesis, New York, 1972.
16 - **Harrison Church, R. J.,** et al., Africa and the Islands, London, 1973.
17 - **Knight, C. G.** and **Newman, J. L.,** Contemporary Africa, Englewood Cliffs, 1976.
18 - **Mountjoy, A. B.** et al., Africa, A Geographical Study, London, 1964.
19 - **Paxton, J.,** The Statesman's Yearbook, 1978-1988.
20 - **Polleck, N. C.,** Studies in Emergining Africa, London, 1971.
21 - **Perpillou, A.,** Huamn Geography, London, 1971.
22 - **Pounds, N. J.,** Political Geography, New York, 1963.
23 - **Prescott, J.,** Political Geography, London, 1971.
24 - **Robinson, H.,** Human Geography, London, 1978.
25 - **Stamp, L. D.,** Africa, A Study in Tropical Development. London, 1964.
26 - U. N., Demographic Handbook for Africa, 1978, Addis Ababa, 1979.
27 - U. N., Demographic Yearbook, 1978, 1980.
28 - U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, 1980, 1981.
29 - **Wheeler, Jesse** H., and **others,** Regional Geography of the World, New York 1969.
30 - **Zimolzak, C. E.** and **Stansfield, J. C.,** World Regions, Changing Interactions, Charles Merrill Publishing Company, Columbus, Ohio, 1982.

محتويات الكتاب

الباب الأول: الإقليمية والأقاليم

الفصل الأول: الجغرافيا الإقليمية ومفهومها ٩

الفصل الثاني: الأقاليم الكبرى في العالم ٢٥

الباب الثاني: إقليم أوربا

مقدمة ٤٣

الفصل الثالث: غرب أوربا ٤٩

الفصل الرابع: دول غرب أوربا ٨٧

أولاً: دول البحر المتوسط ٨٨

- اليونان وإيطاليا ٨٨

- إيبيريا (أسبانيا والبرتغال) ٩٧

ثانياً: إقليم القلب الأوربي (فرنسا - ألمانيا الاتحادية - دول البنلوكس - الدنمرك وبريطانيا) ١٠٧

- موارد الثروة المعدنية ١٠٨

- السكان ١١١

- أنماط الصناعة ١١٦

- سويسرة والنمسا ١٢٥

ثالثاً: إقليم نورديا: (السويد والنرويج وفنلندة وإيسلندة) ١٢٩

الفصل الخامس: شرق أوربا ١٣٩
- ملامح البيئة الطبيعية ١٤١
- السكان ١٤٦
- التطور السياسي ١٤٧
الفصل السادس: دول شرق أوربا ١٥١
أولاً: دول النطاق الصناعي في الشمال: ١٥٢
- بولندة ١٥٣
- ألمانيا الشرقية ١٥٩
- تشيكوسلوفاكيا ١٦٢
ثانياً: المجر ورومانيا: ١٦٦
- المجر ١٦٧
- رومانيا ١٧٠
ثالثا: دول البلقان: ١٧٣
- يوغسلافيا ١٧٤
- بلغاريا ١٧٨

الباب الثالث: الاتحاد السوفيتي

الفصل السابع: الاتحاد السوفيتي: ١٨٥
- البيئة والإنسان ١٨٥
- مظاهر البيئة الطبيعية ١٩١
- سكان الاتحاد السوفيتي ٢٠٨
- القوميات والتركيب السياسي الداخلي ٢١٨
- الصناعة ٢٢١
- الزراعة ٢٢٣
- التطور السياسي للاتحاد السوفيتي ٢٢٦
الفصل الثامن: أقاليم الاتحاد السوفيتي: ٢٣٥

ـ إقليم القلب الصناعي ٢٣٨
ـ الإقليم الشمالي الغربي ٢٤٣
ـ إقليم أوكرانيا ومولدافيا ٢٥٠
ـ إقليم الفولجا ـ الأورال ٢٥٦
ـ إقليم القوقاز وآسيا الوسطى ٢٦٠
ـ إقليم سيبيريا ٢٦٦

الباب الرابع: أمريكا الشمالية

الفصل التاسع: أمريكا الشمالية ٢٧٥
ـ البيئة الطبيعية ٢٨٠
ـ الظروف المناخية ٢٨٧
ـ النظم النهرية ٢٨٩
ـ الحياة النباتية والتربة ٢٩٠
ـ توزيع السكان ٢٩٣
الفصل العاشر: الولايات المتحدة الأمريكية ٢٩٥
ـ المقومات الجغرافية: الموقع والموارد الكامنة ٣٠٠
ـ السكان ٣٠٤
ـ النمو السياسي والاقتصادي ٣١٠
ـ الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة ٣١٧
الفصل الحادي عشر: الأقاليم الكبرى في الولايات المتحدة ٣٢٣
أولاً: إقليم القلب الأمريكي ٣٢٣
ثانياً: إقليم الجنوب الأمريكي ٣٣١
ثالثاً: إقليم الغرب الداخلي ٣٣٥
رابعاً: إقليم الساحل الغربي ٣٣٩
ـ الاسكا ٣٤٥
ـ هاواي ٣٤٦

الفصل الثاني عشر: كندا: ٣٤٩
ـ التطور السياسي ٣٥٠
ـ الأقاليم الجغرافية لكندا: ٣٥٤
ـ إقليم الولايات الأطلسية ٣٥٤
ـ منطقة القلب الكندي ٣٥٧
ـ إقليم السهول الكندية والساحل الغربي ٣٦٠
ـ الشمال الكندي المتطرف ٣٦١

الباب الخامس: إفريقيا المدارية

الفصل الثالث عشر: التطور السياسي ٣٦٥
الفصل الرابع عشر: البيئة الطبيعية ٣٧٧
١ ـ مظاهر السطح والتصريف النهري ٣٧٧
٢ ـ الظروف المناخية ٣٨٦
٣ ـ الحياة النباتية ٤٠٠
الفصل الخامس عشر: الملامح البشرية ٤٠٧
ـ سكان إفريقيا المدارية ٤٠٨
ـ السلالات البشرية ٤١٦
ـ أنماط النشاط الاقتصادي ٤٢٧
خاتمـــة ٤٤٤
الفصل السادس عشر: دول غرب إفريقيا ٤٤٩
١ ـ مالي ٤٤٩
٢ ـ فولتا العليا ٥٢
٣ ـ النيجر ٥٣
٤ ـ السنغال ٣
٥ ـ غامبيا ٥
٦ ـ غينيا بساو ....

٧ - غينيا ٤٥٦
٨ - سيراليون ٤٥٨
٩ - ليبيريا ٤٥٩
١٠ - ساحل العاج ٤٦١
١١ - غانا ٤٦٢
١٢ - توجو ٤٦٨
١٣ - بنين ٤٦٩
١٤ - نيجيريا ٤٧٠
لفصل السابع عشر: دول وسط إفريقيا ٤٨٣
١ - تشاد ٤٨٤
٢ - جمهورية إفريقيا الوسطى ٤٨٦
٣ - الكاميرون ٤٨٧
٤ - الكونغو ٤٩٠
٥ - الجابون ٤٩١
٦ - غينيا الاستوائية ٤٩٢
٧ - زائير ٤٩٣
٨ - أنجولا ٥١٠
الفصل الثامن عشر: دول جنوب إفريقيا: ٥١٣
١ - جمهورية جنوب إفريقيا ٥١٣
- التاريخ العرقي الحديث ٥١٤
- النشاط الاقتصادي ٥٢١
- الرعي ٥٢٢
- الزراعة ٥٢٤
- التعدين ٥٣٣
- الصناعة ٥٣٦
- النقل والعمران ٥٣٧

٢ ـ ناميبيا ٥٤٠
٣ ـ بتسوانا ٥٤٤
٤ ـ ليسوتو ٥٤٦
٥ ـ سوازيلاند ٥٤٧
٦ ـ زيمباوي ٥٤٨
٧ ـ زامبيا ٥٥٣
٨ ـ ملاوي ٥٥٦
٩ ـ موزمبيق ٥٦٠
الفصل التاسع عشر: دول شرق إفريقيا ٥٦٥
١ ـ تنزانيا ٥٦٥
٢ ـ كينيا ٥٧١
٣ ـ أوغندة ٥٧٧
٤ ـ رواندا وبوروندي ٥٨٣
٥ ـ أثيوبيا ٥٨٥
ـ البيئة الطبيعية ٥٨٦
ـ سكان أثيوبيا ٥٩٠
ـ النشاط الاقتصادي ٥٩٢
٦ ـ جزر القمر ٥٩٦
٧ ـ مدغشقر ٥٩٧
فهرس الأشكال ٦٠٥
فهرس الجداول ٦٠٩
المراجـع ٦١١
محتويات الكتاب ٦١٥